﴿سِلْسِلَةُ الرَّسَائِلِ المِقْدَادِيَّة فِي تَبْسِيْطِ العَقيدَةِ الإِسْلَامِيَّة﴾

﴿١٦﴾

إِضَاءَةُ الدُّجُنَّةِ

فِيْ بَيَانِ وَتَوْضِيْحِ مَا جَاءَ فِيْ الجَنَّة

الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر

عَلِيْ المِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي

المُقدِّمَةُ

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، وصفيُّه وخليله ، قال تعالىٰ : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** [آل عمران : ١٠٢] ، وقال تعالىٰ : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** [النساء:١] ، وقال تعالىٰ : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾** [الأحزاب: ٧٠-٧١] ، أمَّا بعد :

فإنَّ الجنَّة هي دار السُّرور والحبور التي أعدَّها الله تعالىٰ في الآخرة لعباده المتَّقين، فيها ما تحيط بوصفه العقول ... روىٰ البخاري (٤/ ١١٨ برقم ٣٢٤٤) ، مسلم (٤/ ٢١٧٤ برقم ٢٨٢٤) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللهُّ «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : **﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** [السجدة: ١٧] .

وقد جاء التَّنصيص علىٰ وجود الجنَّة الآن في العديد من آيات القرآن وكذا أحاديث الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من ذلك : قوله تعالىٰ : **﴿وَقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** [البقرة:٣٥] ، وقوله تعالىٰ : **﴿وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [آل عمران:١٣٣] .

وروىٰ البخاري (١/ ٧٨ برقم ٣٤٩) ، مسلم (١/ ١٤٨ برقم ١٦٣) بسندهما عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ جِبْرِيلُ: لِخَازِنِ السَّمَاءِ افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ مَعِي مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَىٰ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَلَىٰ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَىٰ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ

وَالِابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ اليَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ خَازِنِهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ: فَفَتَحَ، – قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قَالَ أَنَسٌ – فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِدْرِيسَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ، كَانَا يَقُولاَنِ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ» ، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَفَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ؟ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ "
.

وروى البخاري (٢/ ٩٩ برقم ١٣٧٩) ، مسلم (٤/ ٢١٩٩ برقم ٢٨٦٦) بسندهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ " .

وروىٰ البخاري (٢/ ٦٥ برقم ١٢١٢) ، مسلم (٢/ ٦١٩ برقم ٩٠١) بسندهما عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ سُورَةً طَوِيلَةً، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ بِسُورَةٍ أُخْرَىٰ، ثُمَّ رَكَعَ حَتَّىٰ قَضَاهَا وَسَجَدَ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ فِي الثَّانِيَةِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَصَلُّوا، حَتَّىٰ يُفْرَجَ عَنْكُمْ، لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُهُ، حَتَّىٰ لَقَدْ رَأَيْتُ أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الجَنَّةِ، حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ» .

وقد جاء هذا الكتاب ضمن **﴿سِلْسِلَةُ الرَّسَائِلِ المِقْدَادِيَّة فِي تَبْسِيْطِ العَقيدَةِ الإِسْلَامِيَّة﴾** ، والتي من خلالها سلَّطنا الضّوء علىٰ العديد من المسائل المتعلِّقة بالجنَّة دار القرار ... وقد اشتمل الكتاب علىٰ مقدِّمة وثلاثة فصول ، هي :

الفَصْلُ الأَوَّلُ : الجَنَّةُ وَصِفَاتُهَا .

الفَصْلُ الثَّانِيْ : صِفَةُ أَهْلِ الجَنَّة وَمَا هُمْ فِيْهِ مِنَ النَّعِيْم .

الفَصْلُ الثَّالِثُ : أَسْبَابُ دُخُوْلِ الجَنَّة وأسباب الطَّرْدِ مِنْهَا .

والله تعالىٰ أسأل أن يرزقنا سُبُل الهُدىٰ ، وأن يُجنِّبنا موارد الهوىٰ والرَّدىٰ ، وسُبُل الغواية والعَمىٰ ، ونسأله تعالىٰ أن يعلِّمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علَّمنا ، وأن يزيدنا علماً ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، في السرِّ والعلن ، إنَّه أهل ذلك والقادرُ عليه...

وَسُبْحَـــــــــانَكَ اللَهُمَّ وَبِحَمْدِكَ

نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـــــــهَ إِلَّا أَنْتَ

نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوْبُ إِلَيْكَ

وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْن

﴿الفَصْلُ الأَوَّلُ﴾

✿✿✿ الجنَّةُ وَصِفَاتُهَا ✿✿✿

الجنَّة هي دار الخلود الأبدي، والعيش السَّرمدي ، أعدَّ الله تعالىٰ فيها لأهلها ما لا عينٌ رأت ، ولا أُذنٌ سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر ، نعيمها دائم لا يزول ، وساكنها عنها لا يحول ، ما يتمنَّاه المؤمن فيها يتحقَّق له في الحال ، قال تعالىٰ : **﴿لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ خالِدِينَ كانَ عَلى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُلاً﴾** [الفرقان:١٦] ، وقال تعالىٰ : **﴿وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها مَا تَدَّعُونَ﴾** [فصلت:٣١] ...

ومن أجل الإحاطة بكلِّ ما يتعلَّق بالجنَّة وصفاتها ، كانت الأسئلة التَّالية وأجوبتها :

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا مَعْنَى الجَنَّة لُغَةً وَاصْطِلَاحَاً ؟

الجواب : قال الإمام ابن فارس في " معجم مقاييس اللغة" (١/ ٤٢١) : " الْجِيمُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ السَّتْرُ وَالتَّسَتُّرُ. فَالْجَنَّةُ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ ثَوَابٌ مَسْتُورٌ عَنْهُمُ الْيَوْمَ. وَالْجَنَّةُ الْبُسْتَانُ، وَهُوَ ذَاكَ لِأَنَّ الشَّجَرَ بِوَرَقِهِ يَسْتُرُ" .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١/ ٣٠٢ ، ١/ ٢٣٩) : " الْجَنَّةُ: الْبُسْتَانُ" ، " وَالْجَنَّاتُ: الْبَسَاتِينُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ جَنَّاتٌ لِأَنَّهَا تُجِنُّ مَنْ فِيهَا أَيْ تَسْتُرُهُ بِشَجَرِهَا، وَمِنْهُ: الْمِجَنُّ وَالْجَنِينُ وَالْجَنَّةُ"

والجنَّة هي دار الكرامة والمقامة التي أعدَّها الله تعالىٰ لعباده المتَّقين ، الذين شهدوا له بالوحدانيَّة ، وآمنوا بما جاءهم عن ربِّهم راغبين ، راهبين ، سائلين الحقَّ تعالىٰ قائلين : **﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾** [الفاتحة:٦-٧] .

وهي دار البهجة والسُّرور ، والفرح والحبور ، والحور والقصور ، دار النَّعيم الأبدي ، والعيش السَّرمدي ، وقد أعدَّ الله تعالىٰ فيها من النَّعيم ما تحتار في وصفه وكُنْهِهِ العقول ، كيف لا وهو سبحانه القائل كما في الحديث القدسي الذي رواه البخاري (٤/ ١١٨ برقم٣٢٤٤) ، مسلم (٤/ ٢٤٧١ برقم ٢٨٢٤) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : **﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** [السجدة:١٧] .

قال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الآخرة " (ص٩٢٩) : " وصف الله تعالى الجَنَّة في كتابه وصفاً يقوم مقام العيان ، في غير ما سورة من القرآن، وأكثر ذلك في سورة الواقعة والرَّحمن، وهل أتاك حديث الغاشية وسورة الإنسان، وبيَّن ذلك أيضاً نبيُّنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بأوضاح بيان، فنذكر من ذلك ما بلغنا في الأخبار الصِّحاح والحِسان " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ أَسْمَاءُ الجَنَّة ؟

الجواب : سمَّى الله تعالى دار الكرامة التي أعدَّها لعباده الصَّالحين : الجَنَّة ، التي هي غاية النَّعيم بما اشتملت عليه من أنواع واللذَّة والبهجة والسُّرور، وقُرَّة الأعيُن والخير العميم العظيم ...

وقد ذُكرت الجَنَّة كثيراً في كتاب الله تعالى ، قال تعالى : **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّة وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾** [النساء:١٢٤] .

وقال تعالى : **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَّ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللهَّ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُّ عَلَيْهِ الجَنَّة وَمَأْواهُ النَّارُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾** [المائدة:٧٢] .

وقال تعالى : **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنى وَزِيادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولئِكَ أَصْحابُ الجَنَّة هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾** [يونس:٢٦] .

وقال تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَأَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ أُولئِكَ أَصْحابُ الجَنَّة هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾** [هود:٢٣] .

وقال تعالى : **﴿مَثَلُ الجَنَّة الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكافِرِينَ النَّارُ﴾** [الرعد:٣٥] .

وقال تعالى: **﴿تِلْكَ الجَنَّة الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾** [مريم: ٦٣] ...

وهنالك أسماء جاءت مقترنة بالجنَّة، وهي من صفات جنَّة الخلد ، منها:

أَوَّلاً : جَنَّاتُ عَدْنٍ: من صفات الجَنَّة أنَّها دائمة ، قال تعالى : **﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾** [التوبة: ٧٢] . قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" (ص٩٨) : " قيل هو اسم جنَّة من جملة الجنَّات ، والصَّحيح أنَّه من جملة الجِنان ، وكلُّها جنَّات عدن ، قال تعالى :**﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾** [مريم:٦١] ، وقال تعالى: **﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾** [فاطر:٣٤] ، وقال تعالى : **﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾** [التوبة:٧٢] ،

والاشتقاق يدلُّ على أنَّ جميعها جنَّات عدن ، فإنَّه من الإقامة والدَّوام ، يقال : عدن بالمكان إذا أقام به ، وعدنت البلد توطَّنته ، وعدنت الإبل مكان كذا لزمته فلم تبرح منه.

قال الجوهري : ومنه : جَنَّاتُ عَدْن ، أي : إقامة ، ومنه سُمِّي المعدِن بكسر الدَّال ، لأنَّ النَّاس يُقيمون فيه الصَّيف والشِّتاء ، ومركزه كلّ شيء معدنه ، والعادن : النَّاقة المقيمة في المرعى " .

وقال تعالى: **﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾** [مريم: ٦١] .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢١/ ٥٥٢-٥٥٣) : " اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ فِي التَّائِبِ أَنَّهُ يَدْخُلُ الجَنَّة وَصَفَ الجَنَّة بِأُمُورٍ :

أَحَدُهَا: قَوْلُهُ : **﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبادَهُ بِالْغَيْبِ﴾** وَالْعَدْنُ الْإِقَامَةُ وَصَفَهَا بِالدَّوَامِ عَلَى خِلَافِ حَالِ الجِنَانِ فِي الدُّنْيَا الَّتِي لَا تَدُومُ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ حَالَهَا لَا يَتَغَيَّرُ فِي مَنَاظِرِهَا فَلَيْسَتْ كَجِنَانِ الدُّنْيَا الَّتِي حَالُهَا يَخْتَلِفُ فِي خُضْرَةِ الْوَرَقِ وَظُهُورِ النَّوْرِ وَالثَّمَرِ وَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهَا: وَعْدُ الرَّحْمَنِ لِعِبَادِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: **﴿بِالْغَيْبِ﴾** فَفِيهِ وَجْهَانِ :

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ تَعَالَى وَعَدَ هُمْ إِيَّاهَا وَهِيَ غَائِبَةٌ عَنْهُمْ غَيْرُ حَاضِرَةٍ أَوْ هُمْ غَائِبُونَ عَنْهَا لَا يُشَاهِدُونَهَا .

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ وَعْدُ الرَّحْمَنِ لِلَّذِينِ يَكُونُونَ عِبَادًا بِالْغَيْبِ ، أَي : الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُ فِي السِّرِّ بِخِلَافِ الْمُنَافِقِينَ فَإِنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُ فِي الظَّاهِرِ وَلَا يَعْبُدُونَهُ فِي السِّرِّ وَهُوَ قَوْلُ أَبِي مُسْلِمٍ .

وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَقْوَى لِأَنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ أَنَّ الْوَعْدَ مِنْهُ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ بِأَمْرٍ غَائِبٍ فَهُوَ كَأَنَّهُ مُشَاهَدٌ حَاصِلٌ، لِذَلِكَ قَالَ بَعْدَهُ: إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا أَمَّا قَوْلُهُ: **﴿مَأْتِيًّا﴾** ، فَقِيلَ إِنَّهُ مَفْعُولٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ وَالْوَجْهُ أَنَّ الْوَعْدَ هُوَ الجَنَّة وَهُمْ يَأْتُونَهَا، قَالَ الزَّجَّاجُ: كُلُّ مَا وَصَلَ إِلَيْكَ فَقَدْ وَصَلْتَ إِلَيْهِ ، وَمَا أَتَاكَ فَقَدْ أَتَيْتَهُ ، وَالْمَقْصُودُ مِنْ قَوْلِهِ: **﴿إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾** بَيَانٌ أَنَّ الْوَعْدَ مِنْهُ تَعَالَى وإن كان بأمر غائب فهو كأنه مشاهد وَحَاصِلٌ ، وَالْمُرَادُ تَقْرِيرُ ذَلِكَ فِي الْقُلُوبِ " .

وقال عزَّ وجلَّ: **﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾** [فاطر: ٣٣] . قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٦/ ٢٤٠) : " وَفِي الدَّاخِلِينَ وُجُوهٌ:

أَحَدُهَا: الْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ وَهِيَ عَلَى قَوْلِنَا إِنَّ الظَّالِمَ وَالْمُقْتَصِدَ وَالسَّابِقَ أَقْسَامُ الْمُؤْمِنِينَ.

وَالثَّانِي: الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ.

وَالثَّالِثُ: هُمُ السَّابِقُونَ وَهُوَ أَقْوَىٰ لِقُرْبِ ذِكْرِهِمْ وَلِأَنَّهُ ذَكَرَ إِكْرَامَهُمْ بِقَوْلِهِ: **﴿يُحَلَّوْنَ﴾** ، فَالْمُكَرَّمُ هُوَ السَّابِقُ وَعَلَىٰ هَذَا فِيهِ أَبْحَاثٌ:

الْأَوَّلُ: تَقْدِيمُ الْفَاعِلِ عَلَىٰ الْفِعْلِ وَتَأْخِيرُ الْمَفْعُولِ عَنْهُ مُوَافِقٌ لِتَرْتِيبِ الْمَعْنَىٰ إِذَا كَانَ الْمَفْعُولُ حَقِيقِيًّا كَقَوْلِنَا: اللهُ خَلَقَ السَّموات ، وَقَوْلِ الْقَائِلِ: زَيْدٌ بَنَىٰ الْجِدَارَ فَإِنَّ اللهَ مَوْجُودٌ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ لَهُ فِعْلٌ هُوَ الْخَلْقُ، ثُمَّ حَصَلَ بِهِ الْمَفْعُولُ وَهُوَ السَّموات، وَكَذَلِكَ زَيْدٌ قَبْلَ الْبِنَاءِ ثُمَّ الْجِدَارُ مِنْ بِنَائِهِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَفْعُولُ حَقِيقِيًّا كَقَوْلِنَا : زَيْدٌ دَخَلَ الدَّارَ وَضَرَبَ عَمْرًا ، فَإِنَّ الدَّارَ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ مَفْعُولًا لِلدَّاخِلِ ، وَإِنَّمَا فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِهِ تَحَقَّقَ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الدَّارِ ، وَكَذَلِكَ عَمْرٌو فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ زَيْدٍ تَعَلَّقَ بِهِ فَسُمِّيَ مَفْعُولًا لَا يَحْصُلُ هَذَا التَّرْتِيبُ، وَلَكِنَّ الْأَصْلَ تَقْدِيمُ الْفَاعِلِ عَلَىٰ الْمَفْعُولِ وَلِهَذَا يُعَادُ الْمَفْعُولُ الْمُقَدَّمُ بِالضَّمِيرِ تَقُولُ عَمْرًا ضَرَبَهُ زَيْدٌ فَتُوقِعُهُ بَعْدَ الْفِعْلِ بِالْهَاءِ الْعَائِدَةِ إِلَيْهِ وَحِينَئِذٍ يَطُولُ الْكَلَامُ فَلَا يَخْتَارُهُ الْحَكِيمُ إِلَّا لِفَائِدَةٍ، فَمَا الْفَائِدَةُ فِي تَقْدِيمِ الْجَنَّاتِ عَلَىٰ الْفِعْلِ الذي هو الدخول وإعادة ذكر بِالْهَاءِ فِي يَدْخُلُونَهَا، وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ يَدْخُلُونَ جَنَّاتِ عَدْنٍ؟ نَقُولُ السَّامِعُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ لَهُ مَدْخَلًا مِنَ الْمَدَاخِلِ وَلَهُ دُخُولٌ وَلَمْ يَعْلَمْ عَيْنَ الْمَدْخَلِ فَإِذَا قِيلَ لَهُ أَنْتَ تَدْخُلُ فَإِلَىٰ أَنْ يَسْمَعَ الدَّارَ أَوِ السُّوقَ يَبْقَىٰ مُتَعَلِّقَ الْقَلْبِ بِأَنَّهُ فِي أَيِّ الْمَدَاخِلِ يَكُونُ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ دَارَ زَيْدٍ تَدْخُلُهَا فَبِذِكْرِ الدَّارِ، يَعْلَمُ مَدْخَلَهُ وَبِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ السَّابِقِ بِأَنَّ لَهُ دُخُولًا يَعْلَمُ الدُّخُولَ فَلَا يَبْقَىٰ لَهُ تَوَقُّفٌ وَلَا سِيَّمَا الْجَنَّة وَالنَّارُ، فَإِنَّ بَيْنَ الْمَدْخَلَيْنِ بَوْنًا بَعِيدًا.

الثَّانِي: قَوْلُهُ: **﴿يُحَلَّوْنَ فِيها﴾** إِشَارَةٌ إِلَىٰ سُرْعَةِ الدُّخُولِ ، فَإِنَّ التَّحْلِيَةَ لَوْ وَقَعَتْ خَارِجًا لَكَانَ فِيهِ تَأْخِيرُ الدُّخُولِ فَقَالَ: يَدْخُلُونَهَا وَفِيهَا تَقَعُ تَحْلِيَتُهُمْ.

الثَّالِثُ: قَوْلُهُ: **﴿مِنْ أَساوِرَ﴾** بِجَمْعِ الْجَمْعِ ، فَإِنَّهُ جَمْعَ أَسْوِرَةً وَهِيَ جَمْعُ سِوَارٍ، وَقَوْلُهُ: **﴿وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ﴾** لَيْسَ كَذَلِكَ ، لِأَنَّ الْإِكْثَارَ مِنَ اللِّبَاسِ يَدُلُّ عَلَىٰ حَاجَةٍ مِنْ دَفْعِ بَرْدٍ أَوْ غَيْرِهِ وَالْإِكْثَارُ مِنَ الزِّينَةِ لَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَىٰ الْغِنَىٰ.

الرَّابِعُ: ذَكَرَ الْأَسَاوِرَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحُلِيِّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾** [الْإِنْسَانِ: ٢١] ، وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّحَلِّيَ بِمَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: إِظْهَارُ كَوْنِ الْمُتَحَلِّي غَيْرَ مُبْتَذَلٍ فِي الْأَشْغَالِ لِأَنَّ التَّحَلِّيَ لَا يَكُونُ حَالَةَ الطَّبْخِ وَالْغَسْلِ.

وَثَانِيهِمَا: إِظْهَارُ الِاسْتِغْنَاءِ عَنِ الْأَشْيَاءِ وَإِظْهَارُ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ الْأَشْيَاءِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّحَلِّيَ إِمَّا بِاللَّآلِئِ وَالْجَوَاهِرِ وَإِمَّا بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ والتَّحلِّي بالجواهر واللئالئ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْمُتَحَلِّيَ لَا يَعْجِزُ عَنِ الْوُصُولِ إِلَىٰ

الْأَشْيَاءِ الْكَبِيرَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ حَيْثُ يَعْجِزُ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى الْأَشْيَاءِ الْقَلِيلَةِ الْوُجُودِ لا لحاجة، والتَّحلِّي بالذَّهب والفضَّة يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ حَاجَةً أَصْلِيَّةً وَإِلَّا لَصَرَفَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ إِلَى دَفْعِ الْحَاجَةِ، إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ الْأَسَاوِرُ مَحَلُّهَا الْأَيْدِي وَأَكْثَرُ الْأَعْمَالِ بِالْيَدِ فَإِنَّهَا لِلْبَطْشِ، فَإِذَا حُلِّيَتْ بِالْأَسَاوِرِ عُلِمَ الْفَرَاغُ وَالذَّهَبُ وَاللُّؤْلُؤُ إِشَارَةٌ إِلَى النَّوعين اللذين منهما الحلي " .

ثَانِيَاً : جَنَّةُ الخُلْد: وقد وصف الله تعالى الجَنَّة بالخُلد في آيات عديدة ... قال تعالى : **﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا * لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾** [الفرقان:١٥-١٦] . فهي خالدة ، ومن دخلها فهو خالد فيها ، قال الإمام الطَّبري في التَّفسير" (١٧/ ٤١٣) : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالسَّاعَةِ: أَهَذِهِ النَّارُ الَّتِي وَصَفَ لَكُمْ رَبُّكُمْ صِفَتَهَا وَصِفَةَ أَهْلِهَا خَيْرٌ، أَمْ بُسْتَانُ الْخُلْدِ الَّذِي يَدُومُ نَعِيمُهُ وَلَا يَبِيدُ، الَّذِي وَعَدَ مَنِ اتَّقَاهُ فِي الدُّنْيَا بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ؟

وَقَوْلُهُ: **﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾** [الفرقان: ١٥] يَقُولُ: كَانَتْ جَنَّةُ الْخُلْدِ لِلْمُتَّقِينَ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ للهِ فِي الدُّنْيَا بِطَاعَتِهِ ، وَثَوَابَ تَقْوَاهُمْ إِيَّاهُ ، وَمَصِيرًا لَهُمْ، يَقُولُ: وَمَصِيرًا لِلْمُتَّقِينَ ، يَصِيرُونَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ .

وَقَوْلُهُ: **﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾** يَقُولُ: لِهَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَهُمُوهَا اللهُ، **﴿مَا يَشَاءُونَ﴾** مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ. **﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾** ، يَقُولُ: لَابِثِينَ فِيهَا : مَاكِثِينَ أَبَدًا، لَا يَزُولُونَ عَنْهَا ، وَلَا يَزُولُ عَنْهُمْ نَعِيمُهَا .

وَقَوْلُهُ : **﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾** وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ سَأَلُوا رَبَّهُمْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا حِينَ قَالُوا: **﴿آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾** [آل عمران: ١٩٤] ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: كَانَ إِعْطَاءُ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ جَنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي وَصَفَ صِفَتَهَا فِي الْآخِرَةِ، وَعْدًا وَعَدَهُمُ اللهُ عَلَى طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا ، وَمَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ ذَلِكَ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٤/ ٤٣٩-٤٤١) " فِي الْآيَةِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا وَصَفَ حَالَ الْعِقَابِ الْمُعَدِّ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالسَّاعَةِ أَتْبَعَهُ بِمَا يُؤَكِّدُ الْحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ، فَقَالَ لِرَسُولِهِ: قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ أَنْ يَلْتَمِسُوهَا بِالتَّصْدِيقِ وَالطَّاعَةِ، فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يُقَالُ الْعَذَابُ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ، وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ الْعَاقِلُ السُّكَّرُ أَحْلَى أَمِ الصبر؟ قلنا هذا يحسن في معرض التفريع، كَمَا إِذَا أَعْطَى السَّيِّدُ عَبْدَهُ مَالًا فَتَمَرَّدَ وَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ فَيَضْرِبُهُ ضَرْبًا وَجِيعًا، وَيَقُولُ عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيخِ: هَذَا أَطْيَبُ أَمْ ذَاكَ؟

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: احْتَجَّ أَصْحَابُنَا بِقَوْلِهِ: وُعِدَ الْمُتَّقُونَ عَلَىٰ أَنَّ الثَّوَابَ غَيْرُ وَاجِبٍ عَلَىٰ اللهَّ تَعَالَىٰ، لِأَنَّ مَنْ قَالَ السُّلْطَانُ وَعَدَ فُلَانًا أَنْ يُعْطِيَهُ كَذَا، فَإِنَّهُ يُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَىٰ التَّفْضِيلِ، فَأَمَّا لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْإِعْطَاءُ وَاجِبًا لَا يُقَالُ إِنَّهُ وَعَدَهُ بِهِ، أَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَقَدِ احْتَجُّوا بِهِ أَيْضًا عَلَىٰ مَذْهَبِهِمْ قَالُوا لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَثْبَتَ ذَلِكَ الْوَعْدَ لِلْمَوْصُوفِينَ بِصِفَةِ التَّقْوَىٰ، وَتَرْتِيبُ الْحُكْمِ عَلَىٰ الْوَصْفِ مُشْعِرٌ بِالْعِلِّيَةِ فَكَذَا يَدُلُّ هَذَا عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ الْوَعْدَ إِنَّمَا حَصَلَ مُعَلَّلًا بِصِفَةِ التَّقْوَىٰ، وَالتَّفْضِيلُ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِالْمُتَّقِينَ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمُخْتَصُّ بِهِمْ وَاجِبًا.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: جَنَّةُ الْخُلْدِ هِيَ الَّتِي لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَالْخُلْدُ وَالْخُلُودُ سَوَاءٌ، كَالشُّكْرِ وَالشُّكُورِ قَالَ اللهَّ تَعَالَىٰ: ﴿**لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً**﴾ [الْإِنْسَانِ: ٩] ، فَإِنْ قِيلَ: الجَنَّة اسْمٌ لِدَارِ الثَّوَابِ وَهِيَ مُخَلَّدَةٌ فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿**جَنَّةُ الخُلْدِ**﴾ ؟ قُلْنَا : الْإِضَافَةُ قَدْ تَكُونُ لِلتَّمْيِيزِ وَقَدْ تَكُونُ لِبَيَانِ صِفَةِ الْكَمَالِ، كَمَا يُقَالُ اللهَّ الْخَالِقُ الْبَارِئُ، وَمَا هُنَا مِنْ هَذَا الْبَابِ.

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿**كانَتْ لَهُمْ جَزاءً وَمَصِيراً**﴾ ، فَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: الْمُعْتَزِلَةُ احْتَجُّوا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ إِثْبَاتِ الِاسْتِحْقَاقِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ اسْمَ الْجَزَاءِ لَا يَتَنَاوَلُ إِلَّا الْمُسْتَحِقَّ، فَأَمَّا الْوَعْدُ بِمَحْضِ التَّفْضِيلِ فَإِنَّهُ لَا يُسَمَّىٰ جَزَاءً .

وَالثَّانِي: لَوْ كَانَ الْمُرَادُ مِنَ الْجَزَاءِ الْأَمْرَ الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ بِمُجَرَّدِ الْوَعْدِ فَحِينَئِذٍ لَا يَبْقَىٰ بَيْنَ قوله: ﴿**جَزاءً**﴾ وبين قوله: ﴿**مَصِيراً**﴾ تَفَاوُتٌ ، فَيَصِيرُ ذَلِكَ تَكْرَارًا مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ. قَالَ أَصْحَابُنَا رَحِمَهُمُ اللهَّ : لَا نِزَاعَ فِي كَوْنِهِ جَزَاءً، إِنَّمَا النِّزَاعُ فِي أَنَّ كَوْنَهُ جَزَاءً ثَبَتَ بِالْوَعْدِ أَوْ بِالِاسْتِحْقَاقِ، وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ التَّعْيِينِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ لَا يَعْفُو عَنْ صَاحِبِ الْكَبِيرَةِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ فَوَجَبَ أَنْ لَا يَكُونَ مُسْتَحِقًّا لِلثَّوَابِ، لِأَنَّ الثَّوَابَ هُوَ النَّفْعُ الدَّائِمُ الْخَالِصُ عَنْ شَوْبِ الضَّرَرِ، وَالْعِقَابُ هُوَ الضَّرَرُ الدَّائِمُ الْخَالِصُ عَنْ شَوْبِ النَّفْعِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا مُحَالٌ، وَمَا كَانَ مُمْتَنِعَ الْوُجُودِ امْتَنَعَ أَنْ يَحْصُلَ اسْتِحْقَاقُهُ، فَإِذَنْ مَتَىٰ ثَبَتَ اسْتِحْقَاقُ الْعِقَابِ وَجَبَ أَنْ يَزُولَ اسْتِحْقَاقُ الثَّوَابِ فَنَقُولُ: لَوْ عَفَا اللهَّ عَنْ صَاحِبِ الْكَبِيرَةِ لَكَانَ إِمَّا أَنْ يُخْرِجَهُ مِنَ النَّارِ وَلَا يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ بِالْإِجْمَاعِ لِأَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ الْمُكَلَّفِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِمَّا أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الجَنَّة أَوْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ قَالَ : ﴿**فَرِيقٌ فِي الجَنَّة وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾ [الشُّورَىٰ: ٧] وَإِمَّا أَنْ يُخْرِجَهُ مِنَ النَّارِ وَيُدْخِلَهُ الجَنَّة وَذَلِكَ بَاطِلٌ لِأَنَّ الجَنَّة حَقُّ الْمُتَّقِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: كانَتْ لَهُمْ جزاءً وَمَصِيراً فَجَعَلَ الجَنَّة لَهُمْ وَمُخْتَصَّةً بِهِمْ وَبَيَّنَ

أَنَّهَا إِنَّمَا كَانَتْ لَهُمْ لِكَوْنِهَا جَزَاءً لَهُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ فَكَانَتْ حَقًّا لَهُمْ، وَإِعْطَاءُ حَقِّ الْإِنْسَانِ لِغَيْرِهِ لَا يَجُوزُ، وَلَمَّا بَطَلَتِ الْأَقْسَامُ ثَبَتَ أَنَّ الْعَفْوَ غَيْرُ جَائِزٍ أَجَابَ أَصْحَابُنَا لِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: الْمُتَّقُونَ يَرْضَوْنَ بِإِدْخَالِ اللَّهِ أَهْلَ الْعَفْوِ فِي الْجَنَّةِ؟

فَحِينَئِذٍ لَا يَمْتَنِعُ دُخُولُهُمْ فِيهَا.

الوجه الثَّانِي: قَالُوا: الْمُتَّقِي فِي عُرْفِ الشَّرْعِ مُخْتَصٌّ بِمَنِ اتَّقَىٰ الْكُفْرَ وَالْكَبَائِرَ، وَإِنِ اخْتَلَفْنَا فِي أَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ هَلْ يُسَمَّىٰ مُؤْمِنًا أَمْ لَا، لَكِنَّا اتَّفَقْنَا عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يُسَمَّىٰ مُتَّقِيًا، ثم قال فِي وَصْفِ الْجَنَّة إِنَّهَا كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا وَهَذَا لِلْحَصْرِ، وَالْمَعْنَىٰ أَنَّهَا مَصِيرٌ لِلْمُتَّقِينَ لَا لِغَيْرِهِمْ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا صَاحِبُ الْكَبِيرَةِ، قُلْنَا أَقْصَىٰ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ هَذَا الْعُمُومَ صَرِيحٌ فِي الْوَعِيدِ فَتَخُصُّهُ بِآيَاتِ الْوَعْدِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الجَنَّة سَتَصِيرُ لِلْمُتَّقِينَ جَزَاءً وَمَصِيرًا، لَكِنَّهَا بعد ما صَارَتْ كَذَلِكَ، فَلِمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: **﴿كانَتْ لَهُمْ جَزاءً وَمَصِيراً﴾** [الفرقان:١٥] ؟ جَوَابُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ :

الْأَوَّلُ: أَنَّ مَا وَعَدَ اللَّهُ فَهُوَ فِي تَحَقُّقِهِ كَأَنَّهُ قَدْ كَانَ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ كَانَ مَكْتُوبًا فِي اللَّوْحِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِأَزْمِنَةٍ مُتَطَاوِلَةٍ أَنَّ الجَنَّة جَزَاؤُهُمْ وَمَصِيرُهُمْ.

أَمَّا قوله تعالىٰ: **﴿لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ خالِدِينَ﴾** [الفرقان:١٦] ، فهو نظير قَوْلِهِ: **﴿وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾** [فُصِّلَتْ: ٣١]، وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ أَهْلُ الدَّرَجَاتِ النَّازِلَةِ إِذَا شَاهَدُوا الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةَ لَا بُدَّ وَأَنْ يُرِيدُوهَا، فَإِذَا سَأَلُوهَا رَبَّهُمْ، فَإِنْ أَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا لَمْ يَبْقَ بَيْنَ النَّاقِصِ وَالْكَامِلِ تَفَاوُتٌ فِي الدَّرَجَةِ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهَا قَدَحَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: **﴿لَهُمْ فِيها مَا يَشاؤُنَ﴾** وَأَيْضًا فَالْأَبُ إِذَا كَانَ وَلَدُهُ فِي دَرَجاتِ النِّيرَانِ وَأَشَدُّ الْعَذَابِ إِذَا اشْتَهَىٰ أَنْ يُخَلِّصَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ الْعَذَابِ فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنْهُ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ ذَلِكَ قَدَحَ فِي أَنَّ عَذَابَ الْكَافِرِ مُخَلَّدٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَدَحَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: **﴿وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾** .

وفي قوله: **﴿لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ﴾** ، وَجَوَابُهُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يُزِيلُ ذَلِكَ الْخَاطِرَ عَنْ قُلُوبِ أَهْلِ الجَنَّة بَلْ يَكُونُ اشْتِغَالُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ اللَّذَّاتِ شَاغِلًا عَنِ الِالْتِفَاتِ إِلَىٰ حَالِ غَيْرِهِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: شَرْطُ نَعِيمِ الجَنَّة أَنْ يَكُونَ دَائِمًا، إِذْ لَوِ انْقَطَعَ لَكَانَ مَشُوبًا بِضَرْبٍ مِنَ الْغَمِّ وَلِذَلِكَ قَالَ الْمُتَنَبِّي:

أَشَدُّ الْغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالَا

وَلِذَلِكَ اعْتَبَرَ الْخُلُودَ فِيهِ فَقَالَ: لَهُمْ فِيها مَا يَشاؤُنَ خالِدِينَ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ﴾** كَالتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ حُصُولَ الْمُرَادَاتِ بِأَسْرِهَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ فَأَمَّا فِي غَيْرِهَا فَلَا يَحْصُلُ ذَلِكَ، بَلْ لَا بُدَّ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَنْ تَكُونَ رَاحَاتُهَا مَشُوبَةً بِالْجِرَاحَاتِ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ طَلَبَ مَا لَمْ يُخْلَقْ أَتْعَبَ نَفْسَهُ وَلَمْ يُرْزَقْ، فَقِيلَ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ سُرُورُ يَوْمٍ ".

أَمَّا قَوْلُهُ: **﴿كَانَ عَلى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُلًا﴾**، فَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: كَلِمَةُ (عَلَى) لِلْوُجُوبِ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ نَذَرَ وَسَمَّى فَعَلَيْهِ الْوَفَاءُ بِمَا سَمَّى " .

فَقَوْلُهُ: **﴿كانَ عَلى رَبِّكَ﴾** يُفِيدُ أَنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْوَاجِبُ هُوَ الَّذِي لَوْ لَمْ يُفْعَلْ لَاسْتَحَقَّ تَارِكُهُ بِفِعْلِهِ الذَّمَّ، أَوْ أَنَّهُ الَّذِي يَكُونُ عَدَمُهُ مُمْتَنِعًا، فَإِنْ كَانَ الْوُجُوبُ عَلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ كَانَ تَرْكُهُ مُحَالًا، لِأَنَّ تَرْكَهُ لَمَّا اسْتَلْزَمَ اسْتِحْقَاقَ الذَّمِّ وَاسْتِحْقَاقُ اللَّهِ تَعَالَى الذَّمَّ مُحَالٌ، وَمُسْتَلْزَمُ الْمُحَالِ مُحَالٌ كَانَ ذَلِكَ التَّرْكُ مُحَالًا وَالْمُحَالُ غَيْرُ مَقْدُورٍ، فَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ تَعَالَى قَادِرًا عَلَى أَنْ لَا يَفْعَلَ فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُلْجَأً إِلَى الْفِعْلِ، وَإِنْ كَانَ الْوُجُوبُ عَلَى التَّفْسِيرِ الثَّانِي وَهُوَ أَنْ يُقَالَ الْوَاجِبُ مَا يَكُونُ عَدَمُهُ مُمْتَنِعًا يَكُونُ الْقَوْلُ بِالْإِلْجَاءِ لَازِمًا، فَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ قَادِرًا، فَإِنْ قِيلَ إِنَّهُ ثَبَتَ بِحُكْمِ الْوَعْدِ، فَنَقُولُ لَوْ لم يفعل لا نقلب خَبَرُهُ الصِّدْقُ كَذِبًا وَعِلْمُهُ جَهْلًا وَذَلِكَ مُحَالٌ، وَالْمُؤَدِّي إِلَى الْمُحَالِ مُحَالٌ فَالتَّرْكُ مُحَالٌ فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُلْجَأً إِلَى الْفِعْلِ وَالْمُلْجَأُ إِلَى الْفِعْلِ لَا يَكُونُ قَادِرًا، وَلَا يَكُونُ مُسْتَحِقًّا لِلثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ، تَمَامُ السُّؤَالِ وَجَوَابُهُ: أَنَّ فِعْلَ الشَّيْءِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْإِخْبَارِ عَنْ فِعْلِهِ وَعَنِ الْعِلْمِ بِفِعْلِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الْفِعْلُ فِعْلًا لَا عَلَى سَبِيلِ الْإِلْجَاءِ، فَكَانَ قَادِرًا وَمُسْتَحِقًّا لِلثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: **﴿وَعْداً﴾** يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ حَصَلَتْ بِحُكْمِ الْوَعْدِ لَا بِحُكْمِ الِاسْتِحْقَاقِ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: **﴿مَسْؤُلًا﴾** ذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهًا:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمُكَلَّفِينَ سَأَلُوهُ بِقَوْلِهِمْ: **﴿رَبَّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ﴾** [آلِ عِمْرَانَ: ١٩٤] .

وَثَانِيهَا: أَنَّ الْمُكَلَّفِينَ سَأَلُوهُ بِلِسَانِ الْحَالِ لِأَنَّهُمْ لَمَّا تَحَمَّلُوا الْمَشَقَّةَ الشَّدِيدَةَ فِي طَاعَتِهِ كَانَ ذَلِكَ قَائِمًا مَقَامَ السُّؤَالِ، قَالَ الْمُتَنَبِّي:

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ ... سُكُوتِي كَلَامٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ

وَثَالِثُهَا: الْمَلَائِكَةُ سَأَلُوا اللَّهَ تَعَالَىٰ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ : **﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾** [غافر: ٨] .

وَرَابِعُهَا: ﴿وَعْداً مَسْؤُلًا﴾ ، أي : واجباً، يقال : لأعطينك ألفاً وعداً مسؤولاً ، أي : واجباً وإن لم تسأل، قال الْفَرَّاءُ. وَسَائِرُ الْوُجُوهِ أَقْرَبُ مِنْ هَذَا لِأَنَّ سَائِرَ الْوُجُوهِ أَقْرَبُ إِلَى الْحَقِيقَةِ، وَمَا قَالَهُ الفرَّاء مجاز .

وَخَامِسُهَا: ﴿مَسْؤلاً﴾ ، أي : من حقِّه أن يكون مسؤولاً ، لِأَنَّهُ حَقٌّ وَاجِبٌ، إِمَّا بِحُكْمِ الِاسْتِحْقَاقِ عَلَىٰ قَوْلِ الْمُعْتَزِلَةِ، أَوْ بِحُكْمِ الْوَعْدِ عَلَىٰ قَوْلِ أهل السُّنَّة " .

وديمومة الجَنَّة وأهلها ونعيمها ... جاء في غير ما آية ... قال تعالىٰ : **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّة خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ مَا شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾** [هود:١٠٨] .

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٢/ ٥٨٤-٥٨٨) : " وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ: (وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا) بِفَتْحِ السِّينِ، وَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ﴿ :**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾** [هود: ١٠٨] بِضَمِّ السِّينِ، بِمَعْنَىٰ: رُزِقُوا السَّعَادَةَ وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفتَانِ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: **﴿سُعِدُوا﴾** [هود: ١٠٨] فِيمَا لَمْ يُسَمِّ فَاعِلُهُ، وَلَمْ يَقُلْ: «أَسْعِدُوا» ، وَأَنْتَ لَا تَقُولُ فِي الْخَبَرِ فِيمَا سُمِّيَ فَاعِلُهُ سَعَدَهُ اللَّهُ، بَلْ إِنَّمَا تَقُولُ: أَسْعَدَهُ اللَّهُ؟ قِيلَ: ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ: هُوَ مَجْنُونٌ مَحْبُوبٌ فِيمَا لَمْ يُسَمِّ فَاعِلُهُ، فَإِذَا سَمُّوا فَاعِلَهُ، قِيلَ: أَجَنَّهُ اللَّهُ وَأَحَبَّهُ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرًا. وَقَدْ بَيَّنَّا بَعْضَ ذَلِكَ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ: وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا بِرَحْمَةِ اللَّهِ، فَهُمْ فِي الجَنَّة خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، يَقُولُ: أَبَدًا، **﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** . فَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنْ قَدْرِ مَا مَكَثُوا فِي النَّارِ قَبْلَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَذَلِكَ فِيمَنْ أُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَأُدْخِلَ الجَنَّة ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ، قَالَ: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، فِي قَوْلِهِ: **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّة خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** ، قَالَ: هُوَ أَيْضًا فِي الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يَقُولُ: خَالِدِينَ فِي الجَنَّة مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، **﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** [هود: ١٠٧] يَقُولُ: إِلَّا مَا مَكَثُوا فِي النَّارِ حَتَّىٰ أُدْخِلُوا الجَنَّة " وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَىٰ قَدْرِ مُدَّةِ دَوَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَ: وَذَلِكَ هُوَ الْخُلُودُ فِيهَا أَبَدًا ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثَنَا يَعْقُوبُ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، يَعْنِي ثَعْلَبَةَ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ، **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّة خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** قَالَ: وَمَشِيئَتُهُ خُلُودُهُمْ فِيهَا.

ثُمَّ أَتْبَعَهَا فَقَالَ: ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ [هود: ١٠٨] " وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي وَجْهِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا أَنْ تَجْعَلَهُ اسْتِثْنَاءً يَسْتَثْنِيهِ وَلَا يَفْعَلُهُ، كَقَوْلِكَ: وَاللَّهِ لَأَضْرِبَنَّكَ إِلَّا أَنْ أَرَى غَيْرَ ذَلِكَ، وَعَزْمُكَ عَلَى ضَرْبِهِ، قَالَ: فَكَذَلِكَ قَالَ: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ وَلَا يَشَاؤُهُ. قَالَ:

وَالْقَوْلُ الْآخَرُ: أَنَّ الْعَرَبَ إِذَا اسْتَثْنَتْ شَيْئًا كَثِيرًا مَعَ مِثْلِهِ، وَمَعَ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ كَانَ مَعْنَى إِلَّا وَمَعْنَى الْوَاوِ «سِوَى» فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**﴾ سِوَى مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ زِيَادَةِ الْخُلُودِ، فَيُجْعَلُ ﴿**إِلَّا**﴾ مَكَانَ «سِوَى» فَيَصْلُحُ، وَكَأَنَّهُ قَالَ: خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ سِوَى مَا زَادَهُمْ مِنَ الْخُلُودِ وَالْأَبَدِ. وَمِثْلُهُ فِي الْكَلَامِ أَنْ تَقُولَ: لِي عَلَيْكَ أَلْفٌ إِلَّا الْأَلْفَيْنِ اللَّذَيْنِ قَبْلَهُ. قَالَ: وَهَذَا أَحَبُّ الْوَجْهَيْنِ إِلَيَّ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ. وَقَدْ وَصَلَ الِاسْتِثْنَاءَ بِقَوْلِهِ: ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ [هود: ١٠٨] فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ لَهُمْ بِقَوْلِهِ فِي الْخُلُودِ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ عَنْهُمْ. وَقَالَ آخَرُ مِنْهُمْ بِنَحْوِ هَذَا الْقَولِ.

وَقَالُوا: جَائِزٌ فِيهِ وَجْهٌ ثَالِثٌ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اسْتُثْنِيَ مِنْ خُلُودِهِمْ فِي الجَنَّة احْتِبَاسُهُمْ عَنْهَا مَا بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ وَهُوَ الْبَرْزَخُ إِلَى أَنْ يَصِيرُوا إِلَى الْجَنَّةِ. ثُمَّ هُوَ خُلُودُ الْأَبَدِ، يَقُولُ: فَلَمْ يُغَيَّبُوا عَنِ الجَنَّة إِلَّا بِقَدْرِ إِقَامَتِهِمْ فِي الْبَرْزَخِ .

وَقَالَ آخَرُ مِنْهُمْ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ دَوَامَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِمَعْنَى الْأَبَدِ عَلَى مَا تَعْرِفُ الْعَرَبُ وَتَسْتَعْمِلُ، وَتَسْتَثْنِي الْمَشِيئَةَ مِنْ دَوَامِهَا؛ لِأَنَّ أَهْلَ الجَنَّة وَأَهْلَ النَّارِ، قَدْ كَانُوا فِي وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ دَوَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا لَا فِي الْجَنَّةِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: خَالِدِينَ فِي الْجَنَّةِ، وَخَالِدِينَ فِي النَّارِ دَوَامَ السَّمَاءِ، وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنْ تَعْمِيرِهِمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ ذَلِكَ .

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، الْقَوْلُ الَّذِي ذَكَرْتُهُ عَنِ الضَّحَّاكِ، وَهُوَ ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّة خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ مِنْ قَدْرِ مُكْثِهِمْ فِي النَّارِ، مِنْ لَدُنْ دَخَلُوهَا إِلَى أَنْ أُدْخِلُوا الْجَنَّةَ، وَتَكُونُ الْآيَةُ مَعْنَاهَا الْخُصُوصُ؛ لِأَنَّ الْأَشْهَرَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي ﴿**إِلَّا**﴾ تَوْجِيهُهَا إِلَى مَعْنَى الِاسْتِثْنَاءِ وَإِخْرَاجِ مَعْنَى مَا بَعْدَهَا مِمَّا قَبْلَهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَهَا دَلَالَةٌ تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، وَلَا دَلَالَةَ فِي الْكَلَامِ، أَعْنِي فِي قَوْلِهِ: ﴿**إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ [هود: ١٠٧] تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهَا غَيْرُ مَعْنَى الِاسْتِثْنَاءِ الْمَفْهُومِ فِي الْكَلَامِ فَيُوَجَّهُ إِلَيْهِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ [هود: ١٠٨] فَإِنَّهُ يَعْنِي عَطَاءً مِنَ اللَّهِ غَيْرَ مَقْطُوعٍ عَنْهُمْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: جَذَذْتُ الشَّيْءَ أَجُذُّهُ جَذًّا: إِذَا قَطَعْتُهُ، كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ:

تَجُذُّ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ   وَيُوقِدْنَ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحُبَاحِبِ

يَعْنِي بِقَوْلِهِ: «تَجُذُّ» : تَقْطَعُ..." .

وقال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ**﴾ [ص: ٥٤] .

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٢٠/ ١٢٤) : " وَقَوْلُهُ: ﴿**إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ**﴾ [ص: ٥٤] يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَعْطَيْنَا هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ الْكَثِيرَةِ وَالشَّرَابِ، وَالْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ، وَمَكَّنَّاهُمْ فِيهَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَىٰ اللَّذَّاتِ وَمَا اشْتَهَتْهُ فِيهَا أَنْفُسُهُمْ لَرِزْقُنَا، رَزَقْنَاهُمْ فِيهَا كَرَامَةً مِنَّا لَهُمْ ﴿**مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ**﴾ [ص: ٥٤] يَقُولُ: لَيْسَ لَهُ عَنْهُمُ انْقِطَاعٌ وَلَا لَهُ فَنَاءٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كُلَّمَا أَخَذُوا ثَمَرَةً مِنْ ثِمَارِ شَجَرَةٍ مِنْ أَشْجَارِهَا، فَأَكَلُوهَا، عَادَتْ مَكَانَهَا أُخْرَىٰ مِثْلُهَا، فَذَلِكَ لَهُمْ دَائِمٌ أَبَدًا، لَا يَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ مَا كَانَ أَهْلُ الدُّنْيَا أُوتُوهُ فِي الدُّنْيَا، فَانْقَطَعَ بِالْفَنَاءِ، وَنَفَدَ بِالْإِنْفَادِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٥/ ٢٢٠) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنا مَا لَهُ مِنْ نَفادٍ**﴾ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ نَعِيمَ الجَنَّة دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ، كَمَا قَالَ: ﴿**عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ [هود: ١٠٨] ، وقال: ﴿**فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ [التين: ٦]" .

وقال تعالىٰ : ﴿**أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها**﴾ [الرعد:٣٥] . قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٣/ ٥٥٥) : " يَعْنِي: مَا يُؤْكَلُ فِيهَا، يَقُولُ: هُوَ دَائِمٌ لِأَهْلِهَا، لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ، وَلَا يَزُولُ وَلَا يَبِيدُ، وَلَكِنَّهُ ثَابِتٌ إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ، ﴿**وَظِلُّهَا**﴾ [الرعد: ٣٥] : يَقُولُ: وَظِلُّهَا أَيْضًا دَائِمٌ، لِأَنَّهُ لَا شَمْسَ فِيهَا " .

وقال تعالىٰ : ﴿**وَما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ**﴾ [الحجر: ٤٨] . قال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن " (٣/ ٦٠) : " هَذِهِ أَنَصُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ عَلَىٰ الْخُلُودِ " .

ثَالِثاً : **جَنَّةُ المَأوَى**: ومن صفات جنَّة الخلد : أنَّها مكان الاستقرار الأبدي للمؤمنين ...

قال تعالىٰ :﴿**عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى**﴾ [النجم:١٥] . قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ٩٦) : " . قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿**عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى**﴾ تَعْرِيفٌ بِمَوْضِعِ جَنَّةِ الْمَأْوَىٰ وَأَنَّهَا عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ. وَقَرَأَ عَلِيٌّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَأَنَسٌ وَأَبُو سَبْرَةَ الْجُهَنِيُّ وَعَبْدُ اللهَّ بْنُ الزُّبَيْرِ وَمُجَاهِدٌ ﴿**عِنْدَها جَنَّهُ الْمَأْوى**﴾ يَعْنِي جَنَّهَ الْمَبِيتِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: يُرِيدُ أَجَنَّهُ. وَالْهَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: أَدْرَكَهُ كَمَا تَقُولُ جَنَّهُ اللَّيْلُ أَيْ سَتَرَهُ وَأَدْرَكَهُ. وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ ﴿**جَنَّةُ الْمَأْوى**﴾ قَالَ الْحَسَنُ: هِيَ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا الْمُتَّقُونَ. وَقِيلَ: إِنَّهَا الجَنَّة الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَهِيَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ. وَقِيلَ: هِيَ الجَنَّة الَّتِي آوَىٰ إِلَيْهَا آدَمُ عَلَيْهِ

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى أَنْ أُخْرِجَ مِنْهَا وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ . وَقِيلَ: إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ فِي جَنَّةِ الْمَأْوَىٰ. وَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا: جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ لِأَنَّهَا تَأْوِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيَتَنَعَّمُونَ بِنَعِيمِهَا وَيَتَنَسَّمُونَ بِطِيبِ رِيحِهَا. وَقِيلَ: لِأَنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَأْوِيَانِ إِلَيْهَا. وَاللهُ أَعْلَمُ " .

وقال تعالى : ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٩] . قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٨/ ٦٢٥) : " يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: أَمَّا الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ، يَعْنِي: بَسَاتِينَ الْمَسَاكِنِ الَّتِي يَسْكُنُونَهَا فِي الْآخِرَةِ وَيَأْوُونَ إِلَيْهَا " .

رَابِعَاً : **جَنَّاتُ النَّعِيْم**: فنعيمها دائم ومقيم ، لا يزول ولا يحول ، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ**﴾ [لقمان:٨] . قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٦/ ٣٣٢) : " هَذَا ذِكْرُ مَآلِ الْأَبْرَارِ مِنَ السُّعَدَاءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وصَدّقوا الْمُرْسَلِينَ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الْمُتَابِعَةِ لِشَرِيعَةِ اللهِ ﴿**لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ**﴾ ، أَيْ: يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا بِأَنْوَاعِ الْمَلَاذِّ وَالْمَسَارِّ، مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ، وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ، وَالْمَرَاكِبِ وَالنِّسَاءِ، وَالنَّضْرَةِ وَالسَّمَاعِ الَّذِي لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ أَحَدٍ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ مُقِيمُونَ دَائِمًا فِيهَا، لَا يَظْعَنُونَ، وَلَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا " .

خَامِسَاً : **دَارُ الْمُقَامَةِ** : ومن صفاتها أيضاً: دار المقامة، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**﴾ [فاطر: ٣٤ – ٣٥] .

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٩/ ٣٨٠) : " يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الَّذِينَ أُدْخِلُوا الجَنَّة : ﴿**إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ**﴾ [فاطر: ٣٥] ، أَيْ رَبُّنَا الَّذِي أَنْزَلَنَا هَذِهِ الدَّارَ، يَعْنُونَ الْجَنَّةَ؛ فَدَارُ الْمُقَامَةِ: دَارُ الْإِقَامَةِ الَّتِي لَا نَقْلَةَ مَعَهَا عَنْهَا، وَلَا تَحَوُّلَ؛ وَالْمِيمُ إِذَا ضُمَّتْ مِنَ الْمُقَامَةِ، فَهِيَ مِنَ الْإِقَامَةِ؛ فَإِذَا فُتِحَتْ فَهِيَ مِنَ الْمَجْلِسِ وَالْمَكَانِ الَّذِي يُقَامُ فِيهِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

يَوْمَانِ يَوْمُ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ   وَيَوْمُ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيبِ

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٦/ ٢٤١) : " قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**الَّذِي أَحَلَّنَا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ ، أَيْ : دَارَ الْإِقَامَةِ، لَمَّا ذَكَرَ اللهُ سُرُورَهُمْ وَكَرَامَتَهُمْ بِتَحْلِيَتِهِمْ وَإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّاتِ بَيَّنَ سُرُورَهُمْ بِبَقَائِهِمْ فِيهَا وَأَعْلَمَهُمْ بِدَوَامِهَا حَيْثُ قَالُوا: ﴿**الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ**﴾ ، أَي : الْإِقَامَةِ ، وَالْمَفْعُولُ رُبَّمَا يَجِيءُ لِلْمَصْدَرِ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، يُقَالُ : مَا لَهُ مَعْقُولٌ ، أَيْ : عَقْلٌ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**مُدْخَلَ صِدْقٍ**﴾ [الإِسْرَاءِ: ٨٠] ، وَقَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَمَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سَبَأٍ: ١٩] ، وَكَذَلِكَ مُسْتَخْرَجٌ لِلاسْتِخْرَاجِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ هُوَ الْمَفْعُولُ فِي الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي فُعِلَ فَجَازَ إِقَامَةُ الْمَفْعُولِ مَقَامَهُ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿دارَ الْمُقامَةِ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الدُّنْيَا مَنْزِلَةٌ يَنْزِلُهَا الْمُكَلَّفُ وَيَرْتَحِلُ عَنْهَا إِلَى مَنْزِلَةِ الْقُبُورِ وَمِنْهَا إِلَى مَنْزِلَةِ الْعَرْصَةِ الَّتِي فِيهَا الْجَمْعُ وَمِنْهَا التَّفْرِيقُ. وَقَدْ تَكُونُ النَّارُ لِبَعْضِهِمْ مَنْزِلَةً أُخْرَى وَالْجَنَّةُ دَارَ الْمُقَـــامَةِ، وَكَذَلِكَ النَّارُ لِأَهْلِهَا وَقَوْلُهُمْ : ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ ، أَيْ : بِحُكْمِ وَعْدِهِ لا بإيجاب من عنده" .

سَادِسَاً : دَارُ الآخِرَةِ : والدَّار الآخرة هي الجنَّة ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ [البقرة:٩٤] . قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٢/٢٦٧) : " قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَهَذِهِ الْآيَةُ مِمَّا احْتَجَّ اللَّهُ بِهَا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِهِ، وَفَضَحَ بِهَا أَحْبَارَهُمْ وَعُلَمَاءَهُمْ. وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى قَضِيَّةٍ عَادِلَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْخِلَافِ، كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَ الْفَرِيقَ الْآخَرَ مِنَ النَّصَارَى إِذْ خَالَفُوهُ فِي عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَجَادَلُوا فِيهِ إِلَى فَاصِلَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْمُبَاهَلَةِ. وَقَالَ لِفَرِيقِ الْيَهُودِ: إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ ضَارِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِيمَا تَدَّعُونَ مِنَ الْإِيمَانِ وَقُرْبِ الْمَنْزِلَةِ مِنَ اللَّهِ، بَلْ إِنْ أُعْطِيتُمْ أُمْنِيَّتَكُمْ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا تَمَنَّيْتُمْ فَإِنَّمَا تَصِيرُونَ إِلَى الرَّاحَةِ مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا وَنَصَبِهَا وَكَدَرِ عَيْشِهَا وَالْفَوْزِ بِجِوَارِ اللَّهِ فِي جِنَانِهِ، إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُونَ أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَكُمْ خَالِصَةً دُونَنَا. وَإِنْ لَمْ تُعْطَوْهَا عَلِمَ النَّاسُ أَنَّكُمُ الْمُبْطِلُونَ وَنَحْنُ الْمُحِقُّونَ فِي دَعْوَانَا وَانْكَشَفَ أَمْرُنَا وَأَمْرُكُمْ لَهُمْ. فَامْتَنَعَتِ الْيَهُودُ مِنْ إِجَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ذَلِكَ؛ لِعِلْمِهَا أَنَّهَا إِنْ تَمَنَّتِ الْمَوْتَ هَلَكَتْ فَذَهَبَتْ دُنْيَاهَا وَصَارَتْ إِلَى خِزْيِ الْأَبَدِ فِي آخِرَتِهَا. كَمَا امْتَنَعَ فَرِيقُ النَّصَارَى الَّذِينَ جَادَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِيسَى، إِذْ دُعُوا إِلَى الْمُبَاهَلَةِ، مِنَ الْمُبَاهَلَةِ فَبَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوُا الْمَوْتَ لَمَاتُوا وَلَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا " . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" (٨/٢٢٨ برقم ١٣٨٧٣) : " فِي الصَّحِيحِ طَرَفٌ مِنْ أَوَّلِهِ، رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَى، وَرِجَالُ أَبِي يَعْلَى رِجَالُ الصَّحِيحِ " .

وقال تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧] . قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير"

(١٨/ ٣٢١-٣٢٢) : " يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ قَوْمِ قَارُونَ لَهُ: لَا تَبْغِ يَا قَارُونُ عَلَى قَوْمِكَ بِكَثْرَةِ مَالِكَ، وَالْتَمِسْ فِيمَا آتَاكَ اللهُ مِنَ الْأَمْوَالِ خَيْرَاتِ الْآخِرَةِ بِالْعَمَلِ فِيهَا بِطَاعَةِ اللهِ فِي الدُّنْيَا .

وَقَوْلُهُ: **﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾** [القصص: ٧٧] يَقُولُ: وَلَا تَتْرُكْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ مِنَ الدُّنْيَا، أَنْ تَأْخُذَ فِيهَا بِنَصِيبِكَ مِنَ الْآخِرَةِ، فَتَعْمَلَ فِيهِ بِمَا يُنْجِيكَ غَدًا مِنْ عِقَابِ اللهِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٣/ ٣١٤) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾** ، أَي : اطْلُبْ فِيمَا أَعْطَاكَ اللهُ مِنَ الدُّنْيَا الدَّارَ الْآخِرَةَ وَهِيَ الْجَنَّةُ، فَإِنَّ مِنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَصْرِفَ الدُّنْيَا فِيمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ لَا فِي التَّجَبُّرِ وَالْبَغْيِ. قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾** اخْتُلِفَ فِيهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْجُمْهُورُ: لَا تُضَيِّعْ عُمْرَكَ فِي أَلَّا تَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا فِي دُنْيَاكَ، إِذِ الْآخِرَةُ إِنَّمَا يُعْمَلُ لَهَا، فَنَصِيبُ الْإِنْسَانِ عُمْرُهُ وَعَمَلُهُ الصَّالِحُ فِيهَا. فَالْكَلَامُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ شِدَّةٌ فِي الْمَوْعِظَةِ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: مَعْنَاهُ لَا تُضَيِّعْ حَظَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي تَمَتُّعِكَ بِالْحَلَالِ وَطَلَبِكَ إِيَّاهُ، وَنَظَرِكَ لِعَاقِبَةِ دُنْيَاكَ. فَالْكَلَامُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ فِيهِ بَعْضُ الرِّفْقِ بِهِ وَإِصْلَاحُ الْأَمْرِ الَّذِي يَشْتَهِيهِ. وَهَذَا مِمَّا يَجِبُ اسْتِعْمَالُهُ مَعَ الْمَوْعُوظِ خَشْيَةَ النُّبُوَّةِ مِنَ الشِّدَّةِ، قَالَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ.

قُلْتُ: وَهَذَانِ التَّأْوِيلَانِ قَدْ جَمَعَهُمَا ابْنُ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ: احْرُثْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا وَعَنِ الْحَسَنِ: قَدِّمِ الْفَضْلَ، وَأَمْسِكْ مَا يُبَلِّغُ. وَقَالَ مَالِكٌ: هُوَ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ بِلَا سَرَفٍ. وَقِيلَ: أَرَادَ بِنَصِيبِهِ الْكَفَنَ. فَهَذَا وَعْظٌ مُتَّصِلٌ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: لَا تَنْسَ أَنَّكَ تَتْرُكُ جَمِيعَ مَالِكَ إِلَّا نَصِيبَكَ هَذَا الَّذِي هُوَ الْكَفَنُ. وَنَحْوَ هَذَا قَوْلُ الشاعر:

نصيبك مِمَّا تجمع الدَّهر كلّه ... رداء ان تُلْوَىٰ فِيهِمَا وَحَنُوطُ

وَقَالَ آخَرُ:

وَهِيَ الْقَنَاعَةُ لَا تَبْغِي بِهَا بَدَلًا ... فِيهَا النَّعِيمُ وَفِيهَا رَاحَةُ الْبَدَنِ

انْظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَـــــــا ... هَلْ رَاحَ مِنْهَا بِغَيْرِ الْقُطْنِ وَالْكَفَـــــنِ

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَأَبْدَعَ مَا فِيهِ عِنْدِي قَوْلُ قَتَادَةَ: وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ الْحَلَالَ، فَهُوَ نَصِيبُكَ مِنَ الدُّنْيَا وَيَا مَا أَحْسَنَ هَذا" .

وقال تعالىٰ : **﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [القصص:٨٣] . قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٨/ ٣٤٣) : " يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُ

نَعِيمَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ تَكَبُّرًا عَنِ الْحَقِّ فِي الْأَرْضِ وَتَجَبُّرًا عَنْهُ وَلَا فَسَادًا. يَقُولُ: وَلَا ظُلْمَ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَعَمَلًا بِمَعَاصِي اللَّهِ فِيهَا " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٣/ ٣٢٠) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ**﴾ يَعْنِي الْجَنَّةَ. وَقَالَ ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ التَّعْظِيمِ لَهَا وَالتَّفْخِيمِ لِشَأْنِهَا يَعْنِي تِلْكَ الَّتِي سَمِعْتَ بِذِكْرِهَا، وَبَلَغَكَ وَصْفُهَا ﴿**نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ**﴾ ، أَيْ : رِفْعَةً وَتَكَبُّرًا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْمُؤْمِنِين ﴿**وَلا فَساداً**﴾ عملاً بالمعاصي. قاله ابن جريج ومقاتل. وقال عكرمة ومسلم البطين: أَخْذُ الْمَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ الدُّعَاءُ إِلَى غَيْرِ عِبَادَةِ اللَّهِ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ: هُوَ قَتْلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴿**وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ ، قَالَ الضَّحَّاكُ: الْجَنَّةُ. وَقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: الَّذِي لَا يُرِيدُ عُلُوًّا هُوَ مَنْ لَمْ يَجْزَعْ مِنْ ذُلِّهَا. وَلَمْ يُنَافِسْ فِي عِزِّهَا، وَأَرْفَعُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَشَدُّهُمْ تَوَاضُعًا، وَأَعَزُّهُمْ غَدًا أَلْزَمُهُمْ لِذُلِّ الْيَوْمِ. وَرَوَى سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ قَالَ: مَرَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى مَسَاكِينَ يَأْكُلُونَ كِسَرًا لَهُمْ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَدَعَوْهُ إِلَى طَعَامِهِمْ، فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً**﴾ ثُمَّ نَزَلَ وَأَكَلَ مَعَهُمْ. ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَجَبْتُكُمْ فَأَجِيبُونِي. فَحَمَلَهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَطْعَمَهُمْ وَكَسَاهُمْ وَصَرَفَهُمْ. خَرَّجَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ. فَذَكَرَهُ. وَقِيلَ: لَفْظُ الدَّارِ الْآخِرَةِ يَشْمَلُ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ. وَالْمُرَادُ إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِتِلْكَ الدَّارِ مَنِ اتَّقَى، وَمَنْ لَمْ يَتَّقِ فَتِلْكَ الدَّارُ عَلَيْهِ لَا لَهُ، لِأَنَّهَا تَضُرُّهُ وَلَا تَنْفَعُهُ " . أخرجه الطبراني في " مكارم الأخلاق للطبراني (مطبوع مع مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا) " (ص٣٧٥ برقم ١٧٣) .

وقال تعالى : ﴿**وَلَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف: ١٠٩] . قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٤/ ٢١٠) : " يَقُولُ: وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَكَرَامَةُ اللَّهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهُمْ فِيهَا أَعْظَمُ مِنْ كَرَامَتِهِ الَّتِي عَجَّلَهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، ﴿**وَلَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ**﴾ [النحل: ٣٠] يَقُولُ: وَلَنِعْمَ دَارُ الَّذِينَ خَافُوا اللَّهَ فِي الدُّنْيَا فَاتَّقَوْا عِقَابَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَتَجَنُّبِ مَعَاصِيهِ، دَارُ الْآخِرَةِ " .

وروى البخاري (٦/ ١١٧ برقم ٤٧٨٦) ، مسلم (٢/ ١١٠٣ برقم ١٤٧٥) بسندهما عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ بَدَأَ بِي، فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلاَ عَلَيْكِ أَنْ لاَ تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ» قَالَتْ: وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ**

لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: ٢٨] إِلَى **﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [النساء: ٤٠] " قَالَتْ: فَقُلْتُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ " .

سَابِعَاً : **دَارُ الْمُتَّقِينَ** : قال تعالى: **﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾** [النحل: ٣٠] . قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٤/ ٢١٠) : " يَقُولُ: وَلَنِعْمَ دَارُ الَّذِينَ خَافُوا اللهَّ فِي الدُّنْيَا فَاتَّقَوْا عِقَابَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَتَجَنُّبِ مَعَاصِيهِ، دَارُ الْآخِرَةِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١٠/ ١٠١) : **﴿وَلَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ﴾** فِيهِ وَجْهَانِ، قَالَ الْحَسَنُ: الْمَعْنَى وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ الدُّنْيَا، لِأَنَّهُمْ نَالُوا بِالْعَمَلِ فِيهَا ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَدُخُولَ الْجَنَّةِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ الْآخِرَةُ، وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُور " .

ثَامِنَاً : **الْفِرْدَوْسَ** : قال تعالى: **﴿أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾** [المؤمنون: ١٠ – ١١] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٣/ ٢٦٣-٢٦٤) : " وَهَاهُنَا سُؤَالَاتٌ:

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: لِمَ سَمَّى مَا يَجِدُونَهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْجَنَّةِ بِالْمِيرَاثِ؟ مَعَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَكَمَ بِأَنَّ الجَنَّة حَقُّهُمْ فِي قَوْلِهِ : **﴿إِنَّ اللهَّ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾** [التَّوْبَةِ: ١١١] الْجَوَابُ: مِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: مَا رُوِيَ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَبْيَنُ عَلَى مَا يُقَالُ فِيهِ وَهُوَ: أَنَّهُ لَا مُكَلَّفٌ إِلَّا أَعَدَّ اللهَّ لَهُ فِي النَّارِ مَا يَسْتَحِقُّهُ إِنْ عَصَى وَفِي الجَنَّة مَا يَسْتَحِقُّهُ إِنْ أَطَاعَ وَجَعَلَ لِذَلِكَ عَلَامَةً. فَإِذَا آمَنَ مِنْهُمُ الْبَعْضُ وَلَمْ يُؤْمِنِ الْبَعْضُ صَارَ مَنْزِلُ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ كَالْمَنْقُولِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَصَارَ مَصِيرُهُمْ إِلَى النَّارِ الَّذِي لَا بُدَّ مَعَهُ مِنْ حِرْمَانِ الثَّوَابِ كَمَوْتِهِمْ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ مِيرَاثًا لِهَذَا الْوَجْهِ، وَقَدْ قَالَ الْفُقَهَاءُ إِنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَا مَلَكَهُ الْمَيِّتُ وَبَيْنَ مَا يُقَدَّرُ فِيهِ الْمِلْكُ فِي أَنَّهُ يُورَثُ عَنْهُ كَذَلِكَ قَالُوا فِي الدِّيَةِ الَّتِي تَجِبُ بِالْقَتْلِ إِنَّهَا تُورَثُ مَعَ أَنَّهُ مَا مَلَكَهَا عَلَى التحقيق وذلك يشهد بما ذَكَرْنَا، فَإِنْ قِيلَ إِنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ كُلَّ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ إِرْثًا وَعَلَى مَا قُلْتُمْ يَدْخُلُ فِي الْإِرْثِ مَا كَانَ يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُمْ لَوْ أَطَاعَ. قُلْنَا لَا يَمْتَنِعُ أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ مَا هُوَ مَنْزِلَةٌ لِهَذَا الْمُؤْمِنِ بِعَيْنِهِ مَنْزِلَةً لِذَلِكَ الْكَافِرِ لَوْ أَطَاعَ لِأَنَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ كَانَ يَزِيدُ فِي الْمَنَازِلِ فَإِذَا آمَنَ هَذَا عَدَلَ بِذَلِكَ إِلَيْهِ.

وَثَانِيهَا: أَنَّ انْتِقَالَ الجَنَّة إِلَيْهِمْ بِدُونِ مُحَاسَبَةٍ وَمَعْرِفَةٍ بِمَقَادِيرِهِ يُشْبِهُ انْتِقَالَ الْمَالِ إِلَى الْوَارِثِ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّ الجَنَّة كَانَتْ مَسْكَنَ أَبِينَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا انْتَقَلَتْ إِلَى أَوْلَادِهِ صَارَ ذَلِكَ شَبِيهًا بِالْمِيرَاثِ.

السُّؤَالُ الثَّانِي: كَيْفَ حَكَمَ عَلَى الْمَوْصُوفِينَ بِالصِّفَاتِ السَّبْعِ بِالْفَلَاحِ مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى مَا تَمَّمَ ذِكْرَ الْعِبَادَاتِ الْوَاجِبَةِ كَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالطَّهَارَةِ.

وَالْجَوَابُ: أَنَّ قَوْلَهُ: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾** يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْوَاجِبَاتِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالتُّرُوكِ كَمَا قَدَّمْنَا وَالطَّهَارَاتُ دَخَلَتْ فِي جُمْلَةِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ لِكَوْنِهَا مِنْ شَرَائِطِهَا.

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: أَفَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾** عَلَى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا غَيْرُهُمْ؟ الْجَوَابُ: أَنَّ قَوْلَهُ: هُمُ الْوَارِثُونَ يُفِيدُ الْحَصْرَ لَكِنَّهُ يَجِبُ تَرْكُ الْعَمَلِ بِهِ لِأَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ الْجَنَّةَ يَدْخُلُهَا الْأَطْفَالُ وَالْمَجَانِينُ وَالْوِلْدَانُ وَالْحُورُ الْعِينُ وَيَدْخُلُهَا الْفُسَّاقُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بَعْدَ الْعَفْوِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** [النِّسَاءِ: ٤٨].

السُّؤَالُ الرَّابِعُ: أَفَكُلُّ الْجَنَّةِ هُوَ الْفِرْدَوْسُ؟

الْجَوَابُ: الْفِرْدَوْسُ هُوَ الْجَنَّةُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ ، وَقِيلَ بِلِسَانِ الرُّومِ ...

السُّؤَالُ الْخَامِسُ: هَلْ تَدُلُّ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ هِيَ الَّتِي لَهَا وَلِأَجْلِهَا يَكُونُونَ مُؤْمِنِينَ أَمْ لَا؟

الْجَوَابُ: ادَّعَى الْقَاضِي أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِهِ أَنَّ الْإِيمَانَ اسْمٌ شَرْعِيٌّ مَوْضُوعٌ لِأَدَاءِ كُلِّ الْوَاجِبَاتِ، وَعِنْدَنَا أَنَّ الْآيَةَ لَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾** مِثْلُ : قد أفلح النَّاسُ الْأَذْكِيَاءُ الْعُدُولُ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الزَّكَاةَ وَالْعَدَالَةَ دَاخِلَانِ فِي مُسَمَّى النَّاسِ فَكَذَا هَاهُنَا.

السُّؤَالُ السَّادِسُ: رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى جَنَّةَ عَدْنٍ قَالَ لَهَا تَكَلَّمِي ، فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ" . أخرجه الطبراني في " المعجم الأوسط" (١/ ٢٢٤ برقم ٧٣٨) ، الكبير (١١/ ١٨٤ برقم ١١٤٣٩) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٤٢٦ برقم ٣٤٨٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، وقال الذهبي : ضعيف) ، البيهقي في "الأسماء والصفات" (٢/ ١٢٤ برقم ٦٩١) ...

وَقَالَ كَعْبٌ: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ بِيَدِهِ وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ وَغَرَسَ شَجَرَةَ طُوبَى بِيَدِهِ، ثم قال لَهَا تَكَلَّمِي فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» ، وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِذَا أَحْسَنَ الْعَبْدُ الْوُضُوءَ وَصَلَّى الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا وَحَافَظَ عَلَى رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَمَوَاقِيتِهَا قَالَتْ حَفِظَكَ اللهُ كَمَا حَافَظْتَ عَلَيَّ، وَشَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا. وَإِذَا أَضَاعَهَا قَالَتْ أَضَاعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي وَتُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلَقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا " . ذكره الهيثمي في " مجمع الزوائد" (٢/ ١٢٢ برقم ٢٧٣٤) ، وقال : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْبَزَّارُ بِنَحْوِهِ وَفِيهِ الْأَحْوَصُ بْنُ حَكِيمٍ وَثَّقَهُ ابْنُ الْمَدِينِيِّ وَالْعِجْلِيُّ وَضَعَّفَهُ جَمَاعَةٌ وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ مُوَثَّقُونَ " .

الْجَوَابُ: أَمَّا كَلَامُ الجَنَّة فَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّهَا أُعِدَّتْ لِلْمُؤْمِنِينَ فَصَارَ ذَلِكَ كَالْقَوْلِ مِنْهَا، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ**﴾ [فُصِّلَتْ: ١١] ، وَأَمَّا أَنَّهُ تَعَالَىٰ خَلَقَ الجَنَّة بِيَدِهِ فَالْمُرَادُ تَوَلَّىٰ خَلْقَهَا لَا أَنَّهُ وَكَلَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَأَمَّا أَنَّ الصَّلَاةَ تُثْنِي عَلَىٰ مَنْ قَامَ بِحَقِّهَا فَهُوَ فِي الْجَوَازِ أَبْعَدُ مِنْ كَلَامِ الْجَنَّةِ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ حَرَكَاتٌ وَسَكَنَاتٌ وَلَا يَصِحُّ عَلَيْهَا أَنْ تَتَصَوَّرَ وَتَتَكَلَّمَ فَالْمُرَادُ مِنْهُ ضَرْبُ الْمَثَلِ كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِلْمُنْعِمِ إِنَّ إِحْسَانَكَ إِلَيَّ يَنْطِقُ بِالشُّكْرِ.

السُّؤَالُ السَّابِعُ: هَلْ تَدُلُّ الْآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ الْفِرْدَوْسَ مَخْلُوقَةٌ؟ **الْجَوَابُ**: قَالَ الْقَاضِي دَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**أُكُلُها دائِمٌ**﴾ [الرَّعْدِ: ٣٥] عَلَىٰ أَنَّهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ فَوَجَبَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ، كَأَنَّهُ تَعَالَىٰ قَالَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَخْلُقُ اللهُ الجَنَّة مِيرَاثًا لِلْمُؤْمِنِينَ أَوْ وَإِذَا خَلَقَهَا تَقُولُ عَلَىٰ مِثَالِ مَا تَأَوَّلْنَا عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَنادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ**﴾ [الْأَعْرَافِ: ٥٠] ، وَهَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ إِضْمَارُ مَا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَوْلَىٰ مِنْ أَنْ يُضْمَرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿**أُكُلُها دائِمٌ**﴾ [الرعد: ٣٥] ثُمَّ إِنَّ أُكُلَهَا دَائِمٌ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا تَعَارَضَ هَذَانِ الظَّاهِرَانِ فَنَحْنُ نَتَمَسَّكُ فِي أَنَّ الجَنَّة مَخْلُوقَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣] .

وقال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا**﴾ [الكهف: ١٠٧ – ١٠٨] .

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٥/ ٤٣٠- ٤٣١) : " يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: إِنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَرُّوا بِتَوْحِيدِ اللهِ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ كُتُبِهِ وَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ، كَانَتْ لَهُمْ بَسَاتِينُ الْفِرْدَوْسِ، وَالْفِرْدَوْسُ: مُعْظَمُ الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ أُمَيَّةُ:

كَانَتْ مَنَازِلُهُمْ إِذْ ذَاكَ ظَاهِرَةً   فِيهَا الْفَرَادِيسُ وَالْفُومَانُ وَالْبَصَلُ

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الْفِرْدَوْسِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِهِ أَفْضَلَ الجَنَّة وَأَوْسَطَهَا ... وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْبُسْتَانُ بِالرُّومِيَّةِ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢١/ ٥٠٢-٥٠٣) : " فِي الْآيَةِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمَّا ذَكَرَ الْوَعِيدَ أَتْبَعَهُ بِالْوَعْدِ، وَلَمَّا ذَكَرَ فِي الْكُفَّارِ أَنَّ جَهَنَّمَ نُزُلُهُمْ، أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ مَا يُرَغِّبُ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. فَقَالَ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**﴾ .

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: عَطْفُ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَالْمَعْطُوفُ مُغَايِرٌ لِلْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ مُغَايِرَةٌ لِلْإِيمَانِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: عَنْ قَتَادَةَ : الْفِرْدَوْسُ وَسَطُ الجَنَّة وَأَفْضَلُهَا، وَعَنْ كَعْبٍ لَيْسَ فِي الْجِنَانِ أَعْلَىٰ مِنْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ، وَفِيهَا الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ الْفِرْدَوْسُ هُوَ الْبُسْتَانُ بِالرُّومِيَّةِ، وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلاهَا دَرَجَةً، وَمِنْهَا الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ وَالْفِرْدَوْسُ مِنْ فَوْقِهَا، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ الجَنَّة فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّ فَوْقَهَا عَرْشَ الرَّحْمَنِ وَمِنْهَا تَتَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّة " . أخرجه ابن أبي شيبة في " المصنف" (١٣/١٣٨ برقم ٣٥٢١١) ، عبد بن حميد في " المسند" (ص٩٣ برقم ١٨٢)

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ تَعَالَىٰ جَعَلَ الجَنَّة بِكُلِّيَّتِهَا نُزُلًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَرِيمُ إِذَا أَعْطَىٰ النُّزُلَ أَوَّلًا فَلَا بُدَّ أَنْ يُتْبِعَهُ بِالْخِلْعَةِ وَلَيْسَ بَعْدَ الجَنَّة بِكُلِّيَّتِهَا إِلَّا رُؤْيَةَ اللهِ، فَإِنْ قَالُوا: أَلَيْسَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ جَعَلَ فِي الْآيَةِ الْأُولَىٰ جُمْلَةَ جهنم نزلا الكافرين وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ جُمْلَةِ جَهَنَّمَ عَذَابٌ آخَرُ، فكذلك هاهنا جَعَلَ جُمْلَةَ الجَنَّة نُزُلًا لِلْمُؤْمِنِينَ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ آخَرُ بَعْدَ الْجَنَّةِ، وَالْجَوَابُ: قُلْنَا لِلْكَافِرِ بَعْدَ حُصُول جَهَنَّمَ مَرْتَبَةٌ أَعْلَىٰ مِنْهَا وَهُوَ كَوْنُهُ مَحْجُوبًا عَنْ رُؤْيَةِ اللهِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الْجَحِيمِ﴾** [الْمُطَفِّفِينَ: ١٥- ١٦] فَجَعَلَ الصِّلَاءَ بِالنَّارِ مُتَأَخِّرًا فِي الْمَرْتَبَةِ عَنْ كَوْنِهِ مَحْجُوبًا عَنِ اللهِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلًا﴾** الْحِوَلُ التَّحَوُّلُ، يُقَالُ: حَالَ مِنْ مَكَانِهِ حِوَلًا كَقَوْلِهِ عَادَ فِي حُبِّهَا عِوَدًا يَعْنِي لَا مَزِيدَ عَلَىٰ سِعَادَاتِ الجَنَّة وَخَيْرَاتِهَا حَتَّىٰ يُرِيدَ أَشْيَاءَ غَيْرَهَا، وَهَذَا الْوَصْفُ يَدُلُّ عَلَىٰ غَايَةِ الْكَمَالِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي الدُّنْيَا إِذَا وَصَلَ إِلَىٰ أَيِّ دَرَجَةٍ كَانَتْ فِي السَّعَادَاتِ فَهُوَ طَامِحُ الطرف إلى ما هو أعلى منها" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١١/٦٨) : " قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾** ، قَالَ قَتَادَةُ: الْفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الجَنَّة وَأَوْسَطُهَا وَأَعْلاهَا وَأَفْضَلُهَا وَأَرْفَعُهَا. وَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ: الْفِرْدَوْسُ سُرَّةُ الْجَنَّةِ. وَقَالَ كَعْبٌ: لَيْسَ فِي الْجِنَانِ جَنَّةٌ أَعْلَىٰ مِنْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ، فِيهَا الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٤/١٦ برقم ٢٧٩٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّة جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا " ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نُبَشِّرَ النَّاسَ؟ قَالَ:" إِنَّ فِي الجَنَّة مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَّ تَعَالَى فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّة وَأَعْلَى الْجَنَّةِ- أَرَاهُ قَالَ- وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ" ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَالْفِرْدَوْسُ الْبُسْتَانُ بِالرُّومِيَّةِ. الْفَرَّاءُ: هُوَ عَرَبِيٌّ. وَالْفِرْدَوْسُ حَدِيقَةٌ فِي الْجَنَّةِ. وَفِرْدَوْسُ اسْمُ رَوْضَةٍ دُونَ الْيَمَامَةِ. وَالْجَمْعُ فَرَادِيسُ، قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ:

كَانَتْ مَنَازِلُهُمْ إِذْ ذَاكَ ظَاهِرَةً فِيهَا الْفَرَادِيسُ وَالْفُومَانُ وَالْبَصَلُ

وَالْفَرَادِيسُ مَوْضِعٌ بِالشَّامِ. وَكَرْمٌ مُفَرْدَسٌ أَيْ مُعَرَّشٌ . **﴿خالِدِينَ فِيها﴾** ، أَيْ : دَائِمِينَ **﴿لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلًا﴾** ، أَيْ : لَا يَطْلُبُونَ تَحْوِيلًا عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا. وَالْحِوَلُ بِمَعْنَى التَّحْوِيلِ، قَالَهُ أَبُو عَلِيٍّ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: حَالَ مِنْ مَكَانِهِ حِوَلًا كَمَا يُقَالُ: عَظُمَ عِظَمًا. قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْحِيلَةِ، أَيْ لَا يحتالون منزلا غيرها. وقال الجوهري: التحول التنقل من موضع إلى وضع، وَالِاسْمُ الْحِوَلُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿خَالِدِيْنَ فِيها لَا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلًا﴾** .

تَاسِعَاً : دَارُ السَّلَامِ : قال تعالى: **﴿لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأنعام:١٢٧] . قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٩/ ٥٥٤) : " يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ : **﴿لَهُمْ﴾** [البقرة: ١١] : لِلْقَوْمِ الَّذِينَ يَذَّكَّرُونَ آيَاتِ اللهَّ فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا وَيُوقِنُونَ بِدَلَالَتِهَا عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهَّ، وَمِنْ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَيُصَدِّقُونَ بِمَا وَصَلُوا بِهَا إِلَى عِلْمِهِ مِنْ ذَلِكَ. وَأَمَّا دَارُ السَّلَامِ، فَهِيَ دَارُ اللهَّ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ فِي الْآخِرَةِ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى مَا أَبْلَوْا فِي الدُّنْيَا فِي ذَاتِ اللهَّ، وَهِيَ جَنَّتُهُ " .

وروى أحمد في " المسند" (٢٩/ ١٨٤ برقم ١٧٦٣٦) بسنده عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَتِفَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ، وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ، وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَالْأَبْوَابُ الَّتِي عَلَى كَتِفَيِ الصِّرَاطِ: حُدُودُ الله، لَا يَقَعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ الله، حَتَّى يُكْشَفَ سِتْرُ الله، وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ: وَاعِظُ الله " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف، بقية- وهو ابن الوليد- يدلس تدليس التسوية، وقد عنعن، فلا يقبل حديثه إلا أن يصرح بالسماع في جميع طبقات السند. وأخرجه الطحاوي في "شرح المشكل" (٢١٤٣) من طريق إبراهيم بن أبي داود، عن حيوة بن شريح، بهذا الإسناد. وأخرجه الترمذي (٢٨٥٩) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٨) ، والنسائي كما في "تحفة الأشراف" ٩/ ٦١، والطحاوي في "شرح المشكل" (٢١٤٣) ، والطبراني في "الشاميين" (١١٤٧) ، وأبو الشيخ في "الأمثال" (٢٨٠) من طرق عن بقية، به. وقد سقط من إسناد أبي الشيخ: "بحير بن سعد". قاله الترمذي: حديث حسن غريب. قلنا: وقد سقطت كلمة "حسن" من مطبوع الترمذي، وإستدركناها من "تحفة الأشراف" ٩/ ٦١ " .

وروىٰ الحاكم في " المستدرك علىٰ الصَّحيحين " (٢/ ٢٦٩ برقم ٣٢٩٩ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ، ووافقه الذهبي) : " عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : **﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [يونس: ٢٥] ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: " إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ جِبْرِيلَ عِنْدَ رَأْسِي وَمِيكَائِيلَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: اضْرِبْ لَهُ مِثْلًا. فَقَالَ لَهُ: اسْمَعْ سَمِعَهُ أُذُنُكَ، وَاعْقِلْ عَقَلَ قَلْبُكَ، إِنَّمَا مَثَلُكَ وَمَثَلُ أُمَّتِكَ، كَمَثَلِ مَلِكٍ اتَّخَذَ دَارًا، ثُمَّ بَنَىٰ فِيهَا بَيْتًا، ثُمَّ جَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً، ثُمَّ بَعَثَ رَسُولًا يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ طَعَامِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ الرَّسُولَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَ، فَاللهُ هُوَ الْمَلِكُ، وَالدَّارُ الْإِسْلَامُ، وَالْبَيْتُ الْجَنَّةُ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ الرَّسُولُ مَنْ أَجَابَكَ دَخَلَ الْإِسْلَامَ، وَمَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ دَخَلَ الجَنَّة أَكَلَ مِنْهَا " .

وجاء في " صفة الجنَّة" لأبي نعيم الأصبهاني (ص٢٩) : " الْحَمْدُ للهِ الْمَشْكُورِ عَلَىٰ مَا أَعْطَىٰ، وَالْمُجَابِ إِلَى مَا دَعَا، وَالْمَرْغُوبِ فِيمَا رَغَّبَ فِيهِ وَمَنَّىٰ، أَعْطَانَا التَّوْحِيدَ بِتَعَرُّفِهِ إِلَيْنَا، وَأَجَبْنَا إِلَىٰ طَاعَتِهِ بِتَوْفِيقِهِ لَنَا، وَرَغَّبَنَا فِي كَرَامَتِهِ وَجَنَّتِهِ بَعْدَ أَنْ حَلَّاهَا لَنَا وَرَغَّبَنَا فِيهَا، فَهُوَ السَّلَامُ، وَدَارُهُ دَارُ السَّلَامِ، وَالسَّلَامُ مَنْ سَارَعَ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَسَابَقَ إِلَىٰ مَرْضَاتِهِ لِيَحْظَىٰ بِدُخُولِ دَارِهِ الَّتِي يُؤْمَنُ فِيهَا مِنَ الْآفَاتِ، وَيُسْلَمُ فِيهَا مِنَ الْعَاهَاتِ، الَّتِي مَنْ دَخَلَهَا أَمِنَ مِنَ الْبَوَارِ، وَسَلِمَ مِنَ الدَّمَارِ، وَحَظِيَ بِجِوَارِ الْمُنْعِمِ الْجَبَّارِ " .

وروىٰ أبو نعيم في " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " (٩/ ١٨٩) بسنده عَنْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمَرْوَزِيُّ، قَالَ: " رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي الْمَنَامِ يَمْشِي مِشْيَةً يَخْتَالُ فِيهَا، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الْمِشْيَةُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟ قَالَ: هَذِهِ مِشْيَةُ الْخُدَّامِ فِي دَارِ السَّلَامِ " .

وروىٰ (٩/ ١٨٩) بسنده عن عَبْدُ اللهِ بْنُ الْقَاسِمِ الْقُرَشِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمَرْوَزِيَّ، يَقُولُ: " رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي الْمَنَامِ وَعَلَيْهِ حُلَّتَانِ خَضْرَاوَتَانِ وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ شِرَاكُهُمَا مِنَ الزُّمُرُّدِ الْأَخْضَرِ وَعَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجٌ مِنَ النُّورِ مُرَصَّعٌ بِالْجَوْهَرِ، وَإِذَا هُوَ يَخْطِرُ فِي مِشْيَتِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: حَبِيبِي يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ تَمْشِي مِشْيَةً تَخْتَالُ فِيهَا، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الْمِشْيَةُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟ قَالَ: قَالَ: هَذِهِ مِشْيَةُ الْخُدَّامِ فِي دَارِ السَّلَامِ " .

قال الإمام الشَّريف الرَّضي في " تلخيص البيان في مجازات القرآن " (٢/ ١٣٩) : " وقوله تعالىٰ : **﴿لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** ، وهي استعارة. والمراد : لهم محلّ الأمنة والسَّلامة والمنجاة من المخافة. وتلك صفة الجنَّة. والسَّلام هاهنا : جمع سلامة " .

وقال الإمام الرَّازي في "التَّفسير " (١٣/١٤٦-١٤٧) : " وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَشْرِيفَاتٌ.

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ: ﴿**لَهُمْ دارُ السَّلامِ**﴾ ، وَهَذَا يُوجِبُ الْحَصْرَ فَمَعْنَاهُ: لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ لَا لِغَيْرِهِمْ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿**دارُ السَّلامِ**﴾ قَوْلَانِ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّ السَّلَامَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فَدَارُ السَّلَامِ هِيَ الدَّارُ الْمُضَافَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قِيلَ لِلْكَعْبَةِ بَيْتُ اللَّهِ تَعَالَى وَلِلْخَلِيفَةِ عَبْدُ اللَّهِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ السَّلَامَ صِفَةُ الدَّارِ ثُمَّ فِيهِ وَجْهَانِ:

الْأَوَّلُ: الْمَعْنَى دَارُ السَّلَامَةِ وَالْعَرَبُ تُلْحِقُ هَذِهِ الْهَاءَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَصَادِرِ وَتَحْذِفُهَا يَقُولُونَ ضَلَالٌ وَضَلَالَةٌ وَسَفَاهٌ وَسَفَاهَةٌ وَلَذَاذٌ وَلَذَاذَةٌ وَرَضَاعٌ وَرَضَاعَةٌ.

الثَّانِي: أَنَّ السَّلَامَ جَمْعُ السَّلَامَةِ وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الْجَنَّةُ بِهَذَا الِاسْمِ لِأَنَّ أَنْوَاعَ السَّلَامَةِ حَاصِلَةٌ فِيهَا بِأَسْرِهَا.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ: فَالْقَائِلُونَ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ قَالُوا بِهِ لِأَنَّهُ أَوْلَى لِأَنَّ إِضَافَةَ الدَّارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى نِهَايَةٌ فِي تَشْرِيفِهَا وَتَعْظِيمِهَا وَإِكْبَارِ قَدْرِهَا فَكَانَ ذِكْرُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ مُبَالَغَةً فِي تَعْظِيمِ الْأَمْرِ وَالْقَائِلُونَ بِالْقَوْلِ الثَّانِي رَجَّحُوا قَوْلَهُمْ مِنْ وَجْهَيْنِ :

الْأَوَّلُ: أَنَّ وَصْفَ الدَّارِ بِكَوْنِهَا دَارَ السَّلَامَةِ أَدْخَلُ فِي التَّرْغِيبِ مِنْ إِضَافَةِ الدَّارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَالثَّانِي: أَنَّ وَصْفَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ السَّلَامُ فِي الْأَصْلِ مَجَازٌ وَإِنَّمَا وُصِفَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى ذُو السَّلَامِ فَإِذَا أَمْكَنَ حَمْلُ الْكَلَامِ عَلَى حَقِيقَتِهِ كَانَ أَوْلَى.

النَّوْعُ الثَّانِي: مِنَ الْفَوَائِدِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ: عِنْدَ رَبِّهِمْ وَفِي تَفْسِيرِهِ وُجُوهٌ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: الْمُرَادُ أَنَّهُ مَعَدٌّ عِنْدَهُ تَعَالَى كَمَا تَكُونُ الْحُقُوقُ مُعَدَّةً مُهَيَّأَةً حَاضِرَةً وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿**جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ [البينة: ٨] ، وَذَلِكَ نِهَايَةٌ فِي بَيَانِ وُصُولِهِمْ إِلَيْهَا وَكَوْنِهِمْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ ذَلِكَ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: وَهُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى التَّحْقِيقِ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿**عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ يُشْعِرُ بِأَنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ الْمُدَّخَرَ مَوْصُوفٌ بِالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَهَذَا الْقُرْبُ لَا يَكُونُ بِالْمَكَانِ وَالْجِهَةِ فَوَجَبَ كَوْنُهُ بِالشَّرَفِ وَالْعُلُوِّ وَالرُّتْبَةِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الشَّيْءَ بَلَغَ فِي الْكَمَالِ وَالرِّفْعَةِ إِلَى حَيْثُ لَا يَعْرِفُ كُنْهَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ [السَّجْدَةِ: ١٧] .

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ١٩] ، وَقَالَ فِي صِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا : أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ لِأَجْلِي. قال العجلوني في " كشف الخفاء ومزيل الإلباس " (١/ ٢٣٠ برقم ٦١٤) : " قال

في المقاصد: ذكره في البداية للغزالي، وقال القاري عقبه: ولا يخفى أن الكلام في هذا المقام لم يبلغ الغاية. قلت: وتمامه "وأنا عند المندرسة قلوبهم لأجلي" ولا أصل لهما في المرفوع " .

وَقَالَ أَيْضًا : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي. أخرجه البخاري (٩/ ١٢١ برقم ٧٤٠٥) ، مسلم (٤/ ٢٠٦١ برقم ٢٦٧٥) .

وَقَالَ فِي صِفَتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: **﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾** [القَمَر: ٥٥] ، وَقَالَ فِي دَارِهِمْ: **﴿لَهُمْ دارُ السَّلام عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** ، وَقَالَ فِي ثَوَابِهِمْ : **﴿جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** [البَيِّنَة: ٨] ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُصُولَ كَمَالِ صِفَةِ الْعُبُودِيَّةِ بِوَاسِطَةِ صِفَةِ العندِيَّة .

النَّوْعُ الثَّالِثُ: مِنَ التَّشْرِيفَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ: **﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾** ، وَالْوَلِيُّ مَعْنَاهُ الْقَرِيبُ ، فَقَوْلُهُ: **﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** يَدُلُّ عَلَى قُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَقَوْلُهُ: **﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾** يَدُلُّ عَلَى قُرْبِ اللهِ مِنْهُمْ وَلَا نَرَى فِي الْعَقْلِ دَرَجَةً لِلْعَبْدِ أَعْلَى مِنْ هَذِهِ الدَّرَجَةِ وَأَيْضًا فَقَوْلُهُ: **﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾** يُفِيدُ الْحَصْرَ ، أَيْ : لَا وَلِيَّ لَهُمْ إِلَّا هُوَ وَكَيْفَ وَهَذَا التَّشْرِيفُ إِنَّمَا حَصَلَ عَلَى التَّوْحِيدِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ: **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾** ، فَهَؤُلَاءِ الْأَقْوَامُ قَدْ عَرَفُوا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْمُدَبِّرَ وَالْمُقَدِّرَ لَيْسَ إِلَّا هُوَ وَأَنَّ النَّافِعَ وَالضَّارَّ لَيْسَ إِلَّا هُوَ وَأَنَّ الْمُسْعِدَ وَالْمُشْقِيَ لَيْسَ إِلَّا هُوَ وَأَنَّهُ لَا مُبْدِئَ لِلْكَائِنَاتِ وَالْمُمْكِنَاتِ إِلَّا هُوَ فَلَمَّا عَرَفُوا هَذَا انْقَطَعُوا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ فَمَا كَانَ رُجُوعُهُمْ إِلَّا إِلَيْهِ وَمَا كَانَ تَوَكُّلُهُمْ إِلَّا عَلَيْهِ وَمَا كَانَ أُنْسُهُمْ إِلَّا بِهِ وَمَا كَانَ خُضُوعُهُمْ إِلَّا لَهُ فَلَمَّا صَارُوا بِالْكُلِّيَّةِ لَا جَرَمَ قَالَ تَعَالَى: **﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾** وَهَذَا إِخْبَارٌ بِأَنَّهُ تَعَالَى مُتَكَفِّلٌ بِجَمِيعِ مَصَالِحِهِمْ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَيَدْخُلُ فِيهَا الْحِفْظُ وَالْحِرَاسَةُ وَالْمَعُونَةُ وَالنُّصْرَةُ وَإِيصَالُ الْخَيْرَاتِ وَدَفْعُ الْآفَاتِ وَالْبَلِيَّاتِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: **﴿بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾** ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ ذَلِكَ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ الْمَرْءُ عَنِ الْعَمَلِ فَإِنَّ الْعَمَلَ لَا بُدَّ مِنْهُ وَتَحْقِيقُ الْقَوْلِ فِيهِ: أَنَّ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ تَعَلُّقًا شديداً ، فكما أَنَّ الهيآت النَّفْسَانِيَّةَ قَدْ تَنْزِلُ مِنَ النَّفْسِ إِلَى الْبَدَنِ مِثْلَ مَا إِذَا تَصَوَّرَ أَمْرًا مُغْضِبًا ظَهَرَ الأثر عليه في البدن ، فيسخن البدن ويحمى ، فكذلك الهيآت الْبَدَنِيَّةُ قَدْ تَصْعَدُ مِنَ الْبَدَنِ إِلَى النَّفْسِ فَإِذَا وَاظَبَ الْإِنْسَانُ عَلَى أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ ظهر الْآثَارُ الْمُنَاسِبَةُ لَهَا فِي جَوْهَرِ النَّفْس ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السَّالِكَ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ وَأَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى تركه البتَّة" .

وقال تعالى : **﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دارِ السَّلامِ﴾** [يونس: ٢٥] . قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٢/ ١٥٣) : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِعِبَادِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَطْلُبُوا الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا، فَإِنَّ مَصِيرَهَا إِلَى فَنَاءٍ وَزَوَالٍ كَمَا مَصِيرِ النَّبَاتِ الَّذِي ضَرَبَهُ اللهُ لَهَا مَثَلًا إِلَى هَلَاكٍ وَبَوَارٍ، وَلَكِنِ اطْلُبُوا الْآخِرَةَ الْبَاقِيَةَ، وَلَهَا فَاعْمَلُوا، وَمَا عِنْدَ اللهِ فَالْتَمِسُوا

بِطَاعَتِهِ، فَإِنَّ اللهَّ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ دَارِهِ، وَهِيَ جَنَّاتُهُ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ، تَسْلَمُوا مِنَ الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ فِيهَا وَتَأْمَنُوا مِنْ فَنَاءِ مَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمَنْ دَخلَهَا، وَهُوَ يَهْدِي مِنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ فَيُوَفِّقُهُ لِإِصَابَةِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي جَعلَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سَبَبًا لِلْوُصُولِ إِلَىٰ رِضَاهُ وَطَرِيقًا لِمَنْ رَكِبَهِ وَسَلَكَ فِيهِ إِلَىٰ جَنَّاتِهِ وَكَرَامَتِهِ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٧/ ٢٣٨-٢٣٩) : " فِي الْآيَةِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: فِي كَيْفِيَّةِ النَّظْمِ. اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمَّا نَفَّرَ الْغَافِلِينَ عَنِ الْمَيْلِ إِلَى الدُّنْيَا بِالْمَثَلِ السَّابِقِ، رَغَّبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَوَجْهُ التَّرْغِيبِ فِي الْآخِرَةِ مَا

رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ شَبَهُ سَيِّدٍ بَنَىٰ دَارًا وَوَضَعَ مَائِدَةً وأرسل داعيا، فمن أجاب الداعي داخل الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَائِدَةِ وَرَضِيَ عَنْهُ السَّيِّدُ وَمَنْ لَمْ يُجِبْ لَمْ يَدْخُلْ وَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَرْضَ عَنْهُ السَّيِّدُ فاللهَّ السَّيِّدُ، وَالدَّارُ دَارُ الْإِسْلَامِ، وَالْمَائِدَةُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشمس إلا وبجنبيها مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ بِحَيْثُ يَسْمَعُ كُلُّ الْخَلَائِقِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ واللهَّ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ. «

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: لَا شُبْهَةَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ دَارِ السَّلَامِ الْجَنَّةُ، إِلَّا أَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي السَّبَبِ الَّذِي لِأَجْلِهِ حَصَلَ هَذَا الِاسْمُ عَلَىٰ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ السَّلَامَ هُوَ اللهَّ تَعَالَىٰ، وَالْجَنَّةُ دَارُهُ وَيَجِبُ عَلَيْنَا هَاهُنَا بَيَانُ فَائِدَةِ تَسْمِيَةِ اللهَّ تَعَالَىٰ بِالسَّلَامِ، وَفِيهِ وُجُوهٌ :

أَحَدُهَا: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ وَاجِبَ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ فَقَدْ سَلِمَ مِنَ الْفَنَاءِ وَالتَّغَيُّرِ، وَسَلِمَ مِنِ احْتِيَاجِهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ إِلَى الِافْتِقَارِ إِلَى الْغَيْرِ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ لَيْسَتْ إِلَّا لَهُ سُبْحَانَهُ كَمَا قَالَ: **﴿وَاللهَّ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾** [محمد: ٣٨] ، وقال**﴿ :يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهَّ﴾** [فاطِر: ١٥] .

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ تَعَالَىٰ يُوصَفُ بِالسَّلَامِ بِمَعْنَىٰ أَنَّ الْخَلْقَ سَلِمُوا مِنْ ظُلْمِهِ، قَالَ: **﴿وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾** [فُصِّلَتْ: ٤٦] ، وَلِأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ فَهُوَ مُلْكُهُ وَمِلْكُهُ، وَتَصَرُّفُ الْفَاعِلِ فِي مِلْكِ نَفْسِهِ لَا يَكُونُ ظُلْمًا وَلِأَنَّ الظُّلْمَ إِنَّمَا يَصْدُرُ إِمَّا عَنِ الْعَاجِزِ أَوِ الْجَاهِلِ أَوِ الْمُحْتَاجِ، وَلَمَّا كَانَ الْكُلُّ مُحَالًا عَلَىٰ اللهَّ تَعَالَىٰ، كَانَ الظُّلْمُ مُحَالًا فِي حَقِّهِ .

وَثَالِثُهَا: قَالَ الْمُبَرِّدُ: إِنَّهُ تَعَالَىٰ يُوصَفُ بِالسَّلَامِ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ ذُو السَّلَامِ، أَيِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ السَّلَامِ إِلَّا هُوَ، وَالسَّلَامُ عِبَارَةٌ عَنْ تَخْلِيصِ الْعَاجِزِينَ عَنِ الْمَكَارِهِ وَالْآفَاتِ فَالْحَقُّ تَعَالَىٰ هُوَ السَّاتِرُ لِعُيُوبِ الْمَعْيُوبِينَ، وَهُوَ الْمُجِيبُ لِدَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، وَهُوَ الْمُنْتَصِفُ لِلْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ قَالَ الْمُبَرِّدُ: وَعَلَىٰ هَذَا التَّقْدِيرِ: السَّلَامُ مَصْدَرُ سَلِمَ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: السَّلَامُ جَمْعُ سَلَامَةٍ، وَمَعْنَىٰ دَارِ السَّلَامِ: الدَّارُ الَّتِي مَنْ دَخَلَهَا سَلِمَ مِنَ الْآفَاتِ فَالسَّلَامُ هَاهُنَا بِمَعْنَىٰ السَّلَامَةِ، كَالرَّضَاعِ بِمَعْنَىٰ الرَّضَاعَةِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ هُنَاكَ سَلِمَ مِنْ كُلِّ الْآفَاتِ، كَالْمَوْتِ وَالْمَرَضِ وَالْأَلَمِ وَالْمَصَائِبِ وَنَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ وَالْكُفْرِ وَالْبِدْعَةِ وَالْكَدِّ وَالتَّعَبِ.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ سُمِّيَتِ الجَنَّة بِدَارِ السَّلَامِ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ يُسَلِّمُ عَلَىٰ أَهْلِهَا قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾** [يس: ٥٨] ، وَالْمَلَائِكَةُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ أَيْضًا، قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ﴾** [الرَّعْدِ: ٢٣- ٢٤] ، وَهُمْ أَيْضًا يُحَيِّي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالسَّلَامِ قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ﴾** [يونس: ١٠] ، وَأَيْضًا فَسَلَامُهُمْ يَصِلُ إِلَىٰ السُّعَدَاءِ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿وَأَمَّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ﴾** [الْوَاقِعَةِ: ٩٠- ٩١] .

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: اعْلَمْ أَنَّ كَمَالَ جُودِ اللهِ تَعَالَىٰ وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ وَكَمَالَ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ مَعْلُومٌ، فَدَعْوَتُهُ عَبِيدَهُ إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ، تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ دَارَ السَّلَامِ قَدْ حَصَلَ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، لِأَنَّ الْعَظِيمَ إِذَا اسْتَعْظَمَ شَيْئًا وَرَغَّبَ فِيهِ وَبَالَغَ فِي ذَلِكَ التَّرْغِيبِ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ كَمَالِ حَالِ ذَلِكَ الشَّيْءِ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ مَلَأَ اللهُ هَذَا الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ مِنْ وَصْفِ الجَنَّة مِثْلَ قَوْلِهِ: **﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾** [الْوَاقِعَةِ: ٨٩] ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ هَاهُنَا كَلَامًا كُلِّيًّا فِي تَقْرِيرِ هَذَا الْمَطْلُوبِ، فَنَقُولُ: الْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَسْعَ فِي يَوْمِهِ لِغَدِهِ وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ غَدَانِ، غَدٌ فِي الدُّنْيَا وَغَدٌ فِي الْآخِرَةِ فَنَقُولُ: غَدُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ غَدِ الدُّنْيَا مِنْ وُجُوهٍ أَرْبَعَةٍ:

أَوَّلُهَا: أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ لَا يُدْرِكُ غَدَ الدُّنْيَا وَبِالضَّرُورَةِ يُدْرِكُ غَدَ الْآخِرَةِ .

وَثَانِيهَا: أَنَّ بِتَقْدِيرِ أَنْ يُدْرِكَ غَدَ الدُّنْيَا فَلَعَلَّهُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِمَا جَمَعَهُ، إِمَّا لِأَنَّهُ يَضِيعُ مِنْهُ ذَلِكَ الْمَالُ أَوْ لِأَنَّهُ يَحْصُلُ فِي بَدَنِهِ مَرَضٌ يَمْنَعُهُ مِنَ الِانْتِفَاعِ بِهِ. أَمَّا غد الآخرة فكلّما اكْتَسَبَهُ الْإِنْسَانُ لِأَجْلِ هَذَا الْيَوْمِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّ بِتَقْدِيرِ أَنْ يَجِدَ غَدَ الدُّنْيَا وَيَقْدِرَ عَلَىٰ أَنْ يَنْتَفِعَ بِمَالِهِ، إِلَّا أَنَّ تِلْكَ الْمَنَافِعَ مَخْلُوطَةٌ بِالْمَضَارِّ وَالْمَتَاعِبِ، لِأَنَّ سِعَادَاتِ الدُّنْيَا غَيْرُ خَالِصَةٍ عَنِ الْآفَاتِ، بَلْ هِيَ مَمْزُوجَةٌ بِالْبَلِيَّاتِ، وَالِاسْتِقْرَاءُ يَدُلُّ عَلَيْهِ

وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ طَلَبَ مَا لَمْ يُخْلَقْ أَتْعَبَ نَفْسَهُ وَلَمْ يُرْزَقْ» فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ؟ قال: «سرور يوم بتمامه" ، وأَمَّا منافع عز الْآخِرَةِ فَهِيَ خَالِصَةٌ عَنِ الْغُمُومِ وَالْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ سَالِمَةٌ عَنْ كُلِّ الْمُنَفِّرَاتِ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّ بِتَقْدِيرِ أن يصل الإنسان إلى عز الدُّنْيَا وَيَنْتَفِعَ بِسَبَبِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ الِانْتِفَاعُ خَالِيًا عَنْ خَلْطِ الْآفَاتِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ مُنْقَطِعًا وَمَنَافِعُ الْآخِرَةِ دَائِمَةٌ مُبَرَّأَةٌ عَنِ الِانْقِطَاعِ، فَثَبَتَ أَنَّ سَعَادَاتِ الدُّنْيَا مَشُوبَةٌ بِهَذِهِ الْعُيُوبِ الْأَرْبَعَةِ، وَأَنَّ سَعَادَاتِ الْآخِرَةِ سَالِمَةٌ عَنْهَا فَلِهَذَا السَّبَبِ كَانَتِ الجَنَّة دَارَ السَّلَامِ " .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" (ص٩٦) : " وأمَّا قوله تعالى :وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فأكثر المفسِّرين حاموا حول المعنى وما وردوه ، وقالوا أقوالاُ لا يخفى بعدها عن المقصود.

وإنَّما معنى الآية والله أعلم : فسلام لك أيُّها الرَّاحل عن الدُّنيا حال كونك من أصحاب اليمين ، أي : فسلامه لك كائناً من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدُّنيا وأنكادها ومن النَّار وعذابها ، فبشّر بالسَّلامة عند ارتحاله من الدُّنيا وقدومه على الله كما يبشّر الملك روحه عند أخذها بقوله ابشري بروْح وريحان وربٍّ غير غضبان ، وهذا أوَّل البشرى التي للمؤمن في الآخرة " .

وروى أحمد في " المسند" (٢٩/ ١٨٤ برقم ١٧٦٣٦) بسنده عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَتِفَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ، وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ، وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَالْأَبْوَابُ الَّتِي عَلَى كَتِفَيِ الصِّرَاطِ: حُدُودُ اللهِ، لَا يَقَعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللهِ، حَتَّى يُكْشَفَ سِتْرُ اللهِ، وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ: وَاعِظُ اللهِ " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف، بقية- وهو ابن الوليد- يدلس تدليس التسوية، وقد عنعن، فلا يقبل حديثه إلا أن يصرح بالسماع في جميع طبقات السند. وأخرجه الطحاوي في "شرح المشكل" (٢١٤٣) من طريق إبراهيم بن أبي داود، عن حيوة بن شريح، بهذا الإسناد. وأخرجه الترمذي (٢٨٥٩) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٨) ، والنسائي كما في "تحفة الأشراف" ٩/ ٦١، والطحاوي في "شرح المشكل" (٢١٤٣) ، والطبراني في "الشاميين" (١١٤٧) ، وأبو الشيخ في "الأمثال" (٢٨٠) من طرق عن بقية، به. وقد سقط من إسناد أبي الشيخ: "بحير بن سعد". قاله الترمذي: حديث حسن غريب. قلنا: وقد سقطت كلمة "حسن" من مطبوع الترمذي، واستدركناها من "تحفة الأشراف" ٩" .

وسُمِّيت الجَنَّة بدار السَّلام لأمور أربعة:

الأوَّلُ: لأنَّها سالمة من كلِّ المنغِّصات والمكدِّرات ، ومن كلِّ بليَّة وآفة ومكروه، وهذا يؤخذ من اشتقاق الكلمة.

الثَّانِي: لأنَّها دار السَّلام: ومن أسمائه سبحانه وتعالىٰ السَّلامِ ، قال سبحانه: **﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [الحشر:٢٣] ، فهي دار السَّلام: يعني دار الله، فهو سبحانه الذي سلَّمها وسلَّم أهلها.

الثَّالِثُ: ولأنَّ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ، **﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً﴾** [الأحزاب:٤٤] .

وأوَّل ما تستقبلهم به خزنة الجَنَّة هو السَّلام: **﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِين﴾** [الزمر:٧٣] ، **﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾** [الرعد:٢٤] .

والرَّبُّ سبحانه يسلِّم عليهم من فوقهم **﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ * سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾** [يس:٥٧-٥٨] .

الرَّابِعُ: كلامهم فيها سلام: أي لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل، لا يقولونه ولا يسمعونه، قال تعالىٰ: **﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاَّ سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾** [مريم:٦٢] ، وقال تعالىٰ : **﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً * إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً﴾** [الواقعة:٢٥-٢٦] . انظر : مباحث في العقيدة (٢١/ ٩١-٩٢) .

﴿ عَاشِرَاً ﴾ : الحُسْنَى : قال تعالىٰ : **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّة هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾** [يونس:٢٦] .

روىٰ عبد الرزاق في " التَّفسير" (٢/ ١٧٤ برقم ١١٥٥) بسنده عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾** [يونس: ٢٦]، قَالَ: **﴿الْحُسْنَى﴾** الجَنَّة ، وَالزِّيَادَةُ فِيمَا بَلَغَنَا النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ " .

وقال الإمام البغوي في " معالِم التَّنزيل في تفسير القرآن " (٢/ ٤١٧) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ﴾** ، أَيْ: لِلَّذِينِ أَحسَنُوا الْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا الْحُسْنَىٰ، وَهِيَ الجَنَّة ، **﴿وَزِيَادَةٌ﴾** ، وَهِيَ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ الله الكريم، وهذا قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَحُذَيْفَةُ وَأَبُو مُوسَىٰ وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَعِكْرِمَةَ وَعَطَاءٍ وَمُقَاتِلٍ وَالضَّحَّاكِ وَالسُّدِّيِّ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٧/ ٢٤٠) : " وَأَمَّا اللَّفْظُ الثَّانِي: وَهُوَ **﴿الْحُسْنى﴾** ، فَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: الْحُسْنَىٰ فِي اللُّغَةِ تَأْنِيثُ الْأَحْسَنِ، وَالْعَرَبُ تُوقِعُ هَذِهِ اللَّفْظَةَ عَلَىٰ الْحَالَةِ الْمَحْبُوبَةِ وَالْخَصْلَةِ الْمَرْغُوبِ فِيهَا،

وَلِذَلِكَ لَمْ تُؤَكَّدْ، وَلَمْ تُنْعَتْ بِشَيْءٍ، وَقَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» : الْمُرَادُ: الْمُثُوبَةُ الْحُسْنَى وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ: **﴿هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ﴾** [الرَّحْمَنِ: ٦٠] .

وَأَمَّا اللَّفْظُ الثَّالِثُ: وَهُوَ الزِّيَادَةُ فَنَقُولُ: هَذِهِ الْكَلِمَةُ مُبْهَمَةٌ، وَلِأَجْلِ هَذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَفْسِيرِهَا، وَحَاصِلُ كَلَامِهِمْ يَرْجِعُ إِلَى قَوْلَيْنِ:

الْقَوْلُ الأَوَّلُ: أَنَّ المراد من مِنْهَا رُؤْيَةُ اللَّهَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قَالُوا: وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ النَّقْلُ وَالْعَقْلُ.

أَمَّا النَّقْلُ: فَالْحَدِيثُ الصَّحِيحُ الْوَارِدُ فِيهِ، وَهُوَ أَنَّ الْحُسْنَى هِيَ الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ هِيَ النَّظَرُ إِلَى اللَّهَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَهُوَ أَنَّ الْحُسْنَى لَفْظَةٌ مُفْرَدَةٌ دَخَلَ عَلَيْهَا حَرْفُ التَّعْرِيفِ، فَانْصَرَفَ إِلَى الْمَعْهُودِ السَّابِقِ، وَهُوَ دَارُ السَّلَامِ وَالْمَعْرُوفُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُتَقَرِّرِ بَيْنَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ هُوَ الْجَنَّةُ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالتَّعْظِيمِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٨/ ٣٣٠-٣٣١ باختصار) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ﴾** ، رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَزِيادَةٌ﴾** ، قَالَ: " لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا لَهُمُ الْحُسْنى وَهِيَ الجَنَّة وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهَّ الْكَرِيمِ) ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي رِوَايَةٍ. وَحُذَيْفَةَ وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ وَأَبِي مُوسَى وَصُهَيْبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ، وَهُوَ قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ، وَهُوَ الصَّحِيحُ فِي الْبَابِ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ (١/ ١٦٣ برقم ١٨١) فِي صَحِيحِهِ عَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّة الْجَنَّةَ قَالَ اللَّهُ تبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّة وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ " - وَفِي رِوَايَةٍ ثُمَّ تَلَا- **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾** ، وَخَرَّجَهُ النَّسَائِيُّ (كبرى١٠/ ١٢٣ برقم ١١١٧٠) أَيْضًا عَنْ صُهَيْبٍ ، قَالَ : قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذِهِ الْآيَةُ **﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾** ، قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ يَا أَهْلَ الجَنَّة إِنَّ لَكُمْ مَوْعِدًا عِنْدَ اللَّهَّ يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ قَالُوا أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ قَالَ فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَاللَّهَّ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ " ... وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْحُسْنَى حَسَنَةٌ مِثْلُ حَسَنَةٍ،

وَالزِّيَادَةُ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِّ وَرِضْوَانٌ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: الْحُسْنَى الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُّ فِي الدُّنْيَا مِنْ فَضْلِهِ لَا يُحَاسِبُهُمْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... " .

حَادِيْ عَشَر : **المَقَام الأَمِيْن** : قال تعالى : **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾** [الدخان:٥١] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٦/ ١٥٢) : " قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَأَمَّا الْمَقَامُ وَالْمُقَامُ فَقَدْ يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَعْنَى الْإِقَامَةِ، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى مَوْضِعِ الْقِيَامِ، لِأَنَّكَ إِذَا جَعَلْتَهُ مِنْ قَامَ يَقُومُ فَمَفْتُوحٌ، وَإِنْ جَعَلْتَهُ مِنْ أَقَامَ يُقِيمُ فَمَضْمُومٌ، لِأَنَّ الْفِعْلَ إذا جاوز الثلاثة فَالْمَوْضِعُ مَضْمُومُ الْمِيمِ، لِأَنَّهُ مُشَبَّهٌ بِبَنَاتِ الْأَرْبَعَةِ، نَحْوُ دَحْرَجَ وَهَذَا مُدَحْرَجُنَا. وَقِيلَ: الْمَقَامُ (بِالْفَتْحِ) الْمَشْهَدُ وَالْمَجْلِسُ، وَ (بِالضَّمِّ) يُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْمَكَانُ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا وَيُقَدَّرُ فِيهِ الْمُضَافُ، أَيْ فِي مَوْضِعِ إِقَامَةٍ." أَمِينٌ" يؤمن فيه من الآفاتِ ".

وقال الإمام أبو حيَّان في " البحر المحيط" (٩/ ٤٠٩) : " وَوَصَفَ الْمَقَامَ بِالْأَمِينِ، أَيْ يُؤَمَّنُ فِيهِ مِنَ الْغِيَرِ، فَكَأَنَّهُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، أَيْ مَأْمُونٍ فِيهِ، قَالَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: الْأَمِينُ، مِنْ قَوْلِكَ: أَمِنَ الرَّجُلُ أَمَانَةً، فَهُوَ أَمِينٌ، وَهُوَ ضِدُّ الْخَائِنِ فَوَصَفَ بِهِ الْمَكَانَ اسْتِعَارَةً، لِأَنَّ الْمَكَانَ الْمُخِيفَ كَانَ يُخَوِّفُ صَاحِبَهُ بِمَا يَلْقَى فِيهِ مِنَ الْمَكَارِهِ" .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " (ص١٠١) : " والمقام الأمين موضع الإقامة ، والأمين الآمن من كلِّ سوء وآفة ومكروه ، وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلّها ، فهو آمن من الزَّوال والخراب وأنواع النَّقص ، وأهله آمنون فيه من الخروج والنّغص والنّكد . والبلد الأمين الذي قد أمن من أهله فيه ممَّا يخالف منه سواهم ، وتأمَّل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾** [الدخان:٥١] ، وفي قوله تعالى: **﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾** [الدخان:٥٥] ، فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطَّعام ، فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرَّتها ، وأمن الخروج منها ، فلا يخافون ذلك ، وأمن من الموت فلا يخافون فيها موتاً " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ الجَنَّة مَخْلُوْقَةٌ مَوْجُوْدَةٌ الآن ؟

الجواب : قال الإمام ابن أبي العز في " شرح العقيدة الطَّحاويَّة" (ص٤٢٠ فما بعدها) : " اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الجَنَّة وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ مَوْجُودَتَانِ الْآنَ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ، حَتَّى نَبَغَتْ نَابِغَةٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ، فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ، وَقَالَتْ: بَلْ يُنْشِئُهُمَا اللهُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ!! وَحَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَصْلُهُمُ الْفَاسِدُ الَّذِي

وَضَعُوا بِهِ شَرِيعَةً لِمَا يَفْعَلُهُ اللهُ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا!! وَقَاسُوهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ فِي أَفْعَالِهِمْ، فَهُمْ مُشَبِّهَةٌ فِي الْأَفْعَالِ، وَدَخَلَ التَّجَهُّمُ فِيهِمْ، فَصَارُوا مَعَ ذَلِكَ مُعَطِّلَةً! وَقَالُوا: خَلْقُ الجَنَّة قَبْلَ الْجَزَاءِ عَبَثٌ! لِأَنَّهَا تَصِيرُ مُعَطَّلَةً مُدَدًا مُتَطَاوِلَةً!! فَرَدُّوا مِنَ النُّصُوصِ مَا خَالَفَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْبَاطِلَةَ الَّتِي وَضَعُوهَا لِلرَّبِّ تَعَالَىٰ، وَحَرَّفُوا النُّصُوصَ عَنْ مَوَاضِعِهَا، وَضَلَّلُوا وَبَدَّعُوا مَنْ خَالَفَ شَرِيعَتَهُمْ.

فَمِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ: قوله تعالىٰ عن الجنة: **﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [الحديد:٢١] ، **﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾** [آل عمران:١٣١] ... وقال تعالىٰ: **﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾** [النجم:١٣-١٥] . وَقَدْ رَأَىٰ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ، وَرَأَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةَ الْمَأْوَىٰ. كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ، وَفِي آخِرِهِ: «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرَائِيلُ، حَتَّىٰ أَتَىٰ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ "قَالَ: "ثُمَّ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا هِيَ جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ" .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عبد الله بن عمر، أَنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّىٰ يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" .

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَفِيهِ: «يُنَادِي مُنَادٍ من السماء: أَنْ صدق عبدي، فأفرشوه من الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا" .

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ أَنَسٍ بِمَعْنَىٰ حَدِيثِ الْبَرَاءِ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «خَسَفَتِ الشَّمْسُ في حياة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ». فذكرت الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: وَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُمْ بِهِ، حَتَّىٰ لَقَدْ رَأَيْتُنِي آخُذُ قطفا من الجَنَّة حين رأيتموني تقدّمت ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ» .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: «فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رأيناك تكعكعت؟ فَقَالَ: "إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، وَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ"، قَالُوا: بِمَ، يَا رَسُولَ اللهَّ؟ قَالَ:

"يَكْفُرِهِنَّ"، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: "يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ خَيْرًا قَطُّ." !!

«وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: «وَايْمُ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ، لَضَحِكْتُمْ قليلا ولبكيتم كَثِيرًا"قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "رَأَيْتُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ" .

وَفِي الْمُوَطَّأِ وَالسُّنَنِ، من حديث كعب بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ تعلق فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يُرْجِعَهَا اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" .

وَهَذَا صَرِيحٌ فِي دُخُولِ الرُّوحِ الجَنَّةَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَالسُّنَنِ وَالْمُسْنَدِ. مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الجَنَّةَ والنار، أرسل جبرائيل إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا. فَأَمَرَ بِالْجَنَّةِ، فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَى النَّارِ، قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ سَمِعَ بِهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إلا دخلها».

وَنَظَائِرُ ذَلِكَ فِي السُّنَّةِ كَثِيرَةٌ.

وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ الجَنَّةَ الْمَوْعُودَ بِهَا هِيَ الجَنَّةُ الَّتِي كَانَ فِيهَا آدَمُ ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْهَا – فَالْقَوْلُ بِوُجُودِهَا الْآنَ ظَاهِرٌ، وَالْخِلَافُ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ.

وَأَمَّا شُبْهَةُ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا لَمْ تُخْلَقْ بَعْدُ، وَهِيَ: أَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَخْلُوقَةً الْآنَ لَوَجَبَ اضْطِرَارًا أَنْ تَفْنَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنْ يَهْلَكَ كُلُّ مَنْ فِيهَا وَيَمُوتَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** [القصص:٨٨] و **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾** [آل عمران:١٨٥] .

وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ، مِنْ حَدِيثِ ابن مسعود، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ،

وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهَّ، وَالْحَمْدُ للهِّ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، وَاللهُّ أَكْبَرُ»، قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وَفِيهِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهَّ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»، قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، قَالُوا: فَلَوْ كَانَتْ مَخْلُوقَةً مَفْرُوغًا مِنْهَا لَمْ تَكُنْ قِيعَانًا، وَلَمْ يَكُنْ لِهَذَا الْغِرَاسِ مَعْنًى. قَالُوا: وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى عَنِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ أَنَّهَا قَالَتْ: ﴿**رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**﴾ [التحريم:١١] .

فَالْجَوَابُ: إِنَّكُمْ إِنْ أَرَدْتُمْ بِقَوْلِكُمْ إِنَّهَا الْآنَ مَعْدُومَةٌ بِمَنْزِلَةِ النَّفْخِ فِي الصُّورِ وَقِيَامِ النَّاسِ مِنَ الْقُبُورِ، فَهَذَا بَاطِلٌ، يَرُدُّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَدِلَّةِ وَأَمْثَالِهَا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنَّهَا لَمْ يَكْمُلْ خَلْقُ جَمِيعِ مَا أَعَدَّ اللهُّ فِيهَا لِأَهْلِهَا، وَأَنَّهَا لَا يَزَالُ اللهُّ يُحْدِثُ فِيهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَإِذَا دَخَلَهَا الْمُؤْمِنُونَ أَحْدَثَ اللهُّ فِيهَا عِنْدَ دُخُولِهِمْ أُمُورًا أُخَرَ- فَهَذَا حَقٌّ لَا يُمْكِنُ رَدُّهُ، وَأَدِلَّتُكُمْ هَذِهِ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ.

وَأَمَّا احْتِجَاجُكُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص:٨٨] ، فأثبتم سُوءِ فَهْمِكُمْ مَعْنَى الْآيَةِ، وَاحْتِجَاجُكُمْ بِهَا عَلَى عَدَمِ وُجُودِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْآنَ - نَظِيرُ احْتِجَاجِ إخوانكم بها عَلَى فَنَائِهِمَا وَخَرَابِهِمَا وَمَوْتِ أَهْلِهِمَا!! فَلَمْ تُوَفَّقُوا أَنْتُمْ وَلَا إِخْوَانُكُمْ لِفَهْمِ مَعْنَى الْآيَةِ، وَإِنَّمَا وُفِّقَ لِذَلِكَ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ.

فَمِنْ كَلَامِهِمْ: أَنَّ الْمُرَادَ" كُلُّ شَيْءٍ" مِمَّا كَتَبَ اللهُّ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ وَالْهَلَاكَ" هَالِكٌ"، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ خُلِقَتَا لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ، وَكَذَلِكَ الْعَرْشُ، فَإِنَّهُ سَقْفُ الْجَنَّةِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ إِلَّا مُلْكَهُ. وَقِيلَ: إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ. وَقِيلَ: إِنَّ اللهَّ تَعَالَى أنزل: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ [الرحمن:٢٦] ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: هَلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ، وَطَمِعُوا فِي الْبَقَاءِ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ، فَقَالَ: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص:٨٨] ، لِأَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، فَأَيْقَنَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالْمَوْتِ. وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ تَوْفِيقًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ النُّصُوصِ الْمُحْكَمَةِ، الدَّالَّةِ عَلَى بَقَاءِ الْجَنَّةِ، وَعَلَى بَقَاءِ النَّارِ أَيْضًا، عَلَى مَا يُذْكَرُ عَنْ قَرِيبٍ، إِنْ شَاءَ اللهُّ تَعَالَى" .

﴿سُؤالٌ﴾ : أَيْنَ تَقَعُ الجَنَّة ؟

الجواب : قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى * عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى**﴾ [النجم:١٣-١٥] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٩٦/١٧) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى**﴾ تَعْرِيفٌ بِمَوْضِعِ جَنَّةِ الْمَأْوَى وَأَنَّهَا عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. وَقَرَأَ عَلِيٌّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَأَنَسٌ وَأَبُو سَبْرَةَ الْجُهَنِيُّ وَعَبْدُ اللهَّ بْنُ الزُّبَيْرِ وَمُجَاهِدٌ ﴿**عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى**﴾ يَعْنِي جَنَّةَ الْمَبِيتِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: يُرِيدُ أَجَنَّهُ. وَالْهَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: أَدْرَكَهُ كَمَا تَقُولُ جَنَّهُ اللَّيْلُ أَيْ سَتَرَهُ وَأَدْرَكَهُ. وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ ﴿جَنَّةُ الْمَأْوى﴾ ، قَالَ الْحَسَنُ: هِيَ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا الْمُتَّقُونَ. وَقِيلَ: إِنَّهَا الْجَنَّةُ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَهِيَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ. وَقِيلَ: هِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي آوَىٰ إِلَيْهَا آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَىٰ أَنْ أُخْرِجَ مِنْهَا وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ . وَقِيلَ: إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ فِي جَنَّةِ الْمَأْوَىٰ. وَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا: جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ لِأَنَّهَا تَأْوِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيَتَنَعَّمُونَ بِنَعِيمِهَا وَيَتَنَسَّمُونَ بِطِيبِ رِيحِهَا. وَقِيلَ: لِأَنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَأْوِيَانِ إِلَيْهَا. وَاللهُ أَعْلَمُ" .

وقد جاء في صحيح البخاري (١/ ٧٨ برقم ٣٤٩) ، وصحيح مسلم (١/ ١٥٧ برقم ١٧٣) من حديث أنس وعَبْدِ اللهِ بن مسعود أنَّ الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ سدرة المنتهىٰ ، ورأىٰ عندها جنَّة المأوىٰ ، في قصَّة الإسراء ... فقد جاء في رواية البخاري : " ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، حَتَّىٰ انْتَهَىٰ بِي إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ؟ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ " .

وروىٰ البخاري (٩/ ١٢٥ برقم ٧٤٢٣) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَىٰ الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ" .

وروىٰ الحاكم في " المستدرك علىٰ الصَّحيحين " (٤/ ٦١٢ برقم ٨٦٩٨ ، وقال : وصححه الذهبي) بسنده عَنْ بِشْرِ بْنِ شَغَافٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: وَكُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ أَيَّامِ الدُّنْيَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَإِنَّ أَكْرَمَ خَلِيقَةِ اللَّهِ عَلَىٰ اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» قَالَ: قُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَأَيْنَ الْمَلَائِكَةُ؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ وَضَحِكَ وَقَالَ: " يَا ابْنَ أَخِي هَلْ تَدْرِي مَا الْمَلَائِكَةُ؟ إِنَّمَا الْمَلَائِكَةُ خَلْقٌ كَخَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ وَسَائِرِ الْخَلْقِ الَّذِي لَا يَعْصِي اللَّهَ شَيْئًا، وَإِنَّ الجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ، وَإِنَّ النَّارَ فِي الْأَرْضِ..." .

وجاء في " تفسير البغوي" (١/ ٥٠٧) : " وَسُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْجَنَّةِ: أَفِي السَّماء هي أم في الأرض؟ فقال: وأي أرض وسماء تسع الجنَّة؟ فقيل: فَأَيْنَ هِيَ؟ قَالَ: فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبع تحت العرش" ، والله أعلم .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا مَعْنَى كَوْن الجَنَّة عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ؟

الجواب : قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٩/٣٦٦) : " فَأَمَّا وَصْفُ الجَنَّة بِأَنَّ عَرْضَهَا السَّموات فَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِحَقِيقَةٍ لِأَنَّ نَفْسَ السَّموات لا تكون عرضاً للجَّنة، فالمراد كعرض السَّموات وَالْأَرْضِ ، وَهَاهُنَا سُؤَالَاتٌ.

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: مَا مَعْنَىٰ أن عرضها مثل عرض السموات وَالْأَرْضِ وَفِيهِ وُجُوهٌ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ لَوْ جعلت السموات وَالْأَرَضُونَ طَبَقًا طَبَقًا بِحَيْثُ يَكُونُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَاتِ سَطْحًا مُؤَلَّفًا مِنْ أَجْزَاءٍ لَا تَتَجَزَّأُ، ثُمَّ وُصِلَ الْبَعْضُ بِالْبَعْضِ طَبَقًا وَاحِدًا لَكَانَ ذَلِكَ مِثْلَ عَرْضِ الْجَنَّةِ، وَهَذَا غَايَةٌ فِي السَّعَةِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الجَنَّة الَّتِي يَكُونُ عَرْضُهَا مِثْلَ عرض السَّموات وَالْأَرْضِ إِنَّمَا تَكُونُ لِلرَّجُلِ الْوَاحِدِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَرْغَبُ فِيمَا يَصِيرُ مُلْكًا، فَلَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ الجَنَّة الْمَمْلُوكَةُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارُهَا هَذَا.

الثَّالِثُ: قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: وَفِيهِ وَجْهٌ آخر وهو أَنَّ الجَنَّة لو عرضت بالسَّموات وَالْأَرْضِ عَلَىٰ سَبِيلِ الْبَيْعِ لَكَانَتَا ثَمَنًا لِلْجَنَّةِ، تَقُولُ إِذَا بِعْتَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ الْآخَرِ عَرَضْتُهُ عَلَيْهِ وَعَارَضْتُهُ بِهِ، فَصَارَ الْعَرْضُ يُوضَعُ مَوْضِعَ الْمُسَاوَاةِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ فِي الْقَدْرِ، وَكَذَا أَيْضًا مَعْنَىٰ الْقِيمَةِ لِأَنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ مُقَاوَمَةِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ حَتَّىٰ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِثْلًا لِلْآخَرِ.

الرَّابِعُ: الْمَقْصُودُ الْمُبَالَغَةُ فِي وَصْفِ سَعَةِ الجَنَّة وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ عِنْدَنَا أَعْرَضُ مِنْهُمَا وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ: **﴿خالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾** [هُودٍ: ١٠٧] ، فَإِنَّ أَطْوَلَ الْأَشْيَاءِ بَقَاءً عندنا هو السموات وَالْأَرْضُ، فَخُوطِبْنَا عَلَىٰ وَفْقِ مَا عَرَفْنَاهُ، فَكَذَا هَاهُنَا.

السُّؤَالُ الثَّانِي: لِمَ خُصَّ الْعَرْضُ بِالذِّكْرِ ؟

وَالْجَوَابُ فِيهِ وَجْهَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْعَرْضُ ذَلِكَ فَالظَّاهِرُ أَنَّ الطُّولَ يَكُونُ أَعْظَمَ وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ: **﴿بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾** [الرَّحْمَنِ: ٥٤] ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْبَطَائِنَ لِأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهَا تَكُونُ أَقَلَّ حَالًا مِنَ الظِّهَارَةِ، فَإِذَا كَانَتِ الْبِطَانَةُ هَكَذَا فَكَيْفَ الظِّهَارَةُ؟ فَكَذَا هَاهُنَا إِذَا كَانَ الْعَرْضُ هَكَذَا فَكَيْفَ الطُّولُ .

وَالثَّانِي: قَالَ الْقَفَّالُ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْعَرْضِ هَاهُنَا مَا هُوَ خِلَافُ الطُّولِ، بَلْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ السَّعَةِ كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: بِلَادٌ عَرِيضَةٌ، وَيُقَالُ هَذِهِ دَعْوَى عَرِيضَةٌ، أَيْ وَاسِعَةٌ عَظِيمَةٌ، وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ مَا اتَّسَعَ عَرْضُهُ لَمْ يَضِقْ، وَمَا ضَاقَ عَرْضُهُ دَقَّ، فَجُعِلَ الْعَرْضُ كِنَايَةً عَنِ السَّعَةِ.

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ: الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ فَكَيْفَ يَكُونُ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ؟

وَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِنَا إِنَّهَا فوق السموات وَتَحْتَ الْعَرْشِ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي صِفَةِ الْفِرْدَوْسِ "سَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ" .

وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ هِرَقَلَ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنَّكَ تدعو الى جنّة عرضها السّموات وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ فَأَيْنَ النَّارُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُبْحَانَ اللَّهِ فَأَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ.

وَالْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ : أَنَّهُ إِذَا دَارَ الْفَلَكُ حَصَلَ النَّهَارُ فِي جَانِبٍ مِنَ الْعَالَمِ وَاللَّيْلُ فِي ضِدِّ ذَلِكَ الْجَانِبِ، فَكَذَا الْجَنَّةُ فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ وَالنَّارُ فِي جِهَةِ السُّفْلِ، وَسُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ الْجَنَّةِ أَفِي الْأَرْضِ أَمْ فِي السَّمَاءِ؟ فَقَالَ: وَأَيُّ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ تَسَعُ الْجَنَّةَ، قِيلَ فأين هي؟ قال: فوق السموات السَّبْعِ تَحْتَ الْعَرْشِ.

ا أَنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ الْجَنَّةَ وَالنَّارُ غَيْرُ مَخْلُوقَتَيْنِ الْآنَ، بَلِ اللَّهُ تَعَالَى يَخْلُقُهُمَا بَعْدَ قِيَامِ الْقِيَامَةِ، فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لَا يَبْعُدُ أَنْ تَكُونَ الْجَنَّةُ مخلوقة في مكان السّموات وَالنَّارُ فِي مَكَانِ الْأَرْضِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ الجَنَّة الَّتِي أُهْبِطَ مِنْهَا آدَمُ هِيَ جَنَّةُ الخُلْدِ أَوْ جَنَّةٌ أُخْرَى ؟

الجواب : قال الإمام الرازي في " التّفسير" (٣/ ٥٤٢) " : اخْتَلَفُوا فِي الْجَنَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، هَلْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ؟ وَبِتَقْدِيرِ أَنَّهَا كَانَتْ فِي السَّمَاءِ فَهَلْ هِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي هِيَ دَارُ الثَّوَابِ أَوْ جَنَّةُ الْخُلْدِ أَوْ جَنَّةٌ أُخْرَى؟ فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَلْخِيُّ وَأَبُو مُسْلِمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ: هَذِهِ الْجَنَّةُ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ، وَحَمَلَا الْإِهْبَاطَ عَلَى الِانْتِقَالِ مِنْ بُقْعَةٍ إِلَى بُقْعَةٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿اهْبِطُوا مِصْراً﴾** [الْبَقَرَةِ: ٦١] ، وَاحْتَجَّا عَلَيْهِ بِوُجُوهٍ :

أَحَدُهَا: أَنَّ هَذِهِ الْجَنَّةَ لَوْ كَانَتْ هِيَ دَارَ الثَّوَابِ لَكَانَتْ جَنَّةَ الْخُلْدِ وَلَوْ كَانَ آدَمُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ لَمَا لَحِقَهُ الْغُرُورُ مِنْ إِبْلِيسَ بِقَوْلِهِ: **﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلى﴾** [طه: ١٢٠] ، وَلَمَا صَحَّ قَوْلُهُ: **﴿مَا نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ﴾** [الْأَعْرَافِ: ٢٠] .

وَثَانِيهَا: أَنَّ مَنْ دَخَلَ هَذِهِ الجَنَّة لَا يَخْرُجُ مِنْهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ﴾** [الحِجر: ٤٨] .

وَثَالِثُهَا: أَنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا امْتَنَعَ عَنِ السُّجُودِ لُعِنَ فَمَا كَانَ يَقْدِرُ مَعَ غَضَبِ اللهَّ عَلَىٰ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ جَنَّةِ الْخُلْدِ .

وَرَابِعُهَا: أَنَّ الجَنَّة الَّتِي هِيَ دَارُ الثَّوَابِ لَا يَفْنَىٰ نَعِيمُهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها﴾** [الرَّعْد: ٣٥] ، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّة خالِدِينَ فِيها إِلَى أَنْ قَالَ: عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾** [هُود: ١٠٨] ، أَيْ غَيْرَ مَقْطُوعٍ، فَهَذِهِ الجَنَّة لَوْ كَانَتْ هِيَ الَّتِي دَخَلَهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَا فَنِيَتْ، لَكِنَّهَا تَفْنَىٰ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** [الْقَصَص: ٨٨] ، وَلَمَا خَرَجَ مِنْهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَكِنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا وَانْقَطَعَتْ تِلْكَ الرَّاحَاتُ .

وَخَامِسُهَا: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي حِكْمَتِهِ تَعَالَىٰ أَنْ يَبْتَدِئَ الْخَلْقَ فِي جَنَّةٍ يُخَلِّدُهُمْ فِيهَا وَلَا تَكْلِيفَ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا يُعْطِي جَزَاءَ الْعَامِلِينَ مَنْ لَيْسَ بِعَامِلٍ وَلِأَنَّهُ لَا يُهْمِلُ عِبَادَهُ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ تَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ.

وَسَادِسُهَا: لَا نِزَاعَ فِي أَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يَذْكُرْ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّهُ نَقَلَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَلَوْ كَانَ تَعَالَىٰ قَدْ نَقَلَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ لَكَانَ ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ نَقْلَهُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَىٰ السَّمَاءِ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ، وَذَلِكَ يُوجِبُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الجَنَّة الَّتِي قَالَ اللهُّ تَعَالَىٰ لَهُ: اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّة جَنَّةٌ أُخْرَىٰ غَيْرُ جَنَّةِ الْخُلْدِ .

الْقَوْلُ الثَّانِي: وَهُوَ قَوْلُ الْجُبَّائِيِّ: أَنَّ تِلْكَ الجَنَّة كَانَتْ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿ اهْبِطُوا مِنْها﴾** [الْبَقَرَة: ٣٨] ، ثُمَّ إِنَّ الْإِهْبَاطَ الْأَوَّلَ كَانَ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الْأُولَىٰ، وَالْإِهْبَاطَ الثَّانِيَ كَانَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ .

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ أَصْحَابِنَا: أَنَّ هَذِهِ الجَنَّة هِيَ دَارُ الثَّوَابِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي لَفْظِ الجَنَّة لَا يُفِيدَانِ الْعُمُومَ لِأَنَّ سُكْنَىٰ جَمِيعِ الْجِنَانِ مُحَالٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ صَرْفِهَا إِلَىٰ الْمَعْهُودِ السَّابِقِ وَالْجَنَّةُ الَّتِي هِيَ الْمَعْهُودَةُ الْمَعْلُومَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ هِيَ دَارُ الثَّوَابِ، فَوَجَبَ صَرْفُ اللَّفْظِ إِلَيْهَا.

وَالْقَوْلُ الرَّابِعُ: أَنَّ الْكُلَّ مُمْكِنٌ وَالْأَدِلَّةُ النَّقْلِيَّةُ ضَعِيفَةٌ وَمُتَعَارِضَةٌ فَوَجَبَ التَّوَقُّفُ وَتَرْكُ الْقَطْعِ ، وَاللهُّ أَعْلَمُ"

والحقّ أنَّ المسألة خلافيَّة بين العلماء ، والخلاف بينهم فيها قديم ... وليس هناك كبير فائدة في معرفتها ، إذ الواجب على العبد المكلَّف أن يجتهد وأن يبذل جهده ويسخِّر جلّ وقته لتحصيلها والفوز بها ...

﴿سُؤالٌ﴾ : كَيْفَ وَسْوَسَ الشَّيْطَانُ لآدَم مَعَ أَنَّ آدَم كَانَ فِي الجَنَّة وَإِبْلِيسُ أُخْرِجَ مِنْهَا ؟

الجواب : قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٤/ ٢١٧) : " قَالَ الْحَسَنُ: كَانَ يُوَسْوِسُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ وَإِلَى الجَنَّة بِالْقُوَّةِ الْفَوْقِيَّةِ الَّتِي جعلَهَا اللهُ تَعَالَى لَهُ وَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ: بَلْ كَانَ آدَمُ وَإِبْلِيسُ فِي الجَنَّة لِأَنَّ هذه الجَنَّة فَتِلْكَ الْقِصَّةُ الرَّكِيكَةُ مَشْهُورَةٌ وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ رُبَّمَا قَرُبَا مِنْ بَابِ الْجَنَّةِ، وَكَانَ إِبْلِيسُ وَاقِفًا مِنْ خَارِجِ الجَنَّة على بابها فيقرب فَيَقْرُبُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ وَتَحْصُلُ الْوَسْوَسَةُ هُنَاكَ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣/ ٤٦٢) : " اخْتَلَفُوا فِي أَنَّهُ كَيْفَ تَمَكَّنَ إِبْلِيسُ مِنْ وَسْوَسَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ خَارِجَ الجَنَّة وَآدَمَ كَانَ فِي الْجَنَّةِ، وَذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهًا.

أَحَدُهَا: قَوْلُ الْقُصَّاصِ وَهُوَ الَّذِي رَوَوْهُ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ الْيَمَانِيِّ وَالسُّدِّيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَغَيْرِهِ: أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ إِبْلِيسُ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّة مَنَعَتْهُ الْخَزَنَةُ فَأَتَى الْحَيَّةَ وَهِيَ دَابَّةٌ لَهَا أَرْبَعُ قَوَائِمَ كَأَنَّهَا الْبُخْتِيَّةُ، وَهِيَ كَأَحْسَنِ الدَّوَابِّ بعد ما عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ فَمَا قَبِلَهُ وَاحِدٌ مِنْهَا فَابْتَلَعَتْهُ الْحَيَّةُ وَأَدْخَلَتْهُ الجَنَّة خُفْيَةً مِنَ الْخَزَنَةِ، فَلَمَّا دَخَلَتِ الْحَيَّةُ الجَنَّة خَرَجَ إِبْلِيسُ مِنْ فَمِهَا وَاشْتَغَلَ بِالْوَسْوَسَةِ. فَلَا جَرَمَ لُعِنَتِ الْحَيَّةُ وَسَقَطَتْ قَوَائِمُهَا وَصَارَتْ تَمْشِي عَلَى بَطْنِهَا، وَجُعِلَ رِزْقُهَا فِي التُّرَابِ، وَصَارَتْ عَدُوًّا لِبَنِي آدَمَ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا وَأَمْثَالَهُ مِمَّا يَجِبُ أَنْ لَا يُلْتَفَتَ إِلَيْهِ لِأَنَّ إِبْلِيسَ لَوْ قَدَرَ عَلَى الدُّخُولِ فِي فَمِ الْحَيَّةِ فَلِمَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ حَيَّةً ثُمَّ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَنَّهُ لَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِالْحَيَّةِ فَلِمَ عُوقِبَتِ الْحَيَّةُ مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِعَاقِلَةٍ وَلَا مُكَلَّفَةٍ. **وَثَانِيهَا:** أَنَّ إِبْلِيسَ دَخَلَ الجَنَّة فِي صُورَةِ دَابَّةٍ، وَهَذَا الْقَوْلُ أَقَلُّ فَسَادًا مِنَ الْأَوَّلِ.

وَثَالِثُهَا: قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْأُصُولِ: إِنَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَعَلَّهُمَا كَانَا يَخْرُجَانِ إِلَى بَابِ الجَنَّة وَإِبْلِيس كان بقرب الباب ويوسوس إليهما، ورابعها: وهو قَوْلُ الْحَسَنِ: أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ فِي الْأَرْضِ وَأَوْصَلَ الْوَسْوَسَةَ إِلَيْهِمَا فِي الْجَنَّةِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا بَعِيدٌ لِأَنَّ الْوَسْوَسَةَ كَلَامٌ خَفِيٌّ وَالْكَلَامُ الْخَفِيُّ لَا يُمْكِنُ إِيصَالُهُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، وَاخْتَلَفُوا مِنْ وَجْهٍ آخَرَ وَهُوَ أَنَّ إِبْلِيسَ هَلْ بَاشَرَ خِطَابَهُمَا أَوْ يُقَالُ إِنَّهُ أَوْصَلَ الْوَسْوَسَةَ إِلَيْهِمَا عَلَى لِسَانِ بَعْضِ أَتْبَاعِهِ.

حُجَّةُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَقاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾ [الْأَعْرَافِ: ٢١] ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي الْمُشَافَهَةَ، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿**فَدَلَّاهُما بِغُرُورٍ**﴾ [الْأَعْرَافِ: ٢٢] .

وَحُجَّةُ الْقَوْلِ الثَّانِي: أَنَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَانَا يَعْرِفَانِهِ وَيَعْرِفَانِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْحَسَدِ وَالْعَدَاوَةِ، فَيَسْتَحِيلُ فِي الْعَادَةِ أَنْ يَقْبَلَا قَوْلَهُ وَأَنْ يَلْتَفِتَا إِلَيْهِ، فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ الْمُبَاشِرُ للوسوسة من بعض أتباع إبليس. بقي هاهنا سُؤَالَانِ :

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: أَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ قَدْ أَضَافَ هَذَا الْإِزْلَالَ إِلَىٰ إِبْلِيسَ فَلِمَ عَاتَبَهُمَا عَلَىٰ ذَلِكَ الْفِعْلِ؟ قُلْنَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: فَأَزَلَّهُمَا أَنَّهُمَا عِنْدَ وَسْوَسَتِهِ أَتَيَا بِذَلِكَ الْفِعْلِ فَأُضِيفَ ذَلِكَ إِلَىٰ إِبْلِيسَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِراراً﴾** [نُوحٍ: ٦] . فَقَالَ تَعَالَىٰ حَاكِيًا عَنْ إِبْلِيسَ: **﴿وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾** [إِبْرَاهِيمَ: ٢٢] ، هَذَا مَا قَالَهُ الْمُعْتَزِلَةُ. وَالتَّحْقِيقُ فِي هَذِهِ الْإِضَافَةِ مَا قَرَّرْنَاهُ مِرَارًا أَنَّ الْإِنْسَانَ قَادِرٌ عَلَىٰ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ وَمَعَ التَّسَاوِي يَسْتَحِيلُ أَنْ يَصِيرَ مَصْدَرًا لِأَحَدِ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ إِلَّا عِنْدَ انْضِمَامِ الدَّاعِي إِلَيْهِ، وَالدَّاعِي عِبَارَةٌ فِي حَقِّ الْعَبْدِ عَنْ عِلْمٍ أَوْ ظَنٍّ أو اعْتِقَادٍ بِكَوْنِ الْفِعْلِ مُشْتَمِلًا عَلَىٰ مَصْلَحَةٍ، فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ الْعِلْمُ أَوِ الظَّنُّ بِسَبَبٍ مُنَبِّهٍ نَبَّهَ عَلَيْهِ كَانَ الْفِعْلُ مُضَافًا إِلَىٰ ذَلِكَ لِمَا لِأَجْلِهِ صَارَ الْفَاعِلُ بِالْقُوَّةِ فَاعِلًا بِالْفِعْلِ، فلهذا المعنىٰ انضاف الفعل هاهنا إِلَىٰ الْوَسْوَسَةِ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ إِنَّ زَلَّةَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَبْ أَنَّهَا كَانَتْ بِسَبَبِ وَسْوَسَةِ إِبْلِيسَ، فَمَعْصِيَةُ إِبْلِيسَ حصلت بوسوسة من! وَهَذَا يُنَبِّهُكَ عَلَىٰ أَنَّهُ مَا لَمْ يَحْصُلِ الدَّاعِي لَا يَحْصُلُ الْفِعْلُ وَأَنَّ الدَّوَاعِيَ وَإِنْ تَرَتَّبَ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ، فَلَا بُدَّ مِنِ انْتِهَائِهَا إِلَىٰ مَا يَخْلُقُهُ اللهَّ تَعَالَىٰ ابْتِدَاءً، وَهُوَ الَّذِي صَرَّحَ بِهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: **﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشاءُ﴾** [الْأَعْرَافِ: ١٥٥] .

السُّؤَالُ الثَّانِي: كَيْفَ كَانَتْ تِلْكَ الْوَسْوَسَةُ، الْجَوَابُ: أَنَّهَا هِيَ الَّتِي حَكَىٰ اللهَّ تَعَالَىٰ عَنْهَا فِي قَوْلِهِ: **﴿مَا نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ﴾** [الْأَعْرَافِ: ٢٠] ، فَلَمْ يَقْبَلَا ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا أَيِسَ مِنْ ذَلِكَ عَدَلَ إِلَىٰ الْيَمِينِ عَلَىٰ مَا قَالَ: **﴿وَقاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾** [الْأَعْرَافِ: ٢١] ، فَلَمْ يُصَدِّقَاهُ أَيْضًا، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَدَلَ إِلَىٰ شَيْءٍ آخَرَ وَهُوَ أَنَّهُ شَغَلَهُمَا بِاسْتِيفَاءِ اللَّذَّاتِ الْمُبَاحَةِ حَتَّىٰ صَارَا مُسْتَغْرِقَيْنِ فِيهِ فَحَصَلَ بِسَبَبِ اسْتِغْرَاقِهِمَا فِيهِ نِسْيَانُ النَّهْيِ فَعِنْدَ ذَلِكَ حَصَلَ مَا حَصَلَ، وَاللهَّ أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ كَيْفَ كَانَتْ" .

قلت : والجواب علىٰ السُؤال يكون في أروع صوره إذا قلنا بأنَّ الجَنَّة التي سكنها آدم هي جنَّة غير جنَّة الخُلد ... وإنَّما هي جنَّة سيُمارس فيها تجربة تطبيق المنهج المتضمِّن للتَّكليف والعبوديَّة التي خُلِقَ لأجلها الجنّ والإنس ... وقد جلَّىٰ هذا الجواب وتلكم المسألة الإمام الشَّعراوي في تفسيره ...

قال الإمام محمَّد متولِّي الشَّعراوي في " تفسير الشَّعراوي – الخواطر" (١/٢٥٨-٢٦١) : " الفترة التي عاش فيها آدم في الجَنَّة كانت تطبيقاً عمليَّاً لمنهج العبوديَّة، حتَّىٰ إذا ما خرج إلىٰ مهمَّته لم يخرج بمبدأ نظري، بل خرج بمنهج عملي تعرَّض فيه لـ ا فعل ولا تفعل ، والحلال والحرام، وإغواء الشَّيطان والمعصية. ثمَّ بعد

ذلك يتعلَّم كيف يتوبُ ويستغفرُ ويعودُ إلى الله. وليعرف بنو آدم أنَّ الله لا يُغلق بابه في وجه العاصي، وإنَّما يفتح له باب التَّوبة. والله سبحانه وتعالى أسكن آدم الجنَّة. وبعض الناس يقول: أنَّها جنَّة الخُلد التي سيدخل فيها المؤمنون في الآخرة. وبعضهم قال: لولا أنَّ آدم عصى لكنَّا نعيش في الجنَّة. نقول لهم : لا ... جنَّة الآخرة هي للآخرة ولا يعيش فيها إنسان فترة من الوقت ثمَّ بعد ذلك يُطرد منها بل هي كما أخبرنا الله تعالى جنَّة الخلد ... كلُّ من دخلها عاش في نعيمٍ أبديّ .

إذن فما هي الجَنَّة التي عاش فيها آدم وحواء؟ هذه الجَنَّة هي جنَّة التجربة أو المكان الذي تمت فيه تجربة تطبيق المنهج. ونحن إذا قرأنا القرآن الكريم نجد أنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى قد أطلق لفظ الجَنَّة على جنَّات الأرض. والجنَّة تأتي من لفظ "جن» وهو السِّتر، ذلك أنَّ فيها أشجاراً كثيفة تستر من يعيش فيها فلا يراه أحد. وفيها ثمرات تعطيه استمرار الحياة فلا يحتاج إلى أن يخرج منها. ونجد في القرآن الكريم قوله تعالى: **﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَابَ الجَنَّة إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلاَ يَسْتَثْنُونَ﴾** [القلم: ١٧ – ١٨] .

وهذه قصَّة الأخوة الذين كانوا يملكون جنَّة من جنان الأرض فمنعوا حقَّ الفقير والمسكين واليتيم، فذهب الله بثمر الجَنَّة كلّها وأحرق أشجارها. وهناك في سورة الكهف قصَّة صاحب الجنَّتين: في قوله تعالى: **﴿واضرب لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً﴾** [الكهف: ٣٢] .

وهي قصَّة ذلك الرَّجل الذي أعطاه الله جنَّتين ... فبدلاً من أن يشكر الله تعالى على نعمه ... كفر وأنكر البعث والحساب. وفي سورة "سبأ" اقرأ قوله تعالى عن أهل سبأ الذين هداهم الله وبين لهم الطريق المستقيم ولكنهم فضلوا الكفر.

واقرأ قوله تبارك وتعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ واشكروا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العرم وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذلك جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نجازي إِلاَّ الكفور﴾** [سبأ: ١٥ – ١٧] .

وهكذا نرى أنَّ الحَّق سبحانه وتعالى في القرآن الكريم قد أطلق لفظ الجَنَّة على جنَّات الدُّنيا، ولم يقصره على جنَّة الآخرة.

إذن فآدم حين قال له الله سبحانه وتعالى: **﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الجنة﴾** [الأعراف: ١٩] .

فهي ليست جنَّة الخلد وإنَّما هي جنة سيمارس فيها تجربة تطبيق المنهج. ولذلك لا يقال: كيف دخل إبليس الجَنَّة بعد أن عصىٰ وكفر، لأنَّ هذه ليست جنَّة الخلد ولا بدَّ أن تنتبه إلىٰ ذلك جيِّداً حتَّىٰ لا يقال : أنَّ معصية آدم هي التي أخرجت البشر من الجنَّة. لأنَّ الله تعالىٰ قبل أن يخلق آدم حدَّد مهمَّته فقال: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرض خَلِيفَةً﴾** [البقرة: ٣٠] .

فآدم مخلوق للخلافة في الأرض ومن صلح من ذريَّته يدخل جنَّة الخلد في الآخرة، ومن دخل جنَّة الخلد عاش في النَّعيم خالداً.

والحقُّ سبحانه وتعالىٰ يقول: **﴿وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾** فالله سبحانه وتعالىٰ أمد الجَنَّة التي سكنها آدم وحواء بكلِّ ما يضمن استمرار حياتهما، تماماً كما خلق كلَّ النِّعم التي تضمن استمرار حياة آدم وذريَّته في الأرض قبل أن تبدأ الحياة البشريَّة علىٰ الأرض. فالله سبحانه وتعالىٰ له عطاء ربوبيَّة فهو الذي خلق. وهو الذي أوجد من عدم، ولذلك فقد ضمن لخلقه ما يعطيهم استمرار الحياة علىٰ الأرض من ماء وهواء وطعام ونِعَم لا تعدُّ ا ولا تحصىٰ فكأنَّ لله تعالىٰ قد أمدَّ الجَنَّة التي سكن فيها آدم وزوجته بكلِّ عوامل استمرار حياتهما قبل أن يسكناها. كما أمد الأرض بكلِّ وسائل استمرار حياة الإنسان قبل أن ينزل آدم إليها. إذن فقوله تعالىٰ: **﴿يَآءَادَمُ اسكن أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّة﴾** .

هذه فترة التَّدريب علىٰ تطبيق المنهج. والسَّكن هو المكان الذي يرتاح فيه الإنسان ويرجع إليه دائماً. فأنت قد تسافر فترات، وكلُّ الدول التي تمرُّ بها خلال سفرك لا تعتبر سكناً إلىٰ أن تعود إلىٰ بيتك، فهذا هو السَّكن والرَّجل يكدُّ ويتعب في الحياة ، وأينما ذهب فإنَّه يعود مرَّة أخرىٰ إلىٰ المكان الذي يسكنه ليستريح فيه" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تُبَشِّرُ المَلاَئِكَةُ المُؤمِنِيْنَ عِنْدَ دُخُوْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : قال تعالىٰ : **﴿بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾** [الحديد:١٢] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ٢٤٤) : " التَّقْدِيرُ يُقَالُ لَهُمْ: بُشْراكُمُ الْيَوْمَ دُخُولُ جَنَّاتٍ " .

وقال تعالىٰ : **﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾** [الأنبياء:١٠٣] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٣٤٦/١١) : " أَيْ : تَسْتَقْبِلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ أَبْوَابِ الجَنَّة يُهَنِّئُونَهُمْ وَيَقُولُونَ لَهُمْ: **﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾** ، وَقِيلَ: تَسْتَقْبِلُهُمْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ

مِنَ الْقُبُـــورِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ﴿ هَذَا يَوْمُكُمُ﴾ ، أَيْ : وَيَقُولُونَ لَهُمْ، فَحُذِفَ﴿**الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ فيه الكرامة " .

وقال تعالى : ﴿**وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ**﴾ [الزمر:٧٣] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٥/ ٢٨٦) : " قِيلَ: الْوَاوُ مُلْغَاةٌ تَقْدِيرُهُ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴿**قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ**﴾ ، أَيْ : فِي الدُّنْيَا. قَالَ مُجَاهِدٌ: بِطَاعَةِ اللَّهِ. وَقِيلَ: بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ. حَكَاهُ النَّقَّاشُ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: إِذَا قَطَعُوا جِسْرَ جَهَنَّمَ حُبِسُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بعض مظالم كانت بينهم في الدُّنيا، حتى إِذَا هُذِّبُوا وَطُيِّبُوا قَالَ لَهُمْ رِضْوَانُ وَأَصْحَابُهُ: ﴿**سَلامٌ عَلَيْكُمْ**﴾ بِمَعْنَى التَّحِيَّةِ ﴿**طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ**﴾ .

﴿سُؤالٌ﴾ : تكَلَّمْ لنَا عَنْ أَبْوَابِ الجَنَّة ؟

الجواب : قال الله تعالى : ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّة زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ**﴾ [الزمر:٧٣] .

وقال تعالى : ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ**﴾ [ص:٥٠] .

قال الإمام الرَّازيُّ في " التَّفسير" (٢٦/ ٤٠٢) : " وَفِي قَوْلِهِ: ﴿**مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ**﴾ وُجُوهٌ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُوَكَّلِينَ بِالْجِنَانِ إِذَا رَأَوْا صَاحِبَ الجَنَّة فَتَحُوا لَهُ أَبْوَابَهَا وَحَيَّوْهُ بِالسَّلَامِ، فَيَدْخُلُ كَذَلِكَ مَحْفُوفًا بِالْمَلَائِكَةِ عَلَى أَعَزِّ حَالٍ وَأَجْمَلِ هَيْئَةٍ، قَالَ تعالى: ﴿**حَتَّى إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ**﴾ [الزُّمَر: ٧٣] .

الثَّانِي: أَنَّ تِلْكَ الْأَبْوَابَ كُلَّمَا أَرَادُوا انْفِتَاحَهَا انْفَتَحَتْ لَهُمْ، وَكُلَّمَا أَرَادُوا انْغِلَاقَهَا انْغَلَقَتْ لَهُمْ .

الثَّالِثُ: الْمُرَادُ مِنْ هَذَا الْفَتْحِ، وَصْفُ تِلْكَ الْمَسَـــاكِنِ بِالسَّعَةِ، وَمُسَافَرَةُ الْعُيُونِ فِيهَا، وَمُشَاهَدَةُ الْأَحْوَالِ اللَّذِيذَةِ الطَّيِّبَةِ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١/ ٢٣٥) : " وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، فَفِي هَذَا الْمَقَامِ انْفَتَحَ لَكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ بَابُ الْمَعْرِفَةِ، وَالْبَابُ الثَّانِي: هُوَ بَابُ الذِّكْرِ وَهُوَ قَوْلُكَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْبَابُ الثَّالِثُ: بَابُ الشُّكْرِ، وَهُوَ قَوْلُكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْبَابُ الرابع: باب الرَّجَاءُ، وَهُوَ قَوْلُكَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْبَابُ الْخَامِسُ: بَابُ الْخَوْفِ، وَهُوَ قَوْلُكَ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، وَالْبَابُ السَّادِسُ: بَابُ الْإِخْلَاصِ الْمُتَوَلِّدِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعُبُودِيَّةِ وَمَعْرِفَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ قَوْلُكَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وَالْبَابُ

السَّابعُ: بَابُ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ كَمَا قَالَ: **﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ﴾** [النَّمْلِ: ٦٢] ، وَقَالَ: **﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾** [غَافِرٍ: ٦٠] ، وَهُوَ هاهنا قَوْلُكَ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَالْبَابُ الثَّامِنُ: بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِالْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ الطَّاهِرَةِ وَالِاهْتِدَاءِ بِأَنْوَارِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُكَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، وَبِهَذَا الطَّرِيقِ إِذَا قَرَأْتَ هَذِهِ السُّورَةَ. وَوَقَفْتَ عَلَى أَسْرَارِهَا انْفَتَحَتْ لَكَ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ﴾** [ص: ٥٠] ، فَجَنَّاتُ الْمَعَارِفِ الرَّبَّانِيَّةِ انْفَتَحَتْ أَبْوَابُهَا بِهَذِهِ الْمَقَالِيدِ الرُّوحَانِيَّةِ، فَهَذَا هُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى مَا حَصَلَ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْمِعْرَاجِ الرُّوحَانِيِّ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٥/ ٢١٩) : " وَإِنَّمَا قَالَ: **﴿مُفَتَّحَةً﴾** وَلَمْ يَقُلْ مَفْتُوحَةً، لِأَنَّهَا تُفْتَحُ لَهُمْ بِالْأَمْرِ لا بالمس. قال الحسن: تكلم: انفتحي فتنفح انْغَلِقِي فَتَنْغَلِقُ. وَقِيلَ: تَفْتَحُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْأَبْوَابَ " .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " (ص٥٣-٥٤) : " وتأمَّل قوله سبحانه: **﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾** [ص:٥٠] ، كيف تجد تحته معنى بديعاً ، وهو أنَّهم إذا دخلوا الجَنَّة لم تغلق أبوابها عليهم ، بل تبقى مفتَّحة كما هي ... وأيضاً فإنَّ في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرُّفهم وذهابهم وإيَّابهم وتبوُّئهم في الجَنَّة حيث شاؤا ، ودخول الملائكة عليهم كلَّ وقت بالتُّحف والألطاف من ربِّهم ، ودخول ما يسرُّهم عليهم كلَّ وقت ، وأيضا إشارة إلى أنَّها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب ، كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدُّنيا" .

وروى البخاري (٦/ ٨٤ برقم ٤٧١٢) ، مسلم (١/ ١٨٤ برقم ١٩٤) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، ثُمَّ قَالَ: " أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ ... ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى " .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج "(١١٨/٧) : " وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ بَقِيَّةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ فِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي بَابِ التَّوْبَةِ وَبَابِ الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَبَابِ الرَّاضِينَ ،

فَهَذِهِ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ جَاءَتْ فِي الْأَحَادِيثِ ، وَجَاءَ فِي حَدِيثِ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّة بِغَيْرِ حِسَابٍ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ ، فلعلَّه الباب الثَّامن " .

وقال الحافظ ابن حجر في" فتح الباري" (٧/ ٢٨) : " وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّة ، وَتَقَدَّمَ فِي أَوَائِلِ الْجِهَادِ وَإِنَّ أَبْوَابَ الجَنَّة ثَمَانِيَةٌ ، وَبَقِيَ مِنَ الْأَرْكَانِ الْحَجُّ ، فَلَهُ بَابٌ بِلَا شَكٍّ ، وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ الْأُخْرَىٰ فَمِنْهَا بَابُ الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ رَوْحِ بْنِ عُبَادَةَ عَنْ أَشْعَثَ عَنِ الْحَسَنِ مُرْسَلًا : " إِنَّ للهِ بَابًا فِي الجَنَّة لا يدخله إِلَّا مَنْ عَفَا عَنْ مَظْلِمَةٍ ، وَمِنْهَا الْبَابُ الْأَيْمَنُ ، وَهُوَ بَابُ الْمُتَوَكِّلِينَ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ وَلَا عَذَابَ ، وَأَمَّا الثَّالِثُ ، فَلَعَلَّهُ بَابُ الذِّكْرِ ، فَإِنَّ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ مَا يُومِئُ إِلَيْهِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَابَ الْعِلْمِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " .

وروىٰ أحمد في المسند (٢٤/ ٢٢٨ برقم ١٥٤٨٠) بسنده عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، أَنَّ أَبَاهُ دَفَعَهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْدُمُهُ، فَأَتَىٰ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، قَالَ: فَضَرَبَنِي بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: " أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؟ " قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: " لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله " . قال الأرنؤوط : " حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف، ميمون بن أبي شبيب، لم يذكروا له سماعاً من قيس ابن سعد، وهو كثير الإرسال، وقال عمرو بن علي: ليس يقول في شيء من حديثه سمعت، ولم أُخبر أن أحداً يزعم أنه سمع من الصحابة، وقد ضعفه ابن معين، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال ابن حجر: صدوق، كثير الإرسال، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. وهب بن جرير: هو ابن حازم الأزْدي. وأخرجه الترمذي (٣٥٨١) ، والنسائي في "الكبرىٰ" (١٠١٨٧) - وهو في "عمل اليوم والليلة" (٣٥٥) - وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٢٠٢٢) ، والبزار (٣٠٨٥) (زوائد) ، والطبراني في "الكبير" ١٨/ (٨٩٤) ، وفي "الدعاء" (١٦٦٠) والحاكم ٤/ ٢٩٠، والبيهقي في "الشعب" (٦٦٠) ، والخطيب في "تاريخه" ١٢/ ٤٢٧-٤٢٨ من طريق وهب، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. قلنا: علته الإرسال، وميمون بن أبي شبيب أخرج له البخاري في "الأدب المفرد"، ومسلم في المقدمة، وأصحاب السنن. وعند البزار: "ألا أدلك علىٰ كنز من كنوز الجنة". وأخرجه بنحوه الخطيب في "تاريخه" ١٢/ ٤٢٨ من طريق موسىٰ بن إسماعيل، عن جرير، به. وأخرجه الطبراني في "الكبير" ١٨/ (٨٩٣) ، وفي "الدعاء" (٨٩٣) ، والخطيب في "تاريخه" ٦/ ٧٧-٧٨ من طريق منصور بن المعتمر، عن ميمون، به. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١٠/ ٩٨، وقال: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، غير ميمون بن أبي شبيب، وهو ثقة. وله شاهد من حديث معاذ بن جبل، سيرد في المسند ٥/ ٢٢٨ عن عبد الرحمن بن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن أبي رزين، عن معاذ أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ألا أدلك علىٰ باب من أبواب الجنة؟ " قال: وما هو. قال: "لا حول ولا قوة إلا بالله". وإسناده ضعيف، أبو رزين وهو مسعود بن مالك الأسدي- لم يدرك معاذ بن جبل. وقد سلف من حديث أبي هريرة برقم (٨٤٠٦) بلفظ: "لا حول ولا قوة إلا بالله، كنز من كنوز الجنة" ومثله عن أبي ذر، سيرد ٥/ ١٤٥ وعن أبي موسىٰ الأشعري سيرد ٤/ ٤٠٢. قال السندي: قوله: علىٰ باب: أي من ذكر ينال به المرء باباً" .

وروى أحمد في المسند (٤٥/ ٥٠٤ برقم ٢٧٥١١) بسنده عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: كَانَ فِينَا رَجُلٌ لَمْ تَزَلْ بِهِ أُمُّهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ حَتَّى تَزَوَّجَ، ثُمَّ أَمَرَتْهُ أَنْ يُفَارِقَهَا، فَرَحَلَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ بِالشَّامِ، فَقَالَ: إِنَّ أُمِّي لَمْ تَزَلْ بِي حَتَّى تَزَوَّجْتُ، ثُمَّ أَمَرَتْنِي أَنْ أُفَارِقَ قَالَ: مَا أَنَا بِالَّذِي آمُرُكَ أَنْ تُفَارِقَ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي آمُرُكَ أَنْ تُمْسِكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّة " فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ، أَوْ احْفَظْهُ قَالَ: فَرَجَعَ وَقَدْ فَارَقَهَا " . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن من أجل عطاء بن السائب، وقد سمع منه سفيان الثوري قبل اختلاطه، وبقية رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين. وأخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (١٣٨٥) من طريق أبي حُذيفة موسى بن مسعود، عن سفيان الثوري، بهذا الإسناد " .

﴿سُؤالٌ﴾ : تكَلَّم لنَا عَنْ سعَةِ أَبْوَابِ الجَنَّة ؟

الجواب : روى مسلم (٤/٢٢٧٨ برقم ٢٩٦٧) بسنده عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، «فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ، يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَوَاللهِ لَتُمْلَأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّة مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا، وَعِنْدَ اللهِ صَغِيرًا، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا، فَسَتَخْبُرُونَ وَتُجَرِّبُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا» .

وروى مسلم (١/ ١٨٤ برقم ١٩٤) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: " أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ ..." ، وفيه : " ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الجَنَّة مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى

ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّة لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ " .

وجاء في رواية البخاري (٦/ ٨٤ برقم ٤٧١٢) : " إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ - " .

وروىٰ ابن حبَّان في " الصَّحيح" (١٦/ ٤٠١ برقم ٧٣٨٨) بسنده عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّة مَسِيرَةُ سَبْعِ سِنِينَ" . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح. خالد: هو ابن عبد الله الواسطي، والجريري: هو سعيد بن إياس، وأبو حكيم: هو معاوية بن حيدة القشيري. وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" ٦/ ٢٠٨ من طريق وهيب، وابن أبي داود في "البعث" "٦١" من طريق إسحاق بن شاهين، كلاهما عن خالد، بهذا الإسناد. ولفظ أبي نعيم: "مسيرة سبعين عاماً" . وأخرجه البيهقي في "البعث والنشور" "٢٣٩" وابن عدي في "الكامل" ٢/ ٥٠٠ من طريق علي بن عاصم، عن الجريري، به. وأخرجه أحمد ٥/ ٣ من طريق حماد، عن الجريري، به، بلفظ: "مسيرة أربعين عاماً" . وفي الباب عن أبي سعيد الخدري عند أحمد ٣/ ٢٩، وأبي يعلىٰ "١٢٧٥"، والبيهقي في "البعث والنشور" ٣٨ من طريق حسن بن موسىٰ، عن ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عنه، بلفظ: "مسيرة أربعين"، وابن لهيعة ضعيف، وكذا دارج في روايته عن أبي الهيثم. وعن عتبة بن غزوان وإسناده صحيح، وقد تقدم برقم "٧١٢١" بلفظ: "مسيرة أربعين " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ دَرَجِ الجَنَّة ، وَكَمْ عَدَدُهَا؟

الجواب : جاءت آياتٌ عديدة تُشير إلىٰ دج الجَنَّة ، منها : قوله تعالىٰ : **﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾** [النساء: ٩٥-٩٦] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٥/ ٣٤٤) : " و **﴿دَرَجَاتٍ﴾** يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ. قَالَ ابْنُ مُحَيْرِيزٍ: سَبْعِينَ دَرَجَةً بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ حُضْرُ الْفَرَسِ الْجَوَادِ سبعين سنة " .

وقوله تعالىٰ : **﴿هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ﴾** [آل عمران:١٦٣] ، وفي ذلك أخرج ابن المبارك في " الزُّهد والرَّقائق " (٢/ ٧١) بسنده عَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ، بَعْضُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، يَرَىٰ الَّذِي قَدْ فُضِّلَ بِهِ فَضِيلَتَهُ، وَلَا يَرَىٰ الَّذِي أَسْفَلَ مِنْهُ أَنَّهُ فُضِّلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ " .

ومن المعلوم أنَّ الجنَّات متفاضلة فيما بينها ، بدليل قوله تعالىٰ : **﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ فَأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلى﴾** [طه:٧٥] ، وقد روىٰ البخاري (٤/ ١١٩ برقم ٣٢٥٦) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّة يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا يَا

رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ" .

قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " (ص٥٤) : " والغابر هو الذَّاهب الماضي الذي قد تدلَّى للغروب ، وفي التَّمثيل به دون الكواكب المسامت للرَّأس وهو أعلى ، فائدتان : أحدهما : بُعده عن العيون ، والثَّانية : أنَّ الجَنَّة درجات بعضها أعلى من بعض ، وإن لم تسامت العليا السُّفلى ، كالبساتين الممتدَّة من رأس الجبل إلى ذيله ، والله أعلم " .

وروى البخاري (١٦/٤ برقم ٢٧٩٠) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا» ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ" .

والحديث ينصُّ على أنَّ في الجَنَّة ، أي من ضمن درج الجَنَّة مائة درجة أعدَّها الله تعالى للمجاهدين في سبيله ، وفيه دلالة صريحة على أنَّه لا حصر لعدد درج الجَنَّة ، فقوله : "«إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" لا ينفي وجود درج غير هذه المائة ، تماماً كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام فيما رواه البخاري (١٩٨/٣ برقم ٢٧٣٦) ، بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ» ، مع أنَّه صلى الله عليه وسلم نصَّ في حديث صحيح آخر على أنَّ هناك أسماء لله تعالى هي ممَّا لا يعلمها غيره ، فقد روى ابن حبَّان في صحيحه (٢٥٣/٣ برقم ٩٧٢) بسنده عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ:، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟، قَالَ: «أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ» . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح، أبو خيثمة: هو زهير بن

حرب، وأبو سلمة الجهني: هو موسىٰ بن عبد الله، ويقال: ابن عبد الرحمن، ويقال في كنيته أيضاً: أبو عبد الله، وهو ثقة بن رجال مسلم، وعده يعلىٰ بن عبيد في أربعة كانوا بالكوفة بن رؤساء الناس ونبلائهم، وقد ذكر المزي في " تهذيب الكمال " ورقة ٦٩٤/ ٢ من شيوخه القاسم بن عبد الرحمن، وقد التبس أمره علىٰ الذهبي والحسيني وابن حجر والهيثمي، فلم يعرفوه ووصفوه بالجهالة. وما انتهينا اليه من أنه موسىٰ بن عبد الله الثقة هو الذي استَقْرَبَهُ العلامة أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه علىٰ "المسند" (٣٧١٢) ، وجزم به الأستاذ الشيخ ناصر الألباني في الأحاديث الصحيحة (١٩٨) ، والحديث في مسند أبي يعلىٰ ورقة ٢٤٩/ ٢، وأخرجه أحمد ١/ ٣٩١ و ٤٥٢، والطبراني في " الكبير " (١٠٣٥٢) ، والحارث ابن أبىٰ أسامة في مسنده ص ٢٥١ من زوائده من طريق فضيل بن مرزوق بهذا الإسناد، ورواه الحاكم ١/ ٥٠٩، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم إن سلم من إرسال عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ عَنْ أَبِيهِ، فإنه مختلف في سماعه من أبيه. قلت: هو سالم منه، فقد ثبت سماعه بشهادة غير واحد من الأئمة مثل سفيان الثوري وابن معين والبخاري وأبي حاتم، وروىٰ البخاري في التاريخ الصغير بإسناد لا بأس به، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، قال: لما حضر عبد الله الوفاة، قال له ابنه عبد الرحمن: يا أبت، أوصني، قال. ابك من خطيئتك. وذكره الهيثمي في " مجمع الزوائد " ١٠/ ١٣٦ و ١٨٦، ١٨٧ وقال. " رواه أحمد، وأبو يعلىٰ، والبزار، ورجال أحمد، وأبي يعلىٰ، رجال الصحيح، غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان، وقد تقدم أنه من رجال مسلم، وقد تابع موسىٰ عليه عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبة الواسطي -وهو ضعيف- عن القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله لم يذكر عن أبيه، أخرجه البزار (٣١٢٢) ، وابن السني (٣٤٢) من طريقين عنه، وللحديث شاهد حسن عند ابن السني رقم (٣٤١) عن حديث أبي موسىٰ الأشعري، ورجاله ثقات ما عدا عبد الله بن زبيد بن الحارث اليامي، راويه عن أبي موسىٰ، فقد ترجمه ابن أبي حاتم ٥/ ٦٢، فلم يذكر به جرحاً ولا تعديلاً، فهو حسن في الشواهد " .

وروىٰ البخاري (١/ ١٣١ برقم ٦٤٧) بسنده عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَىٰ صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ المَسْجِدِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّىٰ، لَمْ تَزَلِ المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ " .

قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (١٣/٤١٣) : " وَأَمَّا قَوْلُهُ : " مِائَةُ دَرَجَةٍ " فَلَيْسَ فِي سِيَاقِهِ التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الْعَدَدَ الْمَذْكُورَ هُوَ جَمِيعُ دَرَجِ الجَنَّة مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ ، إِذْ لَيْسَ فِيهِ مَا يَنْفِيهَا ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَرْفُوعِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد (٢/ ٧٣ برقم ١٤٦٤) ، وَصَححهُ التِّرْمِذِيّ (٥/ ٢٧ برقم ٢٩١٤ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، وبن حِبَّانَ (٣/ ٤٣ برقم ٧٦٦) : " وَيُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ : اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْد آخر آيَة تقرأها "، وَعَدَدُ آيِ الْقُرْآنِ أَكْثَرُ مِنْ سِتَّةِ آلَافٍ وَمِائَتَيْنِ وَالْخُلْفُ ، فِيمَا زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْكُسُورِ " .

وروى مسلم (١/ ٣٥٣ برقم ٤٨٨) بسنده عَنْ مَعْدَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ، قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ، فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ للهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لِي: مِثْلَ مَا قَالَ لِي: ثَوْبَانُ " .

وروى مسلم (٣/ ١٥٠١ برقم ١٨٨٤) أيضاً بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَفَعَلَ، ثُمَّ قَالَ: «وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ" .

قال الإمام السُّيوطي في " الدِّيباج على صحيح مسلم بن الحجَّاج "(٤/ ٤٧٥) : " وَأُخْرَى يرفع بهَا العَبْد مائَة دَرَجَة فِي الجَنَّة مَا بَين كل دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَين السَّمَاء وَالْأَرْض ، قَالَ القَاضِي : يحْتَمل أَنَّ هَذَا على ظَاهره ، وَأَنَّ الدَّرَجَات هُنَا الْمنَازل الَّتِي بَعْضهَا أرفع من بعض فِي الظَّاهِر ، وَهَذِه صفة منَازِل الجَنَّة ، كَمَا جَاءَ فِي أهل الغرف أَنَّهم يتراءون كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّي ، وَيحْتَمل أَن يكون الْمُرَاد الرّفْعَة بِالْمَعْنَى من كَثْرَة النَّعيم وَعظم الْإِحْسَان وَأَنَّه يتفاضل تفاضلاً كَبِيراً أَو يكون تباعده فِي الْفضل كَمَا بَين السَّمَاء وَالْأَرْض فِي الْبعد ، قَالَ القَاضِ :ي وَالْأَوَّل أظهر . وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ : الدَّرَجَة الْمنزلَة الرَّفيعة ، وَيُرَاد بهَا غرف الجَنَّة ومراتبها الَّتِي أَعْلَاهَا الفردوس ، قَالَ : وَلَا يظنّ من هَذَا أَنَّ دَرَجَات الجَنَّة محصورة بِهَذَا الْعدَد بل هِيَ أَكثر من ذَلِك وَلَا يعلم حصرها وعددها إِلَّا الله تَعَالَى أَلا ترى أَنَّ فِي الحَدِيث الآخر يُقَال لصَاحب الْقُرْآن : " اقْرَأ وارق ، فَإِن منزلتك عِنْد آخر آيَة تقرؤها" ، فَهَذَا يدلُّ على أَنَّ فِي الجَنَّة دَرَجَات على عدد آي الْقُرْآن ، وَهِي تنيف على سِتَّة آلَاف آيَة ، فَإِذا اجْتمعت للْإنْسَان فَضِيلَة الجِهَاد مَعَ فَضِيلَة الْقُرْآن جمعت لَهُ تِلْكَ الدَّرَجَات كلّهَا ، وَهَكَذَا كلما زَادَت أَعماله زَادَت درجاته ، انْتهى " .

فممَّا يدلُّ على أنَّ درج الجَنَّة لا حصر لها : ما رواه أحمد في " المسند " (١١/ ٤٠٤ برقم ٦٧٩٩) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْقَ ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا " . قال الأرنؤوط : " صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل عاصم،

وهو ابن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. عبد الرحمن: هو ابن مهدي، وسفيان: هو الثوري، وزر: هو ابن حبيش. وأخرجه أبو عُبيد في "فضائل القرآن" ص ٣٧، وابن حبان (٧٦٦) ، من طريق عبد الرحمن بن مهدي، بهذا الإسناد. وأخرجه ابنُ أبي شيبة ١٠/ ٤٩٨، وأبو داود (١٤٦٤) ، والترمذي (٢٩١٤) ، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (١١١) ، والفريابي في "فضائل القرآن" (٦٠) و (٦١) ، والحاكم ١/ ٥٥٢، والبيهقي في "السنن" ٢/ ٥٣، والبغوي (١١٧٨) ، من طرق، عن سفيان، به. وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وأخرجه ابنُ أبي شيبة ١٠/ ٤٩٨ أيضاً، وابن الضريس (١١٢) و (١١٣) و (١١٤) من طريقين، عن عاصم، به. وله شاهد أخرجه أحمد فيما سيرد (١٠٠٨٧) عن وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح (وهو السمان) عن أبي هريرة، أو أبي سعيد -شك الأعمش-، وهذا إسناد صحيح على شرط " .

قال الإمام الخطَّابي في " معالم السُّنن" (١/ ٢٨٩-٢٩٠) : " جاء في الأثر أنَّ عدد آي القرآن على قدر درج الجنَّة، يقال للقارئ : ارق في الدَّرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن ، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على اقصى درج الجَنَّة ، ومن قرأ جزءاً منها كان رُقيّه في الدَّرج على قدر ذلك ، فيكون منتهى الثَّواب عند منتهى القراءة " .

قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " (ص٦٦) : " وقد ثبت في الصَّحيحين عنه أنَّه قال: "الجنَّة مَائَةُ دَرَجَة مَا بَيْن كُلّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ " ، وهذا يدلُّ على أنَّها في غاية العلو والارتفاع ، والله أعلم.

والحديث له لفظان هذا أحدهما ، والثَّاني : "إنَّ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِيْنَ فِي سَبِيْلِهِ" وشيخنا يرجِّح هذا اللفظ ، وهو لا ينفي أن يكون درج الجَنَّة أكبر من ذلك ، ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح "إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنَّة" ، أي : من جملة أسمائه هذا القدر ، فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين ، ويدلُّ على صحَّة هذا أنَّ منزلة نبيِّنا فوق هذا كلّه في درجة في الجَنَّة ليس فوقها درجة " .

قلت : واللفظان اللذان ذكرهما ليسا في الصَّحيحين بهذه الصِّيغة...

وقال أيضاً في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " (ص٧٩) في تعليقه على الحديث : " وهذا صريح في أنَّ درج الجَنَّة تزيد على مائة درجة " .

وقال الإمام المناوي في " فيض القدير شرح الجامع الصَّغير " (٢/ ٤٥٨) : " إِنَّ عَدَدُ دَرَجِ الجَنَّة عَدَدُ آيِ الْقُرْآنِ" جمع آية ، "فَمَنْ دَخَلَ الجَنَّة مِمَّن قَرَأَ القُرْآن" أي جميعه "لم يَكُنْ فَوْقَه أَحَد" وفي رواية : يقال له اقرأ وارق فإنَّ منزلتك عند آخر آية تقرأها ، أي : عند حفظك أو آخر تلاوتك لمحفوظك ، وهذا صريح في أنَّ

درج الجَنَّة تزيد على مئة درجة ، وأمَّا خبر الجَنَّة مئة درجة فيحتمل كون المئة من جملة الدَّرج ، وكونها نهاية هذه المئة ، وفي ضمن كلِّ درجة درج دونها ، قالوا : وهذه القراءة كالتَّسبيح للملائكة لا تشغلهم عن لذَّاتهم بل هي كالمستلذ الأعظم ودون ذلك كلّ مستلذ " .

والخلاصة أنَّ عدد درجات الجَنَّة لا ينحصر بعدد معيَّن ، فلا يعلم حقيقته وعدده إلَّا الله تعالىٰ ، وأنَّ الدَّرجات المذكورة في قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : "إِنَّ فِي الجَنَّة مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ" لا يحصر عدد درج الجَنَّة في مائة ، لأنَّ تلك المائة خاصَّة بالمجاهدين في سبيل الله تعالىٰ ...والله أعلم .

﴿سُؤالٌ﴾ : تَكَلَّمْ لَنَا عَنْ تُرْبَةِ الجَنَّة وَمِلَاطِهَا وَحَصْبَائِهَا وَبِنَائِهَا ؟

الجواب:

وروىٰ البخاري (٤/ ١٣٥ برقم ٣٣٤٢) ، مسلم (١/ ١٤٨ برقم ١٦٣) بسندهما عنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ كَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَلَمَّا جَاءَ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ، قَالَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ هَذَا جِبْرِيلُ قَالَ: مَعَكَ أَحَدٌ قَالَ: مَعِي مُحَمَّدٌ، قَالَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ فَافْتَحْ ... " ، وفيه : " ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ" .

وروىٰ مسلم (٤/ ٢٢٤٣ برقم ٢٩٢٨) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ صَائِدٍ: «مَا تُرْبَةُ الْجَنَّةِ؟» قَالَ: دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ، مِسْكٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: «صَدَقْتَ" .

وروىٰ أحمد في " المسند" (١٣/ ٤١٠ برقم ٨٠٤٣) بسنده عَنْ أَبِي الْمُدِلَّةِ، مَوْلَىٰ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا إِذَا رَأَيْنَاكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبَتْنَا الدُّنْيَا، وَشَمَمْنَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ قَالَ: " لَوْ تَكُونُونَ - أَوْ قَالَ: لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ - عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا عِنْدِي، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ بِأَكُفِّهِمْ، وَلَزَارَتْكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفِرَ لَهُمْ" قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ، مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ: " لَبِنَةُ ذَهَبٍ وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَايَمُوتُ، لَا تَبْلَىٰ ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَىٰ شَبَابُهُ ، ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّىٰ يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَىٰ الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ

حِينٍ " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح بطرقه وشواهده، وأبو المدلَّة مولى عائشة أم المؤمنين لم يرو عنه غير سعد الطائي -وذكره ابن حبان في "الثقات" وسماه عبيد الله بن عبد الله وقال علي ابن المديني- فيما نقله الحافظ في "التهذيب". أبومدلة مولى عائشة لا يُعرف اسمُه، مجهولٌ، لم يرو عنه غير أبي مجاهد الطائي. وقال الذهبي في "الميزان": لا يكاد يُعرف، وقال الحافظ في "التقريب": مقبول. أبو كامل هو مظفر بن مدرك الخراساني، وأَبو النضر: هو هاشم بن القاسم، وزهير: هو ابن معاوية الجعفي. وأخرجه عبد بن حميد (١٤٢٠) عن سليمان بن داود الطيالسي، وابن حبان (٧٣٨٧) من طريق فرج بن رواحة، كلاهما عن زهير بن معاوية، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن المبارك في "الزهد" (١٠٧٥) قال: أخبرنا حمزة الزيات، عن سعد الطائي، حدثهُ رجل، عن أَبي هريرة. وأخرجه الترمذي (٢٥٢٦) من طريق محمد بن فضيل، عن حمزة الزيات، عن زياد الطائي، عن أبي هريرة. وقال: هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي، وليس هو عندي بمتصل. قلنا: كذا وقع في رواية محمد بن فضيل عن حمزة الزيات: زياد الطائي، وفي رواية غيره عنه: سعد الطائي، وهو أصح، ثم هو منقطع كما أشار إليه الترمذي، فالواسطة بين أبي هريرة وبين سعد الطائي أبو مدلة، كما في رواية "المسند." وأخرجه دون قوله: "ثلاثة لا ترد دعوتهم ... إلخ" الطيالسي (٢٥٨٣) ، والبيهقي في "البعث" (٢٥٨) عن زهير بن معاوية، به. وأخرجه كذلك الحميدي (١١٥٠) عن سفيان، عن سعد الطائي، به. وأخرجه بلفظ: "لو أنكم لا تخطئون لأتى الله بقوم يخطئون يغفر لهم" الحاكم ٤/ ٢٤٦ من طريق ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دراج بن السمح، عن ابن حجيرة، عن أَبي هريرة. وأخرجه بلفظ: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم" مسلم (٢٧٤٩) من طريق يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة. وأخرج صفة الجَنَّة منه دون قوله: "من يدخلها ينعم ... إلخ" أبو نعيم في "صفة الجنة" (١٣٦) من طريق أَبي داود، عن زهير، به. وأخرج منها قوله. "من يدخلها ينعم ... إلخ" أبو نعيم (١٠٠) من طريق أَبي داود عن زهير به. وأخرج قوله: "ثلاثة لا ترد دعوتهم ... إلخ" الطيالسي (٢٥٨٤) ، وابن حبان (٣٤٢٨) ، والطبراني في "الدعاء" (١٣١٥) ، والبيهقي في "السنن" ٣/ ٣٥٤ و٨/ ١٦٢ و١٠/ ٨٨ من طرق عن زهير به. وأخرجه الخطيب البغدادي في "موضح أوهام الجمع والتفريق" ٢/ ٢٩٤ من طريق قران بن تمام، عن عمرو الملائي، عن سعد الطائي، به. وأخرجه الطبراني (١٣١٦) من طريق عطاء بن يسار، عن أبي هريرة. وأخرج قوله: "دعوة المظلوم تحمل على الغمام ... إلخ" ابن حبان (٨٧٤) من طريق فرج بن رواحة، عن زهير، به. وصفة الجَنَّة من الحديث ستأتي برقم (٩٧٤٤) من طريق سعدان الجهني، عن سعد الطائي. وانظر (٨٧٤٧) . وقوله: "من يدخلها ينعم لا يبؤس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفني شبابه" سيأتي نحوه برقم (٨٨٢٧) من طريق أبي رافع عن أَبي هريرة. وقصة الثلاثة الذين لا ترد دعوتهم ستأتي تامة برقم (٩٧٤٣) ، ومقطعة: "الإمام العادل لا ترد دعوته" برقم (٩٧٢٥) ، و"الصائم لا ترد دعوته" برقم (١٠١٨٣) عن وكيع، عن سعدان الجهني، عن سعد، عن أَبي المدلة، عن أَبي هريرة.وفي دعوة المظلوم انظر ما سلف برقم (٧٥١٠) . ويشهد لقوله: "لو أنكم تكونون على كل حال ... " حديث أنس، سيأتي ٣/ ١٧٥، وحديث حنظلة الكاتب، سيأتي ٤/ ١٧٨. ويشهد لقوله: "لو لم تذنبوا ... " حديث ابن عباس سلف برقم (٢٦٢٣) ، وحديث أَبي أيوب عند مسلم (٢٧٤٨) . ويسهد لقوله: "لبنة من ذهب ولبنة من فضة" حديث أَبي سعيد الخدري عند البيهقي في "البعث" (٢٦١) ، وأبي نعيم في "الحلية" ٦/ ٢٠٤. ولقوله: "دعوة المظلوم ... " حديث ابن عباس سلف برقم (٢٠٧١) ، وحديث أنس سيأتي ١٣/ ٥٣، وحديث ابن عمر عند الحاكم ١/ ٢٩. المِلاط، قال السندي: بكسر الميم، الجصُّ ونحوه مما يتصل به اللَّبنات.والأَذْفَر، أي: طيِّب الريح، والذَّفَر -بفتحتين- يقع على الطيِّب والكريه، ويتميز بالمضاف إليه والموصوف" .

قال الإمام علي القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٣٥٨٧/٩) : "قَالَ: لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ») ، أَيْ بِنَاؤُهَا مُلَمَّعٌ وَمُرَصَّعٌ مِنْهُمَا، أَوْ ذَكَرَ النَّوْعَيْنِ بِاعْتِبَارِ الْجَنَّتَيْنِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَاللَّهُ تَعَالَى

أَعْلَمُ. (وَمِلَاطُهَا) بِكَسْرِ الْمِيمِ، أَيْ مَا بَيْنَ اللَّبِنَتَيْنِ مَوْضِعُ النُّورَةِ (الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ) ، أَيِ الشَّدِيدُ الرِّيحِ، فِي " النِّهَايَةِ ": الْمِلَاطُ الطِّينُ الذَّكِيُّ يُجْعَلُ بَيْنَ سَاقِ الْبِنَاءِ يُمَلَّطُ بِهِ الْحَائِطُ أَيْ: يُخْلَطُ (وَحَصْبَاؤُهَا) أَيْ: حَصْبَاؤُهَا الصِّغَارُ الَّتِي فِي الْأَنْهَارِ (اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ) ، أَيْ مِثْلُهُمَا فِي اللَّوْنِ وَالصَّفَاءِ، (وَتُرْبَتُهَا) أَيْ: مَكَانُ تُرَابِهَا (الزَّعْفَرَانُ) ، أَيِ النَّاعِمُ الْأَصْفَرُ الطَّيِّبُ الرِّيحِ، فَجَمَعَ بَيْنَ أَلْوَانِ الزِّينَةِ وَهِيَ الْبَيَاضُ وَالْحُمْرَةُ وَالصُّفْرَةُ، وَيَتَكَمَّلُ بِالْأَشْجَارِ الْمُلَوَّنَةِ بِالْخُضْرَةِ، وَلَمَّا كَانَ السُّودُ مِمَّا يَغُمُّ الْفُؤَادَ خُصَّ بِأَهْلِ الْعِنَادِ مِنَ الْعِبَادِ («مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ») : بِفَتْحِ وَسَطِهِمَا.

قَالَ التُّورِبِشْتِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ –: قَدْ وَجَدْنَاهُ فِي الْمَصَابِيحِ وَفِي بَعْضِ كُتُبِ الْحَدِيثِ: يَبْؤُسُ، بِالْهَمْزَةِ الْمَضْمُومَةِ لِدَلَالَةِ الْوَاوِ عَلَى الضَّمِّ، وَبَأَسَ الْأَمْرُ يَبْؤُسُ إِذَا اشْتَدَّ، وَبَأَسَ يَبْأَسُ إِذَا افْتَقَرَ، وَالْغَلَطُ إِنَّمَا وَقَعَ فِي رَسْمِ الْخَطِّ، وَالصَّوَابُ لَا يَبْأَسُ انْتَهَى. وَفِي الْقَامُوسِ: الْبَأْسُ الْعَذَابُ وَالشِّدَّةُ فِي الْحَرْبِ، وَمِنْهُ الْبَأْسُ، وَبَؤُسَ كَكَرُمَ وَبَئِسَ كَسَمِعَ: اشْتَدَّتْ حَاجَتُهُ، وَمِنْهُ الْبَأْسَاءُ. (وَيَخْلُدُ) أَيْ: يَدُومُ فِيهَا فَلَا يَتَحَوَّلُ عَنْهَا (وَلَا يَمُوتُ) ، أَيْ لَا يَفْنَى بَلْ دَائِمًا يَبْقَى (وَلَا تَبْلَى) : بِفَتْحِ أَوَّلِهِ أَيْ لَا تَخْلَقُ وَلَا تَتَقَطَّعُ (ثِيَابُهُمْ) ، وَكَذَا أَثَاثُهُمْ (وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ) أَيْ: لَا يَهْرَمُونَ وَلَا يَخْرُفُونَ، وَلَا يُغَيِّرُهُمْ مُضِيُّ الزَّمَانِ، فَإِنَّهُمْ خُلِقُوا لِنَعِيمِ الْأَبَدِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ" .

قلت : فتحصَّل ممَّا تقدَّم أنَّ تربة الجَنَّة هي : المسك ، الزَّعفران ... وقد جمع بين الأحاديث المتقدِّمة الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" (ص١٠٤-١٠٥) ، فقال : " فهذه ثلاث صفات في تربتها ، لا تعارض بينها ، فذهبت طائفة من السَّلف إلى أنَّ تربتها متضمّنة للنَّوعين : المسك والزَّعفران ، قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدَّثنا محمَّد بن أبي عبيد عن أبيه عن الأعمش عن مالك بن الحارث ، قال : قال معتب بن سمي : الجَنَّة ترابها المسك والزَّعفران ، ويحتمل معنيين آخرين:

أَحَدُهُمَا: أن يكون التُّراب من زعفران ، فإذا عُجن بالماء صار مسكاً والطِّين تراباً ، ويدلُّ على هذا قوله في اللفظ الآخر : " ملاطها المسك " ، والملاط : الطِّين ، ويدلُّ عليه أنَّ في حديث العلاء بن زياد : " تُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، وَطِينُهَا الْمِسْكُ" . أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في " صفة الجَنَّة " (٢/ برقم ١٦٠) .

فلمّا كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً فانضمَّ أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكاً .

المَعْنَى الثَّانِي: أن يكون زعفراناً باعتبار اللون مسكاً باعتبار الرَّائحة ، وهذا من أحسن شيء يكون ، البهجة والإشراق لون الزَّعفران والرَّائحة رائحة المسك ، وكذلك تشبيهها بالدَّرمك ، وهو الخبز الصَّافي

الذي يضرب لونه إلىٰ صُفرة مع لينها ونعومتها ، وهذا معنىٰ ما ذكره سفيان بن عيينة عن أبي نجيح عن مجاهد بهذا : " أَرْضُ الجَنَّةِ مِنْ فِضَّةٍ وَتُرَابُهَا مِسْكٌ " . أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في "صفة الجنَّة " (٢/ ٨ برقم ١٦١) .

فاللون في البياض لون الفضَّة والرَّائحة رائحة المسك ، وقد ذكر ابن أبي الدُّنيا من حديث أبي بكر بن أبي سبرة عن عمر بن عطاء بن زرارة عن سالم ابن المغيث عن أبي هريرة عن النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: " أَرْضُ الجَنَّةِ بَيْضَاءُ، عُرْصَتُهَا صُخُورُ الْكَافُورِ، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الْمِسْكُ مِثْلَ كُثْبَانِ الرَّمْلِ، فِيهَا أَنْهَارٌ مُطَّرِدَةٌ فَلْيَجْتَمِعْ فِيهَا أَهْلُ الجَنَّةِ أَدْنَاهُمْ وَآخِرُهُمْ فَيَتَعَارَفُونَ، فَيَبْعَثُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رِيحَ الرَّحْمَةِ فَتَهِيجُ عَلَيْهِمْ رِيحَ ذَلِكَ الْمِسْكِ، فَيَرْجِعُ الرَّجُلُ إِلَى زَوْجَتِهِ وَقَدِ ازْدَادَ طِيبًا وَحُسْنًا، فَتَقُولُ لَهُ: قَدْ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِي، وَأَنَا بِكَ مُعْجَبَةٌ وَأَنَا بِكَ الْآنَ أَشَدُّ عُجْبًا" . أخرجه ابن أبي الدنيا في " صفة الجنَّة " (ص٥٣ برقم ٢٦) .

وقال ابن أبي شيبة : حدَّثنا معاوية ابن هشام حدثنا علي بن صالح عن عمر بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال: قيل يا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : كيف بناء الجنَّة؟ قال: " : لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، مِلاَطُهَا مِسْكٌ ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ " . أخرجه ابن أبي شيبة في " المصنف" (١٣/ ٩٥ برقم ٣٥٠٨٧) .

وقال أبو الشَّيخ : الْوَلِيدُ بْنُ أَبَانَ، ثنا أُسَيْدُ بْنُ عَاصِمٍ، ثنا الْحَوْضِيُّ، ثنا عَدِيُّ بْنُ الْفَضْلِ، ثنا سَعِيدٌ الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَنَىٰ جَنَّاتِ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَبَنَاهَا لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَجَعَلَ مِلاطَهَا الْمِسْكَ الْأَذْفَرَ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] . فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: طُوبَىٰ لَكِ مَنْزِلَ الْمُلُوكِ" . أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في "صفة الجنَّة " (١/ ١٥٩ برقم ١٤٠) .

وقال أبو الشَّيخ : عَمْرُو بْنُ الْحُصَيْنِ، ثنا ابْنُ عُلَاثَةَ، ثنا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:، قُلْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي: يَا جِبْرِيلُ، إِنَّهُمْ سَيَسْأَلُونِي عَنِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهَا مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ، وَأَنَّ أَرْضَهَا عِقْيَانٌ " . أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في " صفة الجنَّة " (١/ ١٦٧ برقم ١٥١) .

والعِقْيَانُ : الذَّهب ، فإن كان ابن عُلَاثَةَ حفظه فهي أرض الجنَّتين الذَّهبيَّتين ، فيكون جبريل أخبره بأعلىٰ الجنَّتين وأفضلهما ، والله أعلم" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ مَسَاكِنِ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : مساكنُ أهل الجَنَّة متنوِّعة ... فهناك الغُرف ، وهناك القصور ، هناك الخيام ، وهناك البيوت ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ غُرَفِ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : قال تعالى : **﴿لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعادَ﴾** [الزمر:٢٠] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٥/ ٢٤٥) : " لَمَّا بَيَّنَ أَنَّ للكفَّار ظُللاً مِنَ النَّارِ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِهِمْ بَيَّنَ أَنَّ لِلْمُتَّقِينَ غُرَفًا فَوْقَهَا غُرَفٌ، لِأَنَّ الجَنَّة دَرَجَاتٌ يَعْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٦/ ٤٣٩) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ وَهَذَا كَالْمُقَابِلِ لِمَا ذُكِرَ فِي وَصْفِ الْكُفَّارِ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾** [الزمر: ١٦] ، فَإِنْ قِيلَ مَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ مَبْنِيَّةٌ؟ قُلْنَا لِأَنَّ الْمَنْزِلَ إِذَا بُنِيَ عَلَىٰ مَنْزِلٍ آخَرَ تَحْتَهُ كَانَ الْفَوْقَانِيُّ أَضْعَفَ بِنَاءً مِنَ التَّحْتَانِيِّ فَقَوْلُهُ: مَبْنِيَّةٌ مَعْنَاهُ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ فَوْقَ غَيْرِهِ لَكِنَّهُ فِي الْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ مُسَاوٍ لِلْمَنْزِلِ الْأَسْفَلِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمَنْزِلَ الْفَوْقَانِيَّ وَالتَّحْتَانِيَّ حَصَلَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَضِيلَةٌ وَمَنْقَصَةٌ، أَمَّا الْفَوْقَانِيُّ فَفَضِيلَتُهُ الْعُلُوُّ وَالِارْتِفَاعُ وَنُقْصَانُهُ الرَّخَاوَةُ وَالسَّخَافَةُ، وَأَمَّا التَّحْتَانِيُّ فَبِالضِّدِّ مِنْهُ، أَمَّا مَنَازِلُ الجَنَّة فَإِنَّهَا تَكُونُ مُسْتَجْمِعَةً لِكُلِّ الْفَضَائِلِ وَهِيَ عَالِيَةٌ مُرْتَفِعَةٌ وَتَكُونُ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ، وَقَالَ حُكَمَاءُ الْإِسْلَامِ هَذِهِ الْغُرَفُ الْمَبْنِيَّةُ بَعْضُهَا فَوْقَ الْبَعْضِ، مِثَالُهُ مِنَ الْأَحْوَالِ النَّفْسَانِيَّةِ الْعُلُومُ الْكَسْبِيَّةُ فَإِنَّ بَعْضَهَا يَكُونُ مَبْنِيًّا عَلَىٰ الْبَعْضِ وَالنَّتَائِجُ الْآخِرَةُ الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ مَعْرِفَةِ ذَاتِ اللهِ وَصِفَاتِهِ تَكُونُ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ بَلْ تَكُونُ فِي الْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ كَالْعُلُومِ الْأَصْلِيَّةِ الْبَدِيهِيَّةِ " .

وقال تعالى : **﴿وَما أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ﴾** [سبأ:٣٧] . " والْغُرُفاتِ جَمْعُ غُرْفَةٍ. وَتَقَدَّمَ فِي آخِرِ الْفُرْقَانِ وَهِيَ الْبَيْتُ الْمُعْتَلِي وَهُوَ أَجْمَلُ مَنْظَرًا وَأَشْمَلُ مَرْأًىٰ. وآمِنُونَ خَبَرٌ ثَانٍ يَعْنِي تُلْقِي فِي نُفُوسِهِمُ الْأَمْنَ مِنِ انْقِطَاعِ ذَلِكَ النَّعِيمِ" . انظر : التحرير والتنوير (٢٢/ ٢١٨) .

وقال تعالى : **﴿أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَسَلاماً﴾** [الفرقان:٧٥] . قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٤/ ٤٨٧) : " وَاعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَمَّا عَدَّدَ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ الْمُخْلِصِينَ بَيَّنَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْوَاعَ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ فِي أَمْرَيْنِ الْمَنَافِعِ وَالتَّعْظِيمِ.

أَمَّا الْمَنَافِعُ: فَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا﴾ .

وَالْمُرَادُ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرُفَاتِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ﴾ [سَبَأٍ: ٣٧] ، وَقَالَ: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ﴾ [الزُّمَرِ: ٢٠] ، وَالْغُرْفَةُ فِي اللُّغَةِ الْعُلِّيَّةُ وَكُلُّ بِنَاءٍ عَالٍ فَهُوَ غُرْفَةٌ وَالْمُرَادُ بِهِ الدَّرَجَاتُ الْعَالِيَةُ. وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ الْغُرْفَةُ اسْمُ الْجَنَّةِ، فَالْمَعْنَى يُجْزَوْنَ الجَنَّة وَهِيَ جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ، وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ فِي الْغُرْفَةِ﴾ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٣/ ٨٣) : " وَ" الْغُرْفَةَ" الدَّرَجَةُ الرَّفِيعَةُ وَهِيَ أَعْلَى مَنَازِلِ الجَنَّة وَأَفْضَلُهَا كَمَا أَنَّ الْغُرْفَةَ أَعْلَى مَسَاكِنِ الدُّنْيَا. حَكَاهُ ابْنُ شَجَرَةَ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: الْغُرْفَةُ الجَنَّة " .

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الجَنَّة غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ﴾ [العنكبوت:٥٨] . قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٥/ ٧٠) : " بَيَّنَ مَا يَكُونُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقْتَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ كَمَا بَيَّنَ مِنْ قَبْلُ مَا يَكُونُ لِلْكَافِرِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ﴾ [الْعَنْكَبُوتِ: ٥٤] ، فَبَيَّنَ أَنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ الْجِنَانَ فِي مُقَابَلَةِ مَا أَنَّ لِلْكَافِرِينَ النِّيرَانَ، وَبَيَّنَ أَنَّ فِيهَا غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِي مُقَابَلَةِ مَا بَيَّنَ أَنَّ تَحْتَ الْكَافِرِينَ النَّارَ، وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ أَجْرُ عَمَلِهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ﴾ " .

وروى البخاري (٤/ ١١٩ برقم ٣٢٥٦) ، مسلم (٤/ ٢١٧٧ برقم ٢٨٣١) بسندهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّة يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِّ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِّ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ " .

وروى البخاري (٨/ ١١٤ برقم ٦٥٥٥) ، مسلم (٤/ ٢١٧٧ برقم ٢٨٣٠) بسندهما عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّة لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرْفَةَ فِي الجَنَّة كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ " .

وروى أحمد في " المسند" (٢/ ٤٤٩ برقم ١٣٣٨) بسنده عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ فِي الجَنَّة لَغُرَفًا يُرَى بُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا، وَظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا " فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَنْ هِيَ؟ قَالَ: " لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَصَلَّى للهِّ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ " . قال الأرنؤوط : " حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف. وأخرجه البزار (٧٠٢) ، وأبو يعلى (٤٣٨) ، وابن خزيمة- وقال: إن صح الخبر- (٢١٣٦) من طرق عن محمد بن فضيل، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبي شيبة ٨/ ٦٢٥ و١٣/ ١٠١، وهناد في "الزهد" (١٢٣) ، والترمذي (١٩٨٤) و (٢٥٢٧)

، وأبو يعلى (٤٢٨) ، وابن عدي في "الكامل" ٤/ ١٦١٣-١٦١٤ من طريقين عن عبد الرحمن بن إسحاق، به، وقال الترمذي: غريب. وفي الباب عن عبد الله بن عمرو سيأتي في "المسند" (٦٦١٥) ، وعن أبي مالك الآشعري سيأتي في "المسند" أيضاً (٥/ ٣٤٣) ، وفي إسناديهما ضعف، لكن الحديث يحسن بمجموع هذه الشواهد " .

وروى مسلم (٤/ ٢١٧٧ برقم٢٨٣١) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّة لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» .

وروى الخرائطي في " مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها" (ص٦٥ برقم ١٥٢) ، والبيهقي في " البعث والنُّشور" (ص١٧٧ برقم ٢٥٤) بسندهما عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ فِي الجَنَّة غُرَفًا إِذَا كَانَ سَاكِنُهَا فِيهَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَا خَلْفَهُ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْهَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَا فِيهَا قِيلَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَوَاصَلَ الصِّيَامَ، وَأَطْعَمَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ قُصُوْرِ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : قال تعالى : **﴿تبارَكَ الَّذِي إِنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً﴾** [الفرقان:١٠] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٤/ ٤٣٦) : " **المسألة الثَّانِيَةُ:** قَوْلُهُ: إِنْ شاءَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ لَا أَنَّهُ تَعَالَى شَاكٌّ لِأَنَّ الشَّكَّ لَا يَجُوزُ عَلَى اللهَّ تعالى، وقال قوم: (إن) هاهنا بِمَعْنَى إِذَا، أَيْ قَدْ جَعَلْنَا لَكَ فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٍ وَبَنَيْنَا لَكَ قُصُورًا وَإِنَّمَا أَدْخَلَ إِنْ تَنْبِيهًا لِلْعِبَادِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنَالُ ذَلِكَ إِلَّا بِرَحْمَتِهِ، وَأَنَّهُ مُعَلَّقٌ عَلَى مَحْضِ مَشِيئَتِهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْعِبَادِ عَلَى اللهَّ حَقٌّ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

المسألة الثَّالِثَةُ: الْقُصُورُ جَمَاعَةُ قَصْرٍ وَهُوَ الْمَسْكَنُ الرَّفِيعُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ جَنَّةٍ قَصْرٌ فَيَكُونَ مَسْكَنًا وَمُتَنَزَّهًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْقُصُورُ مَجْمُوعَةً وَالْجَنَّاتُ مَجْمُوعَةً. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ جَنَّاتٍ فِي الْآخِرَةِ وَقُصُورًا فِي الدُّنْيَا.

المسألة الرَّابِعَةُ: اخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي قَوْلِهِ وَيَجْعَلْ فَرَفَعَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ اللَّامَ وَجَزَمَهُ الْآخَرُونَ، فَمَنْ جَزَمَ فَلِأَنَّ الْمَعْنَى إِنْ شَاءَ يَجْعَلْ لَكَ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا وَمَنْ رَفَعَ فَعَلَى الِاسْتِئْنَافِ وَالْمَعْنَى

سَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا، هَذَا قَوْلُ الزَّجَّاجِ: قَالَ الْوَاحِدِيُّ وَبَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ فَرْقٌ فِي الْمَعْنَى، فَمَنْ جَزَمَ فَالْمَعْنَى إِنْ شَاءَ يَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا فِي الدُّنْيَا وَلَا يَحْسُنُ الْوُقُوفُ عَلَى الْأَنْهَارِ، وَمَنْ رَفَعَ حَسُنَ لَهُ الْوُقُوفُ عَلَى الْأَنْهَارِ، وَاسْتَأْنَفَ أَيْ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا فِي الْآخِرَةِ " .

وروى البخاري (٥/ ١٠ برقم ٣٦٧٩) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلاَلٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ " فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ.

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ خِيَامِ أَهْلِ الجَنَّة ؟

قال تعالى في كلامه عن نساء أهل الجَنَّة : **﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾** [الرحمن:٧٢] .

قال الإمام الماوردي في " النُّكت والعيون" (٥/ ٤٤٣) : " وفي الخيام ثلاثة أقاويل: أحَدُها: أنَّ الخيام هي البيوت ، قاله ابن بحر. الثَّاني: أنَّها خيام تضرب لأهل الجَنَّة خارج الجَنَّة كهيئة البداوة، قاله سعيد بن جبير. الثَّالث: أنَّها خيام في الجَنَّة تُضاف إلى القصور " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٩/ ٣٨٠) : " إِشَارَةٌ إِلَى عَظَمَتِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ مَا قَصُرْنَ حَجْرًا عَلَيْهِنَّ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى ضَرْبِ الْخِيَامِ لَهُنَّ وَإِدْلَاءِ السِّتْرِ عَلَيْهِنَّ، وَالْخَيْمَةُ مَبِيتُ الرَّجُلِ كَالْبَيْتِ مِنَ الْخَشَبِ، حَتَّى أَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي الْبَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ خَيْمَةً لِأَنَّهُ مُعَدٌّ لِلْإِقَامَةِ، إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: قَوْلُهُ: مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ إِشَارَةٌ إِلَى مَعْنًى فِي غَايَةِ اللُّطْفِ، وَهُوَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ فِي الجَنَّة لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّحَرُّكِ لِشَيْءٍ وَإِنَّمَا الْأَشْيَاءُ تَتَحَرَّكُ إِلَيْهِ فَالْمَأْكُولُ وَالْمَشْرُوبُ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَرَكَةٍ مِنْهُ، وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَشْتَهُونَهُ فَالْحُورُ يَكُنَّ فِي بُيُوتٍ، وَعِنْدَ الِانْتِقَالِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي وَقْتِ إِرَادَتِهِمْ تَسِيرُ بِهِنَّ لِلِارْتِحَالِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ خِيَامٌ وَلِلْمُؤْمِنِينَ قُصُورٌ تَنْزِلُ الْحُورُ مِنَ الْخِيَامِ إِلَى الْقُصُورِ " .

وفي وصف هذه الخيام روى البخاري (٤/ ١١٧ برقم ٣٢٤٣) بسنده عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الخَيْمَةُ دُرَّةٌ، مُجَوَّفَةٌ طُولُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلاَثُونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا لِلْمُؤْمِنِ أَهْلٌ لاَ يَرَاهُمُ الآخَرُونَ» ، قَالَ: أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ، وَالحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ سِتُّونَ مِيلًا

، وجاء في رواية مسلم (٤/ ٢١٨٢ برقم ٢٨٣٨) : " إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمِ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا" .

فخيام أهل الجَنَّة خيام عجيبة، مصنوعةٌ من لؤلؤ، بل الخيمة من لؤلؤة واحدة مجوَّفة، طولها ستُّون ميلاً، وعرضها ستُّون ميلاً .

وروى البخاري (٦/ ١٤٥ برقم ٤٨٧٩) ، مسلم (٤/ ٢١٨٢ برقم ٢٨٣٨) بسندهما عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ كَذَا، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ " .

وروى ابن أبي الدُّنيا في "صفة الجَنَّة " (ص٢١٥ برقم ٣٠٤) بسنده عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْحَوَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ، يَقُولُ: يَنْشَأُ خَلْقُ الْحُورِ إِنْشَاءً فَإِذَا تَكَامَلَ خَلْقُهُنَّ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِنَّ الْخِيَامَ.

وروى ابن أبي الدُّنيا في "صفة الجَنَّة " (ص٢١٥ برقم ٣٠٦) بسنده عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لِكُلِّ مُسْلِمٍ خَيْرَةٌ، وَلِكُلِّ خَيْرَةٍ خَيْمَةٌ، وَلِكُلِّ خَيْمَةٍ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ، تَدْخُلُ عَلَيْهَا كُلُّ يَوْمٍ مِنْ كُلِّ بَابٍ تُحْفَةٌ وَهَدِيَّةٌ وَكَرَامَةٌ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ، لَا مَرَّاحَاتٌ، وَلَا ذَفِرَاتٌ، وَلَا سَخِرَاتٌ، وَلَا طَمَّاحَاتٌ حُورٌ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ " . وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٧/ ٥٠٨) .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٦٨) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، **﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾** [الرحمن: ٧٢] قَالَ: «الدُّرُّ الْمُجَوَّفُ " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٦٨) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: **﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾** [الرحمن: ٧٢] قَالَ: «الْخَيْمَةُ لُؤْلُؤَةٌ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ فِي أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ لَهَا أَرْبَعَةُ آلَافِ مِصْرَاعٍ مِنْ ذَهَبٍ " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٦٨) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، **﴿فِي الْخِيَامِ﴾** [الرحمن: ٧٢] ، قَالَ: «بُيُوتُ اللُّؤْلُؤِ"

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٦٨) بسنده عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " أَتَدْرُونَ مَا **﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾** ؟ الْخِيَامُ: دُرٌّ مُجَوَّفٌ " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٦٨-٢٦٩) بسنده عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] قَالَ: «دُرٌّ مُجَوَّفٌ» . وَبِهِ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ قَالَ: " الْخَيْمَةُ: دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ فَرْسَخٌ فِي فَرْسَخٍ، لَهَا أَرْبَعَةُ آلَافِ مِصْرَاعٍ مِنْ ذَهَب " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٦٩) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «الْخَيْمَةُ فِي الجنَّة مِنْ دُرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ، فَرْسَخٌ فِي فَرْسَخٍ لَهَا أَرْبَعَةُ آلَافِ مِصْرَاعٍ " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٦٩) بسنده عَنْ خُلَيْدٍ الْعَصَرِيُّ قَالَ: «لَقَدْ ذُكِرَ لِي أَنَّ الْخَيْمَةَ لُؤْلُؤَةٌ مُجَوَّفَةٌ لَهَا سَبْعُونَ مِصْرَاعًا، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ دُرٍّ " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٦٩) بسنده عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ قَالَ: " الْخِيَامُ: دُرٌّ مُجَوَّف " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٦٩) بسنده عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: " الْخِيَامُ: دُرٌّ مُجَوَّفٌ " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٧٠) بسنده عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: الْخِيَامُ: " الْخَيْمَةُ: دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٧٠) بسنده عَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: " الْخَيْمَةُ: دُرٌّ مُجَوَّفَةٌ " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٧٠) بسنده عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] ، قَالَ: «خِيَامِ اللُّؤْلُؤِ "

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٧١) بسنده عَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] «الْخِيَامُ اللُّؤْلُؤُ وَالْفِضَّةُ، كَمَا يُقَالُ وَاللهُ أَعْلَمُ " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٧١) بسنده عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] ذُكِرَ لَنَا أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ: «الْخَيْمَةُ دُرٌّ مُجَوَّفَةٌ، فَرْسَخٌ فِي فَرْسَخٍ، لَهَا أَرْبَعَةُ الآفِ بَابٍ مِنْ ذَهَبٍ» وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ يُقَالُ: مَسْكَنُ الْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادُ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَأَنْهَارُهُ وَجِنَانُهُ وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ.

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٧١) بسنده قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " الْخَيْمَةُ: دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ، فَرْسَخٌ فِي فَرْسَخٍ، لَهَا أَرْبَعَةُ آلَافِ بَابٍ مِنْ ذَهَبٍ " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٧١) بسنده قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] قَالَ يُقَالُ: «خِيَامُهُمْ فِي الجنَّة مِنْ لُؤْلُؤٍ " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٧١) عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] ، قَالَ: " الْخِيَامُ: الدُّرُّ الْمُجَوَّفُ " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٧١) عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] ، قَالَ: «دُرٌّ مُجَوَّفٌ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ بُيُوْتِ أَهْلِ الجَنَّة ؟

قال تعالى على لسان امرأة فرعون : ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ [التحريم: ١١] .

وروى البخاري (٥/ ٣٩ برقم ٣٨٢٠) ، مسلم (٤/ ١٧٨٧ برقم ٢٤٣٢) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّة مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ بُسُطِ وَزَرَابِيِّ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : قال تعالى : ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:٧٦].

قال الإمام البغوي في " التَّفسير" (٤/ ٣٤٦) : " قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الرَّفْرَفُ رِيَاضُ الجَنَّة خضر مخصبة . وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَاحِدَتُهَا رَفْرَفَةٌ، وَقَالَ: الرَّفَارِفُ جَمْعُ الْجَمْعِ، وَقِيلَ: الرَّفْرَفُ الْبُسُطُ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَمُقَاتِلٍ وَالْقُرَظِيِّ.

وَرَوَى الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الرَّفْرَفُ فُضُولُ الْمَجَالِسِ وَالْبُسُطِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ: هِيَ مَجَالِسُ خُضْرٌ فَوْقَ الْفُرُشِ. وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: هِيَ الْمَرَافِقُ. وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ الزَّرَابِيُّ. وَقَالَ غَيْرُهُ: كُلُّ ثَوْبٍ عَرِيضٍ عِنْدَ الْعَرَبِ فَهُوَ رَفْرَفٌ. وَعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ، هِيَ الزَّرَابِيُّ وَالطَّنَافِسُ الثِّخَانُ، وَهِيَ جَمْعٌ وَاحِدَتُهَا عَبْقَرِيَّةٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ: الْعَبْقَرِيُّ عِتَاقُ الزَّرَابِيِّ.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: هِيَ الطَّنَافِسُ الْمُخَمَّلَةُ إلى الرقة ما هي وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ: كُلُّ ثَوْبٍ مُوَشًّى عِنْدَ الْعَرَبِ عَبْقَرِيٌّ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى أَرْضٍ يُعْمَلُ بِهَا الْوَشْيُ. قَالَ الْخَلِيلُ: كُلُّ جَلِيلٍ نَفِيسٍ فَاخِرٍ مِنَ الرِّجَالِ وَغَيْرِهِمْ عِنْدَ الْعَرَبِ عَبْقَرِيٌّ.

وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يفري فريه" .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٩/ ٣٨١-٣٨٢) : " وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: مَا الْحِكْمَةُ فِي تَأْخِيرِ ذِكْرِ اتِّكَائِهِمْ عَنْ ذِكْرِ نِسَائِهِمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى قَدَّمَ ذِكْرَ اتِّكَائِهِمْ عَلَى ذِكْرِ نِسَائِهِمْ فِي الْجَنَّتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ حَيْثُ قَالَ: **﴿مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ﴾** [الرَّحْمَن: ٥٤] ثُمَّ قال: **﴿قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾** [الرحمن: ٥٦] ، وقال هاهنا: **﴿فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ﴾** [الرحمن: ٧٠] ثُمَّ قَالَ: مُتَّكِئِينَ؟

وَالْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ أَهْلَ الجَنَّة لَيْسَ عَلَيْهِمْ تَعَبٌ وَحَرَكَةٌ فَهُمْ مُنَعَّمُونَ دَائِمًا لَكِنَّ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَقْسَامٍ مِنْهُمْ مَنْ يَجْتَمِعُ مَعَ أَهْلِهِ اجْتِمَاعَ مُسْتَفِيضٍ وَعِنْدَ قَضَاءِ وَطَرِهِ يَسْتَعْمِلُ الِاغْتِسَالَ وَالِانْتِشَارَ فِي الْأَرْضِ لِلْكَسْبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ مُتَرَدِّدًا فِي طَلَبِ الْكَسْبِ وَعِنْدَ تَحْصِيلِهِ يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ وَيُرِيحُ قَلْبَهُ مِنَ التَّعَبِ قَبْلَ قَضَاءِ الْوَطَرِ فَيَكُونُ التَّعَبُ لَازِمًا قَبْلَ قَضَاءِ الْوَطَرِ أَوْ بَعْدَهُ فَاللَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي بَيَانِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: **﴿مُتَّكِئِينَ﴾** قَبْلَ الِاجْتِمَاعِ بأهلهم وبعد الاجتماع كذلك، ليعلم أنّهم دائم عَلَى السُّكُونِ فَلَا تَعَبَ لَهُمْ لَا قَبْلَ الِاجْتِمَاعِ وَلَا بَعْدَ الِاجْتِمَاعِ.

وَثَانِيهِمَا: هُوَ أَنَّا بَيَّنَّا فِي الْوَجْهَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ أَنَّ الْجَنَّتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ لِأَهْلِ الجَنَّة الَّذِينَ جَاهَدُوا وَالْمُتَأَخِّرِينَ لِذُرِّيَّاتِهِمُ الَّذِينَ أُلْحِقُوا بِهِمْ، فَهُمْ فِيهِمَا وَأَهْلُهُمْ فِي الْخِيَامِ مُنْتَظِرَاتٌ قُدُومَ أَزْوَاجِهِنَّ، فَإِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ جَنَّتَهُ الَّتِي هِيَ سُكْنَاهُ يَتَّكِئُ عَلَى الْفُرُشِ وَتَنْتَقِلُ إِلَيْهِ أَزْوَاجُهُ الْحِسَانُ، فَكَوْنُهُنَّ فِي الْجَنَّتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ بَعْدَ اتِّكَائِهِمْ عَلَى الْفُرُشِ، وَأَمَّا كَوْنُهُمْ فِي الْجَنَّتَيْنِ الْمُتَأَخِّرَتَيْنِ فَذَلِكَ حَاصِلٌ فِي يَوْمِنَا، وَاتِّكَاءُ المؤمن غير حاصل في يومنا، فقدم ذكر كونهن فيهن هنا وأخره هناك. ومُتَّكِئِينَ حَالٌ وَالْعَامِلُ فِيهِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ﴾** [الرحمن: ٧٤] ، وَذَلِكَ فِي قُوَّةِ الِاسْتِثْنَاءِ كَأَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَطْمِثُوهُنَّ مُتَّكِئِينَ وَمَا ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ﴾** [الرحمن: ٥٤] يُقَالُ هُنَا.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الرَّفْرَفُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ مِنْ رَفَّ الزَّرْعُ إِذَا بَلَغَ مِنْ نَضَارَتِهِ فَيَكُونُ مُنَاسِبًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿مُدْهامَّتانِ﴾** [الرحمن: ٦٤] ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ أَنَّهُمْ مُتَّكِئُونَ عَلَى الرِّيَاضِ وَالثِّيَابِ الْعَبْقَرِيَّةِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ رَفْرَفَةِ الطَّائِرِ، وَهِيَ حَوْمُهُ فِي الْهَوَاءِ حَوْلَ مَا يُرِيدُ النُّزُولَ عَلَيْهِ فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ عَلَى بُسُطٍ مَرْفُوعَةٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾** [الْوَاقِعَةِ: ٣٤] ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: **﴿وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ﴾** [الرحمن: ٦٢] أَنَّهُمَا دُونَهُمَا فِي الْمَكَانِ حَيْثُ رُفِعَتْ فُرُشُهُمْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿خُضْرٍ﴾** صِيغَةُ جَمْعٍ فَالرَّفْرَفُ يَكُونُ جَمْعًا لِكَوْنِهِ اسْمَ جِنْسٍ وَيَكُونُ وَاحِدُهُ رَفْرَفَةً كحنظلة وحنظل وَالْجَمْعُ فِي مُتَّكِئِينَ يَدُلُّ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ: مُتَّكِئِينَ دَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ عَلَى رَفَارِفَ.

المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْفُرُشِ وَالرَّفْرَفِ حَيْثُ لَمْ يَقُلْ: رَفَارِفَ اكْتِفَاءً بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: **﴿مُتَّكِئِينَ﴾**، وَقَالَ: **﴿فُرُشٍ﴾**، وَلَمْ يَكْتَفِ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ذَلِكَ؟ نَقُولُ: جَمْعُ الرُّبَاعِيِّ أثقل من جمع الثُّلاثي، ولهذا لم يجيء لِلْجَمْعِ فِي الرُّبَاعِي إِلَّا مِثَالٌ وَاحِدٌ وَأَمْثِلَةُ الْجَمْعِ فِي الثُّلَاثِي كَثِيرَةٌ وَقَدْ قُرِئَ: (عَلَى رفارف خضر)، و (رفارف خضار وعباقر).

المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: إِذَا قُلْنَا: إِنَّ الرَّفْرَفَ هِيَ الْبُسُطُ فَمَا الْفَائِدَةُ فِي الْخُضْرِ حَيْثُ وَصَفَ تَعَالَى ثِيَابَ الجَنَّة بِكَوْنِهَا خُضْرًا قَالَ تَعَالَى: **﴿ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾** [الإِنْسَان: ٢١]؟. نَقُولُ: مَيْلُ النَّاسِ إِلَى اللَّوْنِ الْأَخْضَرِ فِي الدُّنْيَا أَكْثَرُ، وَسَبَبُ المَيْلِ إِلَيْهِ هُوَ أَنَّ الْأَلْوَانَ الَّتِي يُظَنُّ أَنَّهَا أُصُولُ الْأَلْوَانِ سَبْعَةٌ، وَهِيَ: الشَّفَّافُ وَهُوَ الَّذِي لَا يَمْنَعُ نُفُوذَ الْبَصَرِ فِيهِ وَلَا يَحْجُبُ مَا وَرَاءَهُ كَالزُّجَاجِ وَالْمَاءِ الصَّافِي وَغَيْرِهِمَا ثُمَّ الْأَبْيَض بَعْدَهُ ثُمَّ الْأَصْفَرُ ثُمَّ الْأَحْمَرُ ثم الْأَخْضَرُ ثُمَّ الْأَزْرَقُ ثُمَّ الْأَسْوَدُ.

وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْأَلْوَانَ الْأَصْلِيَّةَ ثَلَاثَةٌ: الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَهُمَا غَايَةُ الْخِلَافِ، وَالْأَحْمَرُ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ، فَإِنَّ الدَّمَ خُلِقَ عَلَى اللَّوْنِ الْمُتَوَسِّطِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنِ الصِّحَّةُ عَلَى مَا يَنْبَغِي، فَإِنْ كَانَ لِفَرْطِ الْبُرُودَةِ فِيهِ كَانَ أَبْيَضَ، وَإِنْ كَانَ لِفَرْطِ الْحَرَارَةِ فِيهِ كَانَ أَسْوَدَ، لَكِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ يَحْصُلُ مِنْهَا الْأَلْوَانُ الْأُخَرُ، فَالْأَبْيَضُ إِذَا امْتَزَجَ بِالْأَحْمَرِ حَصَلَ الْأَصْفَرُ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَزْجُ اللَّبَنِ الْأَبْيَضِ بِالدَّمِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْحُمْرِ، وَإِذَا امْتَزَجَ الْأَبْيَضُ بِالْأَسْوَدِ حَصَلَ اللَّوْنُ الْأَزْرَقُ، يَدُلُّ عَلَيْهِ خَلْطُ الْجَصِّ الْمَدْقُوقِ بِالْفَحْمِ، وَإِذَا امْتَزَجَ الْأَحْمَرُ بِالْأَسْوَدِ حَصَلَ الْأَزْرَقُ أَيْضًا، لَكِنَّهُ إِلَى السَّوَادِ أَمْيَلُ، وَإِذَا امْتَزَجَ الْأَصْفَرُ بِالْأَزْرَقِ حَصَلَ الْأَخْضَرُ مِنَ الْأَصْفَرِ وَالْأَزْرَقِ، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْأَصْفَرَ مِنَ الْأَبْيَضِ وَالْأَحْمَرِ وَالْأَزْرَقَ مِنَ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، فَالْأَخْضَرُ حَصَلَ فِيهِ الْأَلْوَانُ الثَّلَاثَةُ الْأَصْلِيَّةُ، فَيَكُونُ مَيْلُ الْإِنْسَانِ إِلَيْهِ لِكَوْنِهِ مُشْتَمِلًا عَلَى الْأَلْوَانِ الْأَصْلِيَّةِ، وَهَذَا بَعِيدٌ جِدًّا، وَالْأَقْرَبُ أَنَّ الْأَبْيَضَ يُفَرِّقُ الْبَصَرُ، وَلِهَذَا لَا يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ عَلَى إِدَامَةِ النَّظَرِ فِي الْأَرْضِ عِنْدَ كَوْنِهَا مَسْتُورَةً بِالثَّلْجِ، وَإِنَّهُ يُورِثُ الْجَهْرَ، وَالنَّظَرَ إِلَى الْأَشْيَاءِ السُّودِ يَجْمَعُ الْبَصَرَ، وَلِهَذَا كَرِهَ الْإِنْسَانُ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَإِلَى الْأَشْيَاءِ الْحُمْرِ كَالدَّمِ وَالْأَخْضَرُ لَمَّا اجْتَمَعَ فِيهِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ دَفَعَ بَعْضُهَا أَذَى بَعْضٍ، وَحَصَلَ اللَّوْنُ الْمُمْتَزِجُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ وَهِيَ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَصْفَرُ وَالْأَسْوَدُ، وَلَمَّا كَانَ مَيْلُ النَّفْسِ فِي الدُّنْيَا إِلَى الْأَخْضَرِ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ مَا هُوَ عَلَى مُقْتَضَى طَبْعِهِ فِي الدُّنْيَا.

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: الْعَبْقَرِيُّ مَنْسُوبٌ إِلَى عَبْقَرٍ ، وَهُوَ عِنْدَ الْعَرَبِ مَوْضِعٌ مِنْ مَوَاضِعِ الْجِنِّ ، فَالثِّيَابُ الْمَعْمُولَةُ عَمَلًا جَيِّدًا يُسَمُّونَهَا عَبْقَرِيَّاتٍ مُبَالَغَةً فِي حُسْنِهَا ، كَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ عَمَلِ الْإِنْسِ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ الثِّيَابِ أَيْضًا حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَعْمَلُ عَمَلًا عَجِيبًا: هُوَ عَبْقَرِيٌّ ، أَيْ : مِنْ ذَلِكَ الْبَلَدِ .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ الَّذِي رَآهُ: "فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرْيَهُ" . أخرجه البخاري (٥/ ١٠ برقم ٣٦٨٢) .

وَاكْتَفَى بِذِكْرِ اسْمِ الْجِنْسِ عَنِ الْجَمْعِ وَوَصَفَهُ بِمَا تُوصَفُ بِهِ الْجُمُوعُ فَقَالَ حِسَانٍ: وَذَلِكَ لَمَّا بَيَّنَّا أَنَّ جَمْعَ الرُّبَاعِيِّ يُسْتَثْقَلُ بَعْضَ الِاسْتِثْقَالِ، وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ: عَبَاقِرِيٍّ فَقَدْ جَعَلَ اسْمَ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَبَاقِرَ فَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ جَمَعَهُ فَقَدْ وَهِمَ، وَإِنْ جَمَعَ الْعَبْقَرِيَّ ثُمَّ نَسَبَ فَقَدِ الْتَزَمَ تَكَلُّفًا خِلَافَ مَا كَلَّفَ الْأُدَبَاءُ الْتِزَامَهُ فَإِنَّهُمْ فِي الْجَمْعِ إِذَا نَسَبُوا رَدُّوهُ إِلَى الْوَاحِدِ وَهَذَا القارئ تكلف في الواحد وروده إِلَى الْجَمْعِ ثُمَّ نَسَبَهُ لِأَنَّ عِنْدَ الْعَرَبِ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ بِلَادٌ كُلُّهَا عَبْقَرٌ حَتَّى تُجْمَعَ وَيُقَالُ: عَبَاقِرُ، فَهَذَا تَكَلُّفُ الْجَمْعِ فِيمَا لَا جَمْعَ لَهُ ثُمَّ نُسِبَ إِلَى ذَلِكَ الْجَمْعِ وَالْأُدَبَاءُ تَكْرَهُ الْجَمْعَ فِيمَا يُنْسَبُ لِئَلَّا يجمعوا بين الجمع والنِّسبة" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ آنِيَةِ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : قال تعالى : **﴿يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوابٍ﴾** [الزخرف:٧١] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٦/ ١١-١١٤ باختصار) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوابٍ﴾** ، أَيْ : لَهُمْ فِي الجَنَّة أَطْعِمَةٌ وَأَشْرِبَةٌ يُطَافُ بِهَا عَلَيْهِمْ فِي صِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ. وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَطْعِمَةَ وَالْأَشْرِبَةَ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَعْنَى لِلْإِطَافَةِ بِالصِّحَافِ وَالْأَكْوَابِ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يكون فيها شي. وَذَكَرَ الذَّهَبَ فِي الصِّحَافِ وَاسْتَغْنَى بِهِ عَنِ الإعادة في الأكواب، كقوله تعالى: **﴿وَالذَّاكِرِيْنَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾** [الأحزاب: ٣٥] . وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا ، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ ". انظر صحيح البخاري (٧/ ٧٧ برقم ٥٤٢٦) ، صحيح مسلم (٢/ ١٦٣٨ برقم ٢٠٦٧) .

وَقَدْ مَضَى فِي سُورَةِ" الْحَجِّ" أَنَّ مَنْ أَكَلَ فِيهِمَا فِي الدُّنْيَا أَوْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَتُبْ حُرِمَ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ تَحْرِيمًا مُؤَبَّدًا. وَاللهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ: يَطُوفُ عَلَى أَدْنَاهُمْ فِي الجَنَّة مَنْزِلَةً سَبْعُونَ أَلْفَ غُلَامٍ بِسَبْعِينَ أَلْفَ صَحْفَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، يُغْدَى عَلَيْهِ بِهَا، فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا لَوْنٌ لَيْسَ فِي صَاحِبَتِهَا، يَأْكُلُ مِنْ آخِرِهَا

كَمَا يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يَجِدُ طَعْمَ أَوَّلِهَا، لَا يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُرَاحُ عَلَيْهِ بِمِثْلِهَا. وَيَطُوفُ عَلَى أَرْفَعِهِمْ دَرَجَةً كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُمِائَةِ أَلْفِ غُلَامٍ، مَعَ كُلِّ غُلَامٍ صَحْفَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، فِيهَا لَوْنٌ مِنَ الطَّعَامِ لَيْسَ فِي صَاحِبَتِهَا، يَأْكُلُ مِنْ آخِرِهَا كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كَمَا يَجِدُ طَعْمَ أَوَّلِهَا، لَا يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

﴿وَأَكْوابٍ﴾ ، أَيْ : وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَكْوَابٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ﴾** [الإنسان: ١٥] ، وَذَكَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ (٢/ ٧٧ برقم ٢٧٤ زهد) ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ رَجُلٍ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: يُؤْتَوْنَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ ذَلِكَ أُوتُوا بِالشَّرَابِ الطَّهُورِ فَتُضْمَرُ لِذَلِكَ بُطُونُهُمْ، وَيُفِيضُ عَرَقًا مِنْ جُلُودِهِمْ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، ثُمَّ قرأ: **﴿شَراباً طَهُوراً﴾** [الإنسان: ٢١] . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٤/ ٢١٨٠ برقم ٢٨٣٥) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، قَالُوا فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ وَالتَّكْبِيرَ- فِي رِوَايَةٍ- كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ.

الثَّانِيَةُ: رَوَى الْأَئِمَّةُ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ) . أخرجه ابن حبَّان في الصَّحيح (١٢/ ١٦١ برقم ٥٣٤٢) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. وهو في"الموطأ"٢/ ٩٢٤-٩٢٥ في صفة النبي صلى اله عليه وسلم: باب النهي عن الشراب في آنية الفضة والنفخ في الشراب. ومن طريق مالك أخرجه علي بن الجعد ٣١٤٤ والبخاري٥٦٣٤ في الأشربة: باب آنية الفضة ومسلم٢٠٦٥ في اللباس: باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب والطبراني ٢٣/ ٩٢٧ والبيهقي ١/ ٢٧ والبغوي٣٠٣٠. قلت: وليس عند مالك ولا عند من أخرج الحديث من طريقه ذكر للذهب لكن أخرج مسلم٢٠٦٥٢ عن يزيد والطبراني ٢٣/ ٩٩٥ من طريق محمد بن المثنى كلاهما عن أبي عاصم عن عثمان بن مرة عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أم سلمة وذكر فيه الذهب. قوله" إنما يجرجر" قال النووي في"شرح مسلم"١٤/ ٢٧-٢٨: اتفق العلماء من أهل الحديث واللغة والغريب وغيرهم على كسر الجيم الثانية من" يجرجر" واختلفوا في راء النار فنقلوا فيها النصب والرفع والنصب هو الصحيح المشهور الذي جزم به الأزهري وآخرون من المحققين ورجحه الزجاجي والخطابي والأكثرون ويؤيده الرواية الثالثة وهي عند مسلم٢٠٦٥٢ " .

وَقَالَ: "لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا" ، وَهَذَا يَقْتَضِي التَّحْرِيمَ، وَلَا خِلَافَ فِي ذلك....

قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿بِصِحافٍ﴾** ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الصَّحْفَةُ كَالْقَصْعَةِ وَالْجَمْعُ صِحَافٌ. قَالَ الْكِسَائِيُّ: أَعْظَمُ الْقِصَاعِ الْجَفْنَةُ ثُمَّ الْقَصْعَةُ تَلِيهَا تُشْبِعُ الْعَشَرَةَ، ثُمَّ الصَّحْفَةُ تُشْبِعُ الْخَمْسَةَ، ثُمَّ الْمِئْكَلَةُ تُشْبِعُ الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ، ثُمَّ الصُّحَيْفَةُ تُشْبِعُ الرَّجُلَ. وَالصَّحِيفَةُ الْكِتَابُ وَالْجَمْعُ صُحُفٌ وَصَحَائِفُ. قَوْلُهُ تَعَالَى:" وَأَكْوَابٍ" قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْكُوبُ كُوزٌ لَا عُرْوَةَ لَهُ، والجمع أكواب. قال الأعشى يصف الخمر:

صِرِيفِيَّةٌ طَيِّبٌ طَعْمُهَا   لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنِّ

وَقَالَ آخَرُ :

مُتَّكِئًا تَصْفِقُ أَبْوَابُهُ   يَسْعَىٰ عَلَيْهِ الْعَبْدُ بِالْكُوبِ

وَقَالَ قَتَادَةُ: الْكُوبُ الْمُدَوَّرُ الْقَصِيرُ الْعُنُقِ الْقَصِيرُ الْعُرْوَةِ. وَالْإِبْرِيقُ الْمُسْتَطِيلُ الْعُنُقِ الطَّوِيلُ الْعُرْوَةِ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: الْأَكْوَابُ الْأَبَارِيقُ الَّتِي لا خراطيم لها. وقال قطرب: هي الْأَبَارِيقُ الَّتِي لَيْسَتْ لَهَا عُرًىٰ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّهَا الْآنِيَةُ الْمُدَوَّرَةُ الْأَفْوَاهِ. السُّدِّيُّ: هِيَ الَّتِي لَا آذَانَ لَهَا. ابْنُ عَزِيزٍ :" أَكْوابٍ" أَبَارِيقُ لا عُرًىٰ لَهَا وَلَا خَرَاطِيمَ، وَاحِدُهَا كُوبٌ. قُلْتُ: وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَالسُّدِّيِّ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّهَا الَّتِي لَا آذَانَ لَهَا وَلَا عُرًىٰ ".

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢٥/ ٢٥٤-٢٥٥) : " الصِّحاف: جمع صَحْفَة، وَهِي: إِنَاءٌ مُسْتَدِيرٌ وَاسِعُ الْفَمِ يَنْتَهِي أَسْفَلُهُ بِمَا يُقَارب التكوير. والصّحفة: إِنَاءٌ لِوَضْعِ الطَّعَامِ أَوِ الْفَاكِهَةِ مِثْلُ صِحَافِ الْفَغْفُورِيِّ الصِّينِيِّ تَسَعُ شِبَعَ خَمْسَةٍ، وَهِيَ دُونُ الْقَصْعَةِ الَّتِي تَسَعُ شِبَعَ عشرَة. وَقد ورد أَن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ اتَّخَذَ صِحَافًا عَلَىٰ عَدَدِ أَزْوَاج النبيء صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ بِفَاكِهَةٍ أَوْ طُرْفَةٍ إِلَّا أَرْسَلَ إِلَيْهِنَّ مِنْهَا فِي تِلْكَ الصِّحَافِ.

وَالْأَكْوَابُ: جَمْعُ كُوبٍ بِضَمِّ الْكَافِ وَهُوَ إِنَاءٌ لِلشَّرَابِ مِنْ مَاءٍ أَوْ خَمْرٍ مُسْتَطِيلُ الشَّكْلِ لَهُ عُنُقٌ قَصِيرٌ فِي أَعْلَىٰ ذَلِكَ الْعُنُقِ فَمُهُ وَهُوَ مَصَبٌّ مَا فِيهِ، وَفَمُهُ أَضْيَقُ مِنْ جَوْفِهِ، وَالْأَكْثَرُ أَنْ لَا تَكُونَ لَهُ عُرْوَةٌ يُمْسَكُ مِنْهَا فَيُمْسَكُ بِوَضْعِ الْيَدِ عَلَىٰ عُنُقِهِ، وَقَدْ تَكُونُ لَهُ عُرْوَةٌ قَصِيرَةٌ، وَهُوَ أَصْغَرُ مِنَ الْإِبْرِيقِ إِلَّا أَنَّهُ لَا خُرْطُومَ لَهُ وَلَا عُرْوَةَ فِي الْغَالِبِ. وَأَمَّا الْإِبْرِيقُ فَلَهُ عُرْوَةٌ وَخُرْطُومٌ.

وَحُذِفَ وَصْفُ الْأَكْوَابِ لِدَلَالَةِ وَصْفِ صِحَافٍ عَلَيْهِ، أَيْ وَأَكْوَابٌ مِنْ ذَهَبٍ. وَهَذِهِ الْأَكْوَابُ تَكُونُ لِلْمَاءِ وَتَكُونُ لِلْخَمْرِ" .

وقال تعالىٰ : **﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا * قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِيراً﴾** [الإنسان:١٥-١٦] .

قال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن " (٥/ ١٩٣) : " قَالَ الْكَلْبِيُّ: إِنَّ اللهَ جَعَلَ قَوَارِيرَ كُلِّ قَوْمٍ مِنْ تُرَابِ أَرْضِهِمْ، وَإِنَّ أَرْضَ الْجَنَّةِ مِنْ فِضَّةٍ، فَجَعَلَ مِنْهَا قَوَارِيرَ يَشْرَبُونَ فِيهَا، قَدَّرُوها تَقْدِيراً، قَدَّرُوا

الْكَأْسَ عَلَىٰ قَدْرِ رِيِّهِمْ ، لَا تزيد ولا تنقص، أَيْ قَدَّرَهَا لَهُمُ السُّقَاةُ وَالْخَدَمُ الَّذِينَ يَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ يُقَدِّرُونَهَا ثُمَّ يسقون" .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣٠/ ٧٥١-٧٥٢) : " فِي الْآيَةِ سُؤَالَاتٌ:

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوابٍ**﴾ [الزُّخْرُفِ: ٧١] ، وَالصِّحَافُ هِيَ الْقِصَاعُ، وَالْغَالِبُ فِيهَا الْأَكْلُ فَإِذَا كَانَ مَا يَأْكُلُونَ فِيهِ ذَهَبًا فَمَا يَشْرَبُونَ فِيهِ أَوْلَىٰ أَنْ يَكُونَ ذَهَبًا لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنْ يُتَنَوَّقَ فِي إناء الشرب مالا يُتَنَوَّقُ فِي إِنَاءِ الْأَكْلِ وَإِذَا دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ إِنَاءَ شُرْبِهِمْ يَكُونُ مِنَ الذهب فكيف ذكر هاهنا أَنَّهُ مِنَ الْفِضَّةِ ، وَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فَتَارَةً يُسْقَوْنَ بِهَذَا وَتَارَةً بِذَاكَ.

السُّؤَالُ الثَّانِي: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْآنِيَةِ وَالْأَكْوَابِ؟ الْجَوَابُ: قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْأَكْوَابُ الْكِيزَانُ الَّتِي لَا عُرَىٰ لَهَا، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ مَعْنَىٰ أَنَّ الْإِنَاءَ يَقَعُ فِيهِ الشُّرْبُ كَالْقَدَحِ، وَالْكُوبُ مَا صُبَّ مِنْهُ فِي الْإِنَاءِ كَالْإِبْرِيقِ.

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: مَا مَعْنَىٰ كانَتْ الْجَوَابُ: هُوَ من يكون في قوله: ﴿**كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [البقرة: ١١٧] ، أَيْ : تَكَوَّنَتْ قَوَارِيرَ بِتَكْوِينِ اللهِ تَفْخِيمًا لِتِلْكَ الْخِلْقَةِ الْعَجِيبَةِ الشَّأْنِ الْجَامِعَةِ بَيْنَ صِفتَي الْجَوْهَرَيْنِ الْمُتَبَايِنَيْنِ.

السُّؤَالُ الرَّابِعُ: كَيْفَ تَكُونُ هَذِهِ الْأَكْوَابُ مِنْ فِضَّةٍ وَمِنْ قَوَارِيرَ؟ الْجَوَابُ: عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ أَحَدُهَا: أَنَّ أَصْلَ الْقَوَارِيرِ فِي الدُّنْيَا الرَّمْلُ وَأَصْلُ قَوَارِيرِ الجَنَّة هُوَ فِضَّةُ الجَنَّة فَكَمَا أَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَقْلِبَ الرَّمْلَ الْكَثِيفَ زُجَاجَةً صَافِيَةً، فَكَذَلِكَ هُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَقْلِبَ فِضَّةَ الجَنَّة قَارُورَةً لَطِيفَةً، فَالْغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْآيَةِ، التَّنْبِيهُ عَلَىٰ أَنَّ نِسْبَةَ قَارُورَةِ الجَنَّة إِلَىٰ قَارُورَةِ الدُّنْيَا كَنِسْبَةِ فِضَّةِ الجَنَّة إِلَىٰ رَمْلِ الدُّنْيَا، فَكَمَا أَنَّهُ لَا نِسْبَةَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ، فَكَذَا بَيْنَ الْقَارُورَتَيْنِ فِي الصَّفَاءِ وَاللَّطَافَةِ وثَانِيهَا: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مِمَّا فِي الجَنَّة إِلَّا الْأَسْمَاءُ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَمَالُ الْفِضَّةِ فِي بَقَائِهَا وَنَقَائِهَا وَشَرَفِهَا إِلَّا أَنَّهُ كَثِيفُ الْجَوْهَرِ، وَكَمَالُ الْقَارُورَةِ فِي شَفَافِيَّتِهَا وَصَفَائِهَا إِلَّا أَنَّهُ سَرِيعُ الِانْكِسَارِ، فَآنِيَةُ الجَنَّة آنِيَةٌ يَحْصُلُ فِيهَا مِنَ الْفِضَّةِ بَقَاؤُهَا وَنَقَاؤُهَا، وَشَرَفُ جَوْهَرِهَا، وَمِنَ الْقَارُورَةِ، صَفَاؤُهَا وَشَفَافِيَّتُهَا وَثَالِثُهَا: أَنَّهَا تَكُونُ فِضَّةً وَلَكِنْ لَهَا صَفَاءُ الْقَارُورَةِ، وَلَا يُسْتَبْعَدُ مِنْ قُدْرَةِ اللهَّ تَعَالَىٰ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ وَرَابِعُهَا: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْقَوَارِيرِ فِي الْآيَةِ لَيْسَ هُوَ الزُّجَاجَ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي مَا اسْتَدَارَ مِنَ الْأَوَانِي الَّتِي تُجْعَلُ فِيهَا الْأَشْرِبَةُ وَرَقَّ وَصَفَا قَارُورَةً، فَمَعْنَى الْآيَةِ وَأَكْوَابٍ مِنْ فِضَّةٍ مُسْتَدِيرَةٍ صَافِيَةٍ رَقِيقَةٍ.

السُّؤالُ الخَامِسُ: كيف القراءة في قَوارِيرَا قَوارِيرَا؟ **الْجَوَابُ**: قُرِئَا غَيْرَ مُنَوَّنَيْنِ وَبِتَنْوِينِ الْأَوَّلِ وَبِتَنْوِينِهِمَا، وَهَذَا التَّنْوِينُ بَدَلٌ عَنْ أَلِفِ الْإِطْلَاقِ لِأَنَّهُ فَاصِلَةٌ، وَفِي الثَّانِي لِإِتْبَاعِهِ الْأَوَّلَ لِأَنَّ الثَّانِيَ بَدَلٌ مِنَ الْأَوَّلِ فَيَتْبَعُ الْبَدَلُ الْمُبْدَلَ، وَقُرِئَ: قَوَارِيرُ مِنْ فِضَّةٍ بِالرَّفْعِ عَلَى هِيَ قَوَارِيرُ، وقدروها صفة لقوارير مِنْ فِضَّةٍ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿قَدَّرُوها تَقْدِيراً﴾** فَفِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَالَ الْمُفَسِّرُونَ مَعْنَاهُ: قَدَّرُوها تَقْدِيراً عَلَى قَدْرِ رِيِّهِمْ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ مِنَ الرِّيِّ لِيَكُونَ أَلَذَّ لِشُرْبِهِمْ، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: إِنَّ تِلْكَ الْأَوَانِيَ تَكُونُ بِمِقْدَارِ مِلْءِ الْكَفِّ لَمْ تَعْظُمْ فَيَثْقُلَ حملها.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ مُنْتَهَى مُرَادِ الرَّجُلِ فِي الْآنِيَةِ الَّتِي يَشْرَبُ مِنْهَا الصَّفَاءُ وَالنَّقَاءُ وَالشَّكْلُ. أَمَّا الصَّفَاءُ فَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: **﴿كانَتْ قَوارِيرَا﴾**، وَأَمَّا النَّقَاءُ فَقَدْ ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ: **﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾**، وَأَمَّا الشَّكْلُ فَقَدْ ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ: **﴿قَدَّرُوها تَقْدِيراً﴾**.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: الْمُقَدِّرُ لِهَذَا التَّقْدِيرِ مَنْ هُوَ؟ فِيهِ قَوْلَانِ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ هُمُ الطَّائِفُونَ الَّذِينَ دَلَّ عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ﴾**، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدَّرُوا شَرَابَهَا عَلَى قَدْرِ رِيِّ الشَّارِبِ، وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ هُمُ الشَّارِبُونَ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ إِذَا اشْتَهَوْا مِقْدَارًا مِنَ الْمَشْرُوبِ جَاءَهُمْ عَلَى ذَلِكَ القدر".

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ١٤٠-١٤١): " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ﴾**، أَيْ: يَدُورُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ الْخَدَمُ إِذَا أَرَادُوا الشَّرَابَ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ، قَالَ ابن عبَّاس: ليس في الدُّنيا شيء مِمَّا فِي الجَنَّة إِلَّا الْأَسْمَاءُ، أَيْ: مَا فِي الجَنَّة أَشْرَفُ وَأَعْلَى وَأَنْقَى. ثُمَّ لَمْ تُنْفَ الْأَوَانِي الذَّهَبِيَّةُ بَلِ الْمَعْنَى يُسْقَوْنَ فِي أَوَانِي الْفِضَّةِ، وَقَدْ يُسْقَوْنَ فِي أَوَانِي الذَّهَبِ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: **﴿يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوابٍ﴾** [الزخرف: ٧١]. وَقِيلَ: نَبَّهَ بِذِكْرِ الْفِضَّةِ عَلَى الذَّهَبِ، كَقَوْلِهِ: **﴿سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾** [النحل: ٨١]، أَيْ وَالْبَرْدَ، فَنَبَّهَ بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا عَلَى الثَّانِي. وَالْأَكْوَابُ: الْكِيزَانُ الْعِظَامُ الَّتِي لَا آذَانَ لَهَا وَلَا عُرًى، الْوَاحِدُ مِنْهَا كُوبٌ، وَقَالَ عَدِيٌّ:

مُتَّكِئًا تُقْرَعُ أَبْوَابُهُ   يَسْعَى عَلَيْهِ الْعَبْدُ بِالْكُوبِ

وقد مضى في" الزُّخرف". **﴿كانَتْ قَوارِيرَا * قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ﴾**، أَيْ: فِي صَفَاءِ الْقَوَارِيرِ وَبَيَاضِ الْفِضَّةِ، فَصَفَاؤُهَا صَفَاءُ الزُّجَاجِ وَهِيَ مِنْ فِضَّةٍ. وقيل: أرض الجَنَّة مِنْ فِضَّةٍ، وَالْأَوَانِي تُتَّخَذُ مِنْ تُرْبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ مِنْهَا. ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَالَ: ليس في الجَنَّة شيء إِلَّا قَدْ أُعْطِيتُمْ فِي الدُّنْيَا شَبَهَهُ، إِلَّا الْقَوَارِيرُ مِنْ فِضَّةٍ. وَقَالَ: لَوْ أَخَذْتَ فِضَّةً مِنْ فِضَّةِ الدُّنْيَا فَضَرَبْتَهَا حَتَّى تَجْعَلَهَا مِثْلَ جَنَاحِ الذُّبَابِ لَمْ تَرَ مِنْ وَرَائِهَا الْمَاءَ، وَلَكِنَّ

قَوَارِيرَ الجَنَّةِ مِثْلَ الْفِضَّةِ فِي صَفَاءِ الْقَوَارِيرِ. ﴿قَدَّرُوها تَقْدِيراً﴾ قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِفَتْحِ الْقَافِ وَالدَّالِ، أَيْ : قَدَّرَهَا لَهُمُ السُّقَاةُ الَّذِينَ يَطُوفُونَ بِهَا عَلَيْهِمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُمَا: أَتَوْا بِهَا عَلَى قَدْرِ رِيِّهِمْ، بِغَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ. الْكَلْبِيُّ: وَذَلِكَ أَلَذُّ وَأَشْهَى، وَالْمَعْنَى: قَدَّرَتْهَا الْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَطُوفُ عَلَيْهِمْ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا: قَدَّرُوهَا عَلَى مِلْءِ الْكَفِّ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ، حَتَّى لَا تُؤْذِيَهُمْ بِثِقَلٍ أَوْ بِإِفْرَاطِ صِغَرٍ. وَقِيلَ: إِنَّ الشَّارِبِينَ قَدَّرُوا لَهَا مَقَادِيرَ فِي أَنْفُسِهِمْ عَلَى مَا اشْتَهُوا وَقَدَرُوا. وَقَرَأَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ وَالشَّعْبِيُّ وَابْنُ سِيرِينَ (قُدِّرُوهَا) بِضَمِّ الْقَافِ وَكَسْرِ الدَّالِّ، أَيْ جُعِلَتْ لَهُمْ عَلَى قَدْرِ إِرَادَتِهِمْ. وَذَكَرَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ الْمَهْدَوِيُّ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَقَالَ: وَمَنْ قَرَأَ قَدَّرُوها فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى مَعْنَى الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى، وَكَأَنَّ الْأَصْلَ قُدِّرُوا عَلَيْهَا فَحُذِفَ الْجَرُّ، وَالْمَعْنَى قُدِّرَتْ عَلَيْهِمْ، وَأَنْشَدَ سِيبَوَيْهُ :

آلَيْتُ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ آكُلُهُ   وَالْحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرْيَةِ السُّوسُ

وَذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْمَعْنَى عَلَى حَبِّ الْعِرَاقِ. وَقِيلَ: هَذَا التَّقْدِيرُ هُوَ أَنَّ الْأَقْدَاحَ تَطِيرُ فَتَغْتَرِفُ بِمِقْدَارِ شَهْوَةِ الشَّارِبِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدَّرُوها تَقْدِيراً﴾ ، أَيْ : لَا يَفْضُلُ عَنِ الرِّيِّ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَدْ أُلْهِمَتِ الْأَقْدَاحُ مَعْرِفَةَ مِقْدَارِ رِيِّ الْمُشْتَهِي حَتَّى تَغْتَرِفَ بِذَلِكَ الْمِقْدَارِ. ذَكَرَ هَذَا الْقَوْلَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي" نَوَادِرِ الْأُصُولِ".

وروى أحمد في " المسند" (١٩/ ٣٧٨ برقم ١٢٣٨٥) بسنده عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ، فَرُبَّمَا قَالَ: " هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ " فَإِذَا رَأَى الرَّجُلُ رُؤْيَا سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، كَانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْتُ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ بِهَا وَجْبَةً، ارْتَجَّتْ لَهَا الْجَنَّةُ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا قَدْ جِيءَ بِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، وَفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، حَتَّى عَدَّتْ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا وَقَدْ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً قَبْلَ ذَلِكَ، قَالَتْ: فَجِيءَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ طُلْسٌ، تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُمْ قَالَتْ: فَقِيلَ: اذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى نَهْرِ الْبَيْذخِ ، - أَوْ قَالَ: إِلَى نَهَرِ الْبَيْدَحِ - قَالَ: فَغُمِسُوا فِيهِ، فَخَرَجُوا مِنْهُ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. قَالَتْ: ثُمَّ أَتَوْا بِكَرَاسِيَّ مِنْ ذَهَبٍ فَقَعَدُوا عَلَيْهَا، وَأُتِيَ بِصَحْفَةٍ - أَوْ كَلِمَةٍ نَحْوِهَا - فِيهَا بُسْرَةٌ، فَأَكَلُوا مِنْهَا، فَمَا يُقَلِّبُونَهَا لِشِقٍّ، إِلَّا أَكَلُوا مِنْ فَاكِهَةٍ مَا أَرَادُوا، وَأَكَلْتُ مَعَهُمْ. قَالَ: فَجَاءَ الْبَشِيرُ مِنْ تِلْكَ السَّرِيَّةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَانَ مِنْ أَمْرِنَا كَذَا وَكَذَا، وَأُصِيبَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، حَتَّى عَدَّ الِاثْنَيْ عَشَرَ الَّذِينَ عَدَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عَلَيَّ بِالْمَرْأَةِ " فَجَاءَتْ، قَالَ: " قُصِّي عَلَى هَذَا رُؤْيَاكِ " فَقَصَّتْ، قَالَ: هُوَ كَمَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ" . قال الأرنؤوط : " إسناده

صحيح على شرط مسلم. وأخرجه الضياء في "المختارة" (١٧١٦) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، بهذا الإسناد. وأخرجه أبو يعلى (٣٢٨٩) ، ومن طريقه ابن حبان (٦٠٥٤) ، والضياء (١٧١٥) ، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٧/ ٢٦ من طريق شيبان بن فرّوخ، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٧/ ٢٦ من طريق موسى بن إسماعيل، كلاهما عن سليمان بن المغيرة، به. وأخرج النسائي في "الكبرى" (٧٦٢٢) أوله فقط من طريق أبي هشام، عن سليمان بن المغيرة، به. قوله: "وجْبة"، قال السندي: السقطة مع الهدة، وقيل: صوت السقوط. "طُلس" جمع أطلس، وهو الأسود والوسخ، ومنه رجال طُلّس، أي: مُغْبرُّ الألوان. "تشخب"، أي: تسيل " .

وروى البخاري (٦/ ١٤٥ برقم ٤٨٧٨) ، مسلم (١/ ١٦٣ برقم ١٨٠) بسندهما عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ، عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ» .

وروى البخاري (٧/ ٧٧ برقم ٥٤٢٦) ، مسلم (٣/ ١٦٣٨ برقم ٢٠٦٧) بسندهما عَنْ سَيْفُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا، يَقُولُ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى: أَنَّهُمْ كَانُوا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَاسْتَسْقَى فَسَقَاهُ مَجُوسِيٌّ، فَلَمَّا وَضَعَ القَدَحَ فِي يَدِهِ رَمَاهُ بِهِ، وَقَالَ: لَوْلاَ أَنِّي نَهَيْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلاَ مَرَّتَيْنِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَمْ أَفْعَلْ هَذَا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لاَ تَلْبَسُوا الحَرِيرَ وَلاَ الدِّيبَاجَ، وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ أَنْهَارِ الجَنَّة ؟

الجواب : ذكر الله تعالى في القرآن العظيم العدي من الآيات التي تطرَّقت لأنهار الجَنَّة ، منها:

قوله تعالى : **﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** [البقرة:٢٥] .

وقوله تعالى : **﴿قُلْ أَأُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها﴾** [آل عمران:١٥] .

وقوله تعالى : **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [النساء:١٣] .

وقوله تعالى : **﴿وَقالَ اللهَّ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَّ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ﴾** [المائدة:١٢] .

وقوله تعالى : **﴿وَأَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾** [الأنعام:٦] .

وقوله تعالى : **﴿وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ﴾** [الأعراف:٤٣] .

وقوله تعالى : **﴿إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ﴾** [الكوثر:١] .

وأنهار الجَنَّة تجري من تحتها؛ وهذا أمر يزيد المشهد بهجة وروعة وجمالاً ، قال الله تعالىٰ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾** [البروج:١١] ، وقال تعالىٰ : **﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾** [البينة:٨] .

وقد ذكر القرآن الكريم أنَّ أنهار الجَنَّة علىٰ أصناف ، منها أنهار من ماء غير متغيِّر ولم تأت عليه الأيَّام والسُّنون ، وأنهار من لبن لم يتغيَّر طعمه إلىٰ الحموضة ، وأنهار من خمر لذَّة للشَّاربين ، لم تدنِّسها الأيدي ولا الأرجل ، وأنهار من عسل مصفَّىٰ من الشَّوائب والأكدار ، قال تعالىٰ : **﴿مَثَلُ الجَنَّة الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن ماء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾** [محمد:١٥] . فالآية الكريمة ذكرت أربعة من أنهار الجَنَّة ...

وفي السُّنَّة المطهَّرة جاء ذكر عدَّة أسماء من أسماء أنهار الجَنَّة ، منها:

۞ **أَوَّلاً** ۞ : **نَهْرَا النِّيْلِ وَالفُرَات** : فقد روىٰ البخاري (٧/ ١٠٩ برقم ٥٦١٠) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " رُفِعْتُ إِلَى السِّدْرَةِ، فَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهَرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهَرَانِ بَاطِنَانِ، فَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: النِّيلُ وَالفُرَاتُ، وَأَمَّا البَاطِنَانِ: فَنَهَرَانِ فِي الجَنَّةِ، فَأُتِيتُ بِثَلاَثَةِ أَقْدَاحٍ: قَدَحٌ فِيهِ لَبَنٌ، وَقَدَحٌ فِيهِ عَسَلٌ، وَقَدَحٌ فِيهِ خَمْرٌ، فَأَخَذْتُ الَّذِي فِيهِ اللَّبَنُ فَشَرِبْتُ، فَقِيلَ لِي: أَصَبْتَ الفِطْرَةَ أَنْتَ وَأُمَّتُكَ " .

۞ **ثَانِياً** ۞ : **نَهْرَ الكَوْثَر** : فقد روىٰ البخاري (٨/ ١٢٠ برقم ٦٥٨١) بسنده عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ " شَكَّ هُدْبَةُ.

وروىٰ البخاري (٦/ ١٧٨ برقم ٤٩٦٦) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: " فِي الكَوْثَرِ: هُوَ الخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ "، قَالَ أَبُو بِشْرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرٌ فِي الجَنَّةِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهَرُ الَّذِي فِي الجَنَّةِ مِنَ الخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ" .

وروىٰ مسلم (١/ ٣٠٠ برقم ٤٠٠) بسنده عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾** [الكوثر:

١-٣] ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ " زَادَ ابْنُ حُجْرٍ، فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ. وَقَالَ: «مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ " .

وروى أحمد في " المسند" (٢٠/ ١٨ برقم ١٢٥٤٢) بسنده عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُعْطِيتُ الْكَوْثَرَ، فَإِذَا هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي كَذَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ، لَيْسَ مَشقُوقًا، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى تُرْبَتِهِ، فَإِذَا مِسْكَةٌ ذَفِرَةٌ، وَإِذَا حَصَاهُ اللُّؤْلُؤُ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أبو يعلي (٣٢٩٠) عن عبد الرحمن بن سلام الجمحي، وابن حبان (٦٤٧١) من طريق هدبة بن خالد، كلاهما عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد " .

وروى أحمد في " المسند" (٢١/ ١٣٢ برقم ١٣٤٧٥) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكَوْثَرِ، فَقَالَ: " هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللهُ فِي الْجَنَّةِ، تُرَابُهُ الْمِسْكُ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، تَرِدُهُ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا مِثْلُ أَعْنَاقِ الْجُزُرِ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهَا لَنَاعِمَةٌ، فَقَالَ: آكِلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد حسن، محمد بن عبد الله بن مسلم الزهري- وإن روى له الشيخان- فيه كلام ينزله عن رتبة الصحيح، وباقي رجال الإسناد ثقات. وأخرجه الضياء في "المختارة" (٢٢٥٨) من طريق عبد الله بن أحمد، عن أبيه، بهذا الإسناد. وأخرجه الطبري ٣٠/ ٣٢٤ من طريق أبي أيوب العباسي- وهو سليمان بن داود الهاشمي- به. وأخرجه الترمذي (٢٥٤٢) من طريق عبد الله بن مسلمة، عن محمد بن عبد الله بن مسلم، به. وجاء في روايته مكان "أبو بكر": "عمر". وحسنه. وأخرجه أبو نعيم في "صفة الجنة" (٣٤٢) من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عبد الله بن مسلم، به" .

۞ **ثَالِثاً** ۞ : **نَهْرَا سَيْحَان وَجَيْحَان** : فقد روى مسلم (٤/ ٢١٨٣ برقم ٢٨٣٩) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ، وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّة " .

قال الإمام ابن حزم في " المحلَّى بالآثار " (٥/ ٣٣٠) : " وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ لَيْسَ عَلَى مَا يَظُنُّهُ أَهْلُ الْجَهْلِ مِنْ أَنَّ تِلْكَ الرَّوْضَةَ قِطْعَةٌ مُنْقَطِعَةٌ مِنْ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَنْهَارَ مُهْبَطَةٌ مِنْ الْجَنَّةِ، هَذَا بَاطِلٌ وَكَذِبٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَقُولُ فِي الجَنَّة **﴿إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى﴾** [طه: ١١٨ - ١١٩] ، فَهَذِهِ صِفَةُ الجَنَّة بِلَا شَكٍّ وَلَيْسَتْ هَذِهِ صِفَةَ الْأَنْهَارِ الْمَذْكُورَةِ وَلَا تِلْكَ الرَّوْضَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَا يَقُولُ إلَّا الْحَقَّ.

فَصَحَّ أَنَّ كَوْنَ تِلْكَ الرَّوْضَةِ مِنْ الجَنَّة إِنَّمَا هُوَ لَفْظُهَا، وَأَنَّ الصَّلَاةَ فِيهَا تُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَنَّ تِلْكَ الْأَنْهَارَ لِبَرَكَتِهَا أُضِيفَتْ إِلَى الْجَنَّةِ، كَمَا تَقُولُ فِي الْيَوْمِ الطَّيِّبِ: هَذَا مِنْ أَيَّامِ الْجَنَّةِ؛ وَكَمَا قِيلَ فِي الضَّأْنِ: إِنَّهَا مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ، وَكَمَا قَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: «إِنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» فَهَذَا فِي أَرْضِ الْكُفْرِ بِلَا شَكٍّ وَلَيْسَ فِي هَذَا فَضْلٌ لَهَا عَلَىٰ مَكَّةَ " .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٧/١٧٦-١٧٧) : " اعْلَمْ أَنَّ سَيْحَانَ وَجَيْحَانَ غَيْرُ سَيْحُونَ وَجَيْحُونَ ، فَأَمَّا سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ الْمَذْكُورَانِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ اللَّذَانِ هُمَا مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّة فِي بِلَادِ الأرمن فجيحان نهر المصيصة وسيحان نهر إذنه ، وَهُمَا نَهْرَانِ عَظِيمَانِ جِدًّا أَكْبَرُهُمَا جَيْحَانُ ، فَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ فِي مَوْضِعِهِمَا . وَأَمَّا قَوْلُ الْجَوْهَرِيِّ في صحاحه : جيحان نهر بالشَّام فَغَلَطٌ أَوْ أَنَّهُ أَرَادَ الْمَجَازَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ بِبِلَادِ الْأَرْمَنِ ، وَهِيَ مُجَاوِرَةٌ لِلشَّامِ . قَالَ الْحَازِمِيُّ : سَيْحَانُ نَهْرٌ عِنْدَ الْمُصَيِّصَةِ ، قَالَ : وَهُوَ غَيْرُ سَيْحُونَ . وَقَالَ صَاحِبُ نِهَايَةِ الْغَرِيبِ : سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ نَهْرَانُ بِالْعَوَاصِمِ عِنْدَ الْمُصَيِّصَةِ وَطَرْسُوسُ ، وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَىٰ أَنَّ جَيْحُونَ بِالْوَاوِ نَهْرٌ وَرَاءَ خُرَاسَانَ عِنْدَ بَلْخٍ ، وَاتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنَّهُ غَيْرُ جَيْحَانَ ، وَكَذَلِكَ سَيْحُونُ غَيْرُ سَيْحَانَ ، وَأَمَّا قَوْلُ الْقَاضِي عِيَاضُ : هَذِهِ الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ أَكْبَرُ أَنْهَارِ بلاد الإسلام ، فَالنِّيلُ بِمِصْرَ وَالْفُرَاتُ بِالْعِرَاقِ وَسَيْحَانُ وَجَيْحَانُ ، وَيُقَالُ : سَيْحُونَ وَجَيْحُونَ بِبِلَادِ خُرَاسَانَ ، فَفِي كَلَامِهِ إِنْكَارٌ مِنْ أَوْجُهٍ :

أَحَدُهَا : قَوْلُهُ الْفُرَاتُ بِالْعِرَاقِ وَلَيْسَ بِالْعِرَاقِ بَلْ هُوَ فَاصِلٌ بَيْنَ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ .

وَالثَّانِي : قَوْلُهُ سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ ، وَيُقَالُ : سَيْحُونُ وَجَيْحُونُ ، فَجَعَلَ الْأَسْمَاءَ مُتَرَادِفَةً ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ سَيْحَانُ غَيْرُ سَيْحُونَ ، وَجَيْحَانُ غَيْرُ جَيْحُونَ بِاتِّفَاقِ النَّاسِ كما سبق .

الثَّالِثُ : أَنَّهُ بِبِلَادِ خُرَاسَانَ ، وَأَمَّا سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ بِبِلَادِ الْأَرْمَنِ بِقُرْبِ الشَّامِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَأَمَّا كَوْنُ هَذِهِ الْأَنْهَارُ مِنْ مَاءِ الجَنَّة فَفِيهِ تَأْوِيلَانِ ذَكَرَهُمَا الْقَاضِي عِيَاضُ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْإِيمَانَ عَمَّ بِلَادَهَا أَوِ الْأَجْسَامُ الْمُتَغَذِّيَةِ بِمَائِهَا صَائِرَةٌ إِلَى الجَنَّة .

وَالثَّانِي : وَهُوَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا عَلَىٰ ظَاهِرِهَا ، وَأَنَّ لَهَا مَادَّةٌ مِنَ الجَنَّة ، وَالْجَنَّةُ مَخْلُوقَةٌ موجودة اليوم عند أهل السُّنَّة ، وقد ذكر مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ أَنَّ الْفُرَاتَ وَالنِّيلَ يَخْرُجَانِ مِنَ الجَنَّة ، وَفِي البخاري من أصل سدرة المنتهىٰ " .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني في " فتح الباري" (٧/ ٢١٤) : " وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِلَفْظِ : سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّة ، فَلَا يُغَايِرُ هَذَا ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَنَّ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ أَصْلُهَا مِنَ الجَنَّة ، وَحِينَئِذٍ لَمْ يَثْبُتْ لِسَيْحُونَ وَجَيْحُونَ أَنَّهُمَا يَنْبُعَانِ مِنْ أَصْلِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ فَيَمْتَازُ النِّيلُ وَالْفُرَاتُ عَلَيْهِمَا بِذَلِكَ ، وَأَمَّا الْبَاطِنَانِ الْمَذْكُورَانِ فِي حَدِيثِ الْبَابِ فَهُمَا غَيْرُ سَيْحُونَ وَجَيْحُونَ ، وَاللهُ أَعْلَمُ "

وقال الإمام القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٩/ ٣٥٨٦) : " إِنَّمَا جَعَلَ الْأَنْهَارَ الْأَرْبَعَةَ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّة لِمَا فِيهَا مِنَ الْعُذُوبَةِ وَالْهَضْمِ، وَلِتَضَمُّنِهَا الْبَرَكَةَ الْإِلَهِيَّةَ وَتَشَرُّفِهَا بِوُرُودِ الْأَنْبِيَاءِ إِلَيْهَا وَشُرْبِهِمْ مِنْهَا، ذَلِكَ وَمِثْلُ قَوْلِهِ – صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ: (إِنَّهَا مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ) . وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ عَنِ الْأَنْهَارِ الَّتِي هِيَ أُصُولُ أَنْهَارِ الجَنَّة بِتِلْكَ الْأَسَامِي لِيُعْلَمَ أَنَّهَا فِي الجَنَّة بِمَثَابَةِ الْأَنْهَارِ الْأَرْبَعَةِ فِي الدُّنْيَا، أَوْ لِأَنَّهَا مُسَمَّيَاتٌ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ، فَوَقَعَ الِاشْتِرَاكُ فِيهَا، كَذَا ذَكَرَ شَارِحٌ مِنْ عُلَمَائِنَا" .

۞ **رَابِعاً** ۞ : **نَهْرُ بَارِق** : وهو نهرٌ علىٰ باب الجَنَّة ، يجلس عنده الشُّهداء فيأتيهم رزقهم من الجَنَّة بكرة وعشيًّا ، فقد روىٰ أحمد في " المسند" (٤/ ٢٢٠ برقم ٢٣٩٠) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الشُّهَدَاءُ عَلَىٰ بَارِقٍ – نَهْرٍ بِبَابِ الجَنَّة – فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجَنَّة بُكْرَةً وَعَشِيًّا " . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن، ابن إسحاق حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح. وهو في "سيرة ابن هشام" ٣/ ١٢٦ عن ابن إسحاق، وقال ابن كثير في "التفسير" ٢/ ١٤٢ : وهو إسناد جيد. وأخرجه ابن حبان (٤٦٥٨) عن أبي يعلىٰ، عن أبي خيثمة، عن يعقوب بن إبراهيم، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبي شيبة ٥/ ٢٩٠، وهناد في "الزهد" (١٦٦) ، وابن أبي عاصم في "الجهاد" (١٩٩) ، وعبد بن حميد (٧٢١) ، وابن جرير الطبري ٢/ ٤٠ و٤/ ١٧١ و١٧١-١٧٢ و١٧٢، والطبراني في "الكبير" (١٠٨٢٥) ، وفي "الأوسط" (١٢٣) ، والحاكم ٢/ ٧٤، والبيهقي في "الشعب" (٤٢٤١) ، وفي "إثبات عذاب القبر" (٧٨) من طرق عن محمد بن إسحاق، به. وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي! قوله: "علىٰ بارق نهر الجنة"، قال السندي: لعل المرادَ به الموضع الذي يبرق منه النهرُ الذي بباب الجَنَّة ويظهر، والله تعالىٰ أعلم " .

۞ **خَامِسَاً** ۞ : **نَهْرُ الْبَيْدَخِ أَوِ الْبَيْدَحِ** : وهو نهر يُغمس فيه الشُّهداء ، فيخرجون منه كالقمر ليلة البدر ، فيصيرون وقد ذهب عنهم ما كانوا وجدوه من أذىٰ الدُّنيا ، فقد روىٰ أحمد في " المسند" (٢١/ ٢٦٠ برقم ١٣٦٩٨) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ، فَرُبَّمَا قَالَ: " رَأَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا "، فَإِذَا رَأَىٰ الرَّجُلُ الرُّؤْيَا الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، كَانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ إِلَيْهِ، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، رَأَيْتُ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ وَجْبَةً ارْتَجَّتْ لَهَا الْجَنَّةُ، فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَفُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، حَتَّىٰ عَدَّتْ اثْنَيْ عَشَرَ

رَجُلًا، فَجِيءَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ طُلْسٌ، تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُمْ دَمًا، فَقِيلَ: اذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى نَهَرِ الْبَيْدَخِ أَوِ الْبَيْدَحِ فَغْمِسُوا فِيهِ، فَخَرَجُوا مِنْهُ وُجُوهُهُمْ مِثْلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ أُتُوا بِكَرَاسِيَّ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَعَدُوا عَلَيْهَا، وَأُتُوا بِصَحْفَةٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا، فَمَا يَقْلِبُونَهَا لِشِقٍّ إِلَّا أَكَلُوا فَاكِهَةً مَا أَرَادُوا. وَجَاءَ الْبَشِيرُ مِنْ تِلْكَ السَّرِيَّةِ، فَقَالَ: كَانَ مِنْ أَمْرِنَا كَذَا وَكَذَا، وَأُصِيبَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ حَتَّى عَدَّ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا الَّذِينَ عَدَّتِ الْمَرْأَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عَلَيَّ بِالْمَرْأَةِ "، فَجَاءَتْ قَالَ: " قُصِّي عَلَى هَذَا رُؤْيَاكِ "، فَقَصَّتْ، فَقَالَ: هُوَ كَمَا قَالَتْ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سليمان- وهو ابن المغيرة- فمن رجال مسلم، وروى له البخاري تعليقاً ومقروناً. وأخرجه أبو عوانة في الرؤيا كما في "الإتحاف " ١/ ٥٣١ من طريق عفان، بهذا الإسناد " .

فهذه هي أنهار الجَنَّة : النِّيل ، والفرات ، والكوثر ، وسَيْحَان ، وَجَيْحَان وبارق ، الْبَيْدَخِ أَوِ الْبَيْدَحِ ، بالإضافة إلى الأنهار التي وردت في القرآن ، وهي أنهار الماء غير الآسن ، وأنهار اللبن الذي لم يتغيَّر طعمه ، وأنهار الخمر الموصوف بأنَّه لذَّة للشَّاربين ، وأنهار العسل المصفَّى من الشَّوائب والأكدار...وقد ذكر الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة الحكمة أوصاف هذه الأنهار ، فقال في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" (ص١٧٩-١٨٠) : " فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ، ونفى عن كلِّ واحد منها الآفة التي تعرض له في الدُّنيا ، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مُكثه ، وآفة اللبن أن يتغيَّر طعمه إلى الحموضة ، وأن يصير قارصاً ، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي في اللذَّة وشربها وآفة العسل عدم تصفيتة.

وهذا من آيات الرَّب تعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدُّنيا بإجرائها ، ويجريها في غير أخدود ، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذَّة بها ، كما ينفي عن خمر الجَنَّة جميع آفات خمر الدُّنيا من الصُّداع والغول والإنزاف وعدم اللذَّة . فهذه خمس آفات من آفات خمر الدُّنيا : تغتال العقل ، ويكثر اللغو على شربها بل لا يطيب لشرابها ذلك إلَّا باللغو ، وتنزف في نفسها ، وتنزف المال وتصدع الرَّأس وهي كريهة المذاق وهي رجس من عمل الشَّيطان توقع العداوة والبغضاء بين النَّاس ، وتصدّ عن ذكر الله وعن الصَّلاة ، وتدعو إلى الزِّنا ، وربَّما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم ، وتذهب الغيرة ، وتُورث الخزي والنَّدامة والفضيحة ، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين وتسلبه أحسن الأسماء والسّمات ، وتكسوه أقبح الأسماء والصِّفات ، وتسهّل قتل النَّفس ، وإفشاء السِّر الذي في إفشائه مضَّرته أو هلاكه ، ومؤاخاة الشَّياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياماً له ، ولم يلزمه مؤونته وتهتك الأستار ، وتظهر الأسرار ، وتدلُّ على العورات ، وتهون ارتكاب القبائح والمأثم ، وتخرج من القلب تعظيم

المحارم ، ومدمنها كعابد وثن ، وكم أهاجت من حرب ، وأفقرت من غنى ، وأذلَّت من عزيز ، ووضعت من شريف ، وسلبت من نعمة ، وجلبت من نقمة ، وفسخت من مودَّة ، ونسجت من عداوة ، وكم فرَّقت بين رجل وزوجته ، فذهبت بقلبه ، وراحت بلبُّه ، وكم أورثت من حسرة ، وأجرت من عبرة ، وكم أغلقت في وجه شاربها باباً من الخير ، وفتحت له باباً من الشَّر ، وكم أوقعت في بليَّة ، وعجَّلت من منيَّته ، وكم أورثت من خزية ، وجرت على شاربها من محبَّة ، وجرَّت عليه من سفلة ، فهي جماع الإثم ، ومفتاح الشَّر ، وسلابة النعم ، وجالبة النِّقم ، ولو لم يكن من رذائلها إلَّا أنَّها لا تجتمع هي وخمر الجَنَّة في جوف عبد ، كما ثبت عنه أنَّه قال: "من شرب الخمر في الدُّنيا لم يشربها في الآخرة " . لكفى وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا ، وءسض وكلها منتفية عن خمر الجَنَّة " .

أمَّا عن الكلام عن أنهار : النِّيل والفرات ، وسيحان وجيحان ... فللعلماء فيها كلام طويل ، والأولى تفويض الأمر فيه لله تعالى ، والله أعلم.

﴿سُؤالٌ﴾ : كَيْفَ وَمِنْ أَيْنَ تَتَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّة ؟

الجواب : تتفجرُ أنهار الجَنَّة من العلو إلى السُّفل ، بمعنى أنَّها تنحدر من الدَّرجات العليا إلى الدَّرجات السُّفلى ، يدلُّ على ذلك ما رواه البخاري (٩/ ١٢٥ برقم ٧٤٢٣) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِاللهَّ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللهَّ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَفَلاَ نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّة مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَّ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ" .

وروى ابن حبَّان في " الصَّحيح" (١٦/ ٤٢٣ برقم ٧٤٠٨) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنْهَارُ الجَنَّة تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ تِلَالِ - أَوْ مِنْ تحت جبال - مسك" . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن. أبو يزيد القراطيسي: هو يوسف بن يزيد بن كامل، وابن ثوبان: هو عبد الرحمن بن ثابت. وأخرجه العقيلي في "الضعفاء" ٢/ ٣٢٦ عن يوسف بن يزيد القراطيسي بهذا الإسناد . وأخرجه أبو نعيم في "صفة الجنة" "٣١٣" من طريق الربيع بن سليمان، عن أسد بن موسى، به. وفي الباب عن ابن مسعود موقوفاً عليه عند ابن أبي شيبة ١٣/ ٩٦و١٤٧، وأبو نعيم في "صفة الجنة" "٣٠٦"، وهناد في "الزهد" "٩٤" من طريقين عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله " .

كما روى ابن حبَّان (١٦/ ٤٢٤ برقم ٧٤٠٩) بسنده عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرَ الْمَاءِ ، وَبَحْرَ الْعَسَلِ ، وَبَحْرَ الْخَمْرِ ، وَبَحْرَ اللَّبَنِ ، ثُمَّ ينشقُّ منها بعد الأنهار" .

قال الأرنؤوط : " رجاله ثقات رجال مسلم غير حكيم بن معاوية، فقد روى له أصحاب السنن، وهو صدوق. الجريري – هو سعيد بن إياس – قد تغير حفظه قبل موته، وقد روى الشيخان له من رواية خالد وهو ابن عبد الله الطحَّان الواسطيُّ. وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" ٦/ ٢٠٤-٢٠٥، وفي "صفة الجنة" "٣٠٧" من طريق وهب بن بقية، بهذا الإسناد. وقال: غريب عن الجريري، تفرد به حكيم. وأخرجه ابن أبي داود في "البعث" "٧١"، وأبو نعيم في "صفة الجنة" "٣٠٧" من طريق إسحاق بن شاهين، عن خالد، به . وأخرجه أحمد ٥/ ٥، والدارمي ٢/ ٣٣٧، والترمذي "٢٥٧١" في صفة الجنة" باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، من طريق يزيد بن هارون، وعبد الحميد في "المنتخب" "٤١٠"، وابن عدي في "الكمال" ٢/ ٥٠٠، والبيهقي في "البعث" "٢٣٩" من طريق علي بن عاصم، كلاهما عن الجريري، به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح " .

قال الإمام علي القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٩/ ٣٥٩٨) : " قَالَ الطِّيبِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ -: يُرِيدُ بِالْبَحْرِ مِثْلَ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ وَنَحْوَهُمَا، وَبِالنَّهْرِ مِثْلَ نَهْرِ مَعْقِلٍ حَيْثُ تَشَقَّقَ مِنْ أَحَدِهِمَا، ثُمَّ مِنْهُ تَشَقَّقُ جَدَاوِلُ، انْتَهَى. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبِحَارِ الْمَذْكُورَةِ هِيَ أُصُولُ الْأَنْهَارِ الْمَسْطُورَةِ فِي الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾** [محمد: ١٥] ، وَقَوْلُهُ: ثُمَّ تَشَقَّقُ بِحَذْفِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ أَيْ: تَفْتَرِقُ الْأَنْهَارُ إِلَى الْجَدَاوِلِ بَعْدَ تَحَقُّقِ الْأَنْهَارِ إِلَى بَسَاتِينِ الْأَبْرَارِ وَتَحْتَ قُصُورِ الْأَخْيَارِ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ يُقَالُ: الْمُرَادُ بِالْبِحَارِ هِيَ الْأَنْهَارُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ أَنْهَارًا لِجَرَيَانِهَا بِخِلَافِ بِحَارِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْغَالِبَ مِنْهَا أَنَّهَا فِي مَحَلِّ الْقَرَارِ " .

ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ أنهار الجَنَّة لا أخدود لها تمشي فيه ، وإنَّما هي سائحة على وجه الأرض ، فقد روى أبو نعيم في " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" (٦/ ٢٠٥) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَلَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ أُخْدُودٌ فِي الْأَرْضِ لَا وَاللهِ إِنَّهَا لَسَائِحَةٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ حَافَتَاهَا خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ وَطِينُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْأَذْفَرُ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا خَلْطَ مَعَهُ» . ذكره المنذري في " التَّرغيب والتَّرهيب (٤/ ٢٨٦ برقم ٥٦٦٦)، وقال : رَوَاهُ ابْن أبي الدُّنْيَا مَوْقُوفاً ، وَرَوَاهُ غَيره مَرْفُوعاً ، وَالْمَوْقُوف أشبه بِالصَّوَابِ .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ عُيُوْنِ الجَنَّة ؟

الجواب : ذكر الله تعالى في غير ما آية من آيات القرآن العظيم ما أعدَّه الله تعال لعباده الصَّالحين النَّعيم المُقيم ، في الجَنَّة عيون كثيرة مختلفة الطُّعوم والمشارب ، قال تعالى : **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَناتٍ وَعُيُونٍ﴾** [الحجر:٤٥] ، وقال تعالى : **﴿وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ * ذَواتا أَفْنانٍ * فَبِأَيِّ آلاءِ**

رَبِّكُما تُكَذِّبانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ * فِيهِما عَيْنانِ تَجْرِيانِ﴾ [الرحمن:٤٦-٥٠] ، وقال في وصف الجنَّتين اللتين دونهما : ﴿وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ * مُدْهامَّتانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ * فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ﴾ [الرحمن:٦٢-٦٦] ، وقال : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات:٤١] .

وقد ذكر الله تعالىٰ أسماء بعض تلك العيون ، ومن ذلك:

۞ أوَّلاً ۞ : **عَيْنُ كَافُوْر** : قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً﴾ [الإنسان:٥-٦] . قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢٩/ ٣٨٠-٣٨١) : " الْكَافُورُ: «زَيتٌ يُستَخْرَجُ مِنْ شَجَرَةٍ تُشْبِهُ الدِفْلَىٰ تَنْبُتُ فِي بِلَادِ الصِّينِ وَجَاوَةَ يَتَكَوَّنُ فِيهَا إِذَا طَالَتْ مُدَّتُهَا نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْ سَنَةٍ فَيُغَلَّىٰ حَطَبُهَا وَيُسْتَخْرَجُ مِنْهُ زَيْتٌ يُسَمَّىٰ الْكَافُورُ. وَهُوَ ثِخِنٌ قَدْ يَتَصَلَّبُ فَيَصِيرُ كَالزَّبَدِ وَإِذَا يَقَعُ حَطَبُ شَجَرَةِ الْكَافُورِ فِي الْمَاءِ صَارَ نَبِيذًا يَتَخَمَّرُ فَيَصِيرُ مُسْكِرًا.

وَالْكَافُورُ أَبْيَضُ اللَّوْنِ ذَكِيُّ الرَّائِحَةِ مُنْعِشٌ.

فَقِيلَ : إِنَّ الْمِزَاجَ هَنَا مُرَادٌ بِهِ الْمَاءُ وَالْإِخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ كَافُورٌ مِنْ قَبِيلِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ، أَيْ فِي اللَّوْنِ أَوْ ذَكَاءِ الرَّائِحَةِ، وَلَعَلَّ الَّذِي دَعَا بَعْضَ الْمُفَسِّرِينَ إِلَىٰ هَذَا أَنَّ الْمُتَعَارَفَ بَيْنَ النَّاسِ فِي طِيبِ الْخَمْرِ أَنْ يُوضَعَ الْمِسْكُ فِي جَوَانِبِ الْبَاطِيَةِ قَالَ النَّابِغَةُ:

وَتُسْقَىٰ إِذَا مَا شِئْتَ غَيْرَ مُصَرَّدِ   بِزَوْرَاءَ فِي حَافَاتِهَا الْمِسْكُ كَارِعُ

وَيُخْتَمُ عَلَىٰ آنِيَةِ الْخَمْرِ بِخَاتَمٍ مِنْ مِسْكٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي صِفَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٥- ٢٦] . وَكَانُوا يَجْعَلُونَ الْفِلْفِلَ فِي الْخَمْرِ لِحُسْنِ رَائِحَتِهِ وَلَذْعَةِ حَرَارَتِهِ لَذْعَةً لَذِيذَةً فِي اللِّسَانِ، كَمَا قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

صُبِّحْنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيقٍ مُفَلْفَلٍ ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونُوا يَمْزِجُونَ الْخَمْرَ بِمَاءٍ فِيهِ الْكَافُورُ أَوْ بِزَيْتِهِ فَيَكُونُ الْمِزَاجُ فِي الْآيَةِ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ مِمَّا تُمْزَجُ بِهِ الْخَمْرُ وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ شَأْنِ أَهْلِ التَّرَفِ لِأَنَّ الْكَافُورَ ثَمِينٌ وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي الْعُطُورِ.

وَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ مَنْ قَالَ: إِنَّ كَافُورَ اسْمُ عَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ لِأَجْلِ قَوْلِهِ عَقِبَهُ : ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ﴾ ، وَسَتَعْلَمُ حَقَّ الْمُرَادِ مِنْهُ.

وَإِقْحَامُ فِعْلِ كانَ فِي جُمْلَةِ الصِّفَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿كانَ مِزاجُها كافُوراً﴾ لِإِفَادَةِ أَنَّ ذَلِكَ مِزَاجُهَا لَا يُفَارِقُهَا إِذْ كَانَ مُعْتَادُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا نُدْرَةَ ذَلِكَ الْمِزَاجِ لِغَلَاءِ ثَمَنِهِ وَقِلَّةِ وِجْدَانِهِ.

وانتصب عَيْناً علىٰ الْبَدَلِ مِنْ ﴿كافُوراً﴾ ، أَيْ : ذَلِكَ الْكَافُورُ تَجْرِي بِهِ عَيْنٌ فِي الجَنَّة مِنْ مَاءٍ مَحْلُولٍ فِيهِ أَوْ مِنْ زَيْتِهِ مِثْلَ قَوْلِهِ: **﴿وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾** [مُحَمَّد: ١٥] . وَعُدِّيَ فِعْلُ **﴿يَشْرَبُ﴾** بِالْبَاءِ وَهِيَ بَاءُ الْإِلْصَاقِ ، لِأَنَّ الْكَافُورَ يُمْزَجُ بِهِ شَرَابُهُمْ. فَالتَّقْدِيرُ: عَيْنًا يَشْرَبُ عِبَادُ اللَّهِ خَمْرَهُمْ بِهَا، أَيْ مَصْحُوبًا بِمَائِهَا " .

۞ ثَانِياً ۞ : عَيْنُ سَلسَبِيْل : قال تعالىٰ : **﴿عَيْناً فِيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾** [الإنسان:١٨] . قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣٠/٧٥٢) : " قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: لَمْ أَسْمَعِ السَّلْسَبِيلَ إِلَّا فِي الْقُرْآنِ، فَعَلَى هَذَا لَا يُعْرَفُ لَهُ اشْتِقَاقٌ، وَقَالَ الْأَكْثَرُونَ: يُقَالُ شَرَابٌ سَلْسَلٌ وَسَلْسَالٌ وَسَلْسَبِيلٌ ، أَيْ : عَذْبٌ سَهْلُ الْمَسَاغِ، وَقَدْ زِيدَتِ الْبَاءُ فِي التَّرْكِيبِ حَتَّىٰ صَارَتِ الْكَلِمَةُ خُمَاسِيَّةً ، وَدَلَّتْ عَلَىٰ غَايَةِ السَّلَاسَةِ، قَالَ الزَّجَّاجُ: السَّلْسَبِيلُ فِي اللُّغَةِ صِفَةٌ لِمَا كَانَ فِي غَايَةِ السَّلَاسَةِ، وَالْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ السَّلْسَبِيلِ هُوَ أَنَّ ذَلِكَ الشَّرَابَ يَكُونُ فِي طَعْمِ الزَّنْجَبِيلِ، وَلَيْسَ فِيهِ لَذْعَةٌ لِأَنَّ نَقِيضَ اللَّذْعِ هُوَ السَّلَاسَةُ، وَقَدْ عَزَوْا إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ مَعْنَاهُ: سَلْ سَبِيلًا إِلَيْهَا، وَهُوَ بَعِيدٌ إِلَّا أَنْ يُرَادَ أَنَّ جملة قول القائل: سلسبيلاً جُعِلَتْ عَلَمًا لِلْعَيْنِ، كَمَا قِيلَ: تَأَبَّطَ شَرًّا، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَا يَشْرَبُ مِنْهَا إِلَّا مَنْ سَأَلَ إِلَيْهَا سَبِيلًا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ " .

۞ ثَالِثَاً ۞ : عَيْنُ تَسْنِيْم : قال تعالىٰ : **﴿وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾** [المطففين:٢٧-٢٨] . قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/٢٦٦) : " وَهُوَ شَرَابٌ يَنْصَبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ عُلُوٍّ، وَهُوَ أَشْرَفُ شَرَابٍ فِي الْجَنَّةِ. وَأَصْلُ التَّسْنِيمِ فِي اللُّغَةِ: الِارْتِفَاعُ فَهِيَ عَيْنُ مَاءٍ تَجْرِي مِنْ عُلُوٍّ إِلَىٰ أَسْفَلَ، وَمِنْهُ سَنَامُ الْبَعِيرِ لِعُلُوِّهِ مِنْ بَدَنِهِ، وَكَذَلِكَ تَسْنِيمُ الْقُبُورِ. وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: تَسْنِيمٌ عَيْنٌ فِي الجَنَّة يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا، وَيُمْزَجُ مِنْهَا كَأْسُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَتَطِيبُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ قَالَ: هَذَا مِمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: **﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** [السجدة: ١٧] . وَقِيلَ: التَّسْنِيمُ عَيْنٌ تَجْرِي فِي الْهَوَاءِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، فَتَنْصَبُّ فِي أَوَانِي أَهْلِ الجَنَّة عَلَىٰ قَدْرِ مَائِهَا، فَإِذَا امْتَلَأَتْ أُمْسِكَ الْمَاءُ، فَلَا تَقَعُ مِنْهُ قَطْرَةٌ عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَىٰ الِاسْتِقَاءِ، قَالَهُ قَتَادَةُ، ابْنُ زَيْدٍ: بَلَغَنَا أَنَّهَا عَيْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ. وَكَذَا فِي مَرَاسِيلِ الْحَسَنِ ... **﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾** ، أَيْ : يَشْرَبُ مِنْهَا أَهْلُ جَنَّةِ عَدْنٍ، وَهُمْ أَفَاضِلُ أهل الجنة، صرفا، وهي لغيرهم مزاج " .

ومن صفات عيون الجَنَّة أنَّها جارية ، قال تعالىٰ : **﴿فِيها عَيْنٌ جارِيَةٌ﴾** [الغاشية:١٢] . قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في" التَّحرير والتَّنوير" (٣٠/٣٠١) : **﴿فِيها عَيْنٌ جارِيَةٌ﴾** [الغاشية: ١٠] صِفَةٌ ثَالِثَةٌ لـ جَنَّةٍ . فَالْمُرَادُ

جِنْسُ الْعُيُونِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] ، أَيْ : عَلِمَتِ النُّفُوسُ، وَهَذَا وَصْفٌ لِلْجَنَّةِ بِاسْتِكْمَالِهَا مَحَاسِنَ الْجَنَّاتِ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً﴾ [الْإِسْرَاء: ٩١] .

وَإِنَّمَا لَمْ تُعْطَفْ عَلَى الْجُمْلَة الَّتِي قبلهما لِاخْتِلَافِهِمَا بِالْفِعْلِيَّةِ فِي الْأُولَى وَالاِسْمِيَّةِ فِي الثَّانِيَةِ، وَذَلِكَ الِاخْتِلَافُ مِنْ مُحَسِّنَاتِ الْفَصْلِ وَلِأَنَّ جُمْلَةَ: لَا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً مَقْصُودٌ مِنْهَا التَّنَزُّهَ عَنِ النَّقَائِصِ وَجُمْلَةَ: فِيها عَيْنٌ جارِيَةٌ مَقْصُودٌ مِنْهَا إِثْبَاتَ بعض محاسنها " .

ومن صفات عيون الجَنَّة : أنَّها نَضَّاخَة : قال تعالى : ﴿فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ﴾ [الرحمن:٦٦] . قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير"" (٢٩/ ٣٧٩-٣٨٠) : ﴿فِيهِمَا عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ﴾ ، أَيْ : فَائِرَتَانِ مَاؤُهُمَا مُتَحَرِّكٌ إِلَى جِهَةِ فَوْقُ، وَأَمَّا الْعَيْنَانِ الْمُتَقَدِّمَتَانِ فَتَجْرِيَانِ إِلَى صَوْبِ الْمُؤْمِنِينَ فَكِلَاهُمَا حَرَكَتُهُمَا إِلَى جِهَةِ مَكَانِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَأَمَّا قَوْلُ صَاحِبِ «الْكَشَّافِ» : النَّضْخُ دُونَ الْجَرْيِ فَغَيْرُ لَازِمٍ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ الْجَرْيُ يَسِيرًا وَالنَّضْخُ قَوِيًّا كَثِيرًا، بَلِ الْمُرَادُ أَنَّ النَّضْخَ فِيهِ الْحَرَكَةُ إِلَى جِهَةِ الْعُلُوِّ، وَالْعَيْنَانِ فِي مَكَانِ الْمُؤْمِنِينَ، فَحَرَكَةُ الْمَاءِ تَكُونُ إِلَى جِهَتِهِمْ، فَالْعَيْنَانِ الْأُولَيَانِ فِي مَكَانِهِمْ فتكُونُ حركة مائهما إلى صوب المؤمنين جرياً " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ١٨٥) : " أَيْ فَوَّارَتَانِ بِالْمَاءِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالنَّضْخُ بِالْخَاءِ أَكْثَرُ مِنَ النَّضْحِ بِالْحَاءِ. وَعَنْهُ أَنَّ الْمَعْنَى نَضَّاخَتَانِ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَقَالَهُ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ. ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا وَأَنَسٌ: تَنْضَخُ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالْكَافُورِ فِي دُورِ أَهْلِ الْجَنَّة كَمَا يَنْضَخُ رَشُّ الْمَطَرِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: بِأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ وَالْمَاءِ. التِّرْمِذِيُّ: قَالُوا بِأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ وَالنِّعَمِ وَالْجَوَارِي الْمُزَيَّنَاتِ وَالدَّوَابِّ الْمُسْرَجَاتِ وَالثِّيَابِ الْمُلَوَّنَاتِ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّضْخَ أَكْثَرُ مِنَ الْجَرْيِ. وَقِيلَ: تَنْبُعَانِ ثُمَّ تَجْرِيَانِ ".

وقال الإمام الشَّوكاني في " فتح القدير" (٥/ ١٧١) : " النَّضْخُ: فَوَرَانُ الْمَاءِ مِنَ الْعَيْنِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ فِي الْجَنَّتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ عَيْنَيْنِ فَوَّارَتَيْنِ. قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: وَالنَّضْخُ بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ أَكْثَرُ مِنَ النَّضْحِ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ.

قَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ: تَنْضَخُ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالْكَافُورِ فِي دُورِ أَهْلِ الْجَنَّة كَمَا يَنْضَخُ رَشُّ الْمَطَرِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِنَّهَا تَنْضَخُ بِأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ " .

ومن صفات عيون الجَنَّة أنَّ شرابها إِذَا شَرِبُوهُ بَعْدَ أَكْلِهِمْ طَهَّرَهُمْ، وَصَارَ مَا أَكَلُوهُ وَمَا شَرِبُوهُ رَشْحَ مِسْكٍ، وَضَمُرَتْ بُطُونُهُمْ ، قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٨/ ٢٩٣) في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ

رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:٢١] ، أَيْ: طَهَّرَ بَوَاطِنَهُمْ مِنَ الحَسَد وَالْحِقْدِ وَالْغِلِّ وَالْأَذَىٰ وَسَائِرِ الْأَخْلَاقِ الرَّدِيَّة، كَمَا رَوَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا انْتَهَىٰ أهلُ الجَنَّة إِلَىٰ بَابِ الجَنَّة وَجَدوا هُنَالِكَ عَيْنَيْنِ فَكَأَنَّمَا أُلْهِمُوا ذَلِكَ فَشَرِبُوا مِنْ إِحْدَاهُمَا فَأَذْهَبَ اللهُ مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ أَذَىٰ، ثُمَّ اغْتَسَلُوا مِنَ الْأُخْرَىٰ فَجَرت عَلَيْهِمْ نضرةُ النَّعِيمِ" . وانظر : الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٤٧) .

قال الإمام ابن عادل في " اللباب في علوم الكتاب " (٢٠/٤٨) : " فإن قيل: قوله تعالىٰ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ هو نوع ما ذكره قبل ذلك من أنَّهم يشربون من عين الكافور والزَّنجبيل والسَّلسبيل، أو هذا نوع آخر؟. قلنا: بل هذا نوع آخر، لوجوه:

أَحَدُهَا: التِّكْرَار.

وَالثَّانِي : أنَّه تعالىٰ أضاف هذا الشَّراب إلىٰ نفسه تبارك وتعالىٰ، بقوله تعالىٰ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ ، وذلك يدلُّ علىٰ فضل هذا علىٰ غيره.

وَالثَّالِثُ: ما روي من أنَّه يقدِّم إليهم الأطعمة والأشربة، فإذا فرغوا منها أتُوا بالشَّراب الطّهور فيشربون فيطهر ذلك بطونهم ويفيض عرقاً من جلودهم مثل ريح المسكِ، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الشَّراب مغاير لتلك الأشربة، ولأَّن هذا الشَّراب يهضم سائر الأشربة ثَّم له مع هذا الهضم تأثير عجيب ، وهو أنَّه يجعل سار الأطعمة والأشربة عرقاً يفوح منه كريح المسك ، وكلُّ ذلك يدلُّ علىٰ المغايرة " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ أَشْجَارِ الجَنَّة وَثِمَارِهَا ؟

الجواب : جاء الكلام عن أشجار الجَنَّة وثمارها في آيات عديدة في القرآن الكريم ، ومن تلك الأشجار:

شجرة سدرة المنتهىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى * عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشى﴾ [النجم:١٣-١٦] ، قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٨/ ٢٤٤) : " وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى﴾ ، الْمَشْهُورُ أَنَّ السِّدْرَةَ شَجَرَةٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَعَلَيْهَا مِثْلُ النَّبْقِ ، وَقِيلَ : فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، وَوَرَدَ فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ صَلَّى الله عليه وسلم قال: «نبقها كَقِلَالِ هَجَرَ وَوَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ " . ذكره في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" (٣/ ٦١) ، وقال : " حَدِيثٌ صَحِيحٌ مَشْهُورٌ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ، غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ مَنْصُورٍ عَنْهُ لَمْ نَكْتُبْهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ " .

وَقِيلَ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ هِيَ الْحَيْرَةُ الْقُصْوَىٰ مِنَ السِّدْرَةِ، وَالسِّدْرَةُ كالركبة من الراكب عند ما يُحَارُ الْعَقْلُ حَيْرَةً لَا حَيْرَةَ فَوْقَهَا، مَا حَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا غَابَ وَرَأَىٰ مَا رَأَىٰ، وَقَوْلُهُ : عِنْدَ ظَرْفُ مَكَانٍ،

أَوْ ظَرْفُ زَمَانٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؟ نَقُولُ : الْمَشْهُورُ أَنَّهُ ظَرْفُ مَكَانٍ تَقْدِيرُهُ رَأَى جِبْرِيلَ أَوْ غَيْرَهُ بِقُرْبِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَقِيلَ : ظَرْفُ زَمَانٍ، كَمَا يُقَالُ: صَلَّيْتُ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَتَقْدِيرُهُ رَآهُ عِنْدَ الْحَيْرَةِ الْقُصْوَى، أَيْ فِي الزَّمَانِ الَّذِي تُحَارُ فِيهِ عُقُولُ الْعُقَلَاءِ، وَالرُّؤْيَةُ مِنْ أَتَمِّ الْعُلُومِ وَذَلِكَ الْوَقْتُ مِنْ أَشَدِّ أَوْقَاتِ الْجَهْلِ وَالْحَيْرَةِ، فَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا حَارَ وَقْتًا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَحَارَ الْعَاقِلُ فِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: إِنْ قُلْنَا مَعْنَاهُ رَأَى اللَّهَ كَيْفَ يُفْهَمُ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى؟ قُلْنَا : فِيهِ أَقْوَالٌ:

الْأَوَّلُ: قَوْلُ مَنْ يَجْعَلُ اللَّهَ فِي مَكَانٍ وَهُوَ بَاطِلٌ، وَقَدْ بَالَغْنَا فِي بَيَانِ بُطْلَانِهِ فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ .

الثَّانِي: رَآهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى لِأَنَّ الظَّرْفَ قَدْ يَكُونُ ظَرْفًا لِلرَّائِي كَمَا ذَكَرْنَا من المثال يقال رأيت الهلال، فيقاله لِقَائِلِهِ أَيْنَ رَأَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ عَلَى السَّطْحِ وَرُبَّمَا يَقُولُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْفُلَانِيَّةِ، وَأَمَّا إِنْ قُلْنَا إِنَّ الْمُرَادَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَالْوَجْهَانِ ظَاهِرَانِ وَكَوْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى أَظْهَرُ.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: إِضَافَةُ السِّدْرَةِ إِلَى الْمُنْتَهَى مِنْ أَيِّ أَنْوَاعِ الْإِضَافَةِ؟ نَقُولُ يَحْتَمِلُ وُجُوهًا أَحَدُهَا: إِضَافَةُ الشَّيْءِ إِلَى مَكَانِهِ يُقَالُ أَشْجَارُ بَلْدَةِ كَذَا لَا تَطُولُ مِنَ الْبَرْدِ وَيُقَالُ أَشْجَارُ الْجَنَّةِ لَا تَيْبَسُ وَلَا تَخْلُو مِنَ الثِّمَارِ، فَالْمُنْتَهَى حِينَئِذٍ مَوْضِعٌ لَا يَتَعَدَّاهُ مَلَكٌ، وَقِيلَ لَا يَتَعَدَّاهُ رُوحٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ وَثَانِيهَا: إِضَافَةُ الْمَحَلِّ إِلَى الْحَالِّ فِيهِ، يُقَالُ: كِتَابُ الْفِقْهِ، وَمَحَلُّ السَّوَادِ، وَعَلَى هَذَا فَالْمُنْتَهَى عِنْدَ السِّدْرَةِ تَقْدِيرُهُ سِدْرَةٌ عِنْدَ مُنْتَهَى " .

ومن أشجار الجَنَّة : أشجار العنب ، قال تعالى : ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا**﴾ [النبأ:٣١-٣٢] . قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٣٠/ ٤٤) : " وَالْحَدَائِقُ: جَمْعُ حَدِيقَةٍ ، وَهِيَ الْجَنَّةُ مِنَ النَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ ذَوَاتِ السَّاقِ الْمَحُوطَةِ بِحَائِطٍ أَوْ جِدَارٍ أَوْ حَضَائِرَ. وَالْأَعْنَابُ: جَمْعُ عِنَبٍ، وَهُوَ اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى شَجَرَةِ الْكَرْمِ وَيُطْلَقُ عَلَى ثَمَرِهَا " .

ومن أشجار الجَنَّة : أشجار النَّخل والرُّمَّان ، قال تعالى : ﴿**فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ**﴾ [الرحمن:٦٨] . قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن"(٥/ ١٧٥) : ﴿**فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ**﴾ عطفهما على الفاكهة بياناً لفضلهما، فإنَّ ثمرة النَّخل فاكهة وغذاء ، وثمرة الرمَّان فاكهة ودواء " .

ومن أشجار الجَنَّة أشجار السِّدر المخضود وأشجار الطَّلح المنضود ، قال تعالى : ﴿**وَأَصْحابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَماءٍ مَسْكُوبٍ * وَفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ**﴾ [الواقعة:٢٧-٣٢] . والسِّدر هو شجر النَّبق منزوع الشَّوك.

قال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن " (٨/٥) : " فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، لَا شَوْكَ فِيهِ كَأَنَّهُ خُضِدَ شَوْكُهُ أَيْ قُطِعَ وَنُزِعَ مِنْهُ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةَ. وَقَالَ الْحَسَنُ: لَا يَعْقِرُ الْأَيْدِيَ. قَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: هُوَ الَّذِي لَا أَذَىٰ فِيهِ. قال: وليس شيء من ثمرة الجَنَّة فِي غُلُفٍ كَمَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْبَاقِلَّاءِ وَغَيْرِهِ بَلْ كُلُّهَا مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبٌ وَمَشْمُومٌ وَمَنْظُورٌ إِلَيْهِ. قَالَ الضَّحَّاكُ وَمُجَاهِدٌ: هُوَ الْمُوقَرُ حِمْلًا. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ:

ثِمَارُهَا أَعْظَمُ مِنَ الْقِلَالِ. قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَالضَّحَّاكُ: ونظر الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ وَجٍّ وَهُوَ وَادٍ مُخْصِبٌ بِالطَّائِفِ فَأَعْجَبَهُمْ سِدْرُهَا، وَقَالُوا: يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ هَذَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

وَطَلْحٍ، أَيْ مَوْزٍ وَاحِدَتُهَا طَلْحَةٌ، عَنْ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ. وَقَالَ الْحَسَنُ: لَيْسَ هو بالموز ولكنه شجر لها ظِلٌّ بَارِدٌ طَيِّبٌ. قَالَ الْفَرَّاءُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: الطَّلْحُ عِنْدَ الْعَرَبِ شَجَرٌ عِظَامٌ لَهَا شَوْكٌ. وَرَوَىٰ مُجَالِدٌ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَرَأَ رَجُلٌ عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ، فَقَالَ: وَمَا شَأْنُ الطَّلْحِ إِنَّمَا هُوَ **﴿طَلْعٌ مَنْضُودٌ﴾** ثُمَّ قَرَأَ**﴿ طَلْعُها هَضِيمٌ﴾** [الشعراء: ١٤٨] ، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهَا فِي الْمُصْحَفِ بِالْحَاءِ أَفَلَا تُحَوِّلُهَا؟ فَقَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ لَا يُهَاجُ اليوم ولا يحول.

والمنضود الْمُتَرَاكِمُ الَّذِي قَدْ نُضِّدَ بِالْحَمْلِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ، لَيْسَتْ لَهُ سُوقٌ بَارِزَةٌ.

قَالَ مَسْرُوقٌ: أَشْجَارُ الجَنَّة مِنْ عُرُوقِهَا إِلَىٰ أفنانها ثَمَرٌ كُلُّهُ.

وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ، دَائِمٌ لَا تَنْسَخُهُ الشَّمْسُ وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ مَمْدُودٌ.

أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ حَسَّانُ بْنُ سَعِيدٍ الْمَنِيعِيُّ أَنَا أَبُو طَاهِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمِشٍ الزِّيَادِيُّ أَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بن الحسين القطان ثَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ السُّلَمِيُّ ثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: ثنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فِي الجَنَّة شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا"

وَرَوَىٰ عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ، قَالَ: شَجَرَةٌ في الجَنَّة علىٰ ساق يَخْرُجُ إِلَيْهَا أَهْلُ الجَنَّة فَيَتَحَدَّثُونَ فِي أَصْلِهَا وَيَشْتَهِي بَعْضُهُمْ لَهْوَ الدُّنْيَا فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عليها ريحا من الجَنَّة فتتحرك تِلْكَ الشَّجَرَةَ بِكُلِّ لَهْوٍ فِي الدُّنْيَا " .

وقال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية" (٢٠/ ٣١٤) : " وَإِذَا كَانَ السِّدْرُ الَّذِي فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ لَا يُثْمِرُ إِلَّا ثَمَرَةً ضَعِيفَةً، وَهِىَ النَّبْقُ، وَفِيهِ شَوْكٌ كَثِيرٌ وَالطَّلْحُ الَّذِي لَا يُرَادُ مِنْهُ إِلَّا الظِّلُّ فِي الدُّنْيَا، يَكُونَانِ فِي الجَنَّة فِي غَايَةِ كَثْرَةِ الثِّمَارِ وَحُسْنِهَا، حَتَّىٰ إِنَّ الثَّمَرَةَ الْوَاحِدَةَ مِنْهَا تَتَفَتَّقُ عَنْ سَبْعِينَ نَوْعًا مِنَ الطُّعُومِ وَالْأَلْوَانِ، الَّتِي

لَا يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا – فَمَا الظَّنُّ بِثِمَارِ الْأَشْجَارِ الَّتِي تَكُونُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةَ الثِّمَارِ، طَيِّبَةَ الرَّائِحَةِ، سَهْلَةَ التَّنَاوُلِ ؛ كَالتُّفَّاحِ وَالْمِشْمِشِ وَالدُّرَّاقِنِ وَالنَّخْلِ وَالْعِنَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ بَلْ مَا الظَّنُّ بِأَنْوَاعِ الرَّيَاحِينِ وَالْأَزَاهِيرِ! وَبِالْجُمْلَةِ: فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، نَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ ".

ومن أشجار الجَنَّة شجرة طوبىٰ ، قال تعالىٰ : **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾** [] . قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٩/ ٤٠-٤١) : " وَفِيهِ مَسَائِلُ:

المسألة الْأُولَى: فِي تَفْسِيرِ كَلِمَةِ طُوبىٰ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّهَا اسْمُ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ، رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "طُوبَىٰ شَجَرَةٌ فِي الجَنَّة غَرَسَهَا اللهُ بِيَدِهِ تُنْبِتُ الْحُلِيَّ وَالْحُلَلَ وَإِنَّ أَغْصَانَهَا لِتُرَىٰ مِنْ وَرَاءِ سُورِ الْجَنَّةِ" ، وَحَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ الْأَصَمُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ أَصْلَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فِي دَارِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي دَارِ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْهَا غُصْنٌ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ طُوبَىٰ مَصْدَرٌ مِنْ طَابَ، كَبُشْرَىٰ وَزُلْفَىٰ، وَمَعْنَىٰ طُوبَىٰ لَكَ، أَصَبْتَ طَيِّبًا، ثُمَّ اخْتَلَفُوا عَلَىٰ وُجُوهٍ: فَقِيلَ: فَرَحٌ وَقُرَّةُ عَيْنٍ لَهُمْ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَقِيلَ: نِعْمَ مَا لَهُمْ عَنْ

عِكْرِمَةَ، وَقِيلَ غِبْطَةٌ لَهُمْ عَنِ الضَّحَّاكِ. وَقِيلَ: حسنىٰ لَهُمْ عَنْ قَتَادَةَ. وَقِيلَ: خَيْرٌ وَكَرَامَةٌ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْأَصَمِّ، وَقِيلَ: الْعَيْشُ الطَّيِّبُ لَهُمْ عَنِ الزَّجَّاجِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَعَانِيَ مُتَقَارِبَةٌ وَالتَّفَاوُتُ يَقْرُبُ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي اللَّفْظِ. وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ مُبَالَغَةٌ فِي نَيْلِ الطَّيِّبَاتِ وَيَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ اللَّذَّاتِ، وَتَفْسِيرُهُ أَنَّ أَطْيَبَ الْأَشْيَاءِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ حَاصِلٌ لَهُمْ.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ لَيْسَتْ عَرَبِيَّةً، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ: طُوبىٰ اسْمُ الجَنَّة بِالْحَبَشِيَّةِ، وَقِيلَ اسْمُ الجَنَّة بِالْهِنْدِيَّةِ. وَقِيلَ الْبُسْتَانُ بِالْهِنْدِيَّةِ، وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا الْعَرَبِيُّ لَا سِيَّمَا وَاشْتِقَاقُ هَذَا اللَّفْظِ مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ظَاهِرٌ.

المسألة الثَّانِيَةُ: قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» : **﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾** مبتدأ وطُوبىٰ لَهُمْ خَبَرُهُ، وَمَعْنَىٰ طُوبَىٰ لَكَ أَيْ : أَصَبْتَ طَيِّبًا، وَمَحَلُّهَا النَّصْبُ أَوِ الرَّفْعُ، كَقَوْلِكَ طَيِّبًا لَكَ وَطَيِّبٌ لَكَ وَسَلَامًا لَكَ وَسَلَامٌ لَكَ، وَالْقِرَاءَةُ فِي قَوْلِهِ: وَحُسْنُ مَآبٍ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ تدلك علىٰ محلها، وقرأ مكوزة الأعرابي (طيب لَهُمْ).

أَمَّا قوله: ﴿وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ ، فَالْمُرَادُ حُسْنُ الْمَرْجِعِ وَالْمَقَرِّ وَكُلُّ ذَلِكَ وَعْدٌ مِنَ اللهِ بِأَعْظَمِ النَّعِيمِ تَرْغِيبًا فِي طَاعَتِهِ وَتَحْذِيرًا عَنِ المعصية" .

روىٰ أحمد في " المسند" (٢٩/ ١٩١ برقم ١٧٦٤٢) بسنده عَنْ عَامِرِ بْنِ زَيْدٍ الْبُكَالِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ عُتْبَةَ بْنَ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ، يَقُولُ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَوْضِ، وَذَكَرَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: فِيهَا فَاكِهَةٌ؟ قَالَ: " نَعَمْ، وَفِيهَا شَجَرَةٌ تُدْعَىٰ طُوبَىٰ "، فَذَكَرَ شَيْئًا لَا أَدْرِي مَا هُوَ؟ قَالَ: أَيُّ شَجَرِ أَرْضِنَا تُشْبِهُ؟ قَالَ: " لَيْسَتْ تُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ ". فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَيْتَ الشَّامَ؟ " فَقَالَ: لَا، قَالَ: " تُشْبِهُ شَجَرَةً بِالشَّامِ تُدْعَىٰ الْجَوْزَةُ، تَنْبُتُ عَلَىٰ سَاقٍ وَاحِدٍ، وَيَنْفَرِشُ أَعْلَاهَا "، قَالَ: مَا عِظَمُ أَصْلِهَا؟ قَالَ: " لَوِ ارْتَحَلَتْ جَذَعَةٌ مِنْ إِبِلِ أَهْلِكَ، مَا أَحَطْتَ بِأَصْلِهَا حَتَّىٰ تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتُهَا هَرَمًا " ، قَالَ: فِيهَا عِنَبٌ؟ قَالَ: " نَعَمْ " قَالَ: فَمَا عِظَمُ الْعُنْقُودِ؟ قَالَ: " مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الْأَبْقَعِ ، وَلَا يَفْتُرُ "، قَالَ: فَمَا عِظَمُ الْحَبَّةِ؟ قَالَ: " هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْسًا مِنْ غَنَمِهِ قَطُّ عَظِيمًا؟ " قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: " فَسَلَخَ إِهَابَهُ فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ، قَالَ: اتَّخِذِي لَنَا مِنْهُ دَلْوًا؟ " قَالَ: نَعَمْ، قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ لَتُشْبِعُنِي وَأَهْلَ بَيْتِي؟ قَالَ: " نَعَمْ وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ " . قال الأرنؤوط : " إسناده قابل للتحسين، عامر بن زيد البكالي- وقيل عمرو- روىٰ عنه اثنان، وذكره ابن حبان في "الثقات" ٥/ ١٩١، وخرج له في "صحيحه". وأخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (٧١٦) ، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (٣١٣) ، وابن عبد البر في "التمهيد" ٣/ ٣٢٠-٣٢١ من طريق عبد الرزاق، عن معمر، بهذا الإسناد. وعندهم جميعاً عمرو بن زيد، بدل: عامر. وأخرجه يعقوب بن سفيان في "المعرفة" ٢/ ٣٤١-٣٤٢، وابن أبي عاصم في "السنة" (٧١٥) ، والطبري في "التفسير" ١٣/ ١٤٩، وابن حبان (٦٤٥٠) و (٧٤١٤) ، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (٣١٢) ، وفي "الشاميين" (٢٨٦٠) ، وفي "الأوسط" (٤٠٤) ، وأبو نعيم في "صفة الجنة" (٣٤٦) ، والبيهقي في "البعث والنشور" (٢٧٤) من طريق أبي سلام ممطور، عن عامر بن زيد، به. ووقع عندهم جميعاً: عامر إلا عند ابن أبي عاصم: فعمر بن زيد، وهو خطأ من الناسخ، صوابه عامر، لأنه رواه عن يعقوب بن سفيان، ورواية الأخير عامر. وبعضهم يرويه مطولاً بذكر قصة الحوض، وبعضهم يختصره. وفي باب طوبىٰ اسم لشجرة في الجَنَّة عن أبي سعيد الخدري، سلف برقم (١١٦٧٣) . وعن قرة عند الطبري في "تفسيره" ١٣/ ١٤٩ " .

وَلِأَشْجَارِ الْجَنَّة صِفَات عَدِيْدةٌ ... مِنْهَا :

❁❁ **أَنَّ سَاقَ كلِّ شَجَرَةٍ مِنْ أَشْجَارِهَا مِنْ ذَهَب** : فقد روىٰ أبو نعيم الأصبهاني في " صفة الجنَّة" (٢/ ٢٣٢ برقم ٤٠٠) ، التِّرمذي (٤/ ٢٥٢ برقم ٢٥٢٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، واللفظ له) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا فِي الجَنَّة شَجَرَةٌ إِلاَّ وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ " .

❁❁ **أَنَّ فِيْهَا جَمِيعِ أَنْوَاعِ الثِّمَارِ مِمَّا يَعْلَمُونَ وَخَيْرٍ مِمَّا يَعْلَمُونَ** : قال تعالىٰ : **﴿فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ﴾** [الرحمن:٥٢] ، قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٧/ ٥٠٣) : " أَيْ: مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الثِّمَارِ مِمَّا يَعْلَمُونَ وَخَيْرٍ مِمَّا

يَعْلَمُونَ، وَمِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خطر على قلب بشر، ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَا فِي الدُّنْيَا ثَمَرَةٌ حُلْوَةٌ وَلَا مُرَّةٌ إِلَّا وَهِيَ فِي الجَنَّة حَتَّى الْحَنْظَلَةُ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ، يَعْنِي: أَنَّ بَيْنَ ذَلِكَ بَونًا عَظِيمًا، وَفَرْقًا بَيِّنًا فِي التَّفَاضُلِ " .

ونظراً لكثرتها فإنَّ أهلها فإنَّ أهلها مهما طلبوا وجدوا، وأحضر كما أرادوا ، قال تعالى : ﴿**يَدْعُونَ فِيها بِفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرابٍ**﴾ [ص:٥١] ، قال الإمام المراغي في " التَّفسير" (٢٣/ ١٣٠) : " أي : يدعون فيها بألوان كثيرة من الفاكهة والشَّراب وهم مّتكئون على الأرائك، وإنَّما خصَّ الشَّراب والفاكهة من بين ما يتنَّعم به فيها، لأنَّ بلاد العرب قليلة الفواكه والأشربة، فالنَّفس إليها أشوق، وفي ذكرها أرغب، كما أنَّ في ذلك إيماء إلى أنَّ مطاعمهم لمحض التَّفكُّه والتَّلذُّذ دون التَّغذِّي ، لأنَّه إنَّما يكون لتحصيل بدل المتحلل، ولا تحلل فيه " .

✿✿ **أَنَّهَا دَائِمَةُ العَطَاءِ، فَهِيَ لَيْسَتْ كَأَشْجَارِ الدُّنيا مَوْسِمِيَّة** : قال تعالى : ﴿**وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ**﴾ [الواقعة: ٢٧] ، قال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية" (٢٠/٣١٣) : " أَيْ: لَا تَنْقَطِعُ أَبَدًا فِي زَمَنٍ مِنَ الْأَزْمَانِ، بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ أَوَانٍ وَزَمَانٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا**﴾ [الرعد: ٣٥] . أَيْ: لَا يَسْقُطُ وَرَقُ أَشْجَارِهَا، أَيْ: لَيْسَتْ كَالدُّنْيَا الَّتِي تَأْتِي ثِمَارُهَا فِي بَعْضِ الْأَزْمَانِ دُونَ بَعْضٍ، وَيَسْقُطُ أَوْرَاقُ أَشْجَارِهَا فِي بَعْضِ الْفُصُولِ، وَتُفْقَدُ ثِمَارُهَا فِي وَقْتٍ آخَرَ، وَتَكْتَسِي أَشْجَارُهَا الْأَوْرَاقَ فِي وَقْتٍ وَتَعْرَى فِي آخَرَ، بَلِ الثَّمَرُ وَالظِّلُّ دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ، سَهْلُ التَّنَاوُلِ، قَرِيبُ الْمُجْتَنَى، كَمَا قَالَ: ﴿**وَلَا مَمْنُوعَةٍ**﴾ [الواقعة: ٣٣] . أَيْ: لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ أَرَادَهَا كَيْفَ شَاءَ، وَلَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ وَلَا مَاءٌ، بَلْ مَنْ أَرَادَهَا فَهِيَ مَوْجُودَةٌ سَهْلَةٌ قَرِيبَةٌ، حَتَّى وَلَوْ كَانَتِ الثَّمَرَةُ فِي أَعْلَى الشَّجَرَةِ فَأَرَادَهَا الْمُؤْمِنُ ؛ تَدَلَّتْ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْخُذَهَا، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهُ، وَتَذَلَّلَتْ لَدَيْهِ.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ: ﴿**وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا**﴾ [الإنسان: ١٤] . أَيْ: أُدْنِيَتْ حَتَّى يَتَنَاوَلَهَا الْمُؤْمِنُ وَهُوَ نَائِمٌ "

✿✿ **أنَّ ثَمَرَهَا متَشَابِهٌ فِيْ المَظْهَرِ، مختَلِفٌ فِيْ المَخْبَر** : قال تعالى : ﴿**كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾

[الْبَقَرَةِ: ٢٥] ، قال الإمام الرَّازيُّ في " التَّفسير" (٢/ ٣٥٩-٣٦٠) : " الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ شَبَّهُوا رِزْقَهُمُ الَّذِي يَأْتِيهِمْ فِي الجَنَّة بِرِزْقٍ آخَرَ جَاءَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَالْمُشَبَّهُ بِهِ أَهُوَ مِنْ أَرْزَاقِ الدُّنْيَا، أَمْ مِنْ أَرْزَاقِ الْجَنَّةِ؟

وَالْجَوَابُ فِيهِ وَجْهَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ مِنْ أَرْزَاقِ الدُّنْيَا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وَجْهَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْإِنْسَانَ بِالْمَأْلُوفِ آنَسُ وَإِلَى الْمَعْهُودِ أَمْيَلُ، فَإِذَا رَأَىٰ مَا لَمْ يَأْلَفْهُ نَفَرَ عَنْهُ طَبْعُهُ ثُمَّ إِذَا ظَفَرَ بِشَيْءٍ مِنْ جِنْسِ مَا سَلَفَ لَهُ بِهِ عَهْدٌ ثُمَّ وَجَدَهُ أَشْرَفَ مِمَّا أَلِفَهُ أَوَّلًا عَظُمَ ابتهاجه وفرحه به، فأهل الجَنَّة إذ أَبْصَرُوا الرُّمَّانَةَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَبْصَرُوهَا فِي الْآخِرَةِ وَوَجَدُوا رُمَّانَةَ الجَنَّة أَطْيَبَ وَأَشْرَفَ مِنْ رُمَّانَةِ الدُّنْيَا كَانَ فَرَحُهُمْ بِهَا أَشَدَّ مِنْ فَرَحِهِمْ بِشَيْءٍ مِمَّا شَاهَدُوهُ فِي الدُّنْيَا، وَالدَّلِيلُ الثَّانِي: أَنَّ قَوْلَهُ: **﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾** يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ الْمَرَّاتِ فَيَتَنَاوَلُ الْمَرَّةَ الْأُولَىٰ فَلَهُمْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ مِنْ أَرْزَاقِ الجَنَّة شَيْءٌ لَا بُدَّ وَأَنْ يَقُولُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ، وَلَا يَكُونُ قَبْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ شَيْءٌ مِنْ أَرْزَاقِ الجَنَّة حَتَّىٰ يُشَبَّهَ ذَلِكَ بِهِ فَوَجَبَ حَمْلُهُ عَلَىٰ أَرْزَاقِ الدُّنْيَا.

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْمُشَبَّهَ بِهِ رِزْقُ الجَنَّة أَيْضًا وَالْمُرَادُ تَشَابُهُ أَرْزَاقِهِمْ ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيمَا حَصَلَتِ الْمُشَابَهَةُ فِيهِ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: الْمُرَادُ تَسَاوِي ثَوَابِهِمْ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ فِي الْقَدْرِ وَالدَّرَجَةِ حَتَّىٰ لَا يَزِيدَ وَلَا يَنْقُصَ.

الثَّانِي: الْمُرَادُ تَشَابُهُهَا فِي الْمَنْظَرِ فَيَكُونُ الثَّانِي كَأَنَّهُ الْأَوَّلُ عَلَىٰ مَا رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ ثُمَّ هَؤُلَاءِ مُخْتَلِفُونَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ الِاشْتِبَاهُ كَمَا يَقَعُ فِي الْمَنْظَرِ يَقَعُ فِي الْمَطْعَمِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا الْتَذَّ بِشَيْءٍ وَأُعْجِبَ بِهِ لَا تَتَعَلَّقُ بِهِ نَفْسُهُ إِلَّا بِمِثْلِهِ، فَإِذَا جَاءَ مَا يُشْبِهُ الْأَوَّلَ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ كَانَ ذَلِكَ نِهَايَةَ اللَّذَّةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ وَإِنْ حَصَلَ الِاشْتِبَاهُ فِي اللَّوْنِ لَكِنَّهَا تَكُونُ مُخْتَلِفَةً فِي الطَّعْمِ، قَالَ الْحَسَنُ يُؤْتَىٰ أَحَدُهُمْ بِالصَّحْفَةِ فَيَأْكُلُ مِنْهَا ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِالْأُخْرَىٰ فَيَقُولُ هَذَا الَّذِي أُتِينَا بِهِ مِنْ قَبْلُ، فَيَقُولُ الْمَلَكُ كُلْ فَاللَّوْنُ وَاحِدٌ وَالطَّعْمُ مُخْتَلِفٌ، وَفِي الْآيَةِ قَوْلٌ ثَالِثٌ عَلَىٰ لِسَانِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ، وَهُوَ أَنَّ كَمَالَ السَّعَادَةِ لَيْسَ إِلَّا فِي مَعْرِفَةِ ذَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ: وَمَعْرِفَةِ صِفَاتِهِ وَمَعْرِفَةِ أَفْعَالِهِ مِنَ الملائكة الكروبيَّة والملائكة الرُّوحانيَّة وطبقات لأرواح وعالم السَّموات ، وَبِالْجُمْلَةِ يَجِبُ أَنْ يَصِيرَ رُوحُ الْإِنْسَانِ كَالْمِرْآةِ الْمُحَاذِيَةِ لِعَالَمِ الْقُدُسِ ، ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْمَعَارِفَ تَحْصُلُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَحْصُلُ بِهَا كَمَالُ الِالْتِذَاذِ وَالِابْتِهَاجِ، لِمَا أَنَّ الْعَلَائِقَ الْبَدَنِيَّةَ تَعُوقُ عَنْ ظُهُورِ تِلْكَ السَّعَادَاتِ وَاللَّذَّاتِ، فَإِذَا زَالَ هَذَا الْعَائِقُ حَصَلَتِ السَّعَادَةُ الْعَظِيمَةُ وَالْغِبْطَةُ الْكُبْرَىٰ، فَالْحَاصِلُ أَنَّ كُلَّ سَعَادَةٍ رُوحَانِيَّةٍ يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ بَعْدَ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ يَقُولُ هَذِهِ هِيَ الَّتِي كَانَتْ حَاصِلَةً لِي حِينَ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ الْكَمَالَاتِ النَّفْسَانِيَّةَ

الْحَاصِلَةَ فِي الْآخِرَةِ هِيَ الَّتِي كَانَتْ حَاصِلَةً فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّهَا فِي الدُّنْيَا مَا أَفَادَتِ اللَّذَّةَ وَالْبَهْجَةَ وَالسُّرُورَ وَفِي الْآخِرَةِ أَفَادَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لِزَوَالِ الْعَائِقِ.

أَمَّا قَوْلُهُ: **﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً﴾** ففيه سؤالان:

السُّؤَالُ الأَوَّلُ: إلامَ يرجح الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: **﴿وَأُتُوا بِهِ﴾** ؟ الْجَوَابُ: إِنْ قُلْنَا الْمُشَبَّهُ بِهِ هُوَ رِزْقُ الدُّنْيَا فَإِلَى الشَّيْءِ الْمَرْزُوقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَعْنِي أُتُوا بِذَلِكَ النَّوْعِ مُتَشَابِهًا يُشْبِهُ الْحَاصِلُ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ مَا كَانَ حَاصِلًا مِنْهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ قُلْنَا الْمُشَبَّهُ بِهِ هُوَ رِزْقُ الجَنَّة أَيْضًا، فَإِلَى الشَّيْءِ الْمَرْزُوقِ فِي الْجَنَّةِ، يَعْنِي أُتُوا بِذَلِكَ النَّوْعِ فِي الجَنَّة بِحَيْثُ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

السُّؤَالُ الثَّانِي: كَيْفَ مَوْقِعُ قَوْلِهِ: **﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً﴾** مِنْ نَظْمِ الْكَلَامِ؟ وَالْجَوَابُ: أَنَّ اللهَّ تَعَالَى لَمَّا حَكَى عَنْ أَهْلِ الجَنَّة ادِّعَاءَ تَشَابُهِ الْأَرْزَاقِ فِي قَوْلِهِ: **﴿قالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ﴾** فَاللهُّ تَعَالَى صَدَّقَهُمْ فِي تِلْكَ الدَّعْوَةِ بِقَوْلِهِ: وَأُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً أَمَّا قَوْلُهُ: وَلَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ فَالْمُرَادُ طَهَارَةُ أَبْدَانِهِنَّ مِنَ الْحَيْضِ وَالِاسْتِحَاضَةِ وَجَمِيعِ الْأَقْذَارِ وَطَهَارَةُ أَزْوَاجِهِنَّ مِنْ جَمِيعِ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ، وَلَا سِيَّمَا مَا يَخْتَصُّ بِالنِّسَاءِ، وَإِنَّمَا حَمَلْنَا اللَّفْظَ عَلَى الْكُلِّ لِاشْتِرَاكِ الْقِسْمَيْنِ فِي قَدْرٍ مُشْتَرَكٍ، قَالَ أَهْلُ الْإِشَارَةِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّنَبُّهِ لِمَسَائِلَ.

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا حَاضَتْ فَاللهُّ تَعَالَى مَنَعَكَ عَنْ مُبَاشَرَتِهَا قَالَ اللهُّ تَعَالَى: **﴿قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ﴾** [الْبَقَرَةِ: ٢٢٢] ، فَإِذَا مَنَعَكَ عَنْ مُقَارَبَتِهَا لِمَا عَلَيْهَا مِنَ النَّجَاسَةِ الَّتِي هِيَ مَعْذُورَةٌ فِيهَا فَإِذَا كَانَتِ الْأَزْوَاجُ اللَّوَاتِي فِي الجَنَّة مُطَهَّرَاتٍ فَلَأَنْ يَمْنَعَكَ عَنْهُنَّ حَالَ كَوْنِكَ مُلَوَّثًا بِنَجَاسَاتِ الْمَعَاصِي مَعَ أَنَّكَ غَيْرُ مَعْذُورٍ فِيهَا كَانَ أَوْلَى.

وَثَانِيهَا: أَنَّ مَنْ قَضَى شَهْوَتَهُ مِنَ الْحَلَالِ فَإِنَّهُ يُمْنَعُ الدُّخُولَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، فَمَنْ قَضَى شَهْوَتَهُ مِنَ الْحَرَامِ كَيْفَ يُمَكَّنُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّة الَّتِي لَا يَسْكُنُهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ آدَمَ لَمَّا أَتَى بِالزَّلَّةِ أُخْرِجَ مِنْهَا.

وَثَالِثُهَا: مَنْ كَانَ عَلَى ثَوْبِهِ ذَرَّةٌ مِنَ النَّجَاسَةِ لَا تَصِحُّ صَلَاتُهُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، فَمَنْ كَانَ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ نَجَاسَاتِ الْمَعَاصِي أعظم من الدنيا كيف تقبل صلاته وهاهنا سُؤَالَانِ:

الْأَوَّلُ: هَلَّا جَاءَتِ الصِّفَةُ مَجْمُوعَةً كَالْمَوْصُوفِ؟ الْجَوَابُ: هُمَا لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ يُقَالُ النِّسَاءُ فَعَلْنَ وَالنِّسَاءُ فَعَلَتْ. وَمِنْهُ بَيْتُ الْحَمَاسَةِ:

وَإِذَا الْعَذَارَىٰ بِالدُّخَانِ تَقَنَّعَتْ وَاسْتَعْمَلَتْ نَصْبَ الْقُدُورِ فَمَلَّتْ

وَالْمَعْنَىٰ وَجَمَاعَةُ أَزْوَاجٍ مُطَهَّرَةٍ، وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: مُطَهَّرَاتٌ وَقَرَأَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ: مُطَّهِّرَةٌ يَعْنِي مُتَطَهِّرَةً.

السُّؤَالُ الثَّانِي: هَلَّا قِيلَ طَاهِرَةٌ؟ الْجَوَابُ: فِي الْمُطَهَّرَةِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ مُطَهِّرًا طَهَّرَهُنَّ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَىٰ، وَذَلِكَ يُفِيدُ فَخَامَةَ أَمْرِ أَهْلِ الثَّوَابِ كَأَنَّهُ قِيلَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي زَيَّنَهُنَّ لِأَهْلِ الثَّوَابِ. أَمَّا قَوْلُهُ: **﴿وَهُمْ فِيها خالِدُونَ﴾** ، فَقَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ الْخُلْدَ هاهنا هُوَ الثَّبَاتُ اللَّازِمُ وَالْبَقَاءُ الدَّائِمُ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ وَاحْتَجُّوا عَلَيْهِ بِالْآيَةِ وَالشِّعْرِ، أَمَّا الْآيَةُ فَقَوْلُهُ: **﴿وَما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِدُونَ﴾** [الأنبياء: ٣٤] فَنَفَىٰ الْخُلْدَ عَنِ الْبَشَرِ مَعَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ أَعْطَىٰ بَعْضَهُمُ الْعُمُرَ الطَّوِيلَ، وَالْمَنْفِيُّ غَيْرُ الْمُثْبَتِ، فَالْخُلْدُ هُوَ الْبَقَاءُ الدَّائِمُ وَأَمَّا الشِّعْرُ فَقَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ:

وَهَلْ يَعِمَنْ إِلَّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ قَلِيلُ هُمُومٍ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ

وَقَالَ أَصْحَابُنَا: الْخُلْدُ هُوَ الثَّبَاتُ الطَّوِيلُ سَوَاءٌ دَامَ أَوْ لَمْ يَدُمْ وَاحْتَجُّوا فِيهِ بِالْآيَةِ وَالْعُرْفِ أَمَّا الْآيَةُ فَقَوْلُهُ تعالىٰ: **﴿خالِدِينَ فِيها أَبَداً﴾** وَلَوْ كَانَ التَّأْبِيدُ دَاخِلًا فِي مَفْهُومِ الْخُلْدِ لَكَانَ ذَلِكَ تَكْرَارًا وَأَمَّا الْعُرْفُ فَيُقَالُ حَبَسَ فُلَانٌ فُلَانًا حَبْسًا مُخَلَّدًا وَلِأَنَّهُ يُكْتَبُ فِي صُكُوكِ الْأَوْقَافِ وَقَفَ فُلَانٌ وَقْفًا مُخَلَّدًا فَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ فِي أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ هَلْ يَدُلُّ عَلَىٰ دَوَامِ الثَّوَابِ أَمْ لَا؟ وَقَالَ آخَرُونَ الْعَقْلُ يَدُلُّ عَلَىٰ دَوَامِهِ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَجِبْ دَوَامُهُ لَجَوَّزُوا انْقِطَاعَهُ فَكَانَ خَوْفُ الِانْقِطَاعِ يُنَغِّصُ عَلَيْهِمْ تِلْكَ النِّعْمَةِ لِأَنَّ النِّعْمَةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَعْظَمَ كَانَ خَوْفُ انْقِطَاعِهَا أَعْظَمَ وَقْعًا فِي الْقَلْبِ وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ لَا يَنْفَكَّ أَهْلُ الثَّوَابِ الْبَتَّةَ مِنَ الْغَمِّ وَالْحَسْرَةِ ، والله تعالىٰ أعلم " .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١/ ٢٤٠) : "وَمَعْنَىٰ **﴿مِنْ قَبْلُ﴾** يَعْنِي فِي الدُّنْيَا، وَفِيهِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُمْ قَالُوا هَذَا الَّذِي وُعِدْنَا بِهِ فِي الدُّنيا.

وَالثَّانِي : هذا الذي رزقنا الدُّنْيَا، لِأَنَّ لَوْنَهَا يُشْبِهُ لَوْنَ ثِمَارِ الدُّنْيَا، فَإِذَا أَكَلُوا وَجَدُوا طَعْمَهُ غَيْرَ ذَلِكَ وَقِيلَ:" **﴿مِنْ قَبْلُ﴾** ، يَعْنِي : فِي الجَنَّة لِأَنَّهُمْ يُرْزَقُونَ ثُمَّ يُرْزَقُونَ، فَإِذَا أُتُوا بِطَعَامٍ وَثِمَارٍ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَكَلُوا مِنْهَا، ثُمَّ أُتُوا مِنْهَا فِي آخِرِ النَّهَارِ قَالُوا: هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ، يَعْنِي أُطْعِمْنَا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، لِأَنَّ لَوْنَهُ يُشْبِهُ ذَلِكَ، فَإِذَا أَكَلُوا مِنْهَا وَجَدُوا لَهَا طَعْمًا غَيْرَ طَعْمِ الْأَوَّلِ: **﴿وَأُتُوا﴾** فُعِلُوا مِنْ أَتَيْتُ. وَقَرَأَهُ الْجَمَاعَةُ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالتَّاءِ. وَقَرَأَ هَارُونُ الْأَعْوَرُ" وَأَتُوا" بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالتَّاءِ. فَالضَّمِيرُ فِي الْقِرَاءَةِ الْأُولَىٰ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَفِي الثَّانِيَةِ

لِلْخُدَّامِ ﴿بِهِ مُتَشابِهاً﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي" بِهِ"، أَيْ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْمَنْظَرِ وَيَخْتَلِفُ فِي الطَّعْمِ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَغَيْرُهُمْ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: يُشْبِهُ ثَمَرَ الدُّنْيَا وَيُبَايِنُهُ فِي جُلِّ الصِّفَاتِ. ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا عَلَىٰ وَجْهِ التَّعَجُّبِ، وَلَيْسَ فِي الدُّنيا شيء مِمَّا فِي الجَنَّة سِوَىٰ الْأَسْمَاءِ، فَكَأَنَّهُمْ تَعَجَّبُوا لِمَا رَأَوْهُ مِنْ حُسْنِ الثَّمَرَةِ وَعِظَمِ خَلْقِهَا. وَقَالَ قَتَادَةُ: خِيَارًا لَا رَذْلَ فِيهِ، كَقَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿كِتاباً مُتَشابِهاً﴾ [الزمر: ٢٣] ، وَلَيْسَ كَثِمَارِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا تَتَشَابَهُ، لِأَنَّ فِيهَا خِيَارًا وَغَيْرَ خِيَارٍ" .

❁❁ **أَنَّهَا شَدِيْدَةُ الخُضرَةِ** : قال تعالىٰ : ﴿وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ * مُدْهامَّتانِ﴾ [الرحمن:٦٢-٦٤] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ١٨٤-١٨٥) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مُدْهامَّتانِ﴾ ، أي : خضروان مِنَ الرِّيِّ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مُسْوَدَّتَانِ. وَالدُّهْمَةُ فِي اللُّغَةِ السَّوَادُ، يُقَالُ: فَرَسٌ أَدْهَمُ وَبَعِيرٌ أَدْهَمُ وَنَاقَةٌ دَهْمَاءُ أَي اشتدت زرقته حتىٰ ذهب الْبَيَاضَ الَّذِي فِيهِ، فَإِنْ زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ اشْتَدَّ السَّوَادُ فَهُوَ جَوْنٌ. وَادْهَمَّ الْفَرَسُ ادْهِمَامًا ، أَيْ : صَارَ أَدْهَمَ. وَادْهَامَّ الشَّيْءُ ادْهِيمَامًا ، أَي : اسْوَادَّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مُدْهامَّتانِ﴾ ، أَيْ : سَوْدَاوَانِ مِنْ شِدَّةِ الْخُضْرَةِ مِنَ الرِّيِّ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ أَخْضَرَ أَسْوَدُ. وَقَالَ لَبِيدٌ يَرْثِي قَتْلَىٰ هَوَازِنَ:

وَجَاءُوا بِهِ فِي هَوْدَجٍ وَوَرَاءَهُ   كَتَائِبُ خُضْرٌ فِي نَسِيجِ السَّنَوَّرِ

السَّنَوَّرُ لَبُوسٌ مِنْ قِدٍّ كَالدِّرْعِ. وَسُمِّيَتْ قُرَىٰ الْعِرَاقِ سَوَادًا لِكَثْرَةِ خُضْرَتِهَا. وَيُقَالُ لِلَّيْلِ الْمُظْلِمِ: أَخْضَرُ. وَيُقَالُ: أَبَادَ اللهُ خَضْرَاءَهُمْ أَيْ سوادهم " .

❁❁ **أَنَّهَا ذَاتُ فُرُوْعٍ وَأَغْصَانٍ بَاسِقَةٍ نَامِيَةٍ ، وَسَعَةٍ وَظِلٍّ وَفَضْلٍ عَلَى مَا سِوَاهُمَا** : قال تعالىٰ : ﴿وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ * ذَواتا أَفْنانٍ﴾ [الرحمن:٤٦-٤٨] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ١٧٨) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ذَواتا أَفْنان﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: أَيْ ذَوَاتَا أَلْوَانٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ الْوَاحِدُ فَنٌّ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْأَفْنَانُ الْأَغْصَانُ وَاحِدُهَا فَنَنٌ ...

وَشَجَرَةٌ فَنَّاءُ ، أَيْ : ذَاتُ أَفْنَانٍ وَفَنْوَاءُ أَيْضًا عَلَىٰ غَيْرِ قِيَاسٍ. وَفِي الْحَدِيثِ: "إِنَّ أَهْلَ الجَنَّة مُرْدٌ مُكَحَّلُونَ أُولُو أَفَانِينَ" ، يُرِيدُ : أُولُو فَنَنٍ وَهُوَ جَمْعُ أَفْنَانٍ، وَأَفْنَانٌ جَمْعُ فَنَنٍ وَهُوَ الْخُصْلَةُ مِنَ الشَّعْرِ شُبِّهَ بِالْغُصْنِ. ذَكَرَهُ الْهَرَوِيُّ. وَقِيلَ: ﴿ذَواتا أَفْنانٍ﴾ ، أَيْ : ذَوَاتَا سَعَةٍ وَفَضْلٍ عَلَىٰ مَا سِوَاهُمَا، قَالَهُ قَتَادَةُ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا وَعِكْرِمَةَ: إِنَّ الْأَفْنَانَ ظِلُّ الْأَغْصَانِ عَلَىٰ الْحِيطَانِ " .

✿✿ **أنَّ ثِمَارَهَا قَرِيبَة تَدنو من أَهل الجَنَّة فَيَجْتَنُوْنَهَا بِيُسْرٍ وَسُهُوْلَة** : قال تعالى﴿ : **مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ**﴾ [الرحمن:٥٤] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ١٨٠) : ﴿**وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ**﴾ ، الْجَنَى مَا يُجْتَنَى مِنَ الشَّجَرِ، يُقَالُ: أَتَانَا بِجَنَاةٍ طَيِّبَةٍ لِكُلِّ مَا يُجْتَنَى. وَثَمَرٌ جَنِيٌّ عَلَى فَعِيلٍ حِينَ جُنِيَ، وَقَالَ:

هَذَا جَنَايَ وَخِيَارُهُ فِيهْ   إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فيه

وقرى (جِنَى) بِكَسْرِ الْجِيمِ ﴿ **دَانٍ**﴾ قَرِيبٌ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَدْنُو الشَّجَرَةُ حَتَّى يَجْتَنِيَهَا وَلِيُّ اللَّهِ إِنْ شَاءَ قَائِمًا وَإِنْ شَاءَ قَاعِدًا وَإِنْ شَاءَ مُضْطَجِعًا، لَا يَرُدُّ يَدَهُ بُعْدٌ وَلَا شوك " .

وقال تعالى : ﴿**وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً**﴾ [الإنسان:١٤] ، قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣٠/ ٧٥٠) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا**﴾ ذَكَرُوا فِي ذُلِّلَتْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: ذُلِّلَتْ أُدْنِيَتْ مِنْهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ: حَائِطٌ ذَلِيلٌ إِذَا كَانَ قَصِيرَ السَّمْكِ.

وَالثَّانِي: ذلِّلت ، أَيْ : جُعِلَتْ مُنْقَادَةً وَلَا تَمْتَنِعُ عَلَى قُطَّافِهَا كَيْفَ شَاءُوا. قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: ذُلِّلَتْ لَهُمْ فَهُمْ يَتَنَاوَلُونَ مِنْهَا كَيْفَ شَاءُوا، فَمَنْ أَكَلَ قَائِمًا لَمْ يُؤْذِهِ وَمَنْ أَكَلَ جَالِسًا لم يؤده ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه "

✿✿ **أنَّ ظِلَّهَا وَاسِعٌ كَبِيْر** : قال تعالى : ﴿**وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً**﴾ [النساء:٥٧] ، قال الإمام الرَّزي في " التَّفسير"(١٠/ ١٠٨) : ﴿**وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا**﴾ ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ: الظَّلِيلُ لَيْسَ يُنْبِئُ عَنِ الْفِعْلِ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّهُ بِمَعْنَى فَاعِلٍ أَوْ مَفْعُولٍ، بَلْ هُوَ مُبَالَغَةٌ فِي نَعْتِ الظِّلِّ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ: لَيْلٌ أَلْيَلُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ بِلَادَ الْعَرَبِ كَانَتْ فِي غَايَةِ الْحَرَارَةِ، فَكَانَ الظِّلُّ عِنْدَهُمْ أَعْظَمَ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى جَعَلُوهُ كِنَايَةً عَنِ الرَّاحَةِ.

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ: «السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ " . ذكره الهيثمي في " مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد " (٥/ ١٩٦ برقم ٨٩٩٨) ، وقال : " رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَفِيهِ سَعِيدُ بْنُ سِنَانٍ أَبُو مَهْدِيٍّ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ " .

فَإِذَا كَانَ الظِّلُّ عِبَارَةً عَنِ الرَّاحَةِ كَانَ الظَّلِيلُ كِنَايَةً عَنِ الْمُبَالَغَةِ الْعَظِيمَةِ فِي الرَّاحَةِ، هَذَا مَا يَمِيلُ إِلَيْهِ خَاطِرِي، وَبِهَذَا الطَّرِيقِ يَنْدَفِعُ سُؤَالُ مَنْ يَقُولُ: إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْجَنَّة شَمْسٌ تُؤْذِي بِحَرِّهَا فَمَا فَائِدَةُ وَصْفِهَا بِالظِّلِّ الظَّلِيلِ. وَأَيْضًا نَرَى فِي الدُّنْيَا أَنَّ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَدُومُ الظِّلُّ فِيهَا وَلَا يَصِلُ نُورُ الشَّمْسِ إِلَيْهَا يَكُونُ

هَوَاؤُهَا عَفِنًا فَاسِدًا مُؤْذِيًا فَمَا مَعْنَى وَصْفُ هَوَاءِ الجَنَّة بِذَلِكَ لِأَنَّ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الَّذِي لَخَّصْنَاهُ تَنْدَفِعُ هَذِهِ الشُّبُهَاتُ " .

وقال : ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ٢٠٩) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ ، أَيْ : دَائِمٌ بَاقٍ لَا يَزُولُ وَلَا تَنْسَخُهُ الشَّمْسُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً﴾ ، وَذَلِكَ بِالْغَدَاةِ وَهِيَ مَا بَيْنَ الْإِسْفَارِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ هُنَاكَ . وَالْجَنَّةُ كُلُّهَا ظِلٌّ لَا شَمْسَ مَعَهُ. قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: يَعْنِي ظِلَّ الْعَرْشِ. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ: مَسِيرَةُ سَبْعِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: تَقُولُ الْعَرَبُ لِلدَّهْرِ الطَّوِيلِ وَالْعُمْرِ الطَّوِيلِ وَالشَّيْءِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ مَمْدُودٌ، وَقَالَ لَبِيدٌ:

غَلَبَ الْعَزَاءُ وَكُنْتُ غَيْرَ مُغَلَّبِ دَهْرٌ طَوِيلٌ دَائِمٌ مَمْدُودُ

وَفِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَفِي الْجَنَّة شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ .

وقال : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات:٤١] ، قال الإمام البروسوي في " روح البيان " (٧/ ٤١٧) : " أي : في عزَّة ومنعة ، وأظلَّني فلان ، أي : حرسني ، وجعلني في ظلِّه ، أي : في عزِّه ومنعته ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ [النساء:٥٧] ، كناية عن نضارة العيش ، انتهى . وقال الامام في سورة النِّساء : إنَّ بلاد العرب كانت في غاية الحرارة ، فكان الظِّل عندهم من أعظم أسباب الرَّاحة ، وهذا المعنى جعلوه كناية عن الرَّاحة " .

وفي السُّنَّة المطهَّرة جاء ذكر بعض أشجار الجَنَّة ، من ذلك:

روى البخاري (٤/ ١١٩ برقم ٣٢٥٢) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّ فِي الجَنَّة لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] .

وروى البخاري (٨/ ١١٤ برقم ٦٥٥٣) ، مسلم (٤/ ٢١٧٦ برقم ٢٨٢٨) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّة لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا " .

وقد أخبر الرَّسول صلى الله عليه وسلم أنَّ سبيل إكثار الإنسان لحظِّه من أشجار الجَنَّة يكون من خلال : التَّسبيح ، والتَّحميد ، والتَّهليل ، والتَّكبير ، فقد روى التِّرمذي (٥/ ٣٨٧ برقم ٣٤٦٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ) بسنده عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيتُ

إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ " .

سُؤَالٌ : مَا المَقْصُودُ بِقَولِهِ تَعَالَى : ﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [] .

الجواب : قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٨/ ١٤٤) : " وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: مَا وَجْهُ التَّقْرِيبِ، مَعَ أَنَّ الجَنَّةَ مَكَانٌ وَالْأَمْكِنَةُ يَقْرُبُ مِنْهَا وَهِيَ لَا تَقْرُبُ؟ نَقُولُ : الْجَوَاب عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ :

الْأَوَّلُ: أَنَّ الجَنَّةَ لَا تُزَالُ وَلَا تُنْقَلُ، وَلَا الْمُؤْمِنُ يُؤْمَرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِالِانْتِقَالِ إِلَيْهَا مَعَ بُعْدِهَا، لَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يَطْوِي الْمَسَافَةَ الَّتِي بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْجَنَّةِ فَهُوَ التَّقْرِيبُ. فَإِنْ قِيلَ فَعَلَى هَذَا لَيْسَ إِزْلَافُ الجَنَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنِ بِأَوْلَى مِنْ إِزْلَافِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْجَنَّةِ، فَمَا الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ: **﴿أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾** ؟ نَقُولُ إِكْرَامًا لِلْمُؤْمِنِ، كَأَنَّهُ تَعَالَى أَرَادَ بَيَانَ شَرَفِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَّقِي أَنَّهُ مِمَّنْ يُمْشَى إِلَيْهِ وَيُدْنَى مِنْهُ .

الثَّانِي: قُرِّبَتْ مِنَ الْحُصُولِ فِي الدُّخُولِ، لَا بِمَعْنَى الْقُرْبِ الْمَكَانِيِّ، يُقَالُ يَطْلُبُ مِنَ الْمَلِكِ أَمْرًا خَطِيرًا، وَالْمَلِكُ بِعِيدٌ عَنْ ذَلِكَ، ثُمَّ إِذَا رَأَى مِنْهُ مَخَايِلَ إِنْجَازِ حَاجَتِهِ، يُقَالُ قُرِّبَ الْمَلِكُ وَمَا زِلْتُ أُنْهِي إِلَيْهِ حَالَكَ حَتَّى قَرَّبْتَهُ، فَكَذَلِكَ الجَنَّةُ كَانَتْ بَعِيدَةَ الْحُصُولِ، لِأَنَّهَا بِمَا فِيهَا لَا قِيمَةَ لَهَا، وَلَا قُدْرَةَ لِلْمُكَلَّفِ عَلَى تَحْصِيلِهَا لَوْلَا فَضْلُ اللهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى، فَقِيلَ : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ وَلَا أَنَا" .

وَعَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ غَيْرَ نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، تَقْدِيرُهُ قُرِّبَتْ مِنَ الْحُصُولِ، وَلَمْ تَكُنْ بَعِيدَةً فِي الْمَسَافَةِ حَتَّى يُقَالَ كَيْفَ قُرِّبَتْ الثَّالِثُ: هُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى نَقْلِ الجَنَّةِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَيُقَرِّبُهَا لِلْمُؤْمِنِ. وَأَمَّا إِنْ قُلْنَا إِنَّهَا قُرِّبَتْ، فَمَعْنَاهُ جُمِعَتْ محاسنها، كما قال تعالى: **﴿فِيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾** [الزخرف: ٧١] .

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: عَلَى هَذَا الْوَجْهِ وَعَلَى قَوْلِنَا قُرِّبَتْ تَقْرِيبَ حُصُولٍ وَدُخُولٍ، فَهُوَ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَأُزْلِفَتِ﴾** ، أَيْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَأَمَّا فِي جَمْعِ الْمَحَاسِنِ فَرُبَّمَا يَزِيدُ اللهُ فِيهَا زِينَةً وَقْتِ الدُّخُولِ، وَأَمَّا فِي الْحُصُولِ فلأن الدخول قبل ذلك كان مستبعدا إذ لَمْ يُقَدِّرِ اللهُ دُخُولَ الْمُؤْمِنِينَ الجَنَّةَ فِي الدُّنْيَا وَوَعَدَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَقُرِّبَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَثَانِيهِمَا: أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾** ، أَيْ : أُزْلِفَتْ فِي الدُّنْيَا، إِمَّا بِمَعْنَى جَمْعِ الْمَحَاسِنِ فَلِأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ وَخُلِقَ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَإِمَّا

بِمَعْنَىٰ تَقْرِيبِ الْحُصُولِ فَلِأَنَّهَا تَحْصُلُ بِكَلِمَةٍ حَسَنَةٍ وَإِمَّا عَلَىٰ تَفْسِيرِ الْإِزْلَافِ بِالتَّقْرِيبِ الْمَكَانِيِّ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ مَحْمُولًا إِلَىٰ عَلَىٰ ذَلِكَ الْوَقْتِ ، أَيْ : أُزْلِفَتْ فِي ذَلِكَ اليوم للمتَّقين.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: إِنْ حُمِلَ عَلَىٰ الْقُرْبِ الْمَكَانِيِّ، فَمَا الْفَائِدَةُ فِي الِاخْتِصَاصِ بِالْمُتَّقِينَ مَعَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ فِي عَرْصَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَنَقُولُ قَدْ يَكُونُ شَخْصَانِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَهُنَاكَ مَكَانٌ آخَرُ هُوَ إِلَىٰ أَحَدِهِمَا فِي غَايَةِ الْقُرْبِ، وَعَنِ الْآخَرِ فِي غَايَةِ الْبُعْدِ، مِثَالُهُ مَقْطُوعُ الرِّجْلَيْنِ وَالسَّلِيمُ الشَّدِيدُ الْعَدْوِ إِذَا اجْتَمَعَا فِي مَوْضِعٍ وَبِحَضْرَتِهِمَا شَيْءٌ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْيَدُ بِالْمَدِّ فَذَلِكَ بَعِيدٌ عَنِ الْمَقْطُوعِ وَهُوَ فِي غَايَةِ الْقُرْبِ مِنَ الْعَادِي، أَوْ نَقُولُ إِذَا اجْتَمَعَ شَخْصَانِ فِي مَكَانٍ وَأَحَدُهُمَا أُحِيطَ بِهِ سَدٌّ مِنْ حَدِيدٍ وَوُضِعَ بِقُرْبِهِ شَيْءٌ لَا تَنَالُهُ يَدُهُ بِالْمَدِّ وَالْآخَرُ لَمْ يُحَطْ بِهِ ذَلِكَ السَّدُّ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ هُوَ بَعِيدٌ عَنِ الْمَسْدُودِ وَقَرِيبٌ مِنَ الْمَحْظُوظِ وَالْمَجْدُودِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**غَيْرَ بَعِيدٍ**﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ نَصْبًا عَلَىٰ الظَّرْفِ يُقَالُ اجْلِسْ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنِّي أَيْ مَكَانًا غَيْرَ بَعِيدٍ، وَعَلَىٰ هَذَا فَقَوْلُهُ غَيْرَ بَعِيدٍ يُفِيدُ التَّأْكِيدَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَرِيبَ قَدْ يَكُونُ بَعِيدًا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ شَيْءٍ، فَإِنَّ الْمَكَانَ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ مَسِيرَةِ يَوْمٍ قَرِيبٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ وَبَعِيدٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مُتَنَزَّهَاتِ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ أَيُّمَا أَقْرَبُ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَىٰ أَوِ الْبَلَدُ الَّذِي هُوَ بِأَقْصَىٰ الْمَغْرِبِ أَوِ الْمَشْرِقِ؟ يُقَالُ لَهُ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَىٰ قَرِيبٌ، وَإِنْ قَالَ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ هُوَ أَوِ الْبَلَدُ؟ يُقَلْ لَهُ هُوَ بَعِيدٌ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ**﴾ ... ﴿**غَيْرَ بَعِيدٍ**﴾ ، أَيْ : قُرِّبَتْ قُرْبًا حَقِيقِيًّا لَا نِسْبِيًّا حَيْثُ لَا يُقَالُ فِيهَا إِنَّهَا بَعِيدَةٌ عَنْهُ مُقَايَسَةً أَوْ مُنَاسِبَةً، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ نَصْبًا عَلَىٰ الْحَالِ تَقْدِيرُهُ: قَرُبَتْ حَالَ كَوْنِ ذَلِكَ غَايَةَ التَّقْرِيبِ أَوْ نَقُولُ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ مَعْنَىٰ أُزْلِفَتْ قَرُبَتْ وَهِيَ غَيْرُ بَعِيدٍ، فَيَحْصُلُ الْمَعْنَيَانِ جَمِيعًا الْإِقْرَابُ وَالِاقْتِرَابُ أَوْ يَكُونُ الْمُرَادُ الْقُرْبَ وَالْحُصُولَ لَا لِلْمَكَانِ فَيَحْصُلُ مَعْنَيَانِ الْقُرْبُ الْمَكَانِيُّ بِقَوْلِهِ غَيْرَ بَعِيدٍ وَالْحُصُولُ بِقَوْلِهِ أُزْلِفَتِ وَقَوْلُهُ، غَيْرَ بَعِيدٍ مَعَ قَوْلِهِ أُزْلِفَتِ عَلَىٰ التَّأْنِيثِ يَحْتَمِلُ وُجُوهًا :

الْأَوَّلُ: إِذَا قُلْنَا إِنَّ غَيْرَ نُصِبَ عَلَىٰ الْمَصْدَرِ تَقْدِيرُهُ مَكَانًا غَيْرَ .

الثَّانِي: التَّذْكِيرُ فِيهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ [الْأَعْرَاف: ٥٦] إِجْرَاءٌ لِفَعِيلٍ بِمَعْنَىٰ فَاعِلٍ مَجْرَىٰ فَعِيلٍ بِمَعْنَىٰ مَفْعُولٍ .

الثَّالِثُ: أَنْ يُقَالَ غَيْرَ مَنْصُوبٌ نَصْبًا عَلَىٰ الْمَصْدَرِ عَلَىٰ أَنَّهُ صِفَةُ مَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ إِزْلَافًا غَيْرَ بَعِيدٍ، أَيْ عَنْ قُدْرَتِنَا فَإِنَّا قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْجَنَّةَ مَكَانٌ، وَالْمَكَانُ لَا يَقْرُبُ وَإِنَّمَا يُقْرَبُ مِنْهُ، فَقَالَ الْإِزْلَافُ غَيْرُ بَعِيدٍ عن قدرتنا فإنَّا نطوي المسافة بينهما" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ أَسْوَاقِ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : روىٰ مسلم (٤/ ٢١٧٨ برقم ٢٨٣٣) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ فِي الجَنَّة لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا " .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج"(١٧/ ١٧٠) : " الْمُرَادُ بِالسُّوقِ مَجْمَعٌ لَهُمْ يَجْتَمِعُونَ كَمَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا فِي السُّوقِ وَمَعْنَىٰ يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ أَيْ فِي مِقْدَارِ كُلِّ جُمُعَةٍ أَيْ أُسْبُوعٍ وَلَيْسَ هُنَاكَ حَقِيقَةً أُسْبُوعٌ لِفَقْدِ الشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالسُّوقُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ وهو أفصح وريح الشَّمَالِ بِفَتْحِ الشِّينِ وَالْمِيمِ بِغَيْرِ هَمْزَةٍ هَكَذَا الرِّوَايَةُ قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ هِيَ الشَّمَالُ وَالشَّمْأَلُ باسكان الميم مهموز والشامْلة بِهَمْزَةٍ قَبْلَ الْمِيمِ وَالشَّمَلُ بِفَتْحِ الْمِيمِ بِغَيْرِ أَلِفٍ وَالشَّمُولُ بِفَتْحِ الشِّينِ وَضَمِّ الْمِيمِ وَهِيَ الَّتِي تَأْتِي مِنْ دُبُرِ الْقِبْلَةِ قَالَ الْقَاضِي وَخَصَّ رِيحَ الجَنَّة بِالشَّمَالِ لِأَنَّهَا رِيحُ الْمَطَرِ عِنْدَ الْعَرَبِ كَانَتْ تَهُبُّ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ وَبِهَا يَأْتِي سَحَابُ الْمَطَرِ وَكَانُوا يَرْجُونَ السَّحَابَةَ الشَّامِيَّةَ وَجَاءَتْ فِي الْحَدِيثِ تَسْمِيَةُ هَذِهِ الرِّيحِ الْمُثِيرَةِ أَيِ الْمُحَرِّكَةِ لِأَنَّهَا تُثِيرُ فِي وُجُوهِهِمْ مَا تُثِيرُهُ مِنْ مسك أرض الجَنَّة وغيره من نعيمها " .

وقال القاضي عياض في " إكمال المعلم شرح صحيح مسلم " (٨/ ١٨١-١١٨٢) : " وقوله : "إِنَّ فِي الجَنَّة لَسُوقًا" الحديث ، يريد : مجتمعاً لأهل الجَنَّة ، كما تجتمع إلىٰ السُّوق في الدُّنيا ، وهذا يوم المزار ، وهو يوم الجمعة ، ويوم المزيد ، كما قال في الحديث.

وسُمِّي السُّوق سوقاً ؛ لسوق من يأتيها من النَّاس ببضائعهم إليها ، والسُّوق يذكَّر ويؤنَّث " .

وقوله : " فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ" : بفتح الشِّين والميم ، قال صاحب العين : الشِّمال والشَّمأل ساكنة الميم مهموز ، والشَّأمل بتقديم الهمزة ، والشَّمل بفتح الميم بغير ألف ، والشّمول بفتح الشِّين وضمِّ الميم : الرِّيح ، وهي التي تأتي من دُبُر القبلة.

وخصّ ريح الجَنَّة بالشِّمال – والله أعلم – بأنَّها ريح المطر عند العرب ، كانت تهبُّ من الشَّام ، وبها يأتي سحاب المطر ، وكانت ترجىٰ السَّحاب الشَّاميَّة ، ولذلك أيضاً سمَّىٰ هذه الرِّيح في الحديث الآخر : (المثيرة) ، أي المجداة ، كما قال : " فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ " يعني ما يثيره من مسك أرض الجَنَّة وغير ذلك من نعيمها ، وهو مقابلة الجنوب " .

وقال الإمام ابن تيمية في " مجموع الفتاوىٰ " (٦/٤٠٨) : " وَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ " ازْدِيَادِ وُجُوهِهِمْ حُسْنًا وَجَمَالًا " لَا يَقْتَضِي انْحِصَارَ ذَلِكَ فِي الرِّيحِ فَإِنَّ أَزْوَاجَهُمْ قَدْ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا وَلَمْ يَشْرَكُوهُمْ فِي الرِّيحِ؛ بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَصَلَ فِي الرِّيحِ زِيَادَةٌ عَلَىٰ مَا حَصَلَ لَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَدِيثُ مُخْتَصَرًا مِنْ بَقِيَّةِ الْأَحَادِيثِ بِأَنَّ سَبَبَ الِازْدِيَادِ " رُؤْيَةُ اللهِّ تَعَالَىٰ " مَعَ مَا اقْتَرَنَ بِهَا. وَعَلَىٰ هَذَا فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ " نِسَاؤُهُمْ الْمُؤْمِنَاتُ " رَأَيْنَ اللهَّ فِي مَنَازِلِهِنَّ فِي الجَنَّة " رُؤْيَةً " اقْتَضَتْ زِيَادَةَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ – إذَا كَانَ السَّبَبُ هُوَ الرُّؤْيَةَ كَمَا جَاءَ مُفَسَّرًا فِي أَحَادِيثَ أُخَرَ – كَمَا أَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا كَانَ الرِّجَالُ يَرُوحُونَ إلَىٰ الْمَسَاجِدِ فَيَتَوَجَّهُونَ إلَىٰ اللهِّ هُنَالِكَ وَالنِّسَاءُ فِي بُيُوتِهِنَّ يَتَوَجَّهْنَ إلَىٰ اللهِّ بِصَلَاةِ الظُّهْرِ؛ وَالرِّجَالُ يَزْدَادُونَ نُورًا فِي الدُّنْيَا بِهَذِهِ الصَّلَاةِ وَكَذَلِكَ النِّسَاءُ يَزْدَدْنَ نُورًا بِصَلَاتِهِنَّ كُلٌّ بِحَسَبِهِ؛ وَاللهُّ سُبْحَانَهُ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ رَائِحَةِ الجَنَّة ؟

الجواب :

روىٰ البخاري (٤/١٩ برقم ٢٨٠٥) بسنده عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهَّ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُّ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُّ مَا أَصْنَعُ» ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ – يَعْنِي أَصْحَابَهُ – وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، – يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ – ثُمَّ تَقَدَّمَ» ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّة وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ» ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ: " كُنَّا نُرَىٰ أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَّ عَلَيْهِ﴾** [الأحزاب: ٢٣] إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ" .

قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح" (ص١٦١-١٦٢ باختصار) : " وريح الجَنَّة نوعان: ريح يوجد في الدُّنيا تشمُّه الأرواح أحياناً ، لا تدركه العباد ، وريح يدرك بحاسَّة الشَّم للأبدان ، كما يشمّ روائح الأزهار وغيرها ، وهذا يشترك أهل الجَنَّة في إدراكه في الآخرة من قرُب وبعُد ، وأمَّا في الدُّنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله ، وهذا الذي وجده أنس بن النَّضر يجوز أن يكون من هذا القسم ، وأن يكون من الأوَّل ، والله أعلم ... وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدَّار آثاراً من آثار الجَنَّة

وأنموذجاً منها من الرَّائحة الطيِّبة ، واللذَّات المشتهاة ، والمناظر البهيَّة ، والفاكهة الحسنة ، والنَّعيم والسُّرور وقرَّة العين" .

وروى البخاري (٤/ ٩٩ برقم ٣١٦٦) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا" .

وروى أحمد في " المسند" (١١/ ١٦٢ برقم ٦٥٩٢) بسنده عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: أَرَادَ فُلَانٌ أَنْ يُدْعَى جُنَادَةَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ قَدْرِ سَبْعِينَ عَامًا أَوْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا ". قَالَ: " وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. وهب بن جرير: هو ابن حازم، الحكم: هو ابن عُتيبة، أبو محمد الكندي الكوفي. وأخرجه الخطيب في "تاريخه" ٢/ ٣٤٧ من طريق وهب بن جرير، بهذا الإسناد. وأخرجه الطيالسي (٢٢٧٤) عن شعبة، به. وأخرجه ابن ماجه (٢٦١١) عن محمد بن الصباح، عن سفيان، عن عبد الكريم، عن مجاهد، به. وأورده الهيثمي في "المجمع" ١/ ٩٨، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. وقال المنذري في "الترغيب والترهيب" ٣/ ٧٤: رواه أحمد وابن ماجه، ورجالُهما رجالُ الصحيح، وعبد الكريم: هو الجزري، ثقة، احتج به الشيخان وغيرهما، ولا يُلْتفت إلى ما قيل فيه. وفي الباب عن علي عند البخاري (٦٧٥٥) ، ومسلم (١٣٧٠) ، وسلف برقم (٦١٥) وعن سعد بن أبي وقاص عند البخاري (٤٣٢٦) ، ومسلم (٦٣) (١١٤) و (١١٥) وسلف (١٤٥٤) و (١٤٩٧) . وعن أبي ذر عند البخاري. (٣٥٠٨) . ومسلم (٦١) ، وسيرد ٥/ ١٦٦. وعن أبي أمامة الباهلي، سيرد ٥/ ٢٦٧. وعن أنس عند أبي داود (٥١١٥) ، وإسناده صحيح " .

وروى أحمد في " المسند" (٣٣/ ٤٢٧ برقم ٢٠٣١٥) بسنده عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: مَرِضَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ مَرَضًا ثَقُلَ فِيهِ، فَأَتَاهُ ابْنُ زِيَادٍ يَعُودُهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنِ اسْتُرْعِيَ رَعِيَّةً، فَلَمْ يُحِطْهُمْ بِنَصِيحَةٍ، لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَرِيحُهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ "، قَالَ ابْنُ زِيَادٍ: أَلَا كُنْتَ حَدَّثْتَنِي بِهَذَا قَبْلَ الْآنَ؟ قَالَ: " وَالْآنَ لَوْلَا الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ لَمْ أُحَدِّثْكَ بِهِ " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد قوي، هوذة بن خليفة صدوق لا بأس به، وهو من رجال ابن ماجه، ومن فوقه ثقات من رجال الشيخين. عوف: هو ابن أبي جميلة، والحسن: هو البصري. وأخرجه أبو عوانة ٤/ ٤٢٣، وابن قانع في "معجم الصحابة" ٣/ ٧٩ من طريق هوذة بن خليفة، بهذا الإسناد " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ ظِلِّ الجَنَّة ؟

الجواب : قال الله تعالى : **﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾** [الواقعة:٣٠] . قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٩/ ٤٠٥) : **﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾** ، وَفِيهِ وُجُوهٌ:

الْأَوَّلُ: مَمْدُودٌ زَمَانًا، أَيْ لَا زَوَالَ لَهُ فَهُوَ دَائِمٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها**﴾ [الرَّعْدِ:٣٥] ، أَيْ كَذَلِكَ

.

الثَّانِي: مَمْدُودٌ مَكَانًا، أَيْ يَقَعُ عَلَىٰ شَيْءٍ كَبِيرٍ وَيَسْتُرُهُ مِنْ بُقْعَةِ الجَنَّة .

الثَّالِثُ: الْمُرَادُ مَمْدُودٌ أَيْ مُنْبَسِطٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَالْأَرْضَ مَدَدْناها**﴾ [الحِجْرِ: ١٩] ، فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ الْوَجْهُ الثَّانِي؟ نَقُولُ: الظِّلُّ قَدْ يَكُونُ مُرْتَفِعًا، فَإِنَّ الشَّمْسَ إِذَا كَانَتْ تَحْتَ الْأَرْضِ يَقَعُ ظِلُّهَا فِي الْجَوِّ فَيَتَرَاكَمُ الظِّلُّ فَيَسْوَدُّ وَجْهُ الْأَرْضِ وَإِذَا كَانَتْ عَلَىٰ أَحَدِ جَانِبَيْهَا قَرِيبَةً مِنَ الْأُفُقِ يَنْبَسِطُ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ فَيُضِيءُ الْجَوُّ وَلَا يَسْخُنُ وَجْهُ الْأَرْضِ، فَيَكُونُ فِي غَايَةِ الطِّيبَةِ، فَقَوْلُهُ: ﴿**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾ ، أَيْ : عِنْدِ قِيَامِهِ عَمُودًا عَلَىٰ الْأَرْضِ كَالظِّلِّ بِاللَّيْلِ، وَعَلَىٰ هَذَا فَالظِّلُّ لَيْسَ ظِلَّ الْأَشْجَارِ بَلْ ظِلٌّ يخلقه الله تعالىٰ " .

قال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري في " فتح الرَّحمن بكشف ما يلتبس في القرآن " (ص١١٧) : " قوله تعالىٰ: ﴿**وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً**﴾ هو عبارةٌ عن المستلذِّ المستطيب كقوله تعالىٰ : ﴿**ولهمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرةً وعشيّاً**﴾ جرياً علىٰ المتعارف بين النَّاس، وإِلَّا فلا شمس في الجَنَّة طالعة ولا غاربة، كما أنَّه لا بكرة فيها ولا عشيّة."

وروىٰ البخاري (١١٩/٤ برقم ٣٢٥٢) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّ فِي الجَنَّة لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ﴿ **وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾ [الواقعة: ٣٠] .

قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٦/٣٢٦-٣٢٧) : " وَقَوْلُهُ : " فِي ظِلِّهَا" ، أَيْ : فِي نَعِيمِهَا وَرَاحَتِهَا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : عَيْشٌ ظَلِيلٌ ، وَقِيلَ : مَعْنَىٰ " ظِلِّهَا" نَاحِيَتِهَا ، وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَىٰ امْتِدَادِهَا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : أَنَا فِي ظِلِّكَ ، أَيْ : نَاحِيَتِكَ . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَالْمُحْوِجُ إِلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ أَنَّ الظِّلَّ فِي عرف أهل الدُّنْيَا مَا بَقِي مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ وَأَذَاهَا ، وَلَيْسَ فِي الجَنَّة شمس وَلَا أَذَىٰ . وروىٰ بن أبي حَاتِم وبن أبي الدُّنْيَا فِي صفة الجَنَّة عَن بن عَبَّاسٍ قَالَ : الظِّلُّ الْمَمْدُودُ شَجَرَةٌ فِي الجَنَّة عَلَىٰ سَاقٍ قَدْرَ مَا يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْمُجِدُّ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ مِنْ كُلِّ نَوَاحِيهَا ، فَيَخْرُجُ أَهْلُ الجَنَّة يَتَحَدَّثُونَ فِي ظِلِّهَا فَيَشْتَهِي بَعْضُهُمُ اللَّهْوَ ، فَيُرْسِلُ اللهُ رِيحًا فَيُحَرِّكُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بِكُلِّ لَهْوٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا " .

وقال تعالىٰ : ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا** ﴾ [النساء:٥٧] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٠/١٠٨) : " وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا قَالَ الْوَاحِدِيُّ: الظَّلِيلُ لَيْسَ يُنْبِئُ عَنِ الْفِعْلِ حَتَّىٰ يُقَالَ: إِنَّهُ بِمَعْنَىٰ فَاعِلٍ أَوْ مَفْعُولٍ، بَلْ هُوَ مُبَالَغَةٌ فِي نَعْتِ الظِّلِّ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ: لَيْلٌ أَلْيَلُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ بِلَادَ الْعَرَبِ كَانَتْ فِي غَايَةِ الْحَرَارَةِ، فَكَانَ الظِّلُّ عِنْدَهُمْ أَعْظَمَ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ، وَلِهَذَا الْمَعْنَىٰ جَعَلُوهُ كِنَايَةً عَنِ الرَّاحَةِ.

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ: «السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ " .

فَإِذَا كَانَ الظِّلُّ عِبَارَةً عَنِ الرَّاحَةِ كَانَ الظَّلِيلُ كِنَايَةً عَنِ الْمُبَالَغَةِ الْعَظِيمَةِ فِي الرَّاحَةِ، هَذَا مَا يَمِيلُ إِلَيْهِ خَاطِرِي، وَبِهَذَا الطَّرِيقِ يَنْدَفِعُ سُؤَالُ مَنْ يَقُولُ: إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْجَنَّة شَمْسٌ تُؤْذِي بِحَرِّهَا فَمَا فَائِدَةُ وَصْفِهَا بِالظِّلِّ الظَّلِيلِ. وَأَيْضًا نَرَىٰ فِي الدُّنْيَا أَنَّ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَدُومُ الظِّلُّ فِيهَا وَلَا يَصِلُ نُورُ الشَّمْسِ إِلَيْهَا يَكُونُ هَوَاؤُهَا عَفِنًا فَاسِدًا مُؤْذِيًا فَمَا مَعْنَىٰ وَصْفُ هَوَاءِ الْجَنَّة بِذَلِكَ لِأَنَّ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ الَّذِي لَخَّصْنَاهُ تَنْدَفِعُ هَذِهِ الشُّبُهَاتُ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٥/ ٢٥٥) : " يَعْنِي كَثِيفًا لَا شَمْسَ فِيهِ. الْحَسَنُ: وُصِفَ بِأَنَّهُ ظَلِيلٌ، لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُهُ مَا يَدْخُلُ ظِلَّ الدُّنْيَا مِنَ الْحَرِّ وَالسَّمُومِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يَعْنِي ظِلَالَ الْأَشْجَارِ وَظِلَالَ قُصُورِهَا. الكلبي: **﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾** يعني دائماً " .

وقال تعالىٰ : **﴿وَدانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها﴾** [الإنسان:١٤] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣٠/ ٧٥٠) : " وَفِي الْآيَةِ سُؤَالَانِ:

الْأَوَّلُ: مَا السَّبَبُ فِي نَصْبِ وَدانِيَةً؟ الْجَوَابُ: ذَكَرَ الْأَخْفَشُ وَالْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ وَالزَّجَّاجُ فِيهِ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الْحَالُ بِالْعَطْفِ عَلَىٰ قَوْلِهِ: مُتَّكِئِينَ كَمَا تَقُولُ فِي الدَّارِ: عَبْدُ اللَّهِ مُتَّكِئًا وَمُرْسَلَةً عَلَيْهِ الْحِجَالُ، لِأَنَّهُ حَيْثُ قَالَ: عَلَيْهِمْ رَجَعَ إِلَىٰ ذِكْرِهِمْ.

وَالثَّانِي: الْحَالُ بِالْعَطْفِ عَلَىٰ مَحَلِّ: **﴿يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً﴾** [الإنسان: ١٣] ، وَالتَّقْدِيرُ غَيْرَ رَائِينَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ، وَدَخَلَتِ الْوَاوُ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّ الْأَمْرَيْنِ يَجْتَمِعَانِ لَهُمْ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَجَزَاهُمْ جَنَّةً جَامِعِينَ فِيهَا بَيْنَ الْبُعْدِ عَنِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَدُنُوِّ الظِّلَالِ عَلَيْهِمْ.

وَالثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ دَانِيَةً نَعْتًا لِلْجَنَّةِ، وَالْمَعْنَىٰ: وَجَزَاهُمْ جَنَّةً دَانِيَةً، وَعَلَىٰ هَذَا الْجَوَابِ تَكُونُ دَانِيَةً صِفَةً لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: **﴿وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾** ، وَجَنَّةً أُخْرَىٰ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ وُعِدُوا جَنَّتَيْنِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ خَافُوا بِدَلِيلِ قوله: **﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا﴾** [الإنسان: ١٠] ، وَكُلُّ مَنْ خَافَ

فَلَهُ جَنَّتَانِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٤٦] ، وَقُرِئَ: وَدانِيَةً بالرفع على أن ظِلالُها مبتدأ وَدانِيَةً خَبَرٌ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَالْمَعْنَى: لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا وَالْحَالُ أَنَّ ظلالها دانية عليهم.

السُّؤال الثَّاني: الظلل إِنَّمَا يُوجَدُ حَيْثُ تُوجَدُ الشَّمْسُ، فَإِنْ كَانَ لَا شَمْسَ فِي الْجَنَّة فَكَيْفَ يَحْصُلُ الظِّلُّ هُنَاكَ؟ وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ أَشْجَارَ الجَنَّة تكُونُ بِحَيْثُ لَوْ كَانَ هُنَاكَ شَمْسٌ لَكَانَتْ تِلْكَ الْأَشْجَارُ مُظَلِّلَةً مِنْهَا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : وصف الله تعالى نساء أهل الجَنَّة بالعديد من الصِّفات ، منها:

◆﴿ الصِّفَةُ الأُوْلَى ﴾◆ : أَنَّهُنَّ حُورٌ بِمَعْنَى أَنَّهُنَّ حِسَانٌ ثَاقِبَاتٌ ، نَقِيَّات بَيَاضِ الْعَيْنِ، الشَّدِيدَةُ سَوَادِهَا: قال تعالى﴿ : **حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ** ﴾[الرحمن:٧٢] .

وقال تعالى : ﴿**وَحُورٌ عِينٌ**﴾[الواقعة:٢٢] .

وقال تعالى : ﴿**كَذلِكَ وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**﴾[الدخان:٥٤] .

وقال تعالى : ﴿**مُتَّكِئِينَ عَلى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**﴾[الطور:٢٠] .

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٣٠٢) : " الْحُورُ جَمَاعَةُ حَوْرَاءَ: وَهِيَ النَّقِيَّةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ، الشَّدِيدَةُ سَوَادِهَا " .

وروى الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٣٠٢-٣٠٣) بسنده عَنِ الْحَسَنِ، ﴿**وَحُورٌ عِينٌ**﴾[الواقعة: ٢٢] ، قَالَ: " شَدِيدَةُ السَّوَادِ: سَوَادِ الْعَيْنِ، شَدِيدَةُ الْبَيَاضِ: بَيَاضِ الْعَيْنِ.

وعَنِ الضَّحَّاكِ، ﴿**وَحُورٌ عِينٌ**﴾[الواقعة: ٢٢] ، قَالَ: " بِيضٌ عِينٌ ، قَالَ: عِظَامُ الْأَعْيُنِ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " الْحُورُ: سُودُ الْحَدَقِ.

وعَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ قَالَ: «بَلَغَنِي أَنَّ الْحُورَ الْعِينَ، خُلِقْنَ مِنَ الزَّعْفَرَانِ.

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «خُلِقَ الْحُورُ الْعِينُ مِنَ الزَّعْفَرَانِ.

وعن مُجَاهِدٍ قَالَ: «حُورُ الْعِينِ خُلِقْنَ مِنَ الزَّعْفَرَانِ» وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿**حُورٌ**﴾[الواقعة: ٢٢] أَنَّهُنَّ يَحَارُ فِيهِنَّ الطَّرْفُ" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٦/١٥٢-١٥٣) : " الْحُورُ: الْبِيضُ، فِي قَوْلِ قَتَادَةَ وَالْعَامَّةِ، جَمْعُ حَوْرَاءَ. وَالْحَوْرَاءُ: الْبَيْضَاءُ الَّتِي يُرَىٰ سَاقُهَا مِنْ وَرَاءِ ثِيَابِهَا، وَيَرَىٰ النَّاظِرُ وَجْهَهُ فِي كَعْبِهَا، كَالْمِرْآةِ مِنْ دِقَّةِ الْجِلْدِ وَبَضَاضَةِ الْبَشَرَةِ وَصَفَاءِ اللَّوْنِ. وَدَلِيلُ هَذَا التَّأْوِيلِ أَنَّهَا فِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ" بِعِيسٍ عِينٍ". وَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الحسين قال حدثنا حسين قَالَ حَدَّثَنَا عَمَّارُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ فَقَرَأَ فِي" حم" الدُّخَانِ" بِعِيسٍ عِينٍ. لَا يَذُوقُونَ طَعْمَ الْمَوْتِ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ". وَالْعِيسُ: الْبِيضُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْإِبِلِ الْبِيضِ: عِيسٌ، وَاحِدُهَا بَعِيرٌ أَعْيَسُ وَنَاقَةٌ عيساء. قال امرؤ القيس:

يرعن إِلَىٰ صَوْتِي إِذَا مَا سَمِعْنَهُ كَمَا تَرْعَوِي عِيطٌ إِلَىٰ صَوْتِ أَعْيَسَا

فَمَعْنَىٰ الْحُورِ هُنَا: الْحِسَانُ الثَّاقِبَاتُ الْبَيَاضِ بِحُسْنٍ. وَذَكَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَيُرَىٰ مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ، وَمِنْ تَحْتِ سَبْعِينَ حُلَّةً، كَمَا يُرَىٰ الشَّرَابُ الْأَحْمَرُ فِي الزُّجَاجَةِ الْبَيْضَاءِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّمَا سُمِّيَتِ الْحُورُ حُورًا لِأَنَّهُنَّ يَحَارُ الطَّرْفِ فِي حُسْنِهِنَّ وَبَيَاضِهِنَّ وَصَفَاءِ لَوْنِهِنَّ. وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ لَهُنَّ حُورٌ لِحَوَرِ أَعْيُنِهِنَّ. وَالْحَوَرُ: شِدَّةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ فِي شِدَّةِ سَوَادِهَا. امْرَأَةٌ حَوْرَاءُ بَيِّنَةُ الْحَوَرِ. يُقَالُ: احْوَرَّتْ عَيْنُهُ احْوِرَارًا. وَاحْوَرَّ الشَّيْءُ ابْيَضَّ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: مَا أَدْرِي مَا الْحَوَرُ فِي الْعِينِ؟ وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: الْحَوَرُ أَنْ تَسْوَدَّ الْعَيْنُ كُلُّهَا مِثْلَ أَعْيُنِ الظِّبَاءِ وَالْبَقَرِ. قَالَ: وَلَيْسَ فِي بَنِي آدَمَ حَوَرٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلنِّسَاءِ: حُورُ الْعِينِ لِأَنَّهُنَّ يُشَبَّهْنَ بِالظِّبَاءِ وَالْبَقَرِ. وَقَالَ الْعَجَّاجُ: بِأَعْيُنٍ مُحَوَّرَاتٍ حُورِ ، يَعْنِي الْأَعْيُنَ النَّقِيَّاتِ الْبَيَاضِ الشَّدِيدَاتِ سَوَادِ الْحَدَقِ " .

﴿ الصِّفَةُ الثَّانِيَة ﴾ : أَنَّهُنَّ عِيْن ، بِمَعْنَى حِسَانٌ ، عِظَامُ الْأَعْيُنِ ، سُودُ الْحَدَقِ: قال تعالىٰ : **﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾** [الواقعة:٢٢] . قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٦/ ١٥٣) : " قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: مَا أَدْرِي مَا الْحَوَرُ فِي الْعِينِ؟ وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: الْحَوَرُ أَنْ تَسْوَدَّ الْعَيْنُ كُلُّهَا مِثْلَ أَعْيُنِ الظِّبَاءِ وَالْبَقَرِ. قَالَ: وَلَيْسَ فِي بَنِي آدَمَ حَوَرٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلنِّسَاءِ: حُورُ الْعِينِ لِأَنَّهُنَّ يُشَبَّهْنَ بِالظِّبَاءِ وَالْبَقَرِ. وَقَالَ الْعَجَّاجُ: بِأَعْيُنٍ مُحَوَّرَاتٍ حُورِ ، يَعْنِي الْأَعْيُنَ النَّقِيَّاتِ الْبَيَاضِ الشَّدِيدَاتِ سَوَادِ الْحَدَقِ. وَالْعِينُ جَمْعُ عَيْنَاءَ، وَهِيَ الْوَاسِعَةُ الْعَظِيمَةُ الْعَيْنَيْنِ" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٥/ ٨٠) : " عِينٌ" عظام العيون الواحدة عيناء، وقال السُّدِّيُّ. مُجَاهِدٌ:" عِينٌ" حِسَانُ الْعُيُونِ. الْحَسَنُ: الشَّدِيدَاتُ بياض العين، الشديد أت سَوَادِهَا. وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ فِي اللُّغَةِ. يُقَالُ: رَجُلٌ أَعْيَنُ وَاسِعُ الْعَيْنِ بَيِّنُ الْعَيْنِ، وَالْجَمْعُ عِينٌ."

قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " (ص٢١٩) : " عين حوراء إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد والعين جمع عيناء وهي العظيمة العين من النِّساء ورجل أعين : إذا كان ضخم العين ، وامرأة عيناء والجمع عين ، والصَّحيح أنَّ العين اللاتي جمعت أعينهنَّ صفات الحسن والملاحة ، قال مقاتل : العين حسان الأعين ، ومن محاسن المرأة اتِّساع عينها في طول ، وضيق العين في المرأة من العيوب " .

﴿ الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ ﴾ : أَنَّهُنَّ مُطَهَّرَات مِنَ الْحَيْضِ وَالبُصَاقِ والنَّجاسَةِ وَسَائِرِ أَقْذَارِ الآدَمِيَّات ، فَلَا يَبُلْنَ وَلَا يَتَغَوَّطْنَ وَلَا يَلِدْنَ وَلَا يَحِضْنَ: قال تعالى : **﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾** [آل عمران: ١٥] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢/ ٣٥٩-٣٦٠) : " أَمَّا قَوْلُهُ :وَلَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ ، فَالْمُرَادُ طَهَارَةُ أَبْدَانِهِنَّ مِنَ الْحَيْضِ وَالِاسْتِحَاضَةِ وَجَمِيعِ الْأَقْذَارِ وَطَهَارَةُ أَزْوَاجِهِنَّ مِنْ جَمِيعِ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ، وَلَا سِيَّمَا مَا يَخْتَصُّ بِالنِّسَاءِ، وَإِنَّمَا حَمَلْنَا اللَّفْظَ عَلَى الْكُلِّ لِاشْتِرَاكِ الْقِسْمَيْنِ فِي قَدْرٍ مُشْتَرَكٍ، قَالَ أَهْلُ الْإِشَارَةِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّنَبُّهِ لِمَسَائِلَ.

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا حَاضَتْ فَاللَّهُ تَعَالَى مَنَعَكَ عَنْ مُبَاشَرَتِهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ﴾** [الْبَقَرَةِ: ٢٢٢] ، فَإِذَا مَنَعَكَ عَنْ مُقَارَبَتِهَا لِمَا عَلَيْهَا مِنَ النَّجَاسَةِ الَّتِي هِيَ مَعْذُورَةٌ فِيهَا فَإِذَا كَانَتِ الْأَزْوَاجُ اللَّوَاتِي فِي الجَنَّة مُطَهَّرَاتٍ فَلَأَنْ يَمْنَعَكَ عَنْهُنَّ حَالَ كَوْنِكَ مُلَوَّثًا بِنَجَاسَاتِ الْمَعَاصِي مَعَ أَنَّكَ غَيْرُ مَعْذُورٍ فِيهَا كَانَ أَوْلَى .

وَثَانِيهَا: أَنَّ مَنْ قَضَى شَهْوَتَهُ مِنَ الْحَلَالِ فَإِنَّهُ يُمْنَعُ الدُّخُولَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، فَمَنْ قَضَى شَهْوَتَهُ مِنَ الْحَرَامِ كَيْفَ يُمَكَّنُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّة الَّتِي لَا يَسْكُنُهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ آدَمَ لَمَّا أَتَى بِالزَّلَّةِ أُخْرِجَ مِنْهَا .

وَثَالِثُهَا: مَنْ كَانَ عَلَىٰ ثَوْبِهِ ذَرَّةٌ مِنَ النَّجَاسَةِ لَا تَصِحُّ صَلَاتُهُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَمَنْ كَانَ عَلَىٰ قَلْبِهِ مِنْ نَجَاسَاتِ الْمَعَاصِي أعظم من الدُّنيا كيف تقبل صلاته ؟ وهاهنا سُؤَالَانِ: الْأَوَّلُ: هَلَّا جَاءَتِ الصِّفَةُ مَجْمُوعَةً كَالْمَوْصُوفِ؟ الْجَوَابُ: هُمَا لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ يُقَالُ النِّسَاءُ فَعَلْنَ وَالنِّسَاءُ فَعَلَتْ. وَمِنْهُ بَيْتُ الْحَمَاسَةِ:

وَإِذَا الْعَذَارَىٰ بِالدُّخَانِ تَقَنَّعَتْ وَاسْتَعْمَلَتْ نَصْبَ الْقُدُورِ فَمَلَّتْ

وَالْمَعْنَىٰ وَجَمَاعَةُ أَزْوَاجٍ مُطَهَّرَةٍ، وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: مُطَهَّرَاتٌ وَقَرَأَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ: مُطَّهِّرَةٌ يَعْنِي مُتَطَهِّرَةً.

السُّؤَالُ الثَّانِي: هَلَّا قِيلَ طَاهِرَةٌ؟ الْجَوَابُ: فِي الْمُطَهَّرَةِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ مُطَهِّرًا طَهَّرَهُنَّ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ، وَذَلِكَ يُفِيدُ فَخَامَةَ أَمْرِ أَهْلِ الثَّوَابِ كَأَنَّهُ قِيلَ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي زَيَّنَهُنَّ لِأَهْلِ الثَّوَابِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٢٤١/١) : ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ نَعْتٌ لِلْأَزْوَاجِ. وَمُطَهَّرَةٌ فِي اللُّغَةِ أَجْمَعُ مِنْ طَاهِرَةٍ وَأَبْلَغُ، وَمَعْنَىٰ هَذِهِ الطَّهَارَةُ مِنَ الْحَيْضِ والبصاق وسائر أقذار الآدميات. ذكر عبد الرازق قَالَ أَخْبَرَنِي الثَّوْرِيُّ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ :مُطَهَّرَةٌ، قَالَ: لَا يَبُلْنَ وَلَا يَتَغَوَّطْنَ وَلَا يَلِدْنَ وَلَا يَحِضْنَ وَلَا يُمْنِينَ وَلَا يَبْصُقْنَ " .

وروىٰ البخاري (١٣٢/٤ برقم ٣٣٢٧) ، مسلم (٢١٧٩/٤ برقم ٢٨٣٤) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ، عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَىٰ خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ " .

وروىٰ البخاري (١١٩/٤ برقم ٣٢٥٤) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لاَ تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَحَاسُدَ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الحُورِ العِينِ، يُرَىٰ مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ العَظْمِ وَاللَّحْمِ " .

وروىٰ البخاري (١٧/٤ برقم ٢٧٩٦) بسنده عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ... وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَىٰ رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا " .

وروى أحمد في " المسند" (١٦/ ٣٤٩ برقم ١٠٥٩٣) بسنده نْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَهُ، فَإِمَّا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تَكاثَرُوا ، فَقَالُوا : الرِّجَالُ فِي الجَنَّة أَكْثَرُ مِنَ النِّسَاءِ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَوَلَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ مِنْ أُمَّتِي تَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالزُّمْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى أَضْوَإِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ الْحُلَلِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا فِيهَا مِنْ أَعْزَبَ " .

﴿ الصِّفَةُ الرَّابِعَة ﴾ : أَنَّ رِقَّتَهُنَّ كَرِقَّةِ الجِلْدِ دَاخِلَ البَيْضَةِ مِمَّا يَلِيْ القِشْر ، وَذَلِكَ لَمْ يَمَسَّهُ شَيْءٌ : قال تعالى : **﴿وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾** [الصافات:٤٨-٤٩] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٥/ ٨٠-٨١) : " أَيْ مَصُونٌ. قَالَ الْحَسَنُ وَابْنُ زَيْدٍ: شُبِّهْنَ بِبَيْضِ النَّعَامِ، تُكِنُّهَا النَّعَامَةُ بِالرِّيشِ مِنَ الرِّيحِ والغبار، فلونها أبيض في صفرة وهو حسن أَلْوَانِ النِّسَاءِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ جُبَيْرٍ وَالسُّدِّيّ: شُبِّهْنَ بِبَطْنِ الْبَيْضِ قَبْلَ أَنْ يُقَشَّرَ وَتَمَسَّهُ الْأَيْدِي. وَقَالَ عَطَاءٌ: شُبِّهْنَ بِالسِّحَاءِ الَّذِي يكون بين القشر ة العليا ولباب البيض. وسحاة كل شي: قِشْرُهُ وَالْجَمْعُ سَحًا، قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ. وَنَحْوَهُ قَوْلُ الطَّبَرِيِّ، قَالَ: هُوَ الْقِشْرُ الرَّقِيقُ، الَّذِي عَلَى الْبَيْضَةِ بَيْنَ ذَلِكَ. وَرُوِيَ نَحْوَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالْعَرَبُ تُشَبِّهُ الْمَرْأَةَ بِالْبَيْضَةِ لِصَفَائِهَا وَبَيَاضِهَا، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

وَبَيْضَةِ خدر لا يرام خباؤها وتمتعت مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ

وَتَقُولُ الْعَرَبُ إِذَا وَصَفَتِ الشَّيْءَ بِالْحُسْنِ وَالنَّظَافَةِ: كَأَنَّهُ بَيْضُ النَّعَامِ الْمُغَطَّى بِالرِّيشِ. وَقِيلَ: الْمَكْنُونُ الْمَصُونُ عَنِ الْكَسْرِ، أَيْ إِنَّهُنَّ عَذَارَى. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْبِيضِ اللُّؤْلُؤُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾** [الواقعة: ٢٣ – ٢٢] ، أَيْ : فِي أَصْدَافِهِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا. وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَهِيَ بَيْضَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الْغَـ وَّاصِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْمَكْنُونَ وَالْبَيْضُ جَمْعٌ، لِأَنَّهُ رَدَّ النَّعْتَ إلى اللفظ " .

﴿ الصِّفَةُ الخَامِسَةُ ﴾ : أَنَّهُنَّ أَبْكَارٌ ، لَمْ يُجَامِعَهُنَّ وَلَمْ يَمَسَّهُنَّ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ إِنْسٌ وَلَا جَان : قال تعالى : **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾** [الرحمن:٥٦] . قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/ ٢٤٦) : " يَقُولُ: لَمْ يَمْسَّهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] . وَلَا جَانٌّ يُقَالُ مِنْهُ: مَا طَمَثَ هَذَا الْبَعِيرَ حَبْلٌ قَطُّ: أَيْ مَا مَسَّهُ حَبْلٌ وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ

الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ الْكُوفِيِّينَ يَقُولُ: الطَّمْثُ هُوَ النِّكَاحُ بِالتَّدْمِيَةِ، وَيَقُولُ: الطَّمْثُ هُوَ الدَّمُ، وَيَقُولُ: طَمَثَهَا إِذَا دمَّاهَا بِالنِّكَاحِ وَإِنَّمَا عَنَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّهُ لَمْ يُجَامِعْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ.

ثمَّ روى بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ : **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾** [الرحمن: ٥٦] يَقُولُ: «لَمْ يُدْمِهِنَّ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ.

وَعَنِ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾** [الرحمن: ٥٦] ، قَالَ:" لَمْ يَمَسَّهُنَّ شَيْءٌ، إِنْسٌ وَلَا غَيْرُهُ

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾** [الرحمن: ٥٦]، قَالَ: " لَمْ يَمَسَّهُنَّ" .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢٧/ ٢٧٠) : " الطَّمْثُ بِفَتْحِ الطَّاءِ وَسُكُونِ الْمِيمِ مَسِيسُ الْأُنْثَى الْبِكْرِ، أَيْ مِنْ أَبْكَارٍ. وَعُبِّرَ عَنِ الْبَكَارَةِ بِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ إِطْنَابًا فِي التَّحْسِينِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى **﴿فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً﴾** [الْوَاقِعَة: ٣٦] . وَهَؤُلَاءِ هُنَّ نِسَاءُ الْجَنَّة لَا أَزْوَاجَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّائِي كُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُنَّ قَدْ يَكُنَّ طَمَثَهُمْ أَزْوَاجٌ فَإِنَّ الزَّوْجَةَ فِي الْجَنَّة تَكُونُ لِآخِرِ مِنْ تَزَوَّجَهَا فِي الدُّنْيَا.

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ يَطْمِثْهُنَّ هُنَا، وَفِي نَظِيرِهِ الْآتِي بِكَسْرِ الْمِيمِ. وَقَرَأَهُ الدَّوْرِيُّ عَنِ الْكِسَائِيِّ بِضَمِّ الْمِيمِ وَهُمَا لُغَتَانِ فِي مُضَارِعِ طَمَثَ. وَنُقِلَ عَنِ الْكِسَائِيِّ: التَّخْيِيرُ بَيْنَ الضَّمِّ وَالْكَسْرِ.

وَقَوْلُهُ: إِنْسٌ قَبْلَهُمْ أَيْ لَمْ يطمثهن أحد قبل، وَقَوْلُهُ: وَلا جَانٌّ تَتْمِيمٌ وَاحْتِرَاسٌ وَهُوَ إِطْنَابٌ دَعَا إِلَيْهِ أَنَّ الْجَنَّة دَار ثَوَاب لصـــالحي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَلَمَّا ذَكَرَ إِنْسٌ نَشَأَ تَوَهُّمٌ أَنْ يَمَسَّهُنَّ جِنٌّ فَدَفَعَ ذَلِكَ التَّوَهُّمَ بِهَذَا الِاحْتِرَاسِ " .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " (ص٢٢٢) : " ظاهر القرآن أنَّ هؤلاء النِّسوة لسن من نساء الدُّنيا ، وإنَّما هنَّ من الحور حور العين ، وأمَّا نساء الدُّنيا فقد طمثهنَّ الإنس ، ونساء الجنّ قد طمثهنَّ الجنّ ، والآية تدلُّ على ذلك.

قال أبو إسحاق: وفي الآية دليل على أنَّ الجن يغشي كما أنَّ الأنس يغشى ، ويدلُّ على أنَّهَن الحور اللاتي خلقن في الجنَّة أنَّه سبحانه جعلهنَّ ممَّا أعده الله في الجنَّة لأهلها من الفاكهة والثِّمار والأنهار والملابس وغيرها ، ويدلُّ عليه أيضاً الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: **﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾** ثمَّ قال : **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ أنس قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾** .

الصِّفَةُ السَّادِسَةُ : **أَنَّهُنَّ فِي صَفَائِهِنَّ كَالْيَاقُوتُ الَّذِي يُرَى السِّلْكُ الَّذِي فِيهِ مِنْ وَرَائِهِ** : قال تعالىٰ : **﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾** [الرحمن:٥٨] .

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٢٢/٢٤٩-٢٥٠) : " يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ كَأَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَاصِرَاتُ الطَّرْفِ اللَّوَاتِي هُنَّ فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ فِي صَفَائِهِنَّ الْيَاقُوتُ الَّذِي يُرَىٰ السِّلْكُ الَّذِي فِيهِ مِنْ وَرَائِهِ، فَكَذَلِكَ يُرَىٰ مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ أَجْسَامِهِنَّ، وَفِي حُسْنِهِنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ.

ثم روىٰ بسنده عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّة لِيُرَىٰ بَيَاض سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ حَرِيرٍ وَمُخُّهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ: **﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾** [الرحمن: ٥٨] «أَمَّا الْيَاقُوتُ فَإِنَّهُ لَوْ أَدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكًا ثُمَّ اسْتَصْفَيْتَهُ لَرَأَيْتَهُ مِنْ وَرَائِهِ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّة لَتَلْبَسُ سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ حَرِيرٍ، يُرَىٰ بَيَاضُ سَاقِهَا وَحُسْنُ سَاقِهَا مِنْ وَرَائِهِنَّ، ذَلِكُمْ بِأَنَّ اللهَ يَقُول : **﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾** [الرحمن: ٥٨] «أَلَا وَإِنَّمَا الْيَاقُوتُ حَجَرٌ فَلَوْ جَعَلْتَ فِيهِ سِلْكًا ثُمَّ اسْتَصْفَيْتَهُ، لَنَظَرْتَ إِلَىٰ السِّلْكِ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: **﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾** [الرحمن: ٥٨] فِي بَيَاضِ الْمَرْجَانِ.

عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهَّ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّة لَتَلْبَسُ سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ حَرِيرٍ، فَيُرَىٰ بَيَاضُ سَاقِهَا وَحُسْنُهُ، وَمُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ قَالَ : **﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾** [الرحمن: ٥٨] «أَلَا تَرَىٰ أَنَّ الْيَاقُوتَ حَجَرٌ فَإِذَا أَدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكًا رَأَيْتَ السِّلْكَ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ " ...

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٩/٣٧٦-٣٧٧) : " وَهَذَا التَّشْبِيهُ فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: تَشْبِيهٌ بِصَفَائِهِمَا وَثَانِيهِمَا: بِحُسْنِ بَيَاضِ اللُّؤْلُؤِ وَحُمْرَةِ الْيَاقُوتِ، وَالْمَرْجَانُ صِغَارُ اللُّؤْلُؤِ وَهِيَ أَشَدُّ بَيَاضًا وَضِيَاءً مِنَ الْكِبَارِ بِكَثِيرٍ، فَإِنْ قُلْنَا: إِنَّ التَّشْبِيهَ لِبَيَانِ صَفَائِهِنَّ، فَنَقُولُ:

فِيهِ لَطِيفَةٌ هِيَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: قاصِراتُ الطَّرْفِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ خُلُوصِهِنَّ عَنِ الْقَبَائِحِ، وَقَوْلَهُ: كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجانُ إِشَارَةٌ إِلَىٰ صَفَائِهِنَّ فِي الْجَنَّةِ، فَأَوَّلُ مَا بَدَأَ بِالْعَقْلِيَّاتِ وَخَتَمَ بِالْحِسِّيَّاتِ، كَمَا قُلْنَا: إِنَّ التَّشْبِيهَ لِبَيَانِ مُشَابَهَةِ جِسْمِهِنَّ بِالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ فِي الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، فَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِيهِ حَيْثُ قَدَّمَ بَيَانَ الْعِفَّةِ عَلَىٰ بَيَانِ الْحُسْنِ وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُقَالَ: هُوَ مُؤَكِّدٌ لِمَا مَضَىٰ لِأَنَّهُنَّ لَمَّا كُنَّ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ مُمْتَنِعَاتٍ عَنِ الاجتماع بالإنس والجن لم يطمثهن فَهُنَّ كَالْيَاقُوتِ الَّذِي يَكُونُ فِي مَعْدِنِهِ وَالْمَرْجَانِ الْمَصُونِ فِي صَدَفِهِ لَا يَكُونُ قَدْ مَسَّهُ يَدُ لَامِسٍ " .

﴿الصِّفَةُ السَّابِعَةُ﴾ : أَنَّهُنَّ مُخَدَّرَات عَفِيْفَات قَدْ قُصِرْنَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ : قال تعالىٰ : **﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾** [الرحمن:٧٢] .

قال الإمام الماوردي في " النُّكت والعيون" (٥/ ٢٤٢-٢٤٣) : **﴿حُوْرٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾** فيه أربعة تأويلات:

أَحَدُهَا: مقصورات الطَّرف علىٰ أزواجهنَّ فلا يبغين بهم بدلاً، ولا يرفعن طرفاً إلىٰ غيرهم من الرِّجال، قاله مجاهد .

الثَّانِي: المحبوسات في الحِجال لَسْنَ بالطوَّافات في الطُّرق، قاله ابن عبَّاس .

الثَّالِثُ: المخدَّرات المصونات ، ولا متعطِّلات ولا متشوِّفات، قاله زيد بن الحارث، وأبو عبيدة .

الرَّابعُ: أنَّهَن المسكَّنات في القصور، قاله الحسن .

وَيُحْتَمَلُ خَامِسَاً: أن يريد بالمقصورات البيض، مأخوذ من قصارة الثَّوب الأبيض، لأنَّ وقوع الفرق بين المقصورات والقاصرات يقتضي وقوع الفرق بينهما في التَّأويل:

وفي الخيام ثلاثة أقاويل :

أَحَدُهَا: أنَّ الخيام هي البيوت ، قاله ابن بحر .

الثَّانِي: أنَّها خيام تضرب لأهل الجَنَّة خارج الجَنَّة كهيئة البداوة، قاله سعيد بن جبير .

الثَّالِثُ: أنَّها خيام في الجَنَّة تُضاف إلىٰ القصور. روىٰ ابن مسعود عن النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: "الخِيَامُ الدُّرُّ الُمجَوَّفُ" . روي عن أسماء بنت يزيد الأشهلية أنَّها أتت النَّبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إنَّنا معشر النِّساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحوامل أولادكم، فهل نشارككم في الأجر؟ فقال عليه السَّلام "نَعَم إِذَا أَحْسَنْتُنَّ تبَعُّلَ أَزْوَاجِكُنَّ وَطَلَبْتُنَّ مَرْضاتَهُم" .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٩/ ٣٨٠) : " قَوْلُهُ: مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ إِشَارَةٌ إِلَى مَعْنًى فِي غَايَةِ اللُّطْفِ، وَهُوَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ فِي الجَنَّة لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّحَرُّكِ لِشَيْءٍ وَإِنَّمَا الْأَشْيَاءُ تَتَحَرَّكُ إِلَيْهِ فَالْمَأْكُولُ وَالْمَشْرُوبُ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَرَكَةٍ مِنْهُ، وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَشْتَهُونَهُ فَالْحُورُ يَكُنَّ فِي بُيُوتٍ، وَعِنْدَ الِانْتِقَالِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي وَقْتِ إِرَادَتِهِمْ تَسِيرُ بِهِنَّ لِلِارْتِحَالِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ خِيَامٌ وَلِلْمُؤْمِنِينَ قُصُورٌ تَنْزِلُ الْحُورُ مِنَ الْخِيَامِ إِلَى الْقُصُور " .

وقال أيضاً (٢٩/ ٣٧٥-٣٧٦) : " ﴿**قاصِراتُ الطَّرْفِ**﴾ مِنَ الْقَصْرِ ، وَهُوَ الْمَنْعُ ، أَيِ : الْمَانِعَاتُ أَعْيُنَهُنَّ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْغَيْرِ، أَوْ مِنَ الْقُصُورِ، وَهُوَ كَوْنِ أَعْيُنِهِنَّ قَاصِرَةً لَا طَمَاحَ فِيهَا لِلْغَيْرِ، أَقُولُ : وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْقَصْرِ إِذِ الْقَصْرُ مَدْحٌ وَالْقُصُورُ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ: هُوَ مِنَ الْقَصْرِ بِمَعْنَى أَنَّهُنَّ قَصَرْنَ أَبْصَارَهُنَّ، فَأَبْصَارُهُنَّ مَقْصُورَةٌ وَهُنَّ قَاصِرَاتٌ فَيَكُونُ مِنْ إِضَافَةِ الْفَاعِلِ إِلَى الْمَفْعُولِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ هُوَ أَنَّ الْقَصْرَ مَدْحٌ وَالْقُصُورَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَعَلَى هَذَا فَفِيهِ لَطِيفَةٌ وَهِيَ أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ مِنْ بَعْدِ هَذِهِ : ﴿**حُورٌ مَقْصُوراتٌ**﴾ [الرَّحْمَنِ: ٧٢] فَهُنَّ مَقْصُورَاتٌ وَهُنَّ قَاصِرَاتٌ، وَفِيهِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُقَالَ: هُنَّ قَاصِرَاتٌ أَبْصَارَهُنَّ كَمَا يَكُونُ شُغْلُ الْعَفَائِفِ، وَهُنَّ قَاصِرَاتٌ أَنْفُسَهُنَّ فِي الْخِيَامِ كَمَا هُوَ عَادَةُ الْمُخَدَّرَاتِ لِأَنْفُسِهُنَّ فِي الْخِيَامِ وَلِأَبْصَارِهِنَّ عَنِ الطِّمَاحِ.

وَثَانِيهِمَا: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَيَانًا لِعَظَمَتِهِنَّ وَعَفَافِهِنَّ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي لَا يَكُونُ لَهَا رَادِعٌ مِنْ نَفْسِهَا وَلَا يَكُونُ لَهَا أَوْلِيَاءُ يَكُونُ فِيهَا نَوْعُ هَوَانٍ، وَإِذَا كَانَ لَهَا أَوْلِيَاءُ أَعِزَّةٌ امْتَنَعَتْ عَنِ الْخُرُوجِ وَالْبُرُوزِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى عَظَمَتِهِنَّ.

وَإِذَا كُنَّ فِي أَنْفُسِهِنَّ عِنْدَ الْخُرُوجِ لَا يَنْظُرْنَ يَمْنَةً وَيَسْرَةً فَهُنَّ فِي أَنْفُسِهِنَّ عَفَائِفُ، فَجَمَعَ بَيْنَ الْإِشَارَةِ إِلَى عَظَمَتِهِنَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**مَقْصُوراتٌ**﴾ منعهنَّ أولياؤهنَّ ، وهاهنا وَلِيُّهُنَّ اللهُ تَعَالَى، وَبَيْنَ الْإِشَارَةِ إِلَى عِفَّتِهِنَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى﴿ :قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾ثُمَّ تَمَامُ اللُّطْفِ أَنَّهُ تَعَالَى قَدَّمَ ذِكْرَ مَا يَدُلُّ عَلَى الْعِفَّةِ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَى الْعَظَمَةِ وَذَكَرَ فِي أَعْلَى الْجَنَّتَيْنِ قَاصِرَاتٍ وَفِي أَدْنَاهُمَا مَقْصُورَاتٍ، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُورَاتِ يَدُلُّ عَلَى الْعَظَمَةِ أَنَّهُنَّ يُوصَفْنَ بِالْمُخَدَّرَاتِ لَا بِالْمُتَخَدِّرَاتِ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُنَّ خَدَّرَهُنَّ خَادِرٌ لَهُنَّ غَيْرُهُنَّ كَالَّذِي يَضْرِبُ الْخِيَامَ وَيُدْلِي السِّتْرَ، بِخِلَافِ مَنْ تَتَّخِذُهُ لِنَفْسِهَا وَتُغْلِقُ بَابَهَا بِيَدِهَا، وَسَنَذْكُرُ بَيَانُهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ بَعْدُ.

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ : ﴿**قاصِراتُ الطَّرْفِ**﴾ فِيهَا دَلَالَةُ عِفَّتِهِنَّ، وَعَلَى حُسْنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أعينهن، فيجبن أَزْوَاجَهُنَّ حُبًّا يَشْغَلُهُنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى الْحَيَاءِ لِأَنَّ الطَّرْفَ حَرَكَةُ الْجَفْنِ، وَالْحُورِيَّةُ لَا تُحَرِّكُ جَفْنَهَا وَلَا تَرْفَعُ رَأْسَهَا " .

﴿ الصِّفَةُ الثَّامِنَةُ ﴾ : خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ، حِسَانُ الْوُجُوهِ : قال تعالى : ﴿**فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ**﴾ [الرحمن: ٧٠]

روى الطَّبَري في التَّفسير " (٢٢/ ٢٦٢-٢٦٣) بسنده عَنْ قَتَادَةَ، ﴿**فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ**﴾ [الرحمن: ٧٠] يَقُولُ: فِي هَذِهِ الْجِنَانِ خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ، حِسَانُ الْوُجُوهِ.

وعَنْ قَتَادَةَ أيضاً، فِي قَوْلِهِ: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] ، قَالَ: خَيْرَاتٌ فِي الْأَخْلَاقِ، حِسَانٌ فِي الْوُجُوهِ.

وَعَن ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] ، قَالَ: الْخَيْرَاتُ الْحِسَانُ: الْحُورُ الْعِينُ.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ، ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] ، قَالَ: فِي كُلِّ خَيْمَةٍ زَوْجَةٌ.

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] قَالَ: خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ، حِسَانُ الْوُجُوهِ.

وقال الإمام الماوردي في " النُّكت والعيون" (٥/ ٤٤١-٤٤٢) : " ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ يعني الجنَّات الأربع ... ، وفي المراد بها قولان:

أَحَدُهُما: الخير والنِّعم المستحسنة.

الثَّانِي: خيرات الفواكه والثِّمار، وحسان في المناظر والألوان. والقراءة الثَّانية بالَّتشديد، وفي المراد بها قولان: **أَحَدُهُمَا:** مختارات .

الثَّانِي: ذوات الخير ، وفيهنَّ قولان:

أَحَدُهُمَا: أنَّهن الحور المنشآت في الآخرة.

الَّثانِي: أنَّهَن النِّساء المؤمنات الفاضلات من أهل الدُّنيا. وفي تسميتهنَّ خيرات أربعة أوجه:

أَحَدُهَا: لأنَّهَّن خيرات الأخلاق حسان الوجوه ، قاله قتادة ، وروته أم سلمة مرفوعاً:

الثَّانِي: لأنَّهَّن عذارىٰ أبكاراً ، قاله أبو صالح.

الثَّالِثُ: لأنَّهنَّ مختارات.

الرَّابِعُ: لأنَّهنَّ خيرات صالحات، قاله أبو عبيدة " .

﴿ الصِّفَةُ التَّاسِعَةُ ﴾ : أَنَّهُنَّ مُحِبَّات مُتَحَبِّبات وَعَاشِقَات لأَزْوَاجِهِنَّ : قال تعالىٰ : **﴿إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً * فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً * عُرُباً أَتْراباً﴾** [الواقعة:٣٥-٣٧] .

قال الإمام الماوردي في " النُّكت والعيون" (٥/ ٤٥٥-٤٥٦) : " قوله تعالىٰ : **﴿عُرُباً أَتْرَابًا﴾** فيه سبعة تأويلات: **أَحَدُهَا:** أنَّ العُرُبَ المنحبسات علىٰ أزواجهنَّ المتحبِّبات إليهم ، قاله سعيد بن جبير ، والكلبي .

الثَّانِي: أنَّهنَّ المتحبِّبات من الضَّرائر ليقفن علىٰ طاعته ويتساعدن علىٰ إشاعته ، قاله عكرمة .

الثَّالِثُ: الشَّكِلَةُ بلغة أهل مكَّة ، والغنجة بلغة أهل المدينة ، قاله ابن زيد ، ومنه قول لبيد:

وفي الخباء عروب غير فاحشة ريا الرَّوادف يعشىٰ دونها البصر

الرَّابِعُ: هنَّ الحسنات الكلام ، قاله ابن زيد.

الخَامِسُ: أنَّها العاشقة لزوجها ، لأنَّ عشقها له يزيده ميلاً إليها وشغفاً بها .

السَّادِسُ: أنَّها الحسنة الَّتبعُّل ، لتكون ألذّ استمتاعاً .

السَّابِعُ: ما رواه جعفر بن محمَّد عن أبيه عن جدِّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **﴿عُرُباً﴾** كَلامُهُنَّ عَرَبِيٌّ .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" " (١٧/ ٢١١) : **﴿عُرُباً﴾** جَمْعُ عَرُوبٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُمَا: الْعُرُبُ الْعَوَاشِقُ لِأَزْوَاجِهِنَّ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا: إِنَّهَا الْعَرُوبُ الْمَلِقَةُ. عِكْرِمَةُ: الْغَنِجَةُ. ابْنُ زَيْدٍ: بِلُغَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. وَمِنْهُ قَوْلُ لَبِيدٍ:

وَفِي الْخِبَاءِ عَرُوبٌ غَيْرُ فَاحِشَةٍ رَيَّا الرَّوَادِفِ يَعْشَى دُونَهَا الْبَصَرُ

وَهِيَ الشَّكِلَةُ بِلُغَةِ أَهْلِ مَكَّةَ. وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَيْضًا: الْحَسَنَةُ الْكَلَامِ. وَعَنْ عِكْرِمَةَ أَيْضًا وَقَتَادَةَ: الْعُرُبُ الْمُتَحَبِّبَاتُ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنْ أَعْرَبَ إِذَا بَيَّنَ، فَالْعَرُوبُ تُبَيِّنُ مَحَبَّتَهَا لِزَوْجِهَا بِشَكْلٍ وَغُنْجٍ وَحُسْنِ كَلَامٍ. وَقِيلَ: إِنَّهَا الْحَسَنَةُ التَّبَعُّلِ لِتَكُونَ أَلَذَّ اسْتِمْتَاعًا. وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عُرُباً قَالَ: كَلَامُهُنَّ عَرَبِيٌّ " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢٧/ ٣٠١-٣٠٢) : " وَالْعُرُبُ: جَمْعُ عَرُوبٍ بِفَتْحِ الْعَيْنِ، وَيُقَالُ: عَرِبَةُ بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ فَيُجْمَعُ عَلَى عَرِبَاتٍ كَذَلِكَ، وَهُوَ اسْمٌ خَاصٌّ بِالْمَرْأَةِ. وَقَدِ اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي تَفْسِيرِهِ. وَأحسن مَا يجمعها أَن العروب: الْمَرْأَةُ الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى الرَّجُلِ، أَوِ الَّتِي لَهَا كَيْفِيَّةُ الْمُتَحَبِّبَةِ، وَإِنْ لَمْ تَقْصِدِ التَّحَبُّبَ، بِأَنْ تُكْثِرَ الضَّحِكَ بِمَرْأَى الرَّجُلِ أَوِ الْمِزَاحَ أَوِ اللَّهْوِ أَو الخضوع فِي الْقَوْلِ أَوِ اللَّثَغَ فِي الْكَلَامِ بِدُونِ عِلَّةٍ أَوِ التَّغَزُّلَ فِي الرَّجُلِ والمساهلة فِي مُجَالَسَتِهِ وَالتَّدَلُّلَ وَإِظْهَارَ مُعَاكَسَةِ أَمْيَالِ الرَّجُلِ لَعِبًا لَا جِدًّا وَإِظْهَارَ أَذَاهُ كَذَلِكَ كَالْمُغَاضَبَةِ من غير غضب بَلْ لِلتَّوَرُّكِ عَلَى الرَّجُلِ، قَالَ نَبِيهُ بْنُ الْحَجَّاجِ:

تِلْكَ عَرِيسَيَّ غَضْبَى تُرِيدُ زِيَالِي أَلِبَيْنٍ أَرَدْتِ أَمْ لِدَلَالِ

الشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: أَمْ لِدَلَالِ، قَالَ تَعَالَى: **﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً﴾** [الْأَحْزَاب: ٣٢] ، وَقَالَ: **﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾** [النُّور: ٣١] . وَإِنَّمَا فَسَّرُوهَا بِالْمُتَحَبِّبَةِ لِأَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا هَاتِهِ الْأَعْمَالَ تَجْلِبُ مَحَبَّةَ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ ظَنُّوا أَنَّ الْمَرْأَةَ تَفْعَلُهَا لِاكْتِسَابِ مَحَبَّةِ

الرَّجُلِ. وَلِذَلِكَ فَسَّرَ بَعْضُهُمْ: الْعَرُوبُ بِأَنَّهَا الْمُغْتَلِمَةُ، وَإِنَّمَا تِلْكَ حَالَةٌ مِنْ أَحْوَالِ بَعْضِ الْعَرُوبِ. وَعَنْ عِكْرِمَةَ الْعَرُوبُ: الْمَلِقَةُ.

وَالْعَرُوبُ: اسْمٌ لِهَذِهِ الْمَعَانِي مُجْتَمِعَةٍ أَوْ مُفْتَرِقَةٍ أَجْرَوْهُ مُجْرَى الْأَسْمَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى الْأَوْصَافِ دُونَ الْمُشْتَقَّةِ مِنَ الْأَفْعَالِ فَلِذَلِكَ لَمْ يَذْكُرُوا لَهُ فِعْلًا وَلَا مَصْدَرًا وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْإِعْرَابِ وَالتَّعْرِيبِ وَهُوَ التَّكَلُّمُ بِالْكَلَامِ الْفُحْشِ.

وَالْعِرَابَةُ: بِكَسْرِ الْعَيْنِ: اسْمٌ مِنَ التَّعْرِيبِ وَفِعْلُهُ: عَرَّبَتْ وَأَعْرَبَتْ، فَهُوَ مِمَّا يُسْنَدُ إِلَى ضَمِيرِ الْمَرْأَةِ غَالِبًا. كَأَنَّهُمُ اعْتَبَرُوهُ إِفْصَاحًا عَمَّا شَأْنُهُ أَنْ لَا يُفْصَحُ عَنْهُ ثُمَّ تُنُوسِيَ هَذَا الْأَخْذُ فَعُومِلَ الْعَرُوبُ مُعَامَلَةَ الْأَسْمَاءِ غَيْرِ الْمُشْتَقَّةِ، وَيُقَالُ: عَرِبَةٌ. مِثْلُ عَرُوبٍ. وَجَمْعُ الْعَرُوبِ عُرُبٌ وَجَمْعُ عَرِبَةٍ عَرِبَاتٌ.

وَيُقَالُ لِلْعَرُوبِ بِلُغَةِ أَهْلِ مَكَّةَ الْعَرِبَةُ وَالشَّكِلَةُ. وَيُقَالُ لَهَا بِلُغَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: الْغَنِجَةُ.

وَبِلُغَةِ الْعِرَاقِ: الشَّكِلَةُ، أَيْ ذَاتِ الشَّكْلِ بِفَتْحِ الْكَافِ وَهُوَ الدَّلَالُ وَالتَّعَرُّبُ " .

﴿ الصِّفَةُ العَاشِرَة ﴾ : أَنَّهُنَّ نَوَاهِدُ عَلَى سِنٍّ وَاحِدَةٍ أَثْدَاؤهُنَّ فِي النُّتُوءِ كَالْكَعْبِ وَالْفَلْكَةِ : قال تعالى : **﴿وَكَواعِبَ أَتْراباً ﴾** [النبأ:٣٣] .

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٢٤/٣٨-٣٩) : " يَقُولُ: وَنَوَاهِدَ فِي سِنٍّ وَاحِدٍ ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: **﴿وَكَوَاعِبَ﴾** [النبأ: ٣٣] يَقُولُ: وَنَوَاهِدَ. وَقَوْلُهُ: **﴿أَتْرَابًا﴾** يَقُولُ: مُسْتَوِيَاتٍ . وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلِهِ: **﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾** [النبأ: ٣٣] يَعْنِي: النِّسَاءَ الْمُسْتَوِيَاتِ . وعَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: **﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾** [النبأ: ٣٣] ، قَالَ: نَوَاهِدَ أَتْرَابًا، يَقُولُ: لِسِنٍّ وَاحِدَةٍ . وعَنْ قَتَادَةَ، ثُمَّ وَصَفَ مَا فِي الْجَنَّة قَالَ: **﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾** [النبأ: ٣٢-٣٣] يَعْنِي بِذَلِكَ النِّسَاءَ، أَتْرَابًا: لِسِنٍّ وَاحِدَةٍ . عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: الْكَوَاعِبُ: النَّوَاهِدُ . قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: **﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾** [النبأ: ٣٣] ، قَالَ: الْكَوَاعِبُ: الَّتِي قَدْ نَهَدَتْ وَكَعَبَ ثَدْيُهَا، وَقَالَ: أَتْرَابًا: مُسْتَوِيَاتٍ، فُلَانَةٌ تِرْبَةُ فُلَانَةٍ، قَالَ: الْأَتْرَابُ: اللِّدَاتُ . عَنْ مُجَاهِدٍ، **﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾** [النبأ: ٣٣] لِدَاتٌ " .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣١/ ٢١) : " كَوَاعِبُ جَمْعُ كَاعِبٍ وَهِيَ النَّوَاهِدُ الَّتِي تَكَعَّبَتْ ثُدِيُّهُنَّ وَتَفَلَّكَتْ أَيْ يَكُونُ الثَّدْيُ فِي النُّتُوءِ كَالْكَعْبِ وَالْفَلْكَةِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ١٨٣) : ﴿**وَكَواعِبَ أَتْراباً**﴾ كَوَاعِبُ: جَمْعُ كَاعِبٍ وَهِيَ النَّاهِدُ، يُقَالُ: كَعَبَتِ الْجَارِيَةُ تَكْعَبُ كُعُوبًا، وَكَعَّبَتْ تُكَعِّبُ تَكْعِيبًا، وَنَهَدَتْ تَنْهَدُ نُهُودًا. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: كَكَوَاعِبِ الْعَذَارَىٰ، وَمِنْهُ قَوْلُ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ:

وَكَمْ مِنْ حَصَانٍ قَدْ حَوَيْنَا كَرِيمَةٍ   وَمِنْ كَاعِبٍ لَمْ تَدْرِ مَا الْبُؤْسُ مُعْصِرُ

وَالْأَتْرَابُ: الْأَقْرَانُ فِي السِّنِّ. وَقَدْ مَضَىٰ فِي سُورَةِ" الْوَاقِعَةِ" الْوَاحِدُ: تِرْبٌ " .

﴿ الصِّفَةُ الحَادِيَة عَشْرَة ﴾ : **أَنَّهُنَّ أَنْشِئْنَ لأولياء الله لَا مِنْ وِلَادَة** : قال تعالىٰ : ﴿**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً**﴾ [الواقعة: ٣٥] .

قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢٧/ ٣٠١) : " وَالْإِنْشَاءُ: الْخَلْقُ وَالْإِيجَادُ فَيَشْمَلُ إِعَادَةَ مَا كَانَ مَوْجُودًا وَعُدِمَ، فَقَدْ سَمَّىٰ اللهُ الْإِعَادَةَ إِنْشَاءً فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ**﴾ [العنكبوت: ٢٠] فَيَدْخُلُ نساء الْمُؤمنِينَ اللاء كُنَّ فِي الدُّنْيَا أَزْوَاجًا لِمَنْ صَارُوا إِلَىٰ الْجَنَّة وَيَشْمَلُ إِيجَادَ نِسَاءٍ أُنُفًا يُخْلَقْنَ فِي الْجَنَّة لِنَعِيمِ أَهْلِهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿**فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً**﴾ شَامِلٌ لِلصِّنْفَيْنِ " .

وقال الإمام محمَّد الأمين الشَّنقيطي في " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " (٧/ ٥١٩) : " الضَّمِيرُ فِي﴿ **أَنْشَأْنَاهُنَّ**﴾ ، قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: هُوَ رَاجِعٌ إِلَىٰ مَذْكُورٍ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: هُوَ رَاجِعٌ إِلَىٰ غَيْرِ مَذْكُورٍ، إِلَّا أَنَّهُ دَلَّ عَلَيْهِ الْمَقَامُ.

فَمَنْ قَالَ إِنَّهُ رَاجِعٌ إِلَىٰ مَذْكُورٍ، قَالَ: هُوَ رَاجِعٌ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿**وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ**﴾ قَالَ: لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْفُرُشِ النِّسَاءُ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْمَرْأَةَ لِبَاسًا وَإِزَارًا وَفِرَاشًا وَنَعْلًا. وَعَلَىٰ هَذَا فَالْمُرَادُ بِالرَّفْعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**مَرْفُوعَةٍ**﴾ رَفْعُ الْمَنْزِلَةِ وَالْمَكَانَةِ.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ رَاجِعٌ إِلَىٰ غَيْرِ مَذْكُورٍ، قَالَ: إِنَّهُ رَاجِعٌ إِلَىٰ نِسَاءٍ لَمْ يُذْكَرْنَ، وَلَكِنَّ ذِكْرَ الْفُرُشِ دَلَّ عَلَيْهِنَّ ؛ لِأَنَّهُنَّ يَتَّكِئْنَ عَلَيْهَا مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْمُرَادُ بِهِنَّ الْحُورُ الْعِينُ، وَاسْتَدَلَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً**﴾ لِأَنَّ الْإِنْشَاءَ هُوَ الِاخْتِرَاعُ وَالِابْتِدَاعُ.

وَقَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهِنَّ بَنَاتُ آدَمَ الَّتِي كُنَّ فِي الدُّنْيَا عَجَائِزَ شُمْطًا رُمْصًا، وَجَاءَتْ فِي ذَلِكَ آثَارٌ مَرْفُوعَةٌ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ: فَمَعْنَى **﴿أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾** ، أَيْ : خَلَقْنَاهُنَّ خَلْقًا جَدِيدًا .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ﴾** ، أَيْ : فَصَيَّرْنَاهُنَّ أَبْكَارًا، وَهُوَ جَمْعُ بِكْرٍ، وَهُوَ ضِدُّ الثَّيِّبِ " .

وروى أحمد في " المسند" (١٩/ ٤٢٤ برقم ١٢٤٣٦) بسنده عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قَدِّهِ - يَعْنِي سَوْطَهُ - مِنَ الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوِ اطَّلَعَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَطَابَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد حسن، محمد بن طلحة -وهو ابن مصرف اليامي- روى له الشيخان، لكن فيه كلام ينزله عن رتبة الصحيح، وهو صدوق حسن الحديث، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين. أبو النضر: هو هاشم بن القاسم. وسيتكرر الحديث برقم (١٣٧٧٩) . وأخرجه مطولاً ومختصراً البخاري (٢٧٩٢) و (٢٧٩٦) ، وابن ماجه (٢٧٥٧) ، وابن أبي عاصم في "الجهاد" (٥٧) و (٥٨) ، وفي "الزهد" (٢٤٣) ، وأبو يعلى (٣٧٧٥) ، والسهمي في "تاريخ جرجان" ص١٤٦، وأبو نعيم في "صفة الجنة" (٣٨٠) ، والبغوي (٢٦١٦) من طرق عن حميد الطويل، عن أنس مرفوعاً. وأخرجه ابن المبارك في "الجهاد" (٢٣) ، ونعيم بن حماد في "زوائده على الزهد" (٢٥٧) ، وأبو حاتم في "العلل" لابنه ١/ ٣١٠ من طريق حميد عن أنس موقوفاً. وقال أبو حاتم: حديث حميد فيه مثل ذا كثير، واحد عنه يسند، وآخر يوقف " .

﴿ الصِّفَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَة ﴾ : أَنَّهُنَّ مُضِيئَاتٌ وَرَائِحَتُهُنَّ طَيِّبَة : روى البخاري (٤/ ١٧ برقم ٢٧٩٦) بسنده أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ غَدْوَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ - يَعْنِي سَوْطَهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا " .

﴿ الصِّفَةُ الثَّالِثَة عَشْرَة ﴾ : أَنَّهُنَّ يَزْدَدْنَ جَمَالاً عَلَى جَمَال : روى مسلم (٤/ ٢١٧٨ برقم ٢٨٣٣) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا" .

قال الإمام يحيىٰ بن هُبَيْرَة بن محمَّد بن هبيرة الذُّهلي الشَّيبانيّ في " الإفصاح عن معاني الصِّحاح " (٥/ ٣٨٨-٣٨٩) : " في هذا الحديث ما يدلُّ علىٰ أنَّ نعيم الجَنَّة لا يزال أبدًا في الزِّيادة، وهذه السُّوق التي ذكرت فيها فهي من ذلك لأنَّها زيادة علىٰ نعيمهم وليست بسوق بيع ولا شراء، وإنَّما جعلت سوقًا من حيث إنَّ السُّوق موضوع للمرابحة، فهؤلاء يربحون فيها، ويعودون وقد ربحوا من بيوتهم أيضًا ذلك الحسن في الزَّوجات، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ أهل الجَنَّة يزدادون في كلِّ لحظة حسنًا إلىٰ حسنهم وجمالًا إلىٰ جمالهم زيادة لا تزال تنمي بنفس خروجهم إلىٰ تلك السُّوق، ومقامهم فيها يزيد نساؤهم وأهلوهم حسنًا في تلك السَّاعة " .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح " (ص٢٨٢) : "لا تزداد علىٰ طول الأحقاب إلَّا حسناً وجمالاً " .

قال الإمام علي بن سلطان القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٩/ ٣٥٨٠) : " فَيَقُولُونَ: أَنْتُمْ وَاللهَّ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا ») وَهُوَ إِمَّا لِإِصَابَتِهِمْ مِنْ تِلْكَ الرِّيَاحِ، أَوْ بِسَبَبِ انْعِكَاسِ جَمَالِهِمْ، أَوْ لِأَجْلِ تَأْثِيرِ حَالِهِمْ وَتَرَقِّي مَآلِهِمْ " .

وقال الإمام محمَّد علي بن محمَّد بن علَّان في " دليل الفالحين لطرق رياض الصَّالحين " (٨/ ٧٣٤) : " وفيه إيماء إلىٰ أن الجمال متزايد في الجَنَّة شيئاً بعد شيء" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا صِفَةُ خَدَمِ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : خدم أهل الجَنَّة هم الولدان المخلَّدون الذين جاء ذكرهم في القرآن العظيم في غير ما آية ، قال الله تعالىٰ : **﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾** [الطور:٢٤] ، قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٢١/ ٥٨٩) : " يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَيَطُوفُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي الجَنَّة غِلْمَانٌ لَهُمْ، كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ فِي بَيَاضِهِ وَصَفَائِهِ مَكْنُونٌ، يَعْنِي: مَصُونٌ فِي كِنٍّ، فَهُوَ أَنْقَىٰ لَهُ، وَأَصْفَىٰ لِبَيَاضِهِ وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْغِلْمَانَ يَطُوفُونَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الجَنَّة بِكُئُوسِ الشَّرَابِ الَّتِي وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهَا ... عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ : **﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾** [الطور: ٢٤] ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهَّ هَذَا الْخَادِمُ، فَكَيْفَ الْمَخْدُومُ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ فَضْلَ الْمَخْدُومِ عَلَىٰ الْخَادِمِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٨/ ٢١١) : " ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ**﴾ ، أَيْ : بِالْكُؤُوسِ ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوابٍ وَأَبارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ**﴾ [الْوَاقِعَةِ: ١٧-١٨] ، وَقَوْلُهُ : ﴿**لَهُمْ**﴾ ، أَيْ : مِلْكُهُمْ إِعْلَامًا لَهُمْ بِقُدْرَتِهِمْ عَلَى التَّصَرُّفِ فِيهِمْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالِاسْتِخْدَامِ وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ وَيَحْتَمِلُ وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ امْتِيَازَ خَمْرِ الْآخِرَةِ عَنْ خَمْرِ الدُّنْيَا بَيَّنَ امْتِيَازَ غِلْمَانِ الْآخِرَةِ عَنْ غِلْمَانِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْغِلْمَانَ فِي الدُّنْيَا إِذَا طَافُوا عَلَى السَّادَةِ الْمُلُوكِ يَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ لِحَظِّ أَنْفُسِهِمْ إِمَّا لِتَوَقُّعِ النَّفْعِ أَوْ لِتَوَفُّرِ الصَّفْحِ، وأما في الآخرة فطوفهم عليهم متمحض لَهُمْ وَلِنَفْعِهِمْ وَلَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَيْهِمْ وَالْغُلَامُ الَّذِي هَذَا شَأْنُهُ لَهُ مَزِيَّةٌ عَلَى غَيْرِهِ وَرُبَّمَا يَبْلُغُ دَرَجَةَ الْأَوْلَادِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ أي في الصفاء، ومَكْنُونٌ لِيُفِيدَ زِيَادَةً فِي صَفَاءِ أَلْوَانِهِمْ أَوْ لِبَيَانِ أَنَّهُمْ كَالْمُخَدَّرَاتِ لَا بُرُوزَ لَهُمْ وَلَا خُرُوجَ مِنْ عِنْدِهِمْ فَهُمْ فِي أَكْنَافِهِمْ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ٦٩) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ**﴾ ، أَيْ بِالْفَوَاكِهِ وَالتُّحَفِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَدَلِيلُهُ : ﴿**يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ**﴾ ، ﴿ **يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ**﴾ ، ثُمَّ قِيلَ: هُمُ الْأَطْفَالُ مِنْ أَوْلَادِهِمُ الَّذِينَ سَبَقُوهُمْ، فَأَقَرَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ أَعْيُنَهُمْ. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ مَنْ أَخْدَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهُمْ مِنْ أَوْلَادِ غَيْرِهِمْ. وَقِيلَ: هُمْ غِلْمَانٌ خُلِقُوا فِي الْجَنَّةِ. قَالَ الْكَلْبِيُّ: لَا يَكْبُرُونَ أَبَدًا﴿ **كَأَنَّهُمْ**﴾ فِي الْحُسْنِ وَالْبَيَاض ﴿ **لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ**﴾ فِي الصَّدَفِ، وَالْمَكْنُونُ الْمَصُونُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ** ﴾ ، قِيلَ: هُمْ أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَلَيْسَ فِي الجَنَّة نَصَبٌ وَلَا حَاجَةٌ إِلَى خِدْمَةٍ، وَلَكِنَّهُ أَخْبَرَ بِأَنَّهُمْ عَلَى نِهَايَةِ النَّعِيمِ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّة مَنْزِلَةً مَنْ يُنَادِي الْخَادِمَ مِنْ خَدَمِهِ فَيُجِيبُهُ أَلْفٌ كُلُّهُمْ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ". وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة إِلَّا يَسْعَى عَلَيْهِ أَلْفُ غُلَامٍ كُلُّ غُلَامٍ عَلَى عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ ". وَعَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ الْخَادِمُ كَاللُّؤْلُؤِ فَكَيْفَ يَكُونُ الْمَخْدُومُ؟ فَقَالَ:" مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَبَيْنَ أَصْغَرِ الْكَوَاكِبِ ". قَالَ الْكِسَائِيُّ: كَنَنْتُ الشَّيْءَ سَتَرْتُهُ وَصُنْتُهُ مِنَ الشَّمْسِ، وَأَكْنَنْتُهُ فِي نَفْسِي أَسْرَرْتُهُ. وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: كَنَنْتُهُ وَأَكْنَنْتُهُ بِمَعْنًى فِي الْكِنِّ وَفِي النَّفْسِ جَمِيعًا، تَقُولُ: كَنَنْتُ الْعِلْمَ وَأَكْنَنْتُهُ فَهُوَ مَكْنُونٌ وَمُكَنٌّ. وَكَنَنْتُ الْجَارِيَةَ وَأَكْنَنْتُهَا فَهِيَ مَكْنُونَةٌ ومكنة ".

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢٧/ ٥٥-٥٦) : " وَالطَّوَافُ: مَشْيٌ مُتَكَرِّرٌ ذِهَابًا وَرُجُوعًا وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ عَلَى اسْتِدَارَةٍ، وَمِنْهُ طَوَافُ الْكَعْبَةِ، وَأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بِالْأَصْنَامِ وَلِأَجْلِهِ سُمِّيَ الصَّنَمُ دُوَّارًا لِأَنَّهُمْ يَدُورُونَ بِهِ. وَسُمِّيَ مَشْيُ الْغِلْمَانِ بَيْنَهُمْ طَوَافًا لِأَنَّ شَأْنَ مَجَالِسِ الْأَحِبَّةِ وَالْأَصْدِقَاءِ أَن تكون حلقا وَدَوَائِرَ لِيَسْتَوُوا فِي مَرْآهِمْ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ : **﴿عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ﴾** ، وَمِنْهُ جُعِلَتْ مَجَالِسُ الدُّرُوسِ حَلَقًا وَكَانَتْ مَجَالِسُ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلَقًا. وَقَدْ أُطْلِقَ عَلَى مُنَاوَلَةِ الْخَمْرِ إِدَارَةٌ فَقِيلَ: أَدَارَتِ الْحَارِثَةُ الْخَمْرَ، وَهَذَا الَّذِي يُنَاوِلُ الْخَمْرَ الْمُدِيرُ.

وَتَرْكُ ذِكْرِ مُتَعَلِّقِ يَطُوفُ لِظُهُورِهِ مِنْ قَوْلِهِ: **﴿يَتَنازَعُونَ فِيها كَأْساً﴾** ، وَقَوْلِهِ : **﴿وَأَمْدَدْناهُمْ بِفاكِهَةٍ﴾** [الطّور: ٢٢] ، وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوابٍ﴾** [الزخرف: ٧١] ، وَقَوْلُهُ: **﴿يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾** [الصافات: ٤٥- ٤٦] ، فَلَمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُ مَا شَأْنُهُ أَنْ يُطَافَ بِهِ هُنَا تُرِكَ ذِكْرُهُ بَعْدَ فِعْلِ يُطافُ بِخِلَافِ مَا فِي الْآيَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ.

وَالْغِلْمَانُ: جَمْعُ غُلَامٍ، وَحَقِيقَتُهُ مَنْ كَانَ فِي سِنٍّ يُقَارِبُ الْبُلُوغَ أَوْ يَبْلُغُهُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْخَادِمِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ مَا يَتَّخِذُونَ خَدَمَهُمْ مِنَ الصِّغَارِ لِعَدَمِ الْكُلْفَةِ فِي حَرَكَاتِهِمْ وَعَدَمِ اسْتِثْقَالِ تَكْلِيفِهِمْ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِنَ الْعَبِيدِ وَمِثْلُهُ إِطْلَاقُ الْوَلِيدَةِ عَلَى الْأَمَةِ الْفَتِيَّةِ كَأَنَّهَا قَرِيبَةُ عَهْدٍ بِوِلَادَةِ أُمِّهَا.

فَمَعْنَى قَوْلِهِ: غِلْمانٌ لَهُمْ: خِدْمَةٌ لَهُمْ. وَعَبَّرَ عَنْهُمْ بِالتَّنْكِيرِ وَتَعْلِيقِ لَامِ الْمُلْكِ بِضَمِيرِ الَّذِينَ آمَنُوا دُونَ الْإِضَافَةِ الَّتِي هِيَ عَلَى تَقْدِيرِ اللَّامِ لِمَا فِي الْإِضَافَةِ مِنْ مَعْنَى تَعْرِيفِ الْمُضَافِ بِالِانْتِسَابِ إِلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ عِنْدَ السَّامِعِ مِنْ قَبْلُ. وَلَيْسَ هَؤُلَاءِ الْغِلْمَانُ بِمَمْلُوكِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لِخِدْمَتِهِمْ خَلَقَهُمُ اللهُ لِأَجْلِهِمْ فِي الجَنَّة قَالَ تَعَالَى: **﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ﴾** [الْإِنْسَان: ١٩] ، وَهَذَا عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾** [الْإِسْرَاء: ٥] ، أَيْ صِنْفٌ مِنْ عِبَادِنَا غَيْرُ مَعْرُوفِينَ لِلنَّاسِ.

وَشُبِّهُوا بِاللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ فِي حُسْنِ الْمَرْأَى .

وَاللُّؤْلُؤُ: الدُّرُّ. وَالْمَكْنُونُ: الْمَخْزُونُ لِنَفَاسَتِهِ عَلَى أَرْبَابِهِ فَلَا يُتَحَلَّى بِهِ إِلَّا فِي الْمَحَافِلِ وَالْمَوَاكِبِ فَلِذَلِكَ يَبْقَى عَلَى لمعانه وبياضه " .

وقال تعالى : **﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾** [الواقعة: ١٧- ١٨] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٩/ ٣٩٣-٣٩٤) : " وَالْوِلْدَانُ جَمْعُ الْوَلِيدِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَهُوَ الْمَوْلُودُ لَكِنْ غَلَبَ عَلَى الصِّغَارِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِهِمْ مَوْلُودِينَ، وَالدَّلِيلُ أَنَّهُمْ قَالُوا لِلْجَارِيَةِ

الصَّغِيرَةِ وَلِيدَةٌ، وَلَوْ نَظَرُوا إِلَى الْأَصْلِ لَجَرَّدُوهَا عَنِ الْهَاءِ كَالْقَتِيلِ، إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: فِي الْوِلْدَانِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ عَلَى الْأَصْلِ وَهُمْ صِغَارُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ ضَعِيفٌ، لِأَنَّ صِغَارَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَنَّهُ يُلْحِقُهُمْ بِآبَائِهِمْ، وَمِنَ النَّاسِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَخْدِمَ وَلَدُ الْمُؤْمِنِ مُؤْمِنًا غَيْرَهُ، فَيَلْزَمُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ اخْتِصَاصٌ بِبَعْضِ الصَّالِحِينَ وَأَنْ لَا يَكُونَ لِمَنْ لَا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ مَنْ يَطُوفُ عَلَيْهِ مِنَ الْوِلْدَانِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ وَلَدُ الْآخَرِ يَخْدِمُ غَيْرَ أَبِيهِ وَفِيهِ مَنْقَصَةٌ بِالْأَبِ، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ قِيلَ: هُمْ صِغَارُ الْكُفَّارِ وَهُوَ أَقْرَبُ مِنَ الْأَوَّلِ إِذْ لَيْسَ فِيهِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْمَفْسَدَةِ وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَلَى الِاسْتِعْمَالِ الَّذِي لَمْ يُلْحَظْ فِيهِ الْأَصْلُ وَهُوَ إِرَادَةُ الصِّغَارِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِهِمْ مَوْلُودِينَ وَهُوَ حِينَئِذٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾** [الطُّورِ: ٢٤] ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿مُخَلَّدُونَ﴾** ، وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مِنَ الْخُلُودِ وَالدَّوَامِ، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَظْهَرُ وَجْهَانِ آخَرَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ مُخَلَّدُونَ وَلَا مَوْتَ لَهُمْ وَلَا فَنَاءَ وَثَانِيهِمَا: لَا يَتَغَيَّرُونَ عَنْ حَالِهِمْ وَيَبْقَوْنَ صِغَارًا دَائِمًا لَا يَكْبَرُونَ وَلَا يَلْتَحُونَ وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُ مِنَ الْخَلَدَةِ وَهُوَ الْقُرْطُ بِمَعْنَى فِي آذانهم حلق، والأول أظهر وأليق. ثم قال تعالى : **﴿بِأَكْوابٍ وَأَبارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾** أَوَانِي الْخَمْرِ تَكُونُ فِي الْمَجَالِسِ، وَفِي الْكُوبِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْأَقْدَاحِ وَهُوَ قَدَحٌ كَبِيرٌ ثانيهما: مِنْ جِنْسِ الْكِيزَانِ وَلَا عُرْوَةَ لَهُ وَلَا خُرْطُومَ وَالْإِبْرِيقُ لَهُ عُرْوَةٌ وَخُرْطُومٌ، وَفِي الْآيَةِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَكْوَابِ وَالْأَبَارِيقِ وَالْكَأْسِ حَيْثُ ذَكَرَ الْأَكْوَابَ وَالْأَبَارِيقَ بِلَفْظِ الْجَمِيعِ وَالْكَأْسَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ وَلَمْ يَقُلْ: وَكُئُوسٍ؟ نَقُولُ: هُوَ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي الشُّرْبِ يَكُونُ عِنْدَهُمْ أَوَانٍ كَثِيرَةٌ فِيهَا الْخَمْرُ مُعَدَّةٌ مَوْضُوعَةٌ عِنْدَهُمْ، وَأَمَّا الْكَأْسُ فَهُوَ الْقَدَحُ الَّذِي يُشْرَبُ بِهِ الْخَمْرُ إِذَا كَانَ فِيهِ الْخَمْرُ وَلَا يَشْرَبُ وَاحِدٌ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ إِلَّا مِنْ كَأْسٍ وَاحِدٍ، وَأَمَّا أَوَانِي الْخَمْرِ الْمَمْلُوءَةُ مِنْهَا فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ فَتُوجَدُ كَثِيرًا، فَإِنْ قِيلَ: الطَّوَافُ بِالْكَأْسِ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَأَمَّا الطَّوَافُ بِالْأَكْوَابِ وَالْأَبَارِيقِ فَغَيْرُ مُعْتَادٍ فَمَا الْفَائِدَةُ فِيهِ؟ نَقُولُ: عَدَمُ الطَّوَافِ بِهَا فِي الدُّنْيَا لِدَفْعِ الْمَشَقَّةِ عَنِ الطَّائِفِ لِثِقَلِهَا وَإِلَّا فَهِيَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا بِدَلِيلِ أَنَّهُ عِنْدَ الْفَرَاغِ يرجع إلى الموضع الذي هي فِيهِ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَالْآنِيَةُ تَدُورُ بِنَفْسِهَا وَالْوَلِيدُ مَعَهَا إِكْرَامًا لَا لِلْحَمْلِ، وَفِيهِ وَجْهٌ آخر من حَيْثُ اللُّغَةُ وَهُوَ أَنَّ الْكَأْسَ إِنَاءٌ فِيهِ شَرَابٌ فَيَدْخُلُ فِي مَفْهُومِهِ الْمَشْرُوبُ، وَالْإِبْرِيقُ آنِيَةٌ لَا يُشْتَرَطُ فِي إِطْلَاقِ اسْمِ الْإِبْرِيقِ عَلَيْهَا أَنْ يَكُونَ فِيهَا شَرَابٌ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ الْإِنَاءُ الْمَمْلُوءُ الِاعْتِبَارُ لِمَا فِيهِ لَا لِلْإِنَاءِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَاعْتِبَارُ الْكَأْسِ بِمَا فِيهِ لَكِنْ فِيهِ مَشْرُوبٌ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْمُعْتَبَرُ، وَالْجِنْسُ لَا يُجْمَعُ إِلَّا عِنْدَ تَنَوُّعِهِ فَلَا يُقَالُ لِلْأَرْغِفَةِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ: أخباز، وإنما يقال: أخباز

عند ما يَكُونُ بَعْضُهَا أَسْوَدَ وَبَعْضُهَا أَبْيَض وَكَذَلِكَ اللُّحُومُ يُقَالُ عِنْدَ تَنَوُّعِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي مِنْهَا اللُّحُومُ وَلَا يُقَالُ لِلْقِطْعَتَيْنِ مِنَ اللَّحْمِ لَحْمَانِ، وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الْمُصَنَّفَةُ فَتُجْمَعُ، فَالْأَقْدَاحُ وَإِنْ كَانَتْ كَبِيرَةً لَكِنَّهَا لَمَّا مُلِئَتْ خَمْرًا مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُقَالَ لَهَا: خُمُورٌ فَلَمْ يَقُلْ: كُئُوسٌ وَإِلَّا لَكَانَ ذَلِكَ تَرْجِيحًا لِلظُّرُوفِ، لِأَنَّ الْكَأْسَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا شَرَابٌ مِنْ جنس واحد لا بجمع وَاحِدٌ فَيُتْرَكُ الْجَمْعُ تَرْجِيحًا لِجَانِبِ الْمَظْرُوفِ بِخِلَافِ الْإِبْرِيقِ فَإِنَّ الْمُعْتَبَرَ فِيهِ الْإِنَاءُ فَحَسْبُ، وَعَلَى هَذَا يَتَبَيَّنُ بَلَاغَةُ الْقُرْآنِ حَيْثُ لَمْ يَرِدْ فِيهِ لَفْظُ الْكُئُوسِ إِذْ كَانَ مَا فِيهَا نَوْعٌ وَاحِدٌ مِنَ الْخَمْرِ، وَهَذَا بَحْثٌ عَزِيزٌ فِي اللُّغَةِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: فِي تَأْخِيرِ الْكَأْسِ تَرْتِيبٌ حَسَنٌ، فَكَذَلِكَ فِي تَقْدِيمِ الْأَكْوَابِ إِذَا كَانَ الْكُوبُ مِنْهُ يُصَبُّ الشَّرَابُ فِي الْإِبْرِيقِ وَمِنَ الْإِبْرِيقِ الْكَأْسُ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: مِنْ مَعِينٍ بَيَانُ مَا فِي الْكَأْسِ أَوْ بَيَانُ مَا فِي الْأَكْوَابِ وَالْأَبَارِيقِ، نَقُولُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْكُلُّ مِنْ مَعِينٍ وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ بِالْوَضْعِ، وَالثَّانِي لَيْسَ كَذَلِكَ، فَلَمَّا قَالَ: وَكَأْسٍ فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَمَشْرُوبٍ، وَكَأَنَّ السَّامِعَ مُحْتَاجًا إِلَى مَعْرِفَةِ الْمَشْرُوبِ، وَأَمَّا الْإِبْرِيقُ فَدَلَالَتُهُ عَلَى الْمَشْرُوبِ لَيْسَ بِالْوَضْعِ، وَأَمَّا الْمَعْنَى فَلِأَنَّ كَوْنَ الْكُلِّ مَلْآنًا هُوَ الْحَقُّ، وَلِأَنَّ الطَّوَافَ بِالْفَارِغِ لَا يَلِيقُ فَكَانَ الظَّاهِرُ بَيَانَ مَا فِي الْكُلِّ، وَمِمَّا يُؤَيِّدُ الْأَوَّلَ هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى عِنْدَ ذِكْرِ الْأَوَانِي ذَكَرَ جِنْسَهَا لَا نَوْعَ مَا فِيهَا فَقَالَ تَعَالَى: **﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ﴾** [الْإِنْسَانِ: ١٥] الْآيَةَ، وَعِنْدَ ذِكْرِ الْكَأْسِ بَيَّنَ مَا فِيهَا فَقَالَ: وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ فَيُحْتَمَلُ أَنَّ الطَّوَافَ بِالْأَبَارِيقِ، وَإِنْ كَانَتْ فَارِغَةً لِلزِّينَةِ وَالتَّجَمُّلِ وَفِي الْآخِرَةِ تَكُونُ لِلْإِكْرَامِ وَالتَّنَعُّمِ لَا غَيْرُ.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: مَا مَعْنَى الْمَعِينِ؟ قُلْنَا: ذَكَرْنَا فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ أَنَّهُ فَعِيلٌ أَوْ مَفْعُولٌ وَمَضَى فِيهِ خِلَافٌ، فَإِنْ قُلْنَا: فَعِيلٌ فَهُوَ من معن الْمَاءِ إِذَا جَرَى وَإِنْ قُلْنَا: مَفْعُولٌ فَهُوَ مِنْ عَانَهُ إِذَا شَخَّصَهُ بِعَيْنِهِ وَمَيَّزَهُ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَأَظْهَرُ لِأَنَّ الْمَعْيُونَ يُوهِمُ بِأَنَّهُ مَعْيُوبٌ لِأَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: عَانَنِي فُلَانٌ مَعْنَاهُ ضَرَّنِي إِذَا أَصَابَتْنِي عَيْنُهُ، وَلِأَنَّ الْوَصْفَ بِالْمَفْعُولِ لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَأَمَّا الْجَرَيَانُ فِي الْمَشْرُوبِ فَهُوَ إِنْ كَانَ فِي الْمَاءِ فَهُوَ صِفَةُ مَدْحٍ وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِهِ فَهُوَ أَمْرٌ عَجِيبٌ لَا يُوجَدُ فِي الدُّنْيَا، فَيَكُونُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ﴾** [محمد: ١٥] " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ٢٠٢-٢٠٣) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ﴾** ، أَيْ : غِلْمَانٌ لَا يَمُوتُونَ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ. الْحَسَنُ وَالْكَلْبِيُّ: لَا يَهْرَمُونَ وَلَا يَتَغَيَّرُونَ، وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :

وَهَلْ يَنْعَمَنْ إِلَّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ   قَلِيلُ الْهُمُومِ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مُخَلَّدُونَ مُقَرَّطُونَ، يُقَالُ لِلْقُرْطِ الْخَلَدَةُ وَلِجَمَاعَةِ الْحُلِيِّ الْخِلْدَةُ. وَقِيلَ: مُسَوَّرُونَ وَنَحْوُهُ عَنِ الْفَرَّاءِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمخلَّدات باللجين كأنَّما أعجازهن أقاوز الكثبان

وَقِيلَ: مُقَرَّطُونَ يَعْنِي مُمَنْطَقُونَ مِنَ الْمَنَاطِقِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: **﴿مُخَلَّدُونَ﴾** مُنَعَّمُونَ. وَقِيلَ: عَلَى سِنٍّ وَاحِدَةٍ أَنْشَأَهُمُ اللهُ لِأَهْلِ الجَنَّة يَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ كَمَا شاء من غير ولادة. وقال علي ابن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: الولدان ها هنا وِلْدَانُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ صِغَارًا وَلَا حَسَنَةَ لَهُمْ وَلَا سَيِّئَةَ. وَقَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ هُمْ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ. قَالَ الْحَسَنُ: لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَسَنَاتٌ يُجْزَوْنَ بِهَا، وَلَا سَيِّئَاتٌ يُعَاقَبُونَ عَلَيْهَا، فَوُضِعُوا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ. وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ أَهْلَ الجَنَّة عَلَى أَتَمِّ السُّرُورِ وَالنِّعْمَةِ، وَالنِّعْمَةُ إِنَّمَا تَتِمُّ بِاحْتِفَافِ الْخَدَمِ وَالْوِلْدَانِ بِالْإِنْسَانِ، **﴿بِأَكْوابٍ وَأَبارِيقَ﴾** أَكْوَابٌ جَمْعُ كُوبٍ وَقَدْ مَضَى فِي (الزُّخْرُفِ) وَهِيَ الْآنِيَةُ الَّتِي لَا عُرَى لَهَا وَلَا خَرَاطِيمَ، وَالْأَبَارِيقُ الَّتِي لَهَا عُرَى وَخَرَاطِيمُ وَاحِدُهَا إِبْرِيقٌ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَبْرُقُ لَوْنُهُ مِنْ صَفَائِهِ. **﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾** مَضَى فِي (وَالصَّافَّاتِ) الْقَوْلُ فِيهِ. وَالْمَعِينُ الْجَارِي مِنْ مَاءٍ أَوْ خَمْرٍ، غَيْرَ أَنَّ الْمُرَادَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْخَمْرُ الْجَارِيَةُ مِنَ الْعُيُونِ. وَقِيلَ: الظَّاهِرَةُ لِلْعُيُونِ فَيكُون **﴿مَعِينٍ﴾** مَفْعُولًا مِنَ الْمُعَايَنَةِ. وَقِيلَ: هُوَ فَعِيلٌ مِنَ الْمَعْنِ وَهُوَ الْكَثْرَةُ. وَبَيَّنَ أَنَّهَا لَيْسَتْ كَخَمْرِ الدُّنْيَا الَّتِي تُسْتَخْرَجُ بِعَصْرٍ وَتَكَلُّفٍ وَمُعَالَجَةٍ " .

وقال تعالى في وصف الولدان المخلَّدون : **﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾** [الإنسان: ١٩] ، قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٢٣/ ٥٦٥) : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِذَا رَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْوِلْدَانِ مُجْتَمِعِينَ أَوْ مُفْتَرِقِينَ، تَحْسَبُهُمْ فِي حُسْنِهِمْ، وَنَقَاءِ بَيَاضِ وُجُوهِهِمْ، وَكَثْرَتِهِمْ، لُؤْلُؤًا مُبَدَّدًا، أَوْ مُجْتَمِعًا مَصْبُوبًا " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣٠/ ٧٥٣) : " قَوْلُهُ تَعَالَى : **﴿إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾** ، وَفِي كَيْفِيَّةِ التَّشْبِيهِ وُجُوهٌ أَحَدُهَا: شُبِّهُوا فِي حُسْنِهِمْ وَصَفَاءِ أَلْوَانِهِمْ وَانْتِشَارِهِمْ فِي مَجَالِسِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ عِنْدَ اشْتِغَالِهِمْ بِأَنْوَاعِ الْخِدْمَةِ بِاللُّؤْلُؤِ الْمَنْثُورِ، وَلَوْ كَانَ صَفًّا لَشُبِّهُوا بِاللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: **﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾** فَإِذَا كَانُوا يَطُوفُونَ كَانُوا مُتَنَاثِرِينَ وَثَانِيهَا: أَنَّهُمْ شُبِّهُوا بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ إِذَا انْتَثَرَ مِنْ صَدَفِهِ لِأَنَّهُ أَحْسَنُ وَأَكْثَرُ مَاءً وَثَالِثُهَا: قَالَ الْقَاضِي: هَذَا مِنَ التَّشْبِيهِ الْعَجِيبِ لِأَنَّ اللُّؤْلُؤَ إِذَا كَانَ مُتَفَرِّقًا يَكُونُ أَحْسَنَ فِي الْمَنْظَرِ لِوُقُوعِ شُعَاعِ بَعْضِهِ عَلَى الْبَعْضِ فيكون مخالفا للمجتمع منه " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ١٤٣-١٤٤) : " أَيْ : ظَنَنْتَهُمْ مِنْ حُسْنِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ وَصَفَاءِ أَلْوَانِهِمْ: لُؤْلُؤًا مُفَرَّقًا فِي عَرْصَةِ الْمَجْلِسِ، وَاللُّؤْلُؤُ إِذَا نُثِرَ عَلَى بِسَاطٍ كَانَ أَحْسَنَ مِنْهُ مَنْظُومًا. وَعَنِ الْمَأْمُونِ أَنَّهُ لَيْلَةَ زُفَّتْ إِلَيْهِ بُورَانُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ، وَهُوَ عَلَى بِسَاطٍ مَنْسُوجٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَقَدْ نَثَرَتْ عَلَيْهِ نِسَاءُ دَارِ الْخَلِيفَةِ اللُّؤْلُؤَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ مَنْثُورًا عَلَى ذَلِكَ الْبِسَاطِ فَاسْتَحْسَنَ الْمَنْظَرَ وَقَالَ: لِلَّهِ دَرُّ أَبِي نُوَاسٍ كَأَنَّهُ أَبْصَرَ هَذَا حَيْثُ يَقُولُ:

كَأَنَّ صُغْرَىٰ وَكُبْرَىٰ مِنْ فَقَاقِعِهَا   حَصْبَاءُ دَرٍّ عَلَىٰ أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وَقِيلَ: إِنَّمَا شَبَّهَهُمْ بِالْمَنْثُورِ، لِأَنَّهُمْ سِرَاعٌ فِي الْخِدْمَةِ، بِخِلَافِ الْحُورِ الْعِينِ إِذْ شَبَّهَهُنَّ بِاللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ الْمَخْزُونِ، لِأَنَّهُنَّ لَا يُمْتَهَنَّ بِالْخِدْمَةِ " .

وقال الإمام ابن كثير في " " (٨/ ٢٩٢) : " وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾** ، أَيْ: يَطُوفُ عَلَىٰ أَهْلِ الجَنَّة للخدْمَة ولدانٌ مِنْ وِلْدَانِ الجَنَّة **﴿مُخَلَّدُونَ﴾** ، أَيْ: عَلَىٰ حَالَةٍ وَاحِدَةٍ مُخَلَّدُونَ عَلَيْهَا، لَا يَتَغَيَّرُونَ عَنْهَا، لَا تَزِيدُ أَعْمَارُهُمْ عَنْ تِلْكَ السِّنِّ. وَمَنْ فَسَّرَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُخَرَّصُونَ فِي آذَانِهِمُ الْأَقْرِطَةَ، فَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنِ الْمَعْنَىٰ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الصَّغِيرَ هُوَ الَّذِي يَلِيقُ لَهُ ذَلِكَ دُونَ الْكَبِيرِ.

وَقَوْلُهُ: **﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾** ، أَيْ: إِذَا رَأَيْتَهُمْ فِي انْتِشَارِهِمْ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ السَّادَةِ، وَكَثْرَتِهِمْ، وَصَبَاحَةِ وُجُوهِهِمْ، وَحُسْنِ أَلْوَانِهِمْ وَثِيَابِهِمْ وَحُلِيِّهِمْ، حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا. وَلَا يَكُونُ فِي التَّشْبِيهِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا، وَلَا فِي الْمَنْظَرِ أَحْسَنُ مِنَ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْثُورِ عَلَى الْمَكَانِ الْحَسَنِ.

قَالَ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: مَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّة مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَسْعَىٰ عَلَيْهِ أَلْفُ خَادِمٍ، كُلُّ خَادِمٍ عَلَىٰ عَمَلٍ مَا عَلَيْهِ صَاحِبُهُ " .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢٩/ ٣٩٧) : " هَذَا طَوَافٌ آخَرُ غَيْرُ طَوَافِ السُّقَاةِ الْمَذْكُورِ آنِفًا بِقَوْلِهِ: **﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ﴾** [الإنسان: ١٥] إِلَخْ فَهَذَا طَوَافٌ لِأَدَاءِ الْخِدْمَةِ فَيَشْمَلُ طَوَافَ السُّقَاةِ وَغَيْرِهِمْ.

ووِلْدَانٌ: جَمْعُ وَلِيدٍ وَأَصْلُ وَلِيدٍ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَيُطْلَقُ الْوَلِيدُ عَلَىٰ الصَّبِيِّ مَجَازًا مَشْهُورًا بِعَلَاقَةِ مَا كَانَ، لِقَصْدِ تَقْرِيبِ عَهْدِهِ بِالْوِلَادَةِ، وَأحسن من يُتَّخَذُ لِلْخِدْمَةِ الْوِلْدَانُ لِأَنَّهُمْ أَخَفُّ حَرَكَةٍ وَأَسْرَعُ مَشْيًا وَلِأَنَّ الْمَخْدُومَ لَا يَتَحَرَّجُ إِذَا أَمَرَهُمْ أَوْ نَهَاهُمْ.

وَوُصِفُوا بِأَنَّهُمْ مُخَلَّدُونَ للاحتراس مِمَّا قد يُوهِمُهُ اشْتِقَاقُ وِلْدانٌ مِنْ أَنَّهُمْ يَشِبُّونَ وَيِكْتَهِلُونَ، أَيْ لَا تَتَغَيَّرُ صِفَاتُهُمْ فَهُمْ وِلْدَانٌ دَوْمًا وَإِلَّا فَإِنَّ خُلُودَ الذَّوَاتِ فِي الجَنَّة مَعْلُومٌ فَمَا كَانَ ذِكْرُهُ إِلَّا لِأَنَّهُ تَخْلِيدٌ خَاصٌّ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مُخَلَّدُونَ: مُحَلَّوْنَ بِالْخِلَدَةِ بِوَزْنِ قِرَدَةٍ. وَاحِدُهَا خُلْدٌ كَقُفْلٍ وَهُوَ اسْمٌ لِلْقُرْطِ فِي لُغَةِ حِمْيَرَ.

وَشُبِّهُوا بِاللُّؤْلُؤِ الْمَنْثُورِ تَشْبِيهًا مُقَيَّدًا فِيهِ الْمُشَبَّهُ بِحَالٍ خَاصٍّ لِأَنَّهُمْ شُبِّهُوا بِهِ فِي حُسْنِ الْمَنْظَرِ مَعَ التَّفَرُّقِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : ذَهَبَ بَعْضُ العُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الوِلْدَانِ هُمُ الذِيْنَ يَمُوْتُوْنَ صِغَارَاً مِنْ أَبْنَاءِ الْمُؤْمِنِيْنَ أَو الْمُشْرِكِيْن ، فَهَلْ هَذَا صَحِيْح ؟

الجواب : اختلف العلماء في الولدان، هل هم من أبناء الدُّنيا أم أنَّ الله تعالىٰ أنشأهم في الجَنَّة كما أنشأ الحور العين ؟ والصَّحيح – والله أعلم – أنَّهم ليسوا من الإنس ولا من الجنِّ ولا من الملائكة ، خلقهم الله تعالىٰ كما الحور العين لخدمة أهل الجَنَّة ، علىٰ درجة كبيرة من غاية الجمال والكمال ... لأنَّ من تمام إكرام الله لأهل الجَنَّة أن يكون أبناؤهم مخدومين معهم لا خدماً لهم...

قال الإمام ابن تيمية في " مجموع الفتاوىٰ " (٤/ ٢٧٩) : " وَالْوِلْدَانُ الَّذِينَ يَطُوفُونَ عَلَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ الجَنَّة لَيْسُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا؛ بَلْ أَبْنَاءُ أَهْلِ الدُّنْيَا إذَا دَخَلُوا الجَنَّة كَمُلَ خَلْقُهُمْ كَأَهْلِ الجَنَّة عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ أَبْنَاءِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ فِي طُولِ سِتِّينَ ذِرَاعًا؛ كَمَا تَقَدَّمَ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْعَرْضَ سَبْعَةُ أَذْرُعٍ ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ " .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح " (ص٢١٦) : " والأشبه أنَّ هؤلاء الولدان مخلوقون من الجَنَّة كالحور العين خدماً لهم وغلماناً ، كما قال تعالىٰ: **﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾** [الطور:٢٤] ، وهؤلاء غير أولادهم ، فإنَّ من تمام كرامة الله تعالىٰ لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلماناً لهم ... وإذا تأمَّلت لفظة "الوِلدان"، ولفظة "ويطوف" عليهم واعتبرتها بقوله : **﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾** [الطور:٢٤] ، وضممت ذلك إلىٰ حديث أبي سعيد المذكور آنفاً علمت أنَّ الولدان غلمان أنشأهم الله تعالىٰ في الجَنَّة خدماً لأهلها ، والله أعلم " .

وقال الإمام محمَّد صدّيق خان في " فتحُ البيان في مقاصد القرآن " (١٣/ ٣٦٢) : " قيل: وهم ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً لا حسنة لهم ولا سيِّئة، وهو ضعيف، وقيل: هم أطفال المشركين ماتوا قبل التَّكليف ، ولا يبعد أن يكونوا مخلوقين في الجَنَّة ابتداء، كالحور العين من غير ولادة، للقيام بهذه الخدمة،

ليسوا من أولاد الدُّنيا ، وهذا هو الصَّحيح " . وقد ورد في السُّنَّة أنَّهم أطفال المشركين الذين ماتوا صغاراً ، وقد جاء ذلك عبر ثلاث روايات كلُّها ضعيفة...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا الحِكْمَةُ فِي جَعْلِ خَدَمِ أَهْلِ الجَنَّة مِنَ الغِلْمَانِ الصِّغَار ؟

الجواب : من المعلوم أنَّ الغلام الصَّغير عندما يدخل على الحريم لا يُستحيا منه ، ولا يبعث في النَّفس كوامن الغَيْرة على الأهل والحُرُمات ، حيث الغَيْرة غريزة في الإنسان ...لأنَّ من شأن الغلام الصَّغير أن لا يشتهي النِّساء ... ثمَّ إنَّ الإنسان لا يأنف أن يطلب من الصَّغير حاجته وخدمته بعكس الكبير ... ولذلك فإنَّ جعل خدم أهل الجَنَّة من الغلمان الصِّغار هو بحدِّ ذاته مبعث أمن وأمان وراحة وسكينة ، علاوة على ما هم عليه من الجمال الأخَّاذ الذي يبعث في القلب السُّرور والحبور ، فدخولهم فرحة ، ومبعث للرَّاحة والسَّكينة والاطمئنان ... والله أعلم .

﴿سؤال﴾: أَهِيَ جَنَّةٌ أَمْ جِنَان ؟

الجواب: هي جنَّة واحدة ، ولكنَّه في درجاتها ومنازلها جنان ... وقد ورد في القرآن لفظ " جنَّات" في العديد من الآيات ، قال تعالى : **﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** [البقرة:٢٥] ، وقال : **﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خالِدِينَ فِيها﴾** [آل عمران:١٥] ، وقال : **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [النساء:١٣] ، وقال : **﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَّ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ﴾** [المائدة:١٢] ، وقال : **﴿وَعَدَ اللهَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوانٌ مِنَ اللهَّ أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة:٧٢] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة...

وروى البخاري (٤/ ٢٠ برقم ٢٨٠٩) بسنده عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ البَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهَّ، أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى" .

وروى البخاري (٦/ ١٤٥ برقم ٤٨٧٩) ، مسلم (٤/ ٢١٨٢ برقم ٢٨٣٨) بسندهما عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ

مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ كَذَا، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ " .

وقال تعالى : ﴿**وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ [الرحمن :٤٦] .

قال الإمام الرَّازي في " " (٢٩/ ٣٦٩-٣٧١) : " وَفِيهِ لَطَائِفُ:

الْأُولَى: التَّعْرِيفُ فِي عذاب جهنم قال: ﴿**هذِهِ جَهَنَّمُ**﴾ [الرحمن: ٤٣] ، وَالتَّنْكِيرُ فِي الثَّوَابِ بِالْجَنَّةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ كَثْرَةَ الْمَرَاتِبِ الَّتِي لَا تُحَدُّ وَنِعَمِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ، وَلْيُعْلَمْ أَنَّ آخِرَ الْعَذَابِ جَهَنَّمُ وَأَوَّلَ مَرَاتِبِ الثَّوَابِ الجَنَّة ثُمَّ بَعْدَهَا مَرَاتِبُ وَزِيَادَاتٌ .

الثَّانِيَةُ: قَدْ ذَكَرْنَا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ**﴾ [ق: ٤٥] أَنَّ الْخَوْفَ خَشْيَةٌ سَبَبُهَا ذُلُّ الْخَاشِي، وَالْخَشْيَةُ خَوْفٌ سَبَبُهُ عَظَمَةُ الْمَخْشِيِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ**﴾ [فَاطِرٍ: ٢٨] لأنَّهم عرفوا عظمة الله فخافوه لا لذلّ منهم، بل لعظمة جانب الله، وكذلك قوله: ﴿**مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥٧] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾ [الْحَشْرِ: ٢١] ، أَيْ : لَوْ كَانَ الْمُنَزَّلُ عَلَيْهِ الْعَالِمِ بِالْمُنَزَّلِ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ فِي الْقُوَّةِ وَالِارْتِفَاعِ لَتَصَدَّعَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ لِعَظَمَتِهِ، وَكَذَلِكَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ**﴾ [الْأَحْزَابِ: ٣٧] ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ الْخَشْيَةَ تَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَا لِأَنَّ الشَّيْخَ لِلسَّيِّدِ وَالرَّجُلِ الْكَبِيرِ يَدُلُّ عَلَى حُصُولِ مَعْنَى الْعَظَمَةِ فِي خ ش ي، وَقَالَ تَعَالَى فِي الْخَوْفِ: ﴿**وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُها**﴾ [طه: ٢١] لَمَّا كَانَ الْخَوْفُ يُضْعِفُ فِي مُوسَى، وَقَالَ: ﴿**لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ**﴾ [العنكبوت: ٣٣] ، وقال: ﴿**فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**﴾ [الشعراء: ١٤] وقال : ﴿**إِني خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائِي**﴾ [مَرْيَمَ: ٥] ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ تقاليب خ وف ، فَإِنَّ قَوْلَكَ خَفِيَ قَرِيبٌ مِنْهُ، وَالْخَافِي فِيهِ ضُعْفٌ وَالْأَخْيَفُ يَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا، وَإِذَا عُلِمَ هَذَا فَاللَّهُ تَعَالَى مَخُوفٌ وَمَخْشِيٌّ، وَالْعَبْدُ مِنَ اللَّهِ خَائِفٌ وَخَاشٍ، لِأَنَّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ رَآهَا فِي غَايَةِ الضَّعْفِ فَهُوَ خَائِفٌ، وَإِذَا نَظَرَ إِلَى حَضْرَةِ اللَّهِ رَآهَا فِي غَايَةِ الْعَظَمَةِ فَهُوَ خَاشٍ، لَكِنَّ دَرَجَةَ الْخَاشِي فَوْقَ دَرَجَةِ الْخَائِفِ، فَلِهَذَا قَالَ: ﴿**إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ**﴾ ، جَعَلَهُ مُنْحَصِرًا فِيهِمْ لِأَنَّهُمْ وَإِنْ فَرَضُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى غَيْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَقَدَّرُوا أَنَّ اللَّهَ رَفَعَ عَنْهُمْ جَمِيعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْحَوَائِجِ لَا يَتْرُكُونَ خَشْيَتَهُ، بَلْ تَزْدَادُ خَشْيَتُهُمْ، وَأَمَّا الَّذِي يَخَافُهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يُفْقِرُهُ أَوْ يَسْلُبُ جَاهَهُ، فَرُبَّمَا يَقِلُّ خَوْفُهُ إِذَا أَمِنَ ذَلِكَ، فَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا لِلْخَائِفِ فَمَا ظَنُّكَ بِالْخَاشِي؟

الثَّالِثَةُ: لَمَّا ذَكَرَ الْخَوْفَ ذَكَرَ الْمَقَامَ، وَعِنْدَ الْخَشْيَةِ ذَكَرَ اسْمَهُ الْكَرِيمَ فَقَالَ: **﴿إِنَّما يَخْشَى اللهَ﴾**، وَقَالَ: **﴿لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾**.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "خَشْيَةُ اللهِ رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ"، لِأَنَّهُ يَعْرِفُ رَبَّهُ بِالْعَظَمَةِ فَيَخْشَاهُ. وَفِي مَقَامِ رَبِّهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَقَامُ رَبِّهِ أَيِ الْمَقَامُ الَّذِي يَقُومُ هُوَ فِيهِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، وَهُوَ مَقَامُ عِبَادَتِهِ كَمَا يُقَالُ: هَذَا مَعْبَدُ اللهِ وَهَذَا مَعْبَدُ الْبَارِي أَيِ الْمَقَامُ الَّذِي يَعْبُدُ اللهَ الْعَبْدُ فِيهِ.

وَالثَّانِي: مَقَامُ رَبِّهِ الْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ اللهُ قَائِمٌ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿أَفَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾** [الرَّعْدِ: ٣٣]، أَيْ: حَافِظٌ وَمُطَّلِعٌ أَخْذًا مِنَ الْقَائِمِ عَلَى الشَّيْءِ حَقِيقَةً الْحَافِظِ لَهُ فَلَا يَغِيبُ عَنْهُ، وَقِيلَ: مَقَامٌ مُقْحَمٌ يُقَالُ: فُلَانٌ يَخَافُ جَانِبَ فُلَانٍ أَيْ يَخَافُ فُلَانًا وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَظْهَرُ الْفَرْقُ غَايَةَ الظُّهُورِ بَيْنَ الْخَائِفِ وَالْخَاشِي، لِأَنَّ الْخَائِفَ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ فَالْخَاشِي لَوْ قِيلَ لَهُ: افْعَلْ مَا تُرِيدُ فَإِنَّكَ لَا تُحَاسَبُ وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ لَمَا كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِغَيْرِ التَّعْظِيمِ وَالْخَائِفُ رُبَّمَا كَانَ يُقْدِمُ عَلَى مَلَاذِّ نَفْسِهِ لَوْ رُفِعَ عَنْهُ الْقَلَمُ وَكَيْفَ لَا، وَيُقَالُ: خَاصَّةُ اللهِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَاقِفُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ سَابِحُونَ فِي مُطَالَعَةِ جَمَالِهِ غَائِصُونَ فِي بِحَارِ جَلَالِهِ، وَعَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي قَرُبَ الْخَائِفُ مِنَ الْخَاشِي وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ

الرَّابِعَةُ: فِي قَوْلِهِ: **﴿جَنَّتانِ﴾**، وهذه اللطيفة نبينها بعد ما نَذْكُرُ مَا قِيلَ فِي التَّثْنِيَةِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ: **﴿أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ﴾** [ق: ٢٤]، وَتَمَسَّكَ بِقَوْلِ الْقَائِلِ:

وَمَهْمَهَيْنِ سَرَتْ مَرَّتَيْنِ   قَطَعْتُهُ بِالسَّهْمِ لَا السَّهْمَيْنِ

فَقَالَ: أَرَادَ مَهْمَهًا وَاحِدًا بِدَلِيلِ تَوْحِيدِ الضَّمِيرِ فِي قَطَعْتُهُ وَهُوَ بَاطِلٌ، لِأَنَّ قَوْلَهُ بِالسَّهْمِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مَهْمَهَانِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَهْمَهًا وَاحِدًا لَمَا كَانُوا فِي قَطَعْتُهُ يَقْصِدُونَ جَدَلًا، بَلْ يَقْصِدُونَ التَّعَجُّبَ وَهُوَ إِرَادَتُهُ قَطْعَ مَهْمَهَيْنِ بِأُهْبَةٍ وَاحِدَةٍ وَسَهْمٍ وَاحِدٍ وَهُوَ مِنَ الْعَزْمِ الْقَوِيِّ، وَأَمَّا الضَّمِيرُ فَهُوَ عَائِدٌ إِلَى مَفْهُومٍ تَقْدِيرُهُ قَطَعْتُ كِلَيْهِمَا وَهُوَ لَفْظٌ مَقْصُورٌ مَعْنَاهُ التَّثْنِيَةُ وَلَفْظُهُ لِلْوَاحِدِ، يُقَالُ: كِلَاهُمَا مَعْلُومٌ وَمَجْهُولٌ، قَالَ تَعَالَى: **﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها﴾** [الْكَهْفِ: ٣٣] فَوَحَّدَ اللَّفْظَ وَلَا حَاجَةَ هاهنا إِلَى التَّعَسُّفِ، وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ اللهُ جَنَّتَيْنِ وَجِنَانًا عَدِيدَةً، وَكَيْفَ وَقَدْ قَالَ بعد: **﴿ذَواتا أَفْنانٍ﴾** [الرحمن: ٤٨]، وَقَالَ: **﴿فِيهِما﴾**.

وَالثَّانِي: وَهُوَ الصَّحِيحُ أَنَّهُمَا جَنَّتَانِ، وَفِيهِ وُجُوهٌ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمَا جَنَّةٌ لِلْجِنِّ وَجَنَّةٌ لِلْإِنْسِ لِأَنَّ الْمُرَادَ هَذَانِ النَّوْعَانِ .

وَثَانِيهِمَا: جَنَّةٌ لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَجَنَّةٌ لِتَرْكِ الْمَعَاصِي لِأَنَّ التَّكْلِيفَ بِهَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ ز

وَثَالِثُهَا: جَنَّةٌ هِيَ جَزَاءٌ وَجَنَّةٌ أُخْرَىٰ زِيَادَةٌ عَلَىٰ الْجَزَاءِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ: جَنَّتَانِ جَنَّةٌ جِسْمِيَّةٌ وَالْأُخْرَىٰ رُوحِيَّةٌ فَالْجِسْمِيَّةُ فِي نَعِيمٍ وَالرُّوحِيَّةُ فِي رَوْحٍ فَكَانَ كَمَا قَالَ تعالىٰ: **﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾** [الْوَاقِعَةِ: ٨٩] ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخَائِفَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَالْمُقَرَّبُ فِي رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَجَنَّةِ نَعِيمٍ وَأَمَّا اللَّطِيفَةُ: فَنَقُولُ: لَمَّا قَالَ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ الْمُجْرِمِ إِنَّهُ يَطُوفُ بَيْنَ نَارٍ وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ، وَهُمَا نَوْعَانِ ذَكَرَ لِغَيْرِهِ وَهُوَ الْخَائِفُ جَنَّتَيْنِ فِي مُقَابَلَةِ مَا ذَكَرَ فِي حَقِّ الْمُجْرِمِ، لَكِنَّهُ ذَكَرَ هُنَاكَ أَنَّهُمْ يَطُوفُونَ فَيُفَارِقُونَ عَذَابًا وَيَقَعُونَ فِي الْآخَرِ، وَلَمْ يقل: هاهنا يَطُوفُونَ بَيْنَ الْجَنَّتَيْنِ بَلْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ مُلُوكًا وَهُمْ فِيهَا يُطَافُ عَلَيْهِمْ وَلَا يُطَافُ بِهِمُ احْتِرَامًا لَهُمْ وَإِكْرَامًا فِي حَقِّهِمْ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾** [الرعد: ٣٥] ، وقوله: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾** [الذاريات: ١٥] أَنَّهُ تَعَالَىٰ ذَكَرَ الجَنَّةَ وَالْجَنَّاتِ، فَهِيَ لِاتِّصَالِ أَشْجَارِهَا وَمَسَاكِنِهَا وَعَدَمِ وُقُوعِ الْفَاصِلِ بَيْنَهُمَا كَمَهَامِّهِ وَقِفَارٍ صَارَتْ كَجَنَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَلِسِعَتِهَا وَتَنَوُّعِ أَشْجَارِهَا وَكَثْرَةِ مَسَاكِنِهَا كَأَنَّهَا جَنَّاتٌ، وَلِاشْتِمَالِهَا عَلَىٰ مَا تَلْتَذُّ بِهِ الرُّوحُ وَالْجِسْمُ كَأَنَّهَا جَنَّتَانِ، فَالْكُلُّ عائد إلىٰ صفة مدح" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ١٧٦-١٧٧) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ﴾** فِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْأُولَى: لَمَّا ذَكَرَ أَحْوَالَ أَهْلِ النَّارِ ذَكَرَ مَا أَعَدَّ لِلْأَبْرَارِ. وَالْمَعْنَىٰ : خَافَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ لِلْحِسَابِ فَتَرَكَ الْمَعْصِيَةَ. فَـ **﴿مَقامَ﴾** مَصْدَرٌ بِمَعْنَىٰ الْقِيَامِ. وَقِيلَ: خَافَ قِيَامَ رَبِّهِ عَلَيْهِ أَيْ إِشْرَافَهُ وَاطِّلَاعَهُ عَلَيْهِ، بَيَانُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿أَفَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾** . وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: هُوَ الرَّجُلُ يَهُمُّ بِالْمَعْصِيَةِ فَيَذْكُرُ اللَّهَ فَيَدَعُهَا مِنْ خَوْفِهِ.

الثَّانِيَةُ: هَذِهِ الْآيَةُ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ قَالَ لِزَوْجِهِ: إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَأَنْتِ طَالِقٌ أَنَّهُ لَا يَحْنَثُ إِنْ كَانَ هَمَّ بِالْمَعْصِيَةِ وَتَرَكَهَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَحَيَاءً مِنْهُ. وَقَالَ بِهِ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَفْتَىٰ بِهِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيُّ: جَنَّةٌ لِخَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَجَنَّةٌ لِتَرْكِهِ شَهْوَتَهُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ. وَقِيلَ: الْمَقَامُ الْمَوْضِعُ، أَيْ خَافَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ لِلْحِسَابِ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَقَامُ لِلْعَبْدِ ثُمَّ يُضَافُ إِلَىٰ اللَّهِ، وَهُوَ كَالْأَجَلِ فِي قَوْلِهِ: **﴿فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ﴾** ، وَقَوْلِهِ فِي موضع آخر: **﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ﴾** .

﴿جَنَّتَانِ﴾ ، أَيْ : لِمَنْ خافَ جَنَّتَانِ عَلَىٰ حِدَةٍ، فَلِكُلِّ خَائِفٍ جَنَّتَانِ. وَقِيلَ: جَنَّتَانِ لِجَمِيعِ الْخَائِفِينَ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الْجَنَّتَانِ بُسْتَانَانِ فِي عَرْضِ الجَنَّة كُلُّ بُسْتَانٍ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ فِي وَسَطِ كُلِّ بُسْتَانٍ دار من نور ، وليس منها شيء إِلَّا يَهْتَزُّ نَغْمَةً وَخُضْرَةً، قَرَارُهَا ثَابِتٌ وَشَجَرُهَا ثَابِتٌ" ذَكَرَهُ الْمَهْدَوِيُّ وَالثَّعْلَبِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَقِيلَ: إِنَّ الْجَنَّتَيْنِ جَنَّتُهُ الَّتِي خُلِقَتْ لَهُ وَجَنَّةٌ وَرِثَهَا. وَقِيلَ: إِحْدَىٰ الْجَنَّتَيْنِ مَنْزِلُهُ وَالْأُخْرَىٰ مَنْزِلُ أَزْوَاجِهِ كَمَا يَفْعَلُهُ رُؤَسَاءُ الدُّنْيَا. وَقِيلَ: إِنَّ إِحْدَىٰ الْجَنَّتَيْنِ مَسْكَنُهُ وَالْأُخْرَىٰ بُسْتَانُهُ. وَقِيلَ: إِنَّ إِحْدَىٰ الْجَنَّتَيْنِ أَسَافِلَ الْقُصُورِ وَالْأُخْرَىٰ أَعَالِيَهَا. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: هُمَا جَنَّةُ عَدْنٍ وَجَنَّةُ النَّعِيمِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: إِنَّمَا هِيَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَثَنَّىٰ لِرُءُوسِ الْآيِ. وَأَنْكَرَ الْقُتَبِيُّ هَذَا وَقَالَ: لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ خَزَنَةُ النَّارِ عِشْرُونَ إِنَّمَا قَالَ تِسْعَةَ عَشَرَ لِمُرَاعَاةِ رُءُوسِ الْآيِ. وَأَيْضًا قَالَ: **﴿ذَواتا أَفْنانٍ﴾** . وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ: قَالَ الْفَرَّاءُ قَدْ تَكُونُ جَنَّةً فَتُثَنَّىٰ فِي الشِّعْرِ، وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ أَعْظَمِ الْغَلَطِ عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿جَنَّتانِ﴾** وَيَصِفُهُمَا بِقَوْلِهِ: **﴿فِيهِما﴾** فَيَدَعُ الظَّاهِرَ وَيَقُولُ: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ جَنَّةً وَيَحْتَجُّ بِالشِّعْرِ! وَقِيلَ: إِنَّمَا كَانَتَا اثْنَتَيْنِ لِيُضَاعَفَ لَهُ السُّرُورَ بِالتَّنَقُّلِ مِنْ جِهَةٍ إِلَىٰ جِهَةٍ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَاصَّةً حِينَ ذَكَرَ ذَاتَ يَوْمٍ الجَنَّة حِينَ أُزْلِفَتْ وَالنَّارَ حِينَ بُرِّزَتْ، قَالَهُ عَطَاءٌ وَابْنُ شَوْذَبٍ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: بَلْ شَرِبَ ذَاتَ يَوْمٍ لَبَنًا عَلَىٰ ظَمَإٍ فَأَعْجَبَهُ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ فَاسْتَقَاءَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: (رَحِمَكَ اللَّهُ لَقَدْ أُنْزِلَتْ فِيكَ آية) وتلا عليه هذه الآية" ...

وقال تعالىٰ : **﴿وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ﴾** [الرحمن:٦٢] .

قال الإمام السَّمرقندي في" بحر العلوم" (٣/ ٣٨٨) : " يعني: من دون الجنَّتين اللتين ذكرهما، جنَّتان أخروان. فالأوليان جنَّة النَّعيم وجنَّة عدن، والأخريان جنَّة الفردوس وجنَّة المأوىٰ **﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾** يعني: قد ذكر للمتَّقين جنَّتين، وجنَّتان أخريان، زيادة علىٰ الكرامة. فكيف تنكرون فضل ربّكم ، وكرامته" .

وقال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن" (٤/ ٣٤٣-٣٤٤) : " أَيْ : مِنْ دُونِ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ جَنَّتَانِ أُخْرَيَانِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنْ دُونِهِمَا فِي الدَّرَجِ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: مِنْ دُونِهِمَا فِي الْفَضْلِ. وَقَالَ أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ: جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ لِلسَّابِقِينَ وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ لِلتَّابِعِينَ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: هُنَّ أَرْبَعٌ:

جَنَّتَانِ لِلْمُقَرَّبِينَ السَّابِقِينَ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ، وَجَنَّتَانِ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ وَالتَّابِعِينَ فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ .

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِيحِيُّ أَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّعِيمِيُّ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يوسف ثنا مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الله أَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ" .

وَقَالَ الكسائي: وَمِنْ دُونِهِما أَيْ أَمَامَهُمَا وَقَبْلَهُمَا، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ الضَّحَّاكِ: الْجَنَّتَانِ الْأُولَيَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَالْأُخْرَيَانِ مِنْ يَاقُوتٍ" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ١٨٣-١٨٤) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ﴾** ، أَيْ : وَلَهُ مِنْ دُونِ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ جَنَّتَانِ أُخْرَيَانِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَمِنْ دُونِهِمَا فِي الدَّرَجِ. ابْنُ زَيْدٍ: وَمِنْ دُونِهِمَا فِي الْفَضْلِ. ابْنُ عَبَّاسٍ: وَالْجَنَّاتُ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، فَيَكُونُ فِي الْأُولَيَيْنِ النَّخْلُ وَالشَّجَرُ، وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ الزَّرْعُ وَالنَّبَاتُ وَمَا انْبَسَطَ. الْمَاوَرْدِيُّ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ **﴿وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ﴾** لِأَتْبَاعِهِ لِقُصُورِ مَنْزِلَتِهِمْ عَنْ مَنْزِلَتِهِ، إِحْدَاهُمَا لِلْحُورِ الْعِينِ، وَالْأُخْرَى لِلْوِلْدَانِ الْمُخَلَّدِينَ، لِيَتَمَيَّزَ بِهِمَا الذُّكُورُ عَنِ الْإِنَاثِ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: هِيَ أَرْبَعٌ: جَنَّتَانِ مِنْهَا لِلسَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ **﴿فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ﴾** وَ **﴿عَيْنانِ تَجْرِيانِ﴾** ، وَجَنَّتَانِ لِأَصْحَابِ اليمين **﴿فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾** ، وَ**﴿فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ﴾** .

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: إِنَّ الْأُولَيَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ لِلْمُقَرَّبِينَ، وَالْأُخْرَيَيْنِ مِنْ وَرِقٍ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ. قُلْتُ: إِلَى هَذَا ذَهَبَ الْحَلِيمِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ فِي كِتَابِ (مِنْهَاجِ الدِّينِ لَهُ)، وَاحْتَجَّ بِمَا رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ **﴿وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ﴾** إِلَى قَوْلِهِ: **﴿مُدْهامَّتانِ﴾** ، قَالَ: تَانِكَ لِلْمُقَرَّبِينَ، وَهَاتَانِ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ نَحْوُهُ. وَلَمَّا وَصَفَ اللَّهُ الْجَنَّتَيْنِ أَشَارَ إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا فَقَالَ فِي الْأُولَيَيْنِ: **﴿فِيهِما عَيْنانِ تَجْرِيانِ﴾** ، وفي الأخريين: **﴿فيهما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ﴾** ، أَيْ فَوَّارَتَانِ وَلَكِنَّهُمَا لَيْسَتَا كَالْجَارِيَتَيْنِ لِأَنَّ النَّضْخَ دُونَ الْجَرْيِ. وَقَالَ فِي الْأُولَيَيْنِ: **﴿فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ﴾** فَعَمَّ وَلَمْ يَخُصَّ. وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ: **﴿فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾** ، ولم يقل كُلِّ فَاكِهَةٍ، وَقَالَ فِي الْأُولَيَيْنِ: **﴿مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾** ، وَهُوَ الدِّيبَاجُ، وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ **﴿مُتَّكِئِينَ عَلى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ﴾** ، وَالْعَبْقَرِيُّ الْوَشْيُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الدِّيبَاجَ أَعْلَى مِنَ الْوَشْيِ، وَالرَّفْرَفُ كِسَرُ الْخِبَاءِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْفُرُشَ الْمُعَدَّةَ لِلِاتِّكَاءِ

عَلَيْهَا أَفْضَلُ مِنْ فَضْلِ الْخِبَاءِ. وَقَالَ فِي الْأُولَيَيْنِ فِي صِفَةِ الْحُورِ: ﴿**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجانُ**﴾ ، وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ ﴿**فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ**﴾ ، وَلَيْسَ كُلُّ حُسْنٍ كَحُسْنِ الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ. وَقَالَ فِي الْأُولَيَيْنِ: ﴿**ذَواتا أَفْنانٍ**﴾ ، وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ ﴿**مُدْهامَّتانِ**﴾ ، أَيْ خَضْرَاوَانِ كَأَنَّهُمَا مِنْ شِدَّةِ خُضْرَتِهِمَا سَوْدَاوَانِ، وَوَصَفَ الْأُولَيَيْنِ بِكَثْرَةِ الْأَغْصَانِ، وَالْأُخْرَيَيْنِ بِالْخُضْرَةِ وَحْدَهَا، وَفِي هَذَا كُلِّهِ تَحْقِيقٌ لِلْمَعْنَى الَّذِي قَصَدْنَا بِقَوْلِهِ : ﴿**وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ**﴾ ، وَلَعَلَّ مَا لَمْ يُذْكَرْ مِنْ تَفَاوُتِ مَا بَيْنَهُمَا أَكْثَرُ مِمَّا ذُكِرَ.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ لَمْ يَذْكُرْ أَهْلَ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ كَمَا ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ؟ قِيلَ: الْجِنَانُ الْأَرْبَعُ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ إِلَّا أَنَّ الْخَائِفِينَ لَهُمْ مَرَاتِبُ، فَالْجَنَّتَانِ الْأُولَيَانِ لِأَعْلَى الْعِبَادِ رُتْبَةً فِي الْخَوْفِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَالْجَنَّتَانِ الْأُخْرَيَانِ لِمَنْ قَصَرَتْ حَالُهُ فِي الْخَوْفِ مِنَ اللهِ تَعَالَى. وَمَذْهَبُ الضَّحَّاكِ أَنَّ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَالْأُخْرَيَيْنِ مِنْ يَاقُوتٍ وَزُمُرُّدٍ وَهُمَا أَفْضَلُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، وَقَوْلُهُ: ﴿**وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ**﴾ ، أَيْ : وَمِنْ أَمَامِهِمَا وَمِنْ قَبْلِهِمَا. وَإِلَى هَذَا الْقَوْلِ ذَهَبَ أَبُو عَبْدِ اللهِ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي (نَوَادِرِ الْأُصُولِ) فَقَالَ: وَمَعْنَى ﴿**وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ**﴾ ، أَيْ دُونَ هَذَا إِلَى الْعَرْشِ، أَيْ أَقْرَبَ وَأَدْنَى إِلَى الْعَرْشِ، وَأَخَذَ يُفَضِّلُهُمَا عَلَى الْأُولَيَيْنِ بِمَا سَنَذْكُرُهُ عَنْهُ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: الْجَنَّتَانِ الْأُولَيَانِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَجَنَّةُ النَّعِيمِ، وَالْأُخْرَيَانِ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ وَجَنَّةُ الْمَأْوَى" .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " " (ص١٠٢-١٠٤) : " والسِّياق يدلُّ على تفضيل الجنَّتين الأوليين من عشرة أوجه :

أَحَدُهَا: قوله: ﴿**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**﴾ ، وفيه قولان ، أحدهما : أنَّه جمع فنن ، وهو الغصن ، والثَّاني أنَّه جمع فنّ ، وهو الصِّنف ، أي : ذواتا أصناف شتَّى من الفواكه وغيرها ، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما .

الثَّاني : قوله: ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ**﴾ ، وفي الآخريين (فيهما عينان نضاختان) ، والنَّضَّاخة هي الفوَّارة والجارية السَّارحة ، وهي أحسن من الفوَّارة ، فإنَّها تضمن الفوران والجريان.

الثَّالِثُ: أنَّه قال : ﴿**فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ**﴾ [الرحمن:٥٢] ، وفي الآخريين : ﴿**فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ**﴾ [الرحمن:٦٨] ، ولا ريب أنَّ وصف الأوليين أكمل . واختلف في هذين الزَّوجين بعد الاتِّفاق على أنَّهما صنفان ، فقالت طائفة : الزَّوجان : الرَّطب واليابس الذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرَّطب ، وهو متمتّع به كما متمتّع باليابس ، وفيه نظر لا يخفى . وقالت طائفة : الزَّوجان صنف معروف وصنف من

شكله غريب ، وقالت طائفة : نوعان ولم تزد . والظَّاهر والله أعلم أنَّه الحلو والحامض ، والأبيض والأحمر ، وذلك لأنَّ اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذّ للعين والفم .

الرَّابعُ: أنَّه قال : **﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾** [الرحمن:٥٤] ، وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها ، وفي الأخريين قال : **﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ﴾** [الرحمن:٧٦] ، وفسّر الرَّفرف بالمحابس والبسط ، وفسّر بالفُرش ، وفسّر بالمحابس فوقها ، وعلى كلِّ قول فلم يصفه بما وصف به فُرُش الجنَّتين الأوليين .

الخَامِسُ: أنَّه قال: **﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ﴾** [الرحمن:٥٤] ، أي : قريب وسهل يتناولونه كيف شاؤا ، ولم يذكر ذلك في الآخريين .

السَّادِسُ: أنَّه قال : **﴿فِيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾** [الرحمن:٥٦] ، أي : قد قصرن طرفهنَّ على أزواجهنَّ ، فلا يرون غيرهم لرضاهنَّ بهم ومحبَّتهن لهم ، وذلك يتضمَّن قصر أطراف أزواجهنَّ عليهنَّ فلا يدعهم حسنهنَّ أن ينظروا إلى غيرهنَّ ، وقال في الآخريين **﴿حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ﴾** [الرحمن:٧٢] ، ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممَّن قصرت بغيرها .

السَّابِعُ: أنَّه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه ، ولم يذكر ذلك في التي بعدها .

الثَّامن : أنَّه قال سبحانه وتعالى في الجنَّتين الأوليين: **﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلّا الْإِحْسَانُ﴾** ، وهذا يقتضي أنَّ أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل ، فكان جزاؤهم بإحسان كامل .

التَّاسِعُ: أنَّه بدأ بوصف الجنَّتين الأوليين وجعلهما جزءاً لمن خاف مقامه ، وهذا يدلُّ على أنَّهما أعلى جزاء الخائف لمقامه ، فرتَّب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبّب على سببه ، ولمَّا كان الخائفون على نوعين مقرَّبين وأصحاب يمين ذكر جنَّتي المقرَّبين ثمَّ ذكر جنَّتي أصحاب اليمين .

العَاشِرُ: أنَّه قال : **﴿وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ﴾** ، والسِّياق يدلُّ على أنَّه نقيض فوق كما قال الجوهري .

فإن قيل : فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربِّه ؟ قيل : لمَّا كان الخائفون نوعين كما ذكرنا كان للمقرَّبين منهم الجنَّتان العاليتان ، ولأصحاب اليمين الجنَّتان اللتان دونهما .

فإن قيل : فهل الجنَّتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكلِّ واحد جنَّتان وهما البستانان ؟ قيل : هذا فيه قولان للمفسِّرين ، ورجح القول الثَّاني بوجهين : أحدهما : من جهة النَّقل ، والثَّاني من جهة المعنى ،

فأمَّا الذي من جهة النَّقل ، فإنَّ أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: "هما بستانين في رياض الجنَّة" وأمَّا الذي من جهة المعنىٰ فإنَّ إحدىٰ الجنَّتين جزاء أداء الأوامر ، والثَّانية جزاء اجتناب المحارم .

فإن قيل : فكيف قال في ذكر النِّساء ﴿فِيْهِنَّ﴾ في الموضعين ولما ذكر غيرهن قال : ﴿فِيْهِمَا﴾ ، قيل : لَمَّا ذكر الفُرُش قال بعدها : ﴿فِيْهِنَّ خَيْرَات حِسَان﴾ ، ثمَّ أعاده في الجنَّتين الأخريين بهذا اللفظ ليتشاكل اللفظ والمعنىٰ ، والله أعلم" .

" .

فمن حيث العدد هي جنَّة واحدة، ولكنَّها في المكانة والعظمة والرِّفعة متباينة في درجاتها وعظمتها ، وبما يتناسب مع مكانة من سيدخلها من عباد الله الطَّائعين المُخبتين ... وقد نصَّ الحديث السَّالف صراحة علىٰ أنَّها جِنانٌ كثيرة ، وأنَّ حارثة رضي الله عنه قد أصاب الفردوس الأعلىٰ ...

﴿سُؤال﴾ : مَاذَا عَنْ خَزَنَةِ الجَنَّة ؟

الجواب : الخزنة جمع خازن ، وهم المؤتمنون علىٰ الجَنَّة والحافظون لها والقائمون عليها...

ومن المعلوم أنَّ للجنَّة أبواب وعددها ثمانية ... فقد روىٰ البخاري بسنده عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «فِي الجَنَّة ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّىٰ الرَّيَّانَ، لاَ يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ» أخرجه البخاري (٤/ ١١٩ برقم ٣٢٥٧) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهَّ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهَّ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهَّ مَا عَلَىٰ مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَىٰ أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» أخرجه البخاري (٣/ ٢٥ برقم ١٨٩٧) ، ...

ويُشرف على تلك الأبواب خزنة الجَنَّة من المَلَائِكَة ، الذين يفتحون الأبواب لأهل الجَنَّة ويستقبلونهم ويُرحِّبون بهم ، ويفرحون بهم ، قال تعالى : **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّة زُمَراً حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾** [الزمر:٧٣] ، وأوَّل من يُفتح له بابُ الجَنَّة ليدخلها هو الحبيب المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " آتِي بَابَ الجَنَّة يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ " أخرجه مسلم (١/ ١٨٨ برقم ١٩٧).

وَأخرج الحاكمُ في " المستدرك " (٢/ ٨٠ برقم ٢٣٨٩) وغيره بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَعْلَمُ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّة مِنْ أُمَّتِي؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَالَ: " الْمُهَاجِرُونَ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى بَابِ الجَنَّة وَيَسْتَفْتِحُونَ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْخَزَنَةُ، أَوَ قَدْ حُوسِبْتُمْ، فَيَقُولُونَ بِأَيِّ شَيْءٍ نُحَاسَبُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ أَسْيَافُنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَتَّى مِتْنَا عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيَقِيلُونَ فِيهِ أَرْبَعِينَ عَامًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا النَّاسُ «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذَّهبي في التَّلخيص.

﴿سُؤال﴾ : هَلْ ثَبَتَ أَنَّ اسْمَ خَازِن الجَنَّة هُوَ رِضْوَان ؟

الجواب : الحقُّ في هذه المسألة أنّه لم يثبت في حديث صحيح أنَّ اسم خازن الجَنَّة هو رضوان ، مع أنَّ هذا الاسم مشهور على الألسنة ، وكذا في العديد من الكتب التي تكلَّمت عن الجَنَّة ونعيمها ... وقد ورد في جملة من الأحاديث الضَّعيفة ، من ذلك:

روى الشِّهاب القُضاعي في " مسند الشِّهاب " (٢/ ١٣٠ برقم ١٠٣٦) ، والشَّجري في " ترتيب الأمالي الخميسيَّة " (١/ ١٣١) في حديث طويل جاء فيه : " ... وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ قَرَأَ يس وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ لَمْ يَقْبِضْ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ حَتَّى يَجِيئَهُ رِضْوَانُ خَازِنُ الجَنَّة بِشَرْبَةٍ مِنْ شَرَابِ الجَنَّة فَيَشْرَبُهَا، وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَيَقْبِضُ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ وَهُوَ رَيَّانُ ... " **والحديث ضعيف** ... انظر : " أحاديث ومرويَّات في الميزان " (١/ ٣٤) ، " كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمَّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة النَّاس " (٢/ ٣٨٩) .

وحديث : " إذا كان أوَّل يوم من شهر رمضان ، نادى الجليل – جلَّ جلاله – رضوان خازن الجَنَّة فيقول : لبَّيك ، وسعديك فيقول : نجِّد جنَّتي ، وزيِّنها للصَّائمين من أمَّة محمَّد ... " **ضعيف** ... انظر : ذخيرة الحفَّاظ

(١/ ٣٥٠) ، المجروحين من المحدِّثين والضُّعفاء والمتروكين (١/ ١٨٣) ، الكامل في ضعفاء الرِّجال للجرجاني (٢/ ٩٩) ، ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال (١/ ٢٧٣) ، لسان الميزان (٢/ ٢١٠) .

فكون خازن الجَنَّة اسمه رضوان لم يثبت أبداً في أي حديث صحيح وإن كان العديد من العلماء نصُّوا عليه في كُتُبهم ، قال الحافظ ابن كثير في " البداية والنِّهاية " (١/ ٥٠) : " ... وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِالْجِنَانِ وَإِعْدَادِ الْكَرَامَةِ لِأَهْلِهَا وَتَهْيِئَةِ الضِّيَافَةِ لِسَاكِنِيهَا مِنْ مَلَابِسَ وَمَصَاغٍ وَمَسَاكِنَ وَمَآكِلَ وَمَشَارِبَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ وَخَازِنُ الْجَنَّة مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ رِضْوَانُ جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ " .

مع أنَّ الأحاديث الصَّحيحة وصفته بخازن الجَنَّة ... فقد روى مسلم في صحيحيه (١/ ١٨٨ برقم ١٩٧) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " آتِي بَابَ الجَنَّة يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يَبْلَى أَوْ يَفْنَى شَيْءٌ مِمَّا فِيْ الجَنَّة ؟

الجواب : روى مسلم (٤/ ٢١٨١ برقم ٢٨٣٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّة يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ» .

وروى مسلم (٤/ ٢١٨٢ برقم ٢٨٣٧) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا " فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّة أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [الأعراف: ٤٣] .

سُؤالٌ : هَلْ فِيْ الجَنَّة طَيْرٌ وإِبِلٌ وَخَيْلٌ ... ؟

الجواب : روى مسلم (٣/ ١٥٠٥ برقم ١٨٩٢) بسنده عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ» .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (١٣/ ٣٨) : " مَعْنَى " مَخْطُومَةٌ " أَيْ : فِيهَا خِطَامٌ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الزِّمَامِ ، وَسَبَقَ شَرْحُهُ مَرَّاتٍ . قِيلَ : يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ لَهُ أَجْرُ سَبْعِمِائَةِ نَاقَةٍ ،

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ وَيَكُونَ لَهُ فِي الجَنَّة بِهَا سَبْعُمِائَةٍ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مَخْطُومَةٌ يَرْكَبُهُنَّ حَيْثُ شَاءَ لِلتَّنَزُّهِ ، كَمَا جَاءَ فِي خَيْلِ الجَنَّة وَنَجْبِهَا ، وَهَذَا الِاحْتِمَالُ أَظْهَرُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ" .

وروىٰ الطَّبراني في " الكبير" (٤/ ١٨٠ برقم ٤٠٧٥) بسنده عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: أَتَىٰ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ الْخَيْلَ وَهَلْ فِي الجَنَّة خَيْلٌ؟، فَقَالَ: «إِذَا دَخَلْتَ الجَنَّة أُتِيتَ بِفَرَسٍ مِنْ يَاقُوتٍ لَهُ جَنَاحَانِ فَحُمِلْتَ عَلَيْهِ فَطَارَ بِكَ فِي الجَنَّة حَيْثُ شِئْتَ» . قال الهيثمي في " مجمع الزَّوائد" (١٠/ ٤١٣ برقم ١٨٧٢٥) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ" .

وروىٰ التِّرمذي (٤/ ٢٦٢ برقم ٢٥٤٣) ، البزار في " المسند" (١٠/ ٢٧٣ برقم ٤٣٧٧) بسندهما عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ فِي الجَنَّة مِنْ خَيْلٍ؟ قَالَ: إِنِ اللهُ أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ، فَلاَ تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا عَلَىٰ فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ يَطِيرُ بِكَ فِي الجَنَّة حَيْثُ شِئْتَ إِلاَّ فَعَلَتْ قَالَ: وَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ فِي الجَنَّة مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: فَلَمْ يَقُلْ لَهُ مَا قَالَ لِصَاحِبِهِ قَالَ: إِنْ يُدْخِلْكَ اللهُ الجَنَّة يَكُنْ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ.

حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ، وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ الْمَسْعُودِيِّ.

قال الإمام المناوي في " فيض القدير شرح الجامع الصَّغير " (٣/ ٢٦) : " (إِنْ أُدْخِلْتَ الجَنَّة) أي أدخلك الله إيَّاها ، وجاء في رواية الطَّبراني أنَّ المخاطب عبد الرَّحمن بن ساعدة (أتيت بِفَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَة) زاد في رواية حمراء (لَهُ جَنَاحَان) يطير بهما كالطَّير (فحُمِلتَ عَلَيْهِ) أي أركبته (ثُمَّ طَار) ذلك الفرس (بِكَ حَيْثُ شِئْت) مقصود الحديث أنَّ ما من شيء تشتهيه النَّفس في الجَنَّة إلَّا تجده فيها كيف شاءت ، حتىٰ لو اشتهىٰ أحد أن يركب فرساً لوجده بهذه الصِّفَة **﴿وَفِيْهَا مَا تَشْتَهِيْهِ الأَنْفُس﴾** [الزخرف:٧١] .

فَائِدَة: قال ابن عربي: مراكب أهل الجَنَّة تعظم وتصغر بحسب ما يريد الرَّاكب. قال القاضي: معناه إن أدخلك الله الجَنَّة فلا تشاء أن تحمل علىٰ فرس كذلك إلَّا حملت عليه ، والمعنىٰ أنَّه ما من شيء تشتهيه الأنفس إلَّا وتجده في الجَنَّة كيف تشاء حتىٰ لو اشتهيت أن تركب فرسا علىٰ هذه الصِّفة لوجدت ذلك ويحتمل أن المراد إن أدخلك الله الجَنَّة فلا تشاء أن يكون لك مركب من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت ولا ترضى به فتطلب فرساً من جنس ما تجده في الدُّنيا حقيقة وصفة، والمعنىٰ : فيكون لك من المراكب ما يُغنيك عن الفرس المعهود ، ويدلُّ علىٰ هذا المعنىٰ ما جاء في رواية أخرىٰ ، وهو إن أدخلت الجَنَّة أتيت

بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه طار بك حيث شئت ، ولعلَّه عليه الصَّلاة والسَّلام لَمَّا أراد أن يبيِّن الفرق بين مراكب الجَنَّة ومراكب الدُّنيا وما بينهما من التَّفاوت على سبيل التَّصوير والتَّمثيل مثل فرس الجَنَّة في جوهره بما هو عندنا أنفس الجواهر وأدومها وجوداً وأنفعها وأصفاها جوهراً وفي شدَّة حركته وسرعة انتقاله بالطَّيران " .

وقال الإمام علي القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٣٥٩١/٩) : " (وَعَنْ بُرَيْدَةَ) : بِالتَّصْغِيرِ («أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ خَيْلٍ؟» قَالَ: (إِنِ اللَّهُ) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ النُّونِ عَلَى أَنَّ إِنْ شَرْطِيَّةٌ، ثُمَّ كُسِرَ لِلِالْتِقَاءِ. قَالَ الطِّيبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: مَرْفُوعٌ بِفِعْلٍ يُفَسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ، وَهُوَ (أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ) : وَلَا يَجُوزُ رَفْعُهُ عَلَى الِابْتِدَاءِ؛ لِوُقُوعِهِ بَعْدَ حَرْفِ الشَّرْطِ، وَقَوْلُهُ: (فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا) جَوَابٌ لِلشَّرْطِ أَيْ: فَلَا تَشَاءُ الْحَمْلَ فِي الْجَنَّةِ («عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ يَطِيرُ») بِالتَّذْكِيرِ وَيُؤَنَّثُ، فَفِي الْقَامُوسِ: الْفَرَسُ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، أَيْ: يُسْرِعُ (بِكَ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ إِلَّا فَعَلْتَ) . بِصِيغَةِ الْمُخَاطَبِ الْمُذَكَّرِ الْمَعْلُومِ، وَالْمَعْنَى إِنْ تَشَاءُ تَفْعَلْهُ، وَفِي نُسْخَةٍ عَلَى بِنَاءِ الْمَجْهُولِ أَيْ: حُمِلْتَ عَلَيْهَا وَرَكِبْتَ، وَفِي أُخْرَى بِتَاءِ التَّأْنِيثِ السَّاكِنَةِ، فَالضَّمِيرُ لِلْفَرَسِ، أَيْ حَمَلَتْكَ. قَالَ الْقَاضِي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: إِنْ أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ عَلَى فَرَسٍ كَذَلِكَ إِلَّا حُمِلْتَ عَلَيْهِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ إِلَّا وَتَجِدُهُ فِي الْجَنَّةِ كَيْفَ شَاءَتْ، حَتَّى لَوِ اشْتَهَتْ أَنْ تَرْكَبَ فَرَسًا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ لَوَجَدْتَهُ وَتَمَكَّنْتَ مِنْهُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: إِنْ أَدْخَلَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَلَا تَشَاءُ أَنْ يَكُونَ لَكَ مَرْكَبٌ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ يَطِيرُ بِكَ حَيْثُ شِئْتَ، وَلَا تَرْضَى بِهِ فَتَطْلُبُ فَرَسًا مِنْ جِنْسِ مَا تَجِدُهُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَةً وَصِفَةً، وَالْمَعْنَى فَيَكُونُ لَكَ مِنَ الْمَرَاكِبِ مَا يُغْنِيكَ عَنِ الْفَرَسِ الْمَعْهُودِ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى مَا جَاءَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى، وَهُوَ إِنْ أُدْخِلْتَ الْجَنَّةَ أُتِيتَ بِفَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ لَهُ جَنَاحَانِ فَحُمِلْتَ عَلَيْهِ، وَلَعَلَّهُ - صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ الْفَرْقَ بَيْنَ مَرَاكِبِ الْجَنَّةِ وَمَرَاكِبِ الدُّنْيَا وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّفَاوُتِ عَلَى التَّصْوِيرِ وَالتَّمْثِيلِ - مَثَّلَ فَرَسَ الْجَنَّةِ فِي جَوْهَرِهِ بِمَا هُوَ عِنْدَنَا أَثْبَتُ الْجَوَاهِرِ وَأَدْوَمُهَا وُجُودًا، وَأَنْصَعُهَا لَوْنًا، وَأَصْفَاهَا جَوْهَرًا. وَفِي شِدَّةِ حَرَكَتِهِ وَسُرْعَةِ انْتِقَالِهِ بِالطَّيْرِ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى بِقَوْلِهِ: جَنَاحَانِ، وَعَلَى هَذَا قِيَاسُ مَا وَرَدَ فِي صِفَةِ أَبْنِيَةِ الْجَنَّةِ وَرِيَاضِهَا وَأَنْهَارِهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَالْعِلْمُ بِحَقَائِقِهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى " .

وورد في الصِّحاح أنَّ أرواح الشُّهداء في حواصل طير خُضر تسرح من الجَنَّة حيث شاءت ... فقد روى مسلم (١٥٠٢/٣ برقم ١٨٨٧) بسنده عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا**

﴿فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»، فَقَالَ: " هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تتكَلَّمُ الجَنَّة ؟

الجواب :

روى البخاري (٦/ ١٣٨ برقم ٤٨٥٠) ، مسلم (٤/ ٢١٨٧ برقم ٢٨٤٦) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا " .

وروى الطَّبراني في " " (١/ ٢٢٤ برقم ٧٣٨) ، " الكبير" (١١/ ١٨٤ برقم١١٤٣٩) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ جَنَّةَ عَدْنٍ، خَلَقَ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾** [المؤمنون: ١] .

سُؤالٌ : هَلْ فِي الجَنَّة زَرْع ؟

الجواب : روى البخاري (٣/ ١٠٨ برقم ٢٣٤٨) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ: " أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، قَالَ: فَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ "، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ لاَ تَجِدُهُ إِلَّا قُرَشِيًّا، أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

﴿ الفَصْلُ الثَّانِيْ ﴾

❁❁❁ صِفَةُ أَهْلِ الجَنَّة وَمَا هُمْ فيْهِ مِنَ النَّعِيْم ❁❁❁

﴿سُؤالٌ﴾ : لِمَاذَا يُسَاقُ أَهْلُ الجَنَّة إِلَيْهَا سَوْقَاً ؟

الجواب : قال الإمام الرَّزي في " التَّفسير" (٢٧/ ٤٧٩) : " فَإِنْ قِيلَ السَّوْقُ فِي أَهْلِ النَّارِ لِلْعَذَابِ مَعْقُولٌ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا أُمِرُوا بِالذَّهَابِ إِلَى مَوْضِعِ الْعَذَابِ وَالشَّقَاوَةِ لَا بُدَّ وَأَنْ يُسَاقُوا إِلَيْهِ، وَأَمَّا أَهْلُ الثَّوَابِ فَإِذَا أُمِرُوا بِالذَّهَابِ إِلَى مَوْضِعِ الْكَرَامَةِ وَالرَّاحَةِ وَالسَّعَادَةِ، فَأَيُّ حَاجَةٍ فِيهِ إِلَى السَّوْقِ؟

وَالْجَوَابُ مِنْ وُجُوهٍ :

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمَحَبَّةَ وَالصَّدَاقَةَ بَاقِيَةٌ بَيْنَ الْمُتَّقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾** [الزُّخْرُفِ: ٦٧] فَإِذَا قِيلَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمُ اذْهَبْ إِلَى الجَنَّة فَيَقُولُ: لَا أَدْخُلُهَا حَتَّى يَدْخُلَهَا أَحِبَّائِي وَأَصْدِقَائِي فَيَتَأَخَّرُونَ لِهَذَا السَّبَبِ، فَحِينَئِذٍ يَحْتَاجُونَ إِلَى أَنْ يُسَاقُوا إِلَى الجَنَّة .

وَالثَّانِي: أَنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ قَدْ عَبَدُوا اللهَ تَعَالَىٰ لَا لِلْجَنَّةِ وَلَا لِلنَّارِ، فَتَصِيرُ شِدَّةُ اسْتِغْرَاقِهِمْ فِي مُشَاهَدَةِ مَوَاقِفِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ مَانِعَةً لَهُمْ عَنِ الرَّغْبَةِ فِي الْجَنَّةِ، فَلَا جَرَمَ يَحْتَاجُونَ إِلَى أَنْ يُسَاقُوا إِلَى الجَنَّة .

وَالثَّالِثُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَكْثَرُ أَهْلِ الجَنَّة الْبُلْهُ وَعِلِّيُّونَ لِلْأَبْرَارِ " .

فَلِهَذَا السَّبَبِ يُسَاقُونَ إِلَى الجَنَّة .

وَالرَّابِعُ: أَنَّ أَهْلَ الجَنَّة وَأَهْلَ النَّارِ يُسَاقُونَ إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ بِسَوْقِ أَهْلِ النَّارِ طَرْدُهُمْ إِلَيْهَا بِالْهَوَانِ وَالْعُنْفِ كما يفعل بالأسير إذ سِيقَ إِلَى الْحَبْسِ وَالْقَيْدِ، وَالْمُرَادُ بِسَوْقِ أَهْلِ الجَنَّة سَوْقُ مَرَاكِبِهِمْ لِأَنَّهُ لَا يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَّا رَاكِبِينَ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ السَّوْقِ إِسْرَاعُهُمْ إِلَى دَارِ الْكَرَامَةِ وَالرِّضْوَانِ كَمَا يُفْعَلُ بِمَنْ يُشَرَّفُ وَيُكَرَّمُ مِنَ الْوَافِدِينَ عَلَى الْمُلُوكِ، فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ السَّوْقَيْنِ " .

﴿سُؤَالٌ﴾ : قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيْ أَهْلِ النَّارِ : ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ بِغَيْرِ الْوَاوِ، وَقَالَ فِيْ أَهْلِ الْجَنَّة ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ ، فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا؟

الجواب : قال الإمام الرَّازِيُّ في " التَّفسير" (٢٧/ ٤٨٠) : " الْفَرْقُ أَنَّ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ لَا تُفْتَحُ إِلَّا عِنْدَ دُخُولِ أَهْلِهَا فِيهَا، فَأَمَّا أَبْوَابُ الجَنَّة فَفَتْحُهَا يَكُونُ مُتَقَدِّمًا عَلَى وُصُولِهِمْ إِلَيْهَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ : **﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ﴾** [ص: ٥٠] فَلِذَلِكَ جِيءَ بِالْوَاوِ كَأَنَّهُ قِيلَ: حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَقَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا " .

﴿سُؤَالٌ﴾ : مَتى تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّة ؟

الجواب :

أَوَّلاً : إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ : فقد روى البخاري (٣/ ٢٥ برقم ١٨٩٨) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّة " .

وروى البخاري (٤/ ١٢٣ برقم ٣٢٧٧) بسنده عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي أَنَسٍ، مَوْلَى التَّيْمِيِّينَ أَنَّ أَبَاهُ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ " .

ثَانِياً : يَوْمَيِ الْإِثْنَيْنِ، وَالْخَمِيسِ ، فقد روىٰ مسلم (٤/ ١٩٨٧ برقم ٢٥٦٥) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا " .

روىٰ مسلم (٣/ ١٥١١ برقم ١٩٠٢) بسنده عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَىٰ، آنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: " فَرَجَعَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَىٰ بِسَيْفِهِ إِلَىٰ الْعَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّىٰ قُتِلَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ ؟

الجواب : روىٰ مسلم (١/ ١٨٨ برقم ١٩٦) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ " .

وروىٰ مسلم (١/ ١٨٨ برقم ١٩٧) أيضاً بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هِيَ الأُمَّةُ التِيْ تَدْخُلُ الجَنَّةَ أَوَّلاً ؟

الجواب : روىٰ البخاري (٢/ ٢ برقم ٨٧٦) ، مسلم (٢/ ٥٨٥ برقم ٨٥٥) بسندهما عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ اليَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَىٰ بَعْدَ غَدٍ» .

وروىٰ مسلم (٢/ ٥٨٥ برقم ٨٥٥) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا اللهُ لَهُ – قَالَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ – فَالْيَوْمَ لَنَا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَىٰ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُمُ الَّذِيْنَ يَدْخُلُوْنَ مِنْ أَيِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّة ؟

الجواب : هناك أصناف من النَّاس تُفتَّح لهم أبواب الجَنَّة الثَّمانية ، يدخلون من أيِّها شاءوا ، وهم:

❁ **الأَوَّلُ** ❁ : مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، فقد روىٰ البخاري (٤/ ١٦٥ برقم ٣٤٣٥) ، مسلم (١/ ٥٧ برقم ٢٨) بسندهما عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» قَالَ الوَلِيدُ، حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ، عَنْ عُمَيْرٍ، عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ ".

❁ **الثَّانِي** ❁ : مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فقد روىٰ البخاري (٣/ ٢٥ برقم ١٨٩٧) ، مسلم (٢/ ٧١١ برقم ١٠٢٧) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَىٰ مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَىٰ أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ " .

❁ **الثَّالِثُ** ❁ : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوَضُوءَ ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ، فقد روىٰ مسلم (١/ ٢٠٩ برقم ٢٣٤) بسنده عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجْوَدَ هَذِهِ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجْوَدُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا، قَالَ: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ" .

❁ **الرَّابِعُ** ❁ : مَنْ تُوُفِّيَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ ،فقد روىٰ أحمد في " المسند " (٢٩/ ١٨٩ برقم ١٧٦٣٩) بسنده عَنْ شُرَحْبِيلَ ابْنِ شُفْعَةَ الرَّحَبِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُتْبَةَ بْنَ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ، صَاحِبَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ يَمُوتُ - وَقَالَ حَسَنٌ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّىٰ - لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إِلَّا تَلَقَّوْهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ " . قال الأرنؤوط : " صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل شرحبيل بن شفعة، وباقي رجاله ثقات. حريز: هو ابن عثمان الرحبي. وأخرجه المزي في ترجمة شرحبيل من "تهذيب الكمال" ١٢/ ٤٢٤- ٤٢٥ من طريق عبد الله بن أحمد، عن أبيه، بهذا الإسناد، وقرن بحسن بن موسىٰ وإسماعيل بن عمر شيخاً ثالثاً هو أبو النضر هاشم بن القاسم. وأخرجه ابن قانع في "معجم الصحابة" ٢/ ٢٦٦، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (٣٠٩) ، وفي "الشاميين" (١٠٧٠) من طريق الحسن بن موسىٰ وحده، به. وأخرجه ابن ماجه (١٦٠٤) ، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (٣٠٩) والمزي في ترجمة شرحبيل بن شفعة من "تهذيب الكمال" ١٢/ ٤٢٤- ٤٢٥ من طريق إسحاق بن سليمان، ويعقوب بن سفيان ٢/ ٣٤٣، والطبراني والمزي من طريق الوليد بن مسلم كلاهما عن حريز، به. وأخرجه الطبراني في "الكبير" ١٧/ (٢٩٤) ، وفي "الشاميين" (١٦٣١) من طريق إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن عتبة. وإسناده إلىٰ إسماعيل ضعيف " .

قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٣/ ١٢٠) : " وَخَصَّ الصَّغِيرَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الشَّفَقَةَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ ، وَالْحُبُّ لَهُ أَشَدُّ ، وَالرَّحْمَةُ لَهُ أَوْفَرُ ، وَعَلَىٰ هَذَا فَمَنْ بَلَغَ الْحِنْثَ لَا يَحْصُلُ لِمَنْ فَقَدَهُ مَا ذُكِرَ مِنْ هَذَا الثَّوَابِ وَإِنْ كَانَ فِي فَقْدِ الْوَلَدِ أَجْرٌ فِي الْجُمْلَةِ ، وَبِهَذَا صَرَّحَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْبَالِغِ وَغَيْرِهِ بِأَنَّهُ يُتَصَوَّرُ مِنْهُ الْعُقُوقُ الْمُقْتَضِي لِعَدَمِ الرَّحْمَةِ بِخِلَافِ الصَّغِيرِ ، فَإِنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ ذَلِكَ ، إِذْ لَيْسَ بِمُخَاطَبٍ . وَقَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُنِيرِ : بَلْ يَدْخُلُ الْكَبِيرُ فِي ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الْفَحْوَىٰ ، لِأَنَّهُ إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الطِّفْلِ الَّذِي هُوَ كَلٌّ عَلَىٰ أَبَوَيْهِ فَكَيْفَ لَا يَثْبُتُ فِي الْكَبِيرِ الَّذِي بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ وَوَصَلَ لَهُ مِنْهُ النَّفْعُ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْخِطَابُ بِالْحُقُوقِ" .

❁ **الْخَامِسُ** ❁ : مَنْ عَبَدَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَىٰ الزَّكَاةَ، وَسَمِعَ وَأَطَاعَ ، فقد روىٰ أحمد في " المسند" (٣٧/ ٤٢٨ برقم ٢٢٧٦٨) بسنده عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ عَبَدَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَىٰ الزَّكَاةَ، وَسَمِعَ وَأَطَاعَ، فَإِنَّ اللهَ يُدْخِلُهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ، وَلَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، وَمَنْ عَبَدَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَىٰ الزَّكَاةَ، وَسَمِعَ وَعَصَىٰ، فَإِنَّ اللهَ مِنْ أَمْرِهِ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ رَحِمَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ " . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن، ابن عياش -وهو إسماعيل- صدوق حسن الحديث في روايته عن الشاميين وهذا منها، وعقيل بن مدرك روىٰ عنه جمع وذكره ابن حبان في "الثقات"، وباقي رجاله ثقات. أبو اليمان: هو الحكم بن نافع. وأخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (٩٦٨) و (١٠٢٧) ، والبزار في "مسنده" (٢٧٠٤) ، والطبراني في "الشاميين" (١٦١١) من طرق عن إسماعيل بن عياش، بهذا الإسناد. ورواه محمد بن إسماعيل بن عياش، عن أبيه فجعله عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري، عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ابن أبي عاصم في "السنة" (١٠٤٧) . قلنا: ومحمد بن إسماعيل ضعيف " .

❁ **السَّادِسُ** ❁ : المَرْأَة التِيْ صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، فقد روى أحمد في " المسند " (٣/ ١٩٩ برقم ١٦٦١) بسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّة شِئْتِ " . قال الأرنؤوط : " حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح. ابن قارظ: هو إبراهيم بن عبد الله بن قارظ. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٤/ ٣٠٦ وزاد نسبته إلى الطبراني في "الأوسط". وله شاهد من حديث أبي هريرة عندَ ابن حبان (٤١٦٣) ، وآخر من حديث أنس بن مالك عند البزار (١٤٦٣) و (١٤٧٣) ، وأبي نعيم في "الحلية" ٦/ ٣٠٨ وسنده ضعيف، وثالث عن عبد الرحمن بن حَسَنة نسبه الهيثمي في "المجمع" ٤/ ٣٠٦ إلى الطبراني، وسنده ضعيف أيضاً، فالحديث يتقوى بهذه الشواهد " .

❁ **السَّابِعُ** ❁ : مَنْ لَقِيَ اللهَّ تَعَالَى لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَمْ يَتَنَدَّ بِدَمٍ حَرَامٍ ، فقد روى الحاكم في " المستدرك على الصَّحيحين " (٤/ ٣٩٢ برقم ٨٠٣٤ ، وقال الذهبي في التلخيص : صحيح) بسنده عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ تَعَالَى لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَمْ يَتَنَدَّ بِدَمٍ حَرَامٍ دَخَلَ الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّة شَاءَ " .

❁ **الثَّامِنُ** ❁ : مَنْ مَاتَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فقد روى أحمد في " المسند" (١/ ٢٥٦ برقم ٩٧) بسنده عَنْ شَهْرٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ مَاتَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، قِيلَ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّة الثَّمَانِيَةِ شِئْتَ " . قال الأرنؤوط : " حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف، مؤمل - وهو ابن إسماعيل - وإن كان سيئ الحفظ تابعه الطيالسي، لكن تبقى علَّة الحديث في شهر - وهو ابنُ حوشب - فقد وثقه جماعة والأكثر على تضعيفه. وأخرجه الطيالسي (٣٠) عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد. وفي الباب عن مولى لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيأتي في " المسند " ٣ / ٤٤٣ و٤ / ٢٣٧ ورجاله ثقات " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هُوَ مِفْتَاحُ الجَنَّة ؟

الجواب : جاء في صحيح البخاري (٢/ ٧١) : " وَقِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَلَيْسَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ" .

وروى البخاري (٢/ ٧١ برقم ١٢٣٧) بسنده عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي - أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي - أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّة " قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» .

وروى البخاري (٢/ ٧١ برقم ١٢٣٨) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهَّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهَّ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» وَقُلْتُ أَنَا: «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهَّ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ» .

قال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة " (ص١٠٥٢) : " الأسنان عبارة عن توحيد الله وعبادته جميعاً وعن توحيده أيضاً فقط.

قال الله تعالى : ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ [البقرة:٢٥] ، وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً**﴾ [الكهف:١٠٧] ، وهو في القرآن كثير الإيمان مع العمل " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُوَ أَفْضَلُ الخَلْقِ دَرَجَة ؟

الجواب : لا شكَّ في أنَّ أفضل الخلق درجة ، هو أفضل مخلوق ، وهو سيِّدُ الخلق محمَّد صلى الله عليه وسلَّم ، قال تعالى : ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُّ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ**﴾ [البقرة:٢٥٣] ، قال الإمام السَّمرقندي في " بحر العلوم" (١/ ١٦٦) : " قال الزَّجَّاج: جاء في التَّفسير أنَّه أراد محمَّداً صلى الله عليه وسلم، لأنَّه أرسله إلى النَّاس كافَّة. وليس شيء من الآيات التي أعطاها الله الأنبياء– عليهم السَّلام– إلَّا والذي أعطى محَمداً صلى الله عليه وسلم أكثر، لأَنه قد كلَّمته الشَّجرة، وأطعم من كفٍّ من التَّمر خلقاً كثيراً، وأمرَّ يده على شاة أمِّ معبد فدرَّت لبناً كثيراً بعد الجفاف، ومنها انشقاق القمر فذلك قوله: ﴿**وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ**﴾ [الزخرف: ٣٢] ، يعني محمَّداً صلى الله عليه وسلم" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٣/ ٢٦٤-٢٦٥) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ**﴾ ، قَالَ النَّحَّاسُ: بَعْضَهُمْ هُنَا عَلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالشَّعْبِيِّ وَمُجَاهِدٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شهر وأحلت لي الغنائم وأعطيت الشَّفَاعَةَ". وَمِنْ ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ وَتَكْلِيمُهُ الشَّجَرَ وَإِطْعَامُهُ الطَّعَامَ خَلْقًا عَظِيمًا مِنْ تُمَيْرَاتٍ وَدُرُورِ شَاةِ أُمِّ مَعْبَدٍ بَعْدَ جَفَافٍ. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ مَعْنَاهُ، وَزَادَ: وَهُوَ أَعْظَمُ النَّاسِ أُمَّةً وَخُتِمَ بِهِ النَّبِيُّونَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُّ" .

وروى البخاري (١/ ١٢٦ برقم ٦١٤) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ " .

وروى مسلم (١/ ١٢٦ برقم ٦١٤) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

قال الإمام ابن الأثير في " النِّهاية في غريب الحديث والأثر" (٥/ ١٨٥) : " الْوَسِيلَةَ: هِيَ فِي الأَصْل: مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْء ويُتَقَرَّبُ بِهِ، وجَمْعُها: وَسَائِل. يُقال: وَسَلَ إِلَيْهِ وَسِيلَةً، وتَوَسَّلَ. والمُراد بِهِ فِي الْحَدِيثِ القُرْبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وقِيل: هِيَ الشَّفاعة يومَ القِيامة. وقِيل: هِيَ مَنْزِلة مِنْ مَنازِل الجَنَّة كَمَا جاءَ فِي الْحَدِيثِ " .

قلت : وقد جاء تفسير الوسيلة فيما رواه مسلم (١/ ٢٨٨ برقم ٣٨٤) بسنده عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ " .

قال الإمام الطِّيبي في " شرح الطِّيبي على مشكاة المصابيح المسمَّى بـ (الكاشف عن حقائق السُّنن) " (١١/ ٣٦٥٠) : " ... الوسيلة : هي في الأصل ما يتوصَّل به إلى الشَّيء ويتقرَّب به، وجمعها: وسائل، يقال: وسل إليه وسيلة وتوسَّل ... وإنَّما طلب صلى الله عليه وسلم من أمَّته الدُّعاء له بطلب الوسيلة افتقاراً إلى الله وهضماً لنفسه، أو لتنفع أمَّته وتثاب به، أو يكون إرشاداً لهم في أن يطلب كلٌّ منهم من صاحبه الدُّعاء له " .

وقال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٢/ ٩٥) : " قَوْلُهُ الْوَسِيلَةَ هِيَ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْكَبِيرِ ، يُقَالُ : تَوَسَّلْتُ ، أَيْ : تَقَرَّبْتُ ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْمَنْزِلَةِ الْعَلِيَّةِ ، وَوَقَعَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عِنْدَ مُسْلِمٍ بِلَفْظِ : " فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّة لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ " الْحَدِيثَ ، وَنَحْوُهُ لِلْبَزَّارِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَيُمْكِنُ رَدُّهَا إِلَى الْأَوَّلِ بِأَنَّ الْوَاصِلَ إِلَى تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ ، فَتَكُونُ كَالْقُرْبَةِ الَّتِي يُتَوَسَّلُ بِهَا ، قَوْلُهُ : وَالْفَضِيلَةَ ، أَي : الْمَرْتَبَةَ الزَّائِدَةَ عَلَى سَائِرِ الْخَلَائِقِ وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ مَنْزِلَةً أُخْرَى أَوْ تَفْسِيرًا لِلْوَسِيلَةِ " .

وقد تضافرت الأدلَّة على أنَّ الرَّسول صلى الله عليه وسلم هو صاحب تلك المنزلة ، وأنَّه قال : " وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ " قبل أن يُخبر بأنَّه صاحبها ، قال الإمام أحمد بن عمر القرطبي في " المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٤/ ١٠٠) : " وقوله : " وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ "، قال هذا صلى الله عليه وسلم قبل

أن يُبان قوله له بأنَّه صاحبها ، إذ قد أخبر أنَّه يقوم مقامًا لا يقومه أحد غيره ، ويحمد الله بمحامد لم يُلْهمها أحد غيره ، ولكن مع ذلك فلا بدَّ من الدُّعاء فيها ؛ فإنَّ الله يزيده بكثرة دعاء أمَّته رفعة كما زاده بصلاتهم ، ثمَّ إنَّه يرجع ذلك عليهم بنيل الأجور ، ووجوب شفاعته صلى الله عليه وسلم " .

﴿سُؤالٌ﴾ : لِمَاذَا سُمِّيَتْ دَرَجَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالوَسِيْلَة ؟

الجواب : قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " " (ص٨٢-٨٣) : " سُمِّيت درجة النَّبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة لأنَّها أقرب الدَّرجات إلى عرش الرَّحمن ، وهي أقرب الدرجات إلى الله ، وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القُرب وهي فعيلة من وَسَل إليه إذا تقرَّب إليه ، قال لبيد:

بلى كلّ ذي رأي إلى الله واسل

ومعنى الوسيلة من الوصلة ، ولهذا كانت أفضل الجَنَّة وأشرفها وأعظمها نوراً .

وقال صالح بن عبد الكريم قال لنا فضيل بن عياض : أتدرون لم حسنت الجَنَّة ؟ لأنَّ عرش ربِّ العالمين سقفها . وقال الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عبَّاس : نور سقف مساكنكم نور عرشه .

وقال بكر عن أشعث عن الحسن : إنَّما سُمِّيت عدن لأنَّ فوقها العرش ، ومنه تفجَّر أنهار الجَنَّة للحور العدنيَّة الفضل على سائر الحور والقربى والزُّلفى واحد ، وإن كان في الوسيلة معنى التَّقرُّب إليه بأنواع الوسائل .

وقال الكلبي : اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصَّالحة ، وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كلَّ الكشف بقوله : **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَب﴾** [الإسراء:٥٧] ، فقوله : **﴿أَيُّهُمْ أَقْرَب﴾** هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله فيتنافسون في القُرب منه .

ولَمَّا كان رسول أعظم الخلق عبوديَّة لربِّه ، وأعلمهم به وأشدّهم له خشية ، وأعظمهم له محبَّة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله ، وهي أعلى درجة في الجَنَّة ، وأمر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أمَّته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدُّعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان .

وأيضا فإنَّ الله سبحانه قدَّرها له بأسباب ، منها : دعاء أمَّته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى صلوات الله وسلامه عليه .

وقوله : " حَلَّتْ عَلَيْه" ، يروى عليه وله ، فمن رواه باللام فمعناه حصلت له ، ومن رواه بـ : " على " فمعناه وقعت عليه شفاعتي ، والله أعلم" .

﴿سُؤالٌ﴾ : أَلَا يَتَعَارَضُ طَلَبُ الرَّسُوْلِ لِلْوَسِيْلَةِ مَعَ خُلُقِ الإِيْثَار ؟

الجواب : من المعلوم أنَّ الفوز بأعلى درجات الرِّضا من الله تعالى لا يُشرع فيه الإيثار ، بل يُشرع فيه غاية التَّنافس ، قال الله تعالى : **﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾** [المطففين:٢٢ – ٢٦] ، ودعانا إلى التَّسابق في نيل الرِّضا والمغفرة ، قال تعالى : **﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** [الحديد:٢١]

والإيثار لا يكون إلَّا بأعراض الدُّنيا الزَّائلة ، فالقُرب من الله تعالى يحتاج إلى الكدِّ والتَّعب ، لا إلى اللهو واللعب ، والرَّسول صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطَّر قدماه ...والمؤثر غيره بما عند الله تعالى راغب عمَّا آثر به غيره ، وهذا أمر لا يليق بمن أحبَّ الله تعالى ، لأنَّ الحبيب يطمح في القُرب من محبوبه ... قال الإمام الزَّركشي في " المنثور في القواعد الفقهيَّة " (١/٢١٢) : " قَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ فِي (الْقَوَاعِدِ) : لَا إيثَارَ فِي الْقُرُبَاتِ فَلَا إيثَارَ بِمَاءِ الْمُتَيَمِّمِ، وَلَا بِالصَّفِّ الْأَوَّلِ، وَلَا بِسَتْرِ الْعَوْرَةِ فِي الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ بِالْعِبَادَاتِ التَّعْظِيمُ وَالْإِجْلَالُ، فَمَنْ آثَرَ بِهِ فَقَدْ تَرَكَ إجْلَالَ الْإِلَهِ وَتَعْظِيمَهُ فَيَصِيرُ بِمَثَابَةِ مَنْ أَمَرَهُ سَيِّدُهُ بِأَمْرٍ فَتَرَكَهُ وَقَالَ لِغَيْرِهِ قُمْ بِهِ، فَإِنَّ هَذَا يُسْتَقْبَحُ عِنْدَ النَّاسِ بِتَبَاعُدِهِ مِنْ إجْلَالِ الْآمِرِ وَقُرْبِهِ " .

وقال الإمام ابن نُجيم في " الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ " (ص١٠١-١٠٢) : " وَقَالَ الشَّافِعِيَّةُ: الْإِيثَارُ فِي الْقُرَبِ مَكْرُوهٌ، وَفِي غَيْرِهَا مَحْبُوبٌ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾** ... وَقَالَ الْإِمَامُ: لَوْ دَخَلَ الْوَقْتُ، وَمَعَهُ مَاءٌ يَتَوَضَّأُ بِهِ فَوَهَبَهُ لِغَيْرِهِ؛ لِيَتَوَضَّأَ بِهِ لَمْ يَجُزْ، لَا أَعْرِفُ فِيهِ خِلَافًا؛ لِأَنَّ الْإِيثَارَ إنَّمَا يَكُونُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالنُّفُوسِ لَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْقُرَبِ، وَالْعِبَادَاتِ.

وَقَالَ فِي شَرْحِ الْمُهَذَّبِ فِي بَابِ الْجُمُعَةِ: لَا يُقَامُ أَحَدٌ مِنْ مَجْلِسِهِ لِيُجْلَسَ فِي مَوْضِعِهِ فَإِنْ قَامَ بِاخْتِيَارِهِ لَمْ يُكْرَهْ، فَإِنْ انْتَقَلَ إلَى أَبْعَدَ مِنْ الْإِمَامِ كُرِهَ.

قَالَ أَصْحَابُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ: لِأَنَّهُ آثَرَ بِالْقُرْبَةِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي الْفُرُوقِ: مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ وَقْتُ الصَّلَاةِ، وَمَعَهُ مَاءٌ يَكْفِيهِ بِطَهَارَتِهِ، وَهُنَاكَ مَنْ يَحْتَاجُهُ لِلطَّهَارَةِ لَمْ يَجُزْ لَهُ الْإِيثَارُ، وَلَوْ أَرَادَ الْمُضْطَرُّ إيثَارَ غَيْرِهِ بِالطَّعَامِ؛ لِاسْتِبْقَاءِ مُهْجَتِهِ كَانَ لَهُ ذَلِكَ، وَإِنْ خَافَ فَوَاتَ مُهْجَتِهِ، وَالْفَرْقُ أَنَّ الْحَقَّ فِي الطَّهَارَةِ لِلَّهِ تَعَالَى فَلَا يَسُوغُ فِيهِ " .

قلت : ونظير ذلك ما رواه مسلم (٤/ ١٨٥٠ برقم ٢٣٨٠) عَنْ أُبَيِّ بْنُ كَعْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّهُ بَيْنَمَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، وفيه : رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ مُوسَىٰ، لَوْلَا أَنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَىٰ الْعَجَبَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ ذَمَامَةٌ " ...

فالرَّسول صلىٰ الله عليه وسلم بدأ بالدُّعاء أوَّلاً لنفسه ، لأنَّ أمر الدُّعاء متعلِّقٌ بالآخرة ، قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (١٥/ ١٤٤) : " (رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ مُوسَىٰ قَالَ وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بَدَأَ بِنَفْسِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ أَخِي كَذَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا) قَالَ أَصْحَابُنَا فِيهِ اسْتِحْبَابُ ابْتِدَاءِ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ فِي الدُّعَاءِ وَشِبْهِهِ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ وَأَمَّا حُظُوظُ الدُّنْيَا فَالْأَدَبُ فِيهَا الْإِيثَارُ وَتَقْدِيمُ غَيْرِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ " .

وقال الإمام أحمد بن عمر القرطبي في " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (١٩/ ١١٨) : " وقوله : " رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ مُوسَىٰ " ؛ قال الرَّاوي : وكان إذا ذكر أحدًا من الأنبياء بدأ بنفسه . هذا إنَّما كان يفعله النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم في الأدعية وأشباهها ، ممَّا يعود عليه بالثَّواب والأجر الأخروي ، حرصًا علىٰ تحصيل المنازل الرَّفيعة عند الله تعالىٰ ، كما قال في الوسيلة : " إِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ " .

وحاصله : أنَّ القرب من الله تعالىٰ ، وثوابه ليس ممَّا يُؤثر الغير به بل تنبغي المنافسة فيه ، والمسابقة إليه ، بخلاف أمور الدُّنيا ، وحظوظها ؛ فإنَّ الفضل في تركها ، وإيثار الغير بما يجوز منها " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُودُ بـ الرَّبَض الوَارِد فِي الحَدِيْثِ الشَّرِيْف ؟

الجواب : روىٰ ابن حبَّان في " الصَّحيح" (١٠/ ٤٧٩ برقم ٤٦١٩) بسنده عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ الْجَنْبِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم يقول: "أَنَا زَعِيمٌ - وَالزَّعِيمُ: الْحَمِيلُ- لِمَنْ آمَنَ بِي، وَأَسْلَمَ، وَهَاجَرَ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ، وَبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَأَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي، وَأَسْلَمَ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ، وَبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَىٰ غُرَفِ الْجَنَّةِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَبًا، وَلَا مِنَ الشَّرِّ مَهْرَبًا، يَمُوتُ حَيْثُ شَاءَ أَنْ يَمُوتَ" . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير عمرو بن مالك الجنبي فقد روىٰ له أصحاب السُّنن وهو ثقة. أبو هانئ الخولاني: هو حميد بن هانئ. وأخرجه النسائي ٦/ ٢١ في الجهاد: باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد، عن الحارث بن مسكين، والطبراني ١٨/ ٨٠١ عن أحمد بن صالح، والبيهقي ٦/ ٧٢ عن بحر بن نصر الخولاني ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكيم، أربعتهم عن ابن وهب، بهذا الإسناد،

وصححه الحاكم على شرط مسلم ٢/ ٦١ و٧١ من طريقين عن ابن وهب به، ووافقه الذهبي، مع أن عمرو بن مالك الجنبي لم يخرج له مسلم" .

وروى أبو داود (٤/٢٥٣ برقم ٤٨٠٠) ، الدُّولابي في الكنى والأسماء" (٣/ ٩٣٩ برقم ١٦٤٣) ، الطَّبراني في " المعجم الكبير" (٨/ ٩٨ برقم ٧٤٨٨) ، مسند الشَّاميين (٢/ ٢٢٤ برقم ١٢٣٠) ، البيهقي في " السُّنن الكبرى "(١٠/ ٤٢٠ برقم ٢١١٧٦) بسندهم عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّة لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّة لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّة لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ. «

قال الإمام محمَّد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمَّد الأصبهاني في " المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث " (١/ ٧٢٤) : " في الحَدِيث: "أنا زَعِيمٌ بِبَيْت في رَبَض الجَنَّة لَمنْ تَرَكَ المِراءَ" رَبَض الجَنَّة: ما حَوْلَها، وما حَوْلَ المَدِينَةِ والمِصْرِ من المَسَاكِن أرباضٌ" .

وقال الإمام ابن الأثير في " النِّهاية في غريب الحديث والأثر " (٢/ ١٨٥) «أَنَا زَعيمٌ ببَيْت فِي رَبَضِ الجنَّة» هُوَ بِفَتْحِ الْبَاءِ: مَا حَوْلها خَارِجًا عَنْهَا، تَشْبيها بالأَبْنِيَة الَّتِي تَكُونُ حَوْلَ الْمُدُن وَتَحْتَ القِلاَع" .

وقال الإمام الزَّبيدي في " تاج العروس من جواهر القاموس " (١٨/ ٣٣٠) : " الرَّبَضُ: سُورُ المَدِينَة وَمَا حَوْلَهَا. وَمِنْه الحَدِيث أَنا زِعيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وأَسْلَم وهَاجَر بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّة وَقيل: الرَّبَض: الفَضَاءُ حَوْلَ المَدِينَة. ويُقال: نَزَلُوا فِي رَبَضِ المَدِينَةِ والقَصْرِ أَي مَا حَوْلَهَا من المَسَاك" .

قال صاحب " مشارق الأنوار الوهَّاجة ومطالع الأسرار البهَّاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه " (٢/ ١٢٨-١٢٩) : " (بُنِيَ) بالبناء للمفعول (لَهُ قَصْرٌ) مرفوع على أنَّه نائب فاعل "بُني": أي بنى الله سبحانه وتعالى له بيتًا (في رَبَضِ الجَنَّةِ) بفتحتين: أي نواحيها، وجوانبها، لا في وسطها، وليس المراد خارجًا عن الجَنَّة كما قيل. قال القاريّ رحمه الله تعالى: وأمَّا قول الشَّارح: هو ما حولها خارجًا عنها تشبيهًا بالأبنية التي حول المُدُن، وتحت القلاع، فهو صريح اللغة، لكنه غير صحيح المعنى، فإنَّه خلاف المنقول، ويؤدِّي إلى المنزلة بين المنزلتين حسَّاً كما قاله المعتزلة معنًى، فالصَّواب أنَّ المراد به أدناها كما يدلُّ عليه قوله: (وَمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ) بكسر الميم والمدّ: أي الجدال خوفًا من أن يقع صاحبه في اللَّجَاج الموقع في الباطل (وَهُوَ مُحِقٌّ) في ذلك الجدال، فتركه كسرًا لنفسه، كيلا يرتفع على خصمه، وأن لا يظهر فضله عليه، فتواضع في ذلك مع كونه مُحِقًا فيه.

قال الطِّيبيّ رحمه الله تعالىٰ: لا شكَّ أنَّ قوله: "وهو محقّ" حال من فاعل "ترك" وقع تتميمًا للمعنىٰ، ومبالغةً. وقوله: "من ترك الكذب، وهو باطلٌ" قرينة له، فينبغي مراعاة هذه الدَّقيقة. فالمعنىٰ: من ترك الكذب، والحال أنَّه عالمٌ ببطلانه في أمور الدِّين، لكن سنح له فيه منفعة دنيويَّة، فتركها كسرًا لهواه، وإيثارًا لرضى الله تعالىٰ علىٰ رضاه، بُني له بيتٌ في ربض الجنَّة. ولمّا كانت مكارم الأخلاق متضمّنةً لترك رذائلها، وللإتيان بمحاسنها عقّبهما بقوله: "ومن حسّن خلقه" تحليةً بعد التَّخلية.

قال الشَّيخ أبو حامد الغزاليّ رحمه الله تعالىٰ: حدُّ المراء: الاعتراض علىٰ كلام الغير بإظهار خلل فيه، إمَّا لفظًا، أو معنًىٰ، أو في قصد المتكلِّم، وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض، فكلُّ كلام سمعته، فإن كان حقًّا فصدِّق به، وإن كان باطلًا، ولم يكن متعلِّقًا بأمور الدِّين، فاسكت عنه" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ صِفَاتُ أَوَّل مَنْ يَدْخُلُوْنَ الجَنَّة ؟

الجواب : روىٰ البخاري (٨/ ١١٣ برقم ٦٥٤٢) ، مسلم (١/ ١٩٧ برقم ٢١٦) بسندهما سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، حَدَّثَهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ» وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ" .

وأمَّا أنَّهم متفاوتون في الإضاءة فيما بينهم ، فلما رواه مسلم (٤/ ٢١٧٩ برقم ٢٨٣٤) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ لَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبْزُقُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَىٰ خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ طُولِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا»، قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: عَلَىٰ خُلُقِ رَجُلٍ، وقَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: عَلَىٰ خَلْقِ رَجُلٍ، وقَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِمْ.

قال الإمام زين الدِّين العراقي في " طرح التَّثريب في شرح التَّقريب " (٨/ ٢٦٨) : " (الرَّابِعَةُ) قَوْلُهُ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ أَيْ عَلَىٰ صِفَتِهِ أَيْ إنَّهُمْ فِي إشْرَاقِ وُجُوهِهِمْ عَلَىٰ صِفَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ وَهِيَ لَيْلَةُ أَرْبَعَ عَشَرَةَ وَبِذَلِكَ سُمِّيَ الْقَمَرُ بَدْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي هَذَا الْمَعْنَىٰ مَا يَقْتَضِي مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ فَرَوَىٰ

التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مَرْفُوعًا «لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّة اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرَهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُوم " .

(الْخَامِسَةُ) اقْتَصَرَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ عَلَىٰ ذِكْرِ صِفَةِ الزُّمْرَةِ الْأُولَىٰ وَبَيَّنَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَىٰ أَنَّ الثَّانِيَةَ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إضَاءَةً، وَفِي الدُّرِّيِّ ثَلَاثُ لُغَاتٍ قُرِئَ بِهِنَّ فِي السَّبْعِ (الْأَكْثَرُونَ) دُرِّيٌّ بِضَمِّ الدَّالِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، وَالْيَاءِ بِلَا هَمْزٍ (وَالثَّانِيَةُ) بِضَمِّ الدَّالِ مَهْمُوزٌ مَمْدُودٍ (وَالثَّالِثَةُ) بِكَسْرِ الدَّالِ مَمْدُودٌ مَهْمُوزٌ، وَهُوَ الْكَوْكَبُ الْعَظِيمُ قِيلَ سُمِّيَ دُرِّيًّا لِبَيَاضِهِ كَالدُّرِّ وَقِيلَ لِإِضَاءَتِهِ وَقِيلَ لِشَبَهِهِ بِالدُّرِّ فِي كَوْنِهِ أَرْفَعَ مِنْ بَاقِي النُّجُومِ كَالدُّرِّ أَرْفَعُ الْجَوَاهِرِ وَبَيَّنَ بِقَوْلِهِ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ ، أَيْ إنَّ دَرَجَاتِهِمْ فِي إشْرَاقِ اللَّوْنِ مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ عُلُوِّ دَرَجَاتِهِمْ وَتَفَاوُتِ فَضْلِهِمْ " .

وروىٰ البخاري (٤/ ١١٨ برقم ٣٢٤٥) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَىٰ مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا " .

وروىٰ البخاري (٤/ ١٣٢ برقم ٣٣٢٧) ، مسلم (٤/ ٢١٧٩ برقم ٢٨٣٤) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ، عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَىٰ خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ" .

وروىٰ البخاري (٤/ ١١٩ برقم ٣٢٥٤) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لاَ تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَحَاسُدَ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الحُورِ العِينِ، يُرَىٰ مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ العَظْمِ وَاللَّحْمِ" .

وروىٰ أحمد في " المسند" (١٦/ ٣٤٩ برقم ١٠٥٩٣) بسنده نْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَهُ، فَإِمَّا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تَكَاثَرُوا ، فَقَالُوا : الرِّجَالُ فِي الجَنَّةِ أَكْثَرُ مِنَ النِّسَاءِ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَوَلَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ " إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ مِنْ أُمَّتِي تَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وُجُوهُهُمْ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالزُّمْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَىٰ أَضْوَإِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، يُرَىٰ مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ الْحُلَلِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا فِيهَا مِنْ أَعْزَبَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلِ الدُّخُوْلُ إِلَى الجَنَّة دُخُوْلٌ جَمَاعِي ؟

الجواب : نعم ، الدُّخول إلى الجَنَّة دخول جماعي زمراً زمراً ... قال تعالى : **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّة زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ * وَقالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّة حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ﴾** [الزمر:٧٣-٧٤].

وروى البخاري (٨/ ١١٤ برقم ٦٥٥٤) ، مسلم (١/ ١٩٨ برقم ٢١٩) بسندهما عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ - لاَ يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيُّهُمَا قَالَ - مُتَمَاسِكُونَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لاَ يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : أَيُّهُمَا أَسْبَقُ فِيْ دُخُوْلِ الجَنَّة : الفُقَرَاءُ أَمِ الأَغْنِيَاء ؟

الجواب : روى البخاري (٧/ ٣٠ برقم ٥١٩٦) ، مسلم (٤/ ٢٠٩٦ برقم ٢٧٣٦) بسنده عَنْ أُسَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ» .

وروى مسلم (٤/ ٢٢٨٥ برقم ٢٩٧٩) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى الجَنَّةِ، بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً» .

وروى أحمد في " المسند" (١٣/ ٣٢٨ برقم ٧٩٤٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الجَنَّة قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِخَمْسِ مِائَةِ عَامٍ " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن عمرو -وهو ابن علقمة بن وقاص الليثي-، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. وأخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٢٤٦، وابن ماجه (٤١٢٢) ، والترمذي (٢٣٥٣) و (٢٣٥٤) ، والنسائي في "الكبرى" (١١٣٤٨) ، وابن حبان (٦٧٦) ، وأبو نعيم ٧/ ٩١ و٨/ ٢١٢ و٢٥٠ من طرق عن محمد بن عمرو، بهذا الإسناد. قال الترمذي: حسن صحيح" .

قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح " (ص١١٨) : " ولكن ها هنا أمر يجب التَّنبيه عليه وهو أنَّه لا يلزم من سبقهم لهم في الدُّخول ارتفاع منازلهم عليهم ، بل قد يكون المتأخِّر أعلىٰ منزلة وإن سبقه غيره في الدُّخول ، والدليل علىٰ هذا أنَّ من الأمَّة من يدخل الجَنَّة بغير حساب ، وهم السَّبعون ألفاً ، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم ، والغني إذا حُوسب علىٰ غناه فوجد قد شكر الله تعالىٰ فيه ، وتقرَّب إليه بأنواع البر والخير والصَّدقة والمعروف ، كان أعلىٰ درجة من الفقير الذي سبقه في الدُّخول ولم يكن له تلك الأعمال ، ولا سيَّما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

فالمزيَّة مزيَّتان : مزيَّة سبق ومزيَّة رِفعة ، وقد يجتمعان وينفردان ، فيحصل الواحد السَّبق والرفعة ويعدمهما آخر ، ويحصل لآخر السَّبق دون الرِّفعة ولآخر الرِّفعة دون السَّبق ، وهذا بحسب المقتضىٰ للأمرين أو لأحدهما وعدمه ، وبالله التَّوفيق" .

ويدلُّ علىٰ ذلك ما رواه مسلم (٤١٦/١ برقم ٥٩٥) بسنده عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - وَهَذَا حَدِيثُ قُتَيْبَةَ - أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ» قَالُوا: بَلَىٰ، يَا رَسُولُ الله قَالَ: «تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً» قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» وَزَادَ غَيْرُ قُتَيْبَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَنِ اللَّيْثِ، عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، قَالَ سُمَيٌّ: فَحَدَّثْتُ بَعْضَ أَهْلِي هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ: وَهِمْتَ، إِنَّمَا قَالَ «تُسَبِّحُ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرُ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ» فَرَجَعْتُ إِلَىٰ أَبِي صَالِحٍ فَقُلْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ للهِّ، اللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ للهِّ، حَتَّىٰ تَبْلُغَ مِنْ جَمِيعِهِنَّ ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ. قَالَ ابْنُ عَجْلَانَ: فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ رَجَاءَ بْنَ حَيْوَةَ، فَحَدَّثَنِي بِمِثْلِهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ شَرَابِ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : لقد أخبرنا الله تعالى في كتابه العظيم عن شراب أهل الجَنَّة بما يُحيِّر الألباب ويدعو للعجب العُجاب ، فشرابهم الخمر واللبن والعسلِ والماء قال تعالى : **﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ﴾** [محمد:١٥] ، وقال تعالى : **﴿يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لا فِيها غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ﴾** [الصافات:٤٥-٤٧] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٥/ ٧٧-٧٨) : " وَالْكَأْسُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ اسْمٌ شَامِلٌ لِكُلِّ إِنَاءٍ مَعَ شَرَابِهِ، فَإِنْ كَانَ فَارِغًا فَلَيْسَ بِكَأْسٍ. قَالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ: كُلُّ كَأْسٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ الْخَمْرُ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْإِنَاءِ إِذَا كَانَ فِيهِ خَمْرٌ كَأْسٌ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ خَمْرٌ قَالُوا إِنَاءٌ وَقَدَحٌ. النَّحَّاسُ: وَحَكَى مَنْ يُوثَقُ بِهِ من أهل اللغة أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ لِلْقَدَحِ إِذَا كَانَ فِيهِ خَمْرٌ: كَأْسٌ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ خَمْرٌ فَهُوَ قَدَحٌ، كَمَا يُقَالُ لِلْخِوَانِ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ طَعَامٌ: مَائِدَةٌ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ طَعَامٌ لَمْ تَقُلْ لَهُ مَائِدَةٌ. قَالَ أَبُو الحسن ابن كَيْسَانَ: وَمِنْهُ ظَعِينَةٌ لِلْهَوْدَجِ إِذَا كَانَ فِيهِ الْمَرْأَةُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: **﴿بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾** ، أَيْ : مِنْ خَمْرٍ تَجْرِي كَمَا تَجْرِي الْعُيُونُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. وَالْمَعِينُ: الْمَاءُ الْجَارِي الظَّاهِرُ **﴿بَيْضاءَ﴾** صِفَةٌ لِلْكَأْسِ. وَقِيلَ: لِلْخَمْرِ : **﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾** ، قَالَ الْحَسَنُ: خَمْرُ الجَنَّة أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ. **﴿لَذَّةٍ﴾** قَالَ الزَّجَّاجُ: أَيْ ذَاتِ لَذَّةٍ فَحُذِفَ الْمُضَافُ. وَقِيلَ: هُوَ مَصْدَرٌ جُعِلَ اسْمًا أَيْ بيضا لَذِيذَةٌ، يُقَالُ شَرَابٌ لَذٌّ وَلَذِيذٌ، مِثْلَ نَبَاتٍ غض وغضيض. فأما قول القائل:

ولذ كطعم الصَّرخدي تركته وبأرض الْعِدَا مِنْ خَشْيَةِ الْحَدَثَانِ

فَإِنَّهُ يُرِيدُ النَّوْمَ. وَقِيلَ: **﴿بَيْضاءَ﴾** ، أَيْ : لَمْ يَعْتَصِرْهَا الرِّجَالُ بِأَقْدَامِهِمْ . **﴿لا فِيها غَوْلٌ﴾** ، أَيْ : لَا تَغْتَالُ عُقُولَهُمْ، وَلَا يُصِيبُهُمْ مِنْهَا مَرَضٌ وَلَا صُدَاعٌ . **﴿وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ﴾** ، أَيْ : لَا تَذْهَبُ عُقُولُهُمْ بِشُرْبِهَا" .

فخمر الجَنَّة خالٍ من الآفات والعيوب والمفاسد وذهاب العقل؛ فهو يختلف اختلافاً كليّاً عن خمر الدُّنيا ... بل **﴿شَرَاباً طَهُوْرَاً﴾** [الإنسان:٢١] ، أي : هو طهور ، سيعملُ على تطهير المؤمنين من سائر الأخلاق الرَّديئة المرذولة...

وقال تعالى : **﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوابٍ وَأَبارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لا يُصَدَّعُونَ عَنْها وَلا يُنْزِفُونَ ﴾** [الواقعة:١٧-١٩] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ٢٠٣) : " وَالْأَبَارِيقُ الَّتِي لَهَا عُرًى وَخَرَاطِيمُ وَاحِدُهَا إِبْرِيقٌ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَبْرُقُ لَوْنُهُ مِنْ صَفَائِهِ."

وقال في (١٦/١١٣-١١٤) : " قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْكُوبُ كُوزٌ لَا عُرْوَةَ لَهُ، والجمع أكواب. قال الأعشى يصف الخمر صِرِيفِيَّةٌ طَيِّبٌ طَعْمُهَا　　لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنِّ

وَقَالَ آخَرُ:

مُتَّكِئًا تَصْفِقُ أَبْوَابُهُ　　يَسْعَى عَلَيْهِ الْعَبْدُ بِالْكُوبِ

وَقَالَ قَتَادَةُ: الْكُوبُ الْمُدَوَّرُ الْقَصِيرُ الْعُنُقِ الْقَصِيرُ الْعُرْوَةِ. وَالْإِبْرِيقُ الْمُسْتَطِيلُ الْعُنُقِ الطَّوِيلُ الْعُرْوَةِ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: الْأَكْوَابُ الْأَبَارِيقُ الَّتِي لا خراطيم لها. وقال قطرب: هي الْأَبَارِيقُ الَّتِي لَيْسَتْ لَهَا عُرًى. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّهَا الْآنِيَةُ الْمُدَوَّرَةُ الْأَفْوَاهِ. السُّدِّيُّ: هِيَ الَّتِي لَا آذَانَ لَهَا. ابْنُ عَزِيزٍ:" أَكْوابٍ" أَبَارِيقُ لَا عُرًى لَهَا وَلَا خَرَاطِيمَ، وَاحِدُهَا كُوبٌ. قُلْتُ: وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَالسُّدِّيِّ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّهَا الَّتِي لَا آذَانَ لَهَا وَلَا عُرًى " .

وقال تعالى : ﴿**يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوابٍ**﴾ [الزخرف:٧١] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٦/ ١١١-١١٢) : " أَيْ : لَهُمْ فِي الجَنَّة أَطْعِمَةٌ وَأَشْرِبَةٌ يُطَافُ بِهَا عَلَيْهِمْ فِي صِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ. وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَطْعِمَةَ وَالْأَشْرِبَةَ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا مَعْنَى لِلْإِطَافَةِ بِالصِّحَافِ وَالْأَكْوَابِ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يكون فيها شي. وَذَكَرَ الذَّهَبَ فِي الصِّحَافِ وَاسْتَغْنَى بِهِ عَنِ الإعادة في الأكواب، كقوله تعالى: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ**﴾ [الأحزاب: ٣٥] . وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:"لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ " . وَقَدْ مَضَى فِي سُورَةِ" الْحَجِّ" أَنَّ مَنْ أَكَلَ فِيهِمَا فِي الدُّنْيَا أَوْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَتُبْ حُرِمَ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ تَحْرِيمًا مُؤَبَّدًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ: يَطُوفُ عَلَى أَدْنَاهُمْ فِي الجَنَّة مَنْزِلَةً سَبْعُونَ أَلْفَ غُلَامٍ بِسَبْعِينَ أَلْفَ صَحْفَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، يُغْدَى عَلَيْهِ بِهَا، فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا لَوْنٌ لَيْسَ فِي صَاحِبَتِهَا، يَأْكُلُ مِنْ آخِرِهَا كَمَا يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يَجِدُ طَعْمَ أَوَّلِهَا، لا يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُرَاحُ عَلَيْهِ بِمِثْلِهَا. وَيَطُوفُ عَلَى أَرْفَعِهِمْ دَرَجَةً كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُمِائَةِ أَلْفِ غُلَامٍ، مَعَ كُلِّ غُلَامٍ صَحْفَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، فِيهَا لَوْنٌ مِنَ الطَّعَامِ لَيْسَ فِي صَاحِبَتِهَا، يَأْكُلُ مِنْ آخِرِهَا كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كَمَا يَجِدُ طَعْمَ أَوَّلِهَا، لَا يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

"وَأَكْوابٍ" أَيْ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَكْوَابٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ**﴾ [الإنسان: ١٥] ، وَذَكَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ رَجُلٍ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: يُؤْتَوْنَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَإِذَا كَانَ

فِي آخِرِ ذَلِكَ أُوتُوا بِالشَّرَابِ الطَّهُورِ فَتَضْمَرُ لِذَلِكَ بُطُونُهُمْ، وَيُفِيضُ عَرَقًا مِنْ جُلُودِهِمْ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، ثُمَّ قرأ ﴿**شَراباً طَهُوراً**﴾ [الإنسان: ٢١] . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ" ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، قَالُوا فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ وَالتَّكْبِيرَ- فِي رِوَايَةٍ- كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ " .

وأشار القرآن إلى أنَّ الكؤوس المقدَّمة لأهل الجنَّة تكون ممزوجة بالكافور والزَّنجبيل ، قال تعالى : إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً [الإنسان:٥] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ١٢٥) : " كافوراً ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ اسْمُ عَيْنِ مَاءٍ فِي الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ عَيْنُ الْكَافُورِ. أَيْ يُمَازِجُهُ مَاءُ هَذِهِ الْعَيْنِ الَّتِي تُسَمَّى كَافُورًا. وَقَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ: تُمْزَجُ لَهُمْ بِالْكَافُورِ وَتُخْتَمُ بِالْمِسْكِ. وَقَالَهُ مُجَاهِدٌ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: مِزَاجُهَا طَعْمُهَا. وَقِيلَ: إِنَّمَا الْكَافُورُ فِي رِيحِهَا لَا فِي طَعْمِهَا " .

وقال تعالى : ﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلاً**﴾ [الإنسان:١٧] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ١٤١-١٤٢) : " قَوْلُهُ تَعَالَى :وَيُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً ، وَهِيَ الْخَمْرُ فِي الْإِنَاءِ. كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلًا كانَ صِلَةٌ، أَيْ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلٌ، أَوْ كَانَ فِي حُكْمِ اللَّهِ زنجبيلا. وكانت العرب تستلذ من الشَّرَابِ مَا يُمْزَجُ بِالزَّنْجَبِيلِ لِطِيبِ رَائِحَتِهِ، لِأَنَّهُ يَحْذُو اللِّسَانَ، وَيَهْضِمُ الْمَأْكُولَ، فَرُغِّبُوا فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ بِمَا اعْتَقَدُوهُ نِهَايَةَ النِّعْمَةِ وَالطِّيبِ. وَقَالَ الْمُسَيَّبُ بْنُ عَلَسٍ يَصِفُ ثَغْرَ الْمَرْأَةِ:

وَكَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ بِهِ   إِذْ ذُقْتَهُ وَسَلَافَةَ الْخَمْرِ

وَيُرْوَى. الْكَرْمُ. وَقَالَ آخَرُ:

كَأَنَّ جَنِيًّا مِنَ الزَّنْجَبِي   لِ بَاتَ بِفِيهَا وَأَرْيًا مَشُورًا

وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْأَعْشَى:

كَأَنَّ الْقُرُنْفُلَ وَالزَّنْجَبِي   لَ بَاتَا بِفِيهَا وَأَرْيًا مَشُورًا

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الزَّنْجَبِيلُ اسْمٌ لِلْعَيْنِ الَّتِي مِنْهَا مِزَاجُ شَرَابِ الْأَبْرَارِ. وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ: وَالزَّنْجَبِيلُ اسْمُ الْعَيْنِ الَّتِي يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا وَتُمْزَجُ لِسَائِرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَقِيلَ: هِيَ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ يُوجَدُ فِيهَا طَعْمُ الزَّنْجَبِيلِ. وَقِيلَ: إِنَّ فِيهِ مَعْنَى الشَّرَابِ الْمَمْزُوجِ بِالزَّنْجَبِيلِ. وَالْمَعْنَى كَأَنَّ فِيهَا زَنْجَبِيلًا " .

ثمَّ بيّن أنَّ الكأس إذا شرب ما فيه انختم بخاتم المسك ، قال تعالى : ﴿خِتامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين:٢٦] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ٢٦٥) : "قَالَ مُجَاهِدٌ: يُخْتَمُ بِهِ آخِرُ جَرْعَةٍ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى إِذَا شَرِبُوا هَذَا الرَّحِيقَ فَفَنِيَ مَا فِي الْكَأْسِ، انْخَتَمَ ذَلِكَ بِخَاتَمِ الْمِسْكِ. وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ: يَجِدُونَ عَاقِبَتَهَا طَعْمَ الْمِسْكِ. وَنَحْوَهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ قَالَا: خِتَامُهُ آخِرُ طَعْمِهِ. وَهُوَ حَسَنٌ، لِأَنَّ سَبِيلَ الْأَشْرِبَةِ أَنْ يَكُونَ الْكَدِرُ فِي آخِرِهَا، فَوُصِفَ شَرَابُ أَهْلِ الجَنَّة بِأَنَّ رَائِحَةَ آخِرِهِ رَائِحَةُ الْمِسْكِ " .

كما بيَّنت الآيات أنَّ الكؤوس المقدَّمة تكون مملوءة ومتتابعة ، قال تعالى : ﴿وَكَأْساً دِهاقاً﴾ [النبأ:٣٤] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ١٨٣) : " قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ: مُتْرَعَةٌ مَمْلُوءَةٌ، يُقَالُ: أَدْهَقْتُ الْكَأْسَ: أَيْ مَلَأْتُهَا، وَكَأْسٌ دِهَاقٌ أَيْ مُمْتَلِئَةٌ، ... وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ وَابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا: مُتَتَابِعَةً، يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا " .

وذكر القرآن أنَّ ما سلف من الأواني يتنازعها المؤمن وزوجاته في الجَنَّة ، قال تعالى : ﴿يَتَنازَعُونَ فِيها كَأْساً لا لَغْوٌ فِيها وَلا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور:٣٣] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ٦٨) : " أَيْ : يَتَنَاوَلُهَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ وَزَوْجَاتُهُ وَخَدَمُهُ فِي الجَنَّة " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذا عَنْ طَعَامِ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : قال تعالى : ﴿لَكُمْ فِيها فاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْها تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف:٧٣] . قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (١٦/ ١١٥) : " الْفَاكِهَةُ مَعْرُوفَةٌ، وَأَجْنَاسُهَا الْفَوَاكِهُ، وَالْفَاكِهَانِيُّ الَّذِي يَبِيعُهَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ الثِّمَارُ كُلُّهَا، رَطْبُهَا وَيَابِسُهَا، أَيْ لَهُمْ فِي الجَنَّة سِوَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فاكهة كثيرة يأكلون منها " .

وقال تعالى : ﴿وَفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢٠-٢١] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" : " وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: مَا وَجْهُ الْجَرِّ، وَالْفَاكِهَةُ لَا يَطُوفُ بِهَا الْوِلْدَانُ وَالْعَطْفُ يَقْتَضِي ذَلِكَ؟ نَقُولُ: الْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْفَاكِهَةَ وَاللَّحْمَ فِي الدُّنْيَا يُطْلَبَانِ فِي حَالَتَيْنِ أَحَدُهُمَا: حَالَةُ الشُّرْبِ وَالْأُخْرَى حَالُ عَدَمِهِ، فَالْفَاكِهَةُ مِنْ رُءُوسِ الْأَشْجَارِ تُؤْخَذُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُطُوفُها دانِيَةٌ﴾ [الحَاقَّة: ٢٣] ، وَقَالَ: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٥٤] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَأَمَّا حَالَةُ الشَّرَابِ فَجَازَ أَنْ يَطُوفَ بِهَا الْوِلْدَانُ، فَيُنَاوِلُوهُمُ الْفَوَاكِهَ الْغَرِيبَةَ وَاللُّحُومَ الْعَجِيبَةَ لَا لِلْأَكْلِ بَلْ لِلْإِكْرَامِ، كَمَا يَضَعُ الْمُكْرِمُ لِلضَّيْفِ أَنْوَاعَ الْفَوَاكِهِ بِيَدِهِ عِنْدَهُ وَإِنْ كَانَ

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُشَارِكًا لِلْآخَرِ فِي الْقُرْبِ مِنْهَا وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ عَطْفًا فِي الْمَعْنَى عَلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، أَيْ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتٍ وَفَاكِهَةٍ، وَلَحْمٍ وَحُورٍ، أَيْ فِي هَذِهِ النِّعَمِ يَتَقَلَّبُونَ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ عَطْفٌ فِي اللَّفْظِ لِلْمُجَاوَرَةِ لا فِي الْمَعْنَى، وَكَيْفَ لَا يَجُوزُ هَذَا، وَقَدْ جَازَ تَقَلَّدَ سَيْفًا وَرُمْحًا.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: هَلْ فِي تَخْصِيصِ التَّخْيِيرِ بِالْفَاكِهَةِ وَالِاشْتِهَاءِ بِاللَّحْمِ بَلَاغَةٌ؟ قُلْتُ: وَكَيْفَ لَا وَفِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ بَلَاغَةٌ وَفَصَاحَةٌ، وَإِنْ كَانَ لَا يُحِيطُ بِهَا ذِهْنِيَ الْكَلِيلُ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا عِلْمِيَ الْقَلِيلُ، وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي فِيهِ أَنَّ اللَّحْمَ وَالْفَاكِهَةَ إِذَا حَضَرَا عِنْدَ الْجَائِعِ تَمِيلُ نَفْسُهُ إِلَى اللَّحْمِ، وَإِذَا حَضَرَا عِنْدَ الشَّبْعَانِ تَمِيلُ إِلَى الْفَاكِهَةِ، وَالْجَائِعُ مُشْتَهٍ وَالشَّبْعَانُ غَيْرُ مُشْتَهٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مُخْتَارٌ إِنْ أَرَادَ أَكَلَ، وَإِنْ لَمْ يُرِدْ لَا يَأْكُلُ، وَلَا يُقَالُ فِي الْجَائِعِ إِنْ أَرَادَ أَكَلَ لِأَنَّ إِنْ لَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى الْمَشْكُوكِ، إِذَا عُلِمَ هَذَا ثَبَتَ أَنَّ فِي الدُّنْيَا اللَّحْمَ عِنْدَ الْمُشْتَهِي مُخْتَارٌ وَالْفَاكِهَةَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُشْتَهِي مُخْتَارَةٌ وَحِكَايَةُ الْجَنَّةِ عَلَى مَا يُفْهَمُ فِي الدنيا فخص اللَّحْمُ بِالِاشْتِهَاءِ وَالْفَاكِهَةُ بِالِاخْتِيَارِ، وَالتَّحْقِيقُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ أَنَّ الِاخْتِيَارَ هُوَ أَخْذُ الْخَيْرِ مِنْ أَمْرَيْنِ وَالْأَمْرَانِ اللَّذَانِ يَقَعُ فِيهِمَا الِاخْتِيَارُ في الظاهر لا يكون للمختار أو لا مَيْلٌ إِلَى أَحَدِهِمَا، ثُمَّ يَتَفَكَّرُ وَيَتَرَوَّى، وَيَأْخُذُ مَا يُغَلِّبُهُ نَظَرُهُ عَلَى الْآخَرِ فَالتَّفَكُّهُ هُوَ مَا يَكُونُ عِنْدَ عَدَمِ الْحَاجَةِ، وَأَمَّا إِنِ اشْتَهَى وَاحِدٌ فَاكِهَةً بِعَيْنِهَا فَاسْتَحْضَرَهَا وَأَكَلَهَا فَهُوَ لَيْسَ بِمُتَفَكِّهٍ وَإِنَّمَا هُوَ دَافِعُ حَاجَةٍ، وَأَمَّا فَوَاكِهُ الْجَنَّةِ تَكُونُ أَوَّلًا عِنْدَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ سَبْقِ مَيْلٍ مِنْهُمْ إِلَيْهَا ثُمَّ يَتَفَكَّهُونَ بِهَا عَلَى حَسَبِ اخْتِيَارِهِمْ، وَأَمَّا اللَّحْمُ فَتَمِيلُ أَنْفُسُهُمْ إِلَيْهِ أَدْنَى مَيْلٍ فَيَحْضُرُ عِنْدَهُمْ، وَمَيْلُ النَّفْسِ إِلَى الْمَأْكُولِ شَهْوَةٌ، وَيَدُلُّ عَلَى هذا قوله تعالى: **﴿قُطُوفُها دانِيَةٌ﴾** [الحاقة: ٢٣] ، وقوله: **﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ﴾** [الرحمن: ٥٤] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾** [الواقعة: ٣٢- ٣٣] ، فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا دَائِمَةُ الْحُضُورِ.

وَأَمَّا اللَّحْمُ فَالْمَرْوِيُّ أَنَّ الطَّائِرَ يَطِيرُ فَتَمِيلُ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ إِلَى لَحْمِهِ فَيَنْزِلُ مَشْوِيًّا وَمَقْلِيًّا عَلَى حَسَبِ مَا يَشْتَهِيهِ، فَالْحَاصِلُ أَنَّ الْفَاكِهَةَ تَحْضُرُ عِنْدَهُمْ فَيَتَخَيَّرُ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ الْحُضُورِ وَاللَّحْمُ يَطْلُبُهُ الْمُؤْمِنُ وَتَمِيلُ نَفْسُهُ إِلَيْهِ أَدْنَى مَيْلٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَاكِهَةَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ بِحُضُورِهَا، وَاللَّحْمُ لَا تَلَذُّ الْأَعْيُنُ بِحُضُورِهِ، ثُمَّ إِنَّ فِي اللَّفْظِ لَطِيفَةً، وَهِيَ أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَمْ يَقُلْ: مِمَّا يَخْتَارُونَ مَعَ قُرْبِ أَحَدِهِمَا إِلَى الْآخَرِ فِي الْمَعْنَى، وَهُوَ أَنَّ التَّخَيُّرَ مِنْ بَابِ التَّكَلُّفِ فَكَأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مَا يَكُونُ فِي نِهَايَةِ الْكَمَالِ، وَهَذَا لَا يُوجَدُ إِلَّا مِمَّنْ لَا يَكُونُ لَهُ حَاجَةٌ وَلَا اضْطِرَارٌ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: مَا الْحِكْمَةُ فِي تَقْدِيمِ الْفَاكِهَةِ عَلَى اللَّحْمِ؟ نَقُولُ: الْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: الْعَادَةُ فِي الدُّنْيَا التَّقْدِيمُ لِلْفَوَاكِهِ فِي الْأَكْلِ وَالْجَنَّةُ وُضِعَتْ بِمَا عُلِمَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَوْصَافِ وَعَلَى مَا عُلِمَ فِيهَا، وَلَا سِيَّمَا عَادَةُ أَهْلِ الشُّرْبِ وَكَأَنَّ الْمَقْصُودَ بَيَانُ حَالِ شُرْبِ أَهْلِ الْجَنَّة .

وَثَانِيهَا: الْحِكْمَةُ فِي الدُّنْيَا تَقْتَضِي أَكْلَ الْفَاكِهَةِ أَوَّلًا لِأَنَّهَا أَلْطَفُ وَأَسْرَعُ انْحِدَارًا وَأَقَلُّ حَاجَةً إِلَى الْمُكْثِ الطَّوِيلِ فِي الْمَعِدَةِ لِلْهَضْمِ، وَلِأَنَّ الْفَاكِهَةَ تُحَرِّكُ الشَّهْوَةَ لِلْأَكْلِ وَاللَّحْمُ يَدْفَعُهَا.

وَثَالِثُهَا: يَخْرُجُ مِمَّا ذَكَرْنَا جَوَابًا خَلَا عَنْ لَفْظِ التَّخْيِيرِ وَالِاشْتِهَاءِ هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ أَنَّ الْفَاكِهَةَ دَائِمَةُ الْحُضُورِ وَالْوُجُودِ، وَاللَّحْمَ يُشْتَهَى وَيَحْضُرُ عِنْدَ الِاشْتِهَاءِ دَلَّ هَذَا عَلَى عَدَمِ الْجُوعِ لِأَنَّ الْجَائِعَ حَاجَتُهُ إِلَى اللَّحْمِ أَكْثَرُ مِنَ اخْتِيَارِهِ اللَّحْمَ فَقَالَ: وَفاكِهَةٍ لِأَنَّ الْحَالَ فِي الْجَنَّة يُشْبِهُ حَالَ الشَّبْعَانِ فِي الدُّنْيَا فَيَمِيلُ إِلَى الْفَاكِهَة ".

وقال تعالى : **﴿وَأَمْدَدْناهُمْ بِفاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾** [الطور:٢٢] ، قال الإمام الشّنقيطي في " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (٧/ ٤٥٤) : " لَمْ يُذْكَرْ هُنَا شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ هَذِهِ الْفَاكِهَةِ وَلَا هَذَا اللَّحْمِ إِلَّا أَنَّهُ مِمَّا يَشْتَهُونَ، وَقَدْ بَيَّنَ صِفَاتِ هَذِهِ الْفَاكِهَةِ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ [الواقعة:٣٢-٣٣] ، وَبَيَّنَ أَنَّهَا أَنْوَاعٌ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ كَقَوْلِهِ: **﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾** [محمد:١٥] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾** [البقرة:٢٥] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾** [الصافات:٤١-٤٢] ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَوَصَفَ اللَّحْمَ الْمَذْكُورَ بِأَنَّهُ مِنَ الطَّيْرِ، وَالْفَاكِهَةَ بِأَنَّهَا مِمَّا يَتَخَيَّرُونَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ " .

وزيادة على ذلك كلّه فإنَّ أهل الجنَّة **﴿كُلَّما رُزِقُوا مِنها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً﴾** [البقرة:٢٥] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١/ ٢٤٠) : " وَمَعْنَى **﴿مِنْ قَبْلُ﴾** يَعْنِي فِي الدُّنْيَا، وَفِيهِ وَجْهَانِ :

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ قَالُوا هَذَا الَّذِي وُعِدْنَا بِهِ فِي الدنيا .

وَالثَّانِي: هذا الذي رزقنا الدُّنْيَا، لِأَنَّ لَوْنَهَا يُشْبِهُ لَوْنَ ثِمَارِ الدُّنْيَا، فَإِذَا أَكَلُوا وَجَدُوا طَعْمَهُ غَيْرَ ذَلِكَ وَقِيلَ:" مِنْ قَبْلُ" يَعْنِي فِي الْجَنَّة لِأَنَّهُمْ يُرْزَقُونَ ثُمَّ يُرْزَقُونَ، فَإِذَا أُتُوا بِطَعَامٍ وَثِمَارٍ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَكَلُوا مِنْهَا، ثُمَّ أُتُوا مِنْهَا فِي آخِرِ النَّهَارِ قَالُوا: هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ، يَعْنِي أُطْعِمْنَا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، لِأَنَّ لَوْنَهُ يُشْبِهُ ذَلِكَ، فَإِذَا أَكَلُوا مِنْهَا وَجَدُوا لَهَا طَعْمًا غَيْرَ طَعْمِ الْأَوَّلِ. **﴿وَأُتُوا﴾** فُعِلُوا مِنْ أَتَيْتُ. وَقَرَأَهُ الْجَمَاعَةُ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالتَّاءِ.

وَقَرَأَ هَارُونُ الْأَعْوَرُ" وَأُتُوا" بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالتَّاءِ. فَالضَّمِيرُ فِي الْقِرَاءَةِ الْأُولَى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَفِي الثَّانِيَةِ لِلْخُدَّامِ. **﴿بِهِ مُتَشابِهاً﴾** حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي **﴿بِهِ﴾** ، أَيْ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْمَنْظَرِ وَيَخْتَلِفُ فِي الطَّعْمِ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَغَيْرُهُمْ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: يُشْبِهُ ثَمَرَ الدُّنْيَا وَيُبَايِنُهُ فِي جُلِّ الصِّفَاتِ. ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ، وَلَيْسَ فِي الدنيا شيء مِمَّا فِي الجَنَّة سِوَى الْأَسْمَاءِ، فَكَأَنَّهُمْ تَعَجَّبُوا لِمَا رَأَوْهُ مِنْ حُسْنِ الثَّمَرَةِ وَعِظَمِ خَلْقِهَا " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (١/ ٢٠٤-٢٠٥) : " قَالَ السُّدِّيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ مُرّة عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: **﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾** قَالَ: إِنَّهُمْ أُتُوا بِالثَّمَرَةِ فِي الْجَنَّةِ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهَا قَالُوا: هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا.

وَهَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَنَصَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ : **﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾** ، قَالَ: مَعْنَاهُ: مِثْلُ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ، وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَقُولُونَ: مَا أَشْبَهَهُ بِهِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ تَأْوِيلُ ذَلِكَ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ ثِمَارِ الجَنَّة مِنْ قَبْلِ هَذَا لِشَدَّةِ مُشَابَهَةِ بَعْضِهِ بَعْضًا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾** ، قَالَ سُنَيْد بْنُ دَاوُدَ: حَدَّثَنَا شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ المِصِّيصة، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: يُؤْتَى أَحَدُهُمْ بِالصَّحْفَةِ مِنَ الشَّيْءِ، فَيَأْكُلُ مِنْهَا ثُمَّ يُؤْتَى بِأُخْرَى فَيَقُولُ: هَذَا الَّذِي أُوتِينَا بِهِ مِنْ قَبْلُ. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: كُلْ، فَاللَّوْنُ وَاحِدٌ، وَالطَّعْمُ مُخْتَلِفٌ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا عَامِرُ بْنُ يَسَاف، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: عُشْبُ الجَنَّة الزَّعْفَرَانُ، وَكُثْبَانُهَا الْمِسْكُ، وَيَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْوِلْدَانُ بِالْفَوَاكِهِ فَيَأْكُلُونَهَا ثُمَّ يُؤْتَوْنَ بِمِثْلِهَا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَذَا الَّذِي أَتَيْتُمُونَا آنِفًا بِهِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْوِلْدَانُ: كُلُوا، فَإِنَّ اللَّوْنَ وَاحِدٌ، وَالطَّعْمُ مُخْتَلِفٌ. وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: **﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾** .

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: **﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾** ، قَالَ: يشبه بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيَخْتَلِفُ فِي الطَّعْمِ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَالسُّدِّيِّ نَحْوُ ذَلِكَ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ بِإِسْنَادِهِ عَنِ السُّدِّيِّ فِي تَفْسِيرِهِ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ مُرَّةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾** ، يَعْنِي: فِي اللَّوْنِ وَالْمَرْأَى، وَلَيْسَ يَشْتَبِهُ فِي الطَّعْمِ ، وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: **﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾** ، قَالَ: يُشْبِهُ ثَمَرَ الدُّنْيَا، غَيْرَ أَنَّ ثَمَرَ الجَنَّةِ أَطْيَبُ.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي ظِبْيَان، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، لَا يُشْبِهُ شَيْءٌ مِمَّا فِي الجَنَّةِ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا فِي الْأَسْمَاءِ، وفِي رِوَايَةٍ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، مِنْ رِوَايَةِ الثَّوْرِيِّ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهِ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ: **﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾** ، قَالَ: يَعْرِفُونَ أَسْمَاءَهُ كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا: التُّفَّاحُ بِالتُّفَّاحِ، وَالرُّمَّانُ بِالرُّمَّانِ، قَالُوا فِي الْجَنَّةِ: هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ فِي الدُّنْيَا، وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا، يَعْرِفُونَهُ وَلَيْسَ هُوَ مِثْلَهُ فِي الطَّعْمِ " .

ومن طعام أهل الجَنَّة : زيادة كبد الحوت ليأكلوها وبذلك تكون أوَّل طعام أهل الجَنَّة ، وفي ذلك روى البخاري (٨/ ١٠٨ برقم ٦٥٢٠) ، مسلم (٤/ ٢١٥١ برقم ٢٧٩٢) بسندهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ» فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا القَاسِمِ، أَلاَ أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالاَمٌ وَنُونٌ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا " .

وقال الإمام في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٧/ ١٣٦) : " وَأَمَّا زَائِدَةُ الْكَبِدِ وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْمُنْفَرِدَةُ الْمُتَعَلِّقَةُ فِي الْكَبِدِ وَهِيَ أَطْيَبُهَا ، وَأَمَّا قَوْلُهُ : " يَأْكُلُ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْفًا" ، فَقَالَ الْقَاضِي : يُحْتَمَلُ أَنَّهُمُ السَّبْعُونَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّة بِلَا حِسَابٍ ، فَخُصُّوا بِأَطْيَبِ النُّزُلِ ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ عَبَّرَ بِالسَّبْعِينَ أَلْفًا عَنِ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ ، وَلَمْ يُرِدِ الْحَصْرَ فِي ذَلِكَ الْقَدْرِ وَهَذَا مَعْرُوفٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " .

وقال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (١١/ ٣٧٤) : " قَوْلُهُ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا قَالَ عِيَاضٌ زِيَادَةُ الْكَبِدِ وَزَائِدَتُهَا هِيَ الْقِطْعَةُ الْمُنْفَرِدَةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِهَا وَهِيَ أَطْيَبُهُ وَلِهَذَا خُصَّ بِأَكْلِهَا السَّبْعُونَ أَلْفًا وَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّة بِغَيْرِ حِسَابٍ فُضِّلُوا بِأَطْيَبِ النُّزُلِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَبَّرَ بِالسَّبْعِينَ عَنِ الْعَدَدِ

الْكَثِيرِ وَلَمْ يُرِدِ الْحَصْرَ فِيهَا وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَبْوَابِ الْهِجْرَةِ قُبَيْلَ الْمَغَازِي فِي مَسَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَن أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّة زِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ " .

فزيادة كبد الحوت هو أوَّل طعام يقدَّم لأهل الجَنَّة ، وفي ذلك روى مسلم (١/ ٢٥٢ برقم ٣١٥) بسنده عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي»، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، فَنَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعُودٍ مَعَهُ، فَقَالَ: «سَلْ» فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ» قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ» قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ»، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: «يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الجَنَّة الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا» قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: **﴿مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾** ...

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (٣/ ٢٢٧) : " قَوْلُهُ (فَمَا تُحْفَتُهُمْ) هِيَ بِإِسْكَانِ الْحَاءِ وَفَتْحِهَا لُغَتَانِ وَهِيَ مَا يُهْدَى إِلَى الرَّجُلِ وَيُخَصُّ بِهِ وَيُلَاطَفُ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَلَبِيُّ هِيَ طَرَفُ الْفَاكِهَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ " .

وروى الطَّبراني في " المعجم الكبير " (٨/ ٣٢٢ برقم ٨٢٠٨) بسنده عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: جَاءَتِ الْيَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا أَوَّلُ مَا يَأْكُلُ أَهْلُ الجَنَّة إِذَا دَخَلُوا؟ فَقَالَ: «أَوَّلُ مَا يَأْكُلُونَ كَبِدَ حُوتٍ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : أَيْنَ يَذْهَبُ مَا يَشْرَبُهُ وَيَأْكُلُهُ الْمُؤمِنُ ؟

الجواب : قدَّمنا أنَّ ما يشربه المؤمن في الجَنَّة إنَّما يخرج منهم كرشح المسك ، فقد روى مسلم (٤/ ٢١٨٠ برقم٢٨٣٥) بسنده عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّة يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ " .

قال الإمام علي بن سلطان القاري في "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٩/ ٣٥٨٢) : «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ») أَيْ فِيهَا (وَلَا يَتْفُلُونَ) أَيْ لَا يَبْصُقُونَ («وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ») مِنْ بَابِ الِافْتِعَالِ، وَفِيمَا سَبَقَ مِنْ بَابِ التَّفْعِيلِ (قَالُوا) أَيْ بَعْضُ الصَّحَابَةِ (فَمَا بَالُ الطَّعَامِ) ؟ أَيْ مَا شَأْنُ فَضْلَتِهِ قَالَ: (جُشَاءٌ) : بِضَمِّ الْجِيمِ وَهُوَ تَنَفُّسُ الْمَعِدَةِ مِنَ الِامْتِلَاءِ وَقَالَ شَارِحٌ: أَيْ صَوْتٌ مَعَ رِيحٍ يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ عِنْدَ الشِّبَعِ، أَقُولُ: التَّقْدِيرُ هُوَ جُشَاءٌ (وَرَشْحٌ) ، أَيْ : عَرَقٌ (كَرَشْحِ الْمِسْكِ) ، أَيْ يَصِيرُ فَضْلُ الطَّعَامِ جُشَاءً أَيْ نَظِيرَهُ، وَإِلَّا فَجُشَاءُ الْجَنَّةِ لَا يَكُونُ مَكْرُوهًا بِخِلَافِ جُشَاءِ الدُّنْيَا؛ وَلِهَذَا قَالَ – صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَقْصِرْ عَنَّا جُشَاءَكَ) وَيَصِيرُ رَشْحًا، وَهُوَ إِمَّا بِاعْتِبَارِ اخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ، أَوِ الْأَوْقَاتِ، أَوْ بَعْضُ الطَّعَامِ يَكُونُ جُشَاءً وَبَعْضُهُ يَكُونُ رَشْحًا، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْأَكْلَ يَنْقَلِبُ جُشَاءً، وَالشُّرْبَ يَعُودُ رَشْحًا، وَالطَّعَامُ قَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِمَا نَظَرًا إِلَى مَعْنَى الطُّعْمِ، فَفِي الْقَامُوسِ: طَعْمُ الشَّيْءِ: حَلَاوَتُهُ وَمَرَارَتُهُ، وَمَا بَيْنَهُمَا يَكُونُ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، أَقُولُ: وَبِهِ يَتِمُّ التَّنْزِيهُ فِي قَوْلِهِ: **﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾** [الأنعام: ١٤] "، هَذَا وَفِي رِوَايَةِ الْجَامِعِ: «وَلَكِنَّ طَعَامَهُ ذَلِكَ جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ» ، وَأَمَّا قَوْلُ الطِّيبِيِّ – رَحِمَهُ اللَّهُ – أَيْ: يَنْدَفِعُ الطَّعَامُ بِالْجُشَاءِ وَالرَّشْحِ، فَهُوَ حَاصِلُ الْمَعْنَى لِأَجْلِ الْمَبْنَى، كَمَا لَا يَخْفَى " .

﴿سُؤَالٌ﴾ : بِمَا أَنَّ أَهْلَ الجَنَّة خَالِدُوْن ، فَلِمَاذَا يَأكُلُوْنَ وَيَشْرَبُوْن وَيَمْتَشِطُوْن ؟

الجواب : قال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة " (ص٩٨٤) : " وقد يقال هنا : أي حاجة في الجَنَّة للامشاط ولا تتلبَّد شعورهم ولا تتَّسخ ، وأي حاجة للبخور وريحهم أطيب من المسك ؟ ويُجاب عن ذلك بأنَّ نعيم أهل الجَنَّة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم ، فليس أكلهم عن جوع ولا شربهم عن ظمأ ولا تطييبهم عن نتن، وإنَّما هو لذَّات متوالية ونعم متتابعة ، ألا ترى قوله تعالى لآدم : **﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيها وَلا تَعْرى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَلا تَضْحى﴾** [طه:١١٨-١١٩] ، وحكمة ذلك أنَّ الله تعالى نعمهم في الجَنَّة بنوع ما كانوا يتنعَّمون به في الدُّنيا ، وزادهم على ذلك ما لا يعلمه إلَّا الله عزَّ وجلَّ " .

﴿سُؤَالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ مَنَادِيْلِ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : روى البخاري (٥/ ٣٥ برقم ٣٨٠٢) ، مسلم (٤/ ١٩١٦ برقم ٢٤٦٨) بسندهما عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُلَّةُ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَمَسُّونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ خَيْرٌ مِنْهَا، أَوْ أَلْيَنُ» رَوَاهُ قَتَادَةُ، وَالزُّهْرِيُّ، سَمِعَا أَنَسًا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هُوَ لِبَاسُ وَحُلِي أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : ذكرت آيات القرآن العظيم أنَّ أهل الجَنَّة يلبسون الحرير والسُّندس والاستبرق ، ويتزيَّنون بأساور الذَّهب والفضَّة واللؤلؤ ، قال تعالىٰ : **﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾** [الحج: ٢٣] ، قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢١/ ٤٦١) : " أَنَّ لِبَاسَ أَهْلِ الدُّنْيَا إِمَّا لِبَاسُ التَّحَلِّي، وَإِمَّا لِبَاسُ التَّسَتُّرِ، أَمَّا لِبَاسُ التَّحَلِّي فَقَالَ تَعَالَىٰ فِي صِفَتِهِ: يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يُحَلِّيهِمُ اللهُ تَعَالَىٰ ذَلِكَ أَوْ تُحَلِّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ أَسْوِرَةٍ : سِوَارٌ مِنْ ذَهَبٍ لِأَجْلِ هَذِهِ الْآيَةِ ، وَسِوَارٌ مِنْ فِضَّةٍ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾** [الْإِنْسَانِ: ٢١] وَسِوَارٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ﴾** [الْحَجِّ: ٢٣] ، وَأَمَّا لِبَاسُ التَّسَتُّرِ فَقَوْلُهُ: **﴿وَيَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾** ، وَالْمُرَادُ مِنْ سُنْدُسِ الْآخِرَةِ وَإِسْتَبْرَقِ الْآخِرَةِ ، وَالْأَوَّلُ : هُوَ الدِّيبَاجُ الرَّقِيقُ وَهُوَ الْخَزُّ ، وَالثَّانِي : هُوَ الدِّيبَاجُ الصَّفِيقُ ، وَقِيلَ : أَصْلُهُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ وَهُوَ اسْتَبْرَهْ، أَيْ غَلِيظٌ، فَإِنْ قِيلَ: مَا السَّبَبُ فِي أَنَّهُ تَعَالَىٰ قَالَ فِي الْحُلِيِّ: **﴿يُحَلَّوْنَ﴾** عَلَىٰ فِعْلِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ وَقَالَ فِي السُّنْدُسِ وَالْإِسْتَبْرَقِ : **﴿وَيَلْبَسُونَ﴾** فَأَضَافَ اللُّبْسَ إِلَيْهِمْ، قُلْنَا: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ اللُّبْسُ إِشَارَةً إِلَىٰ مَا اسْتَوْجَبُوهُ بِعَمَلِهِمْ ، وَأَنْ يَكُونَ الْحُلِيُّ إِشَارَةً إِلَىٰ مَا تَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْهِم ابْتِدَاءً مِنْ زَوَائِدِ الْكَرَمِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٠/ ٣٩٦) : **﴿يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾** وَهُوَ جَمْعُ سِوَارٍ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ أَسْوِرَةٍ: وَاحِدٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَوَاحِدٌ مِنْ وَرِقٍ، وَوَاحِدٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ. قُلْتُ: هَذَا مَنْصُوصٌ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ هُنَا : **﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾** ، وَقَالَ فِي الْحَجِّ وَفَاطِرَ ": **﴿ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً﴾** ، وَفِي الْإِنْسَانِ : **﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾** ... وَحَكَىٰ الْفَرَّاءُ:" يُحَلَّوْنَ" بِفَتْحِ الْيَاءِ وَسُكُونِ الْحَاءِ وَفَتْحِ اللَّامِ خَفِيفَةً، يُقَالُ: حَلِيَتِ الْمَرْأَةُ تَحْلَىٰ فَهِيَ حَالِيَةٌ إِذَا لَبِسَتِ الْحُلِيَّ. وَحَلِيَ الشَّيْءُ بِعَيْنَيَّ يَحْلَىٰ، ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ. وَالسِّوَارُ سِوَارُ الْمَرْأَةِ، وَالْجَمْعُ أَسْوِرَةٌ، وَجَمْعُ الجمع أساورة. وقرئ" فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ": وَقَدْ يَكُونُ الْجَمْعُ أَسَاوِرُ. وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : **﴿يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾** ، قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ. وَقَالَ ابْنُ عُزَيْزٍ: أَسَاوِرُ جَمْعُ أَسْوِرَةٍ، وَأَسْوِرَةٌ جَمْعُ سِوَارٍ وَسُوَارٍ، وَهُوَ الَّذِي يُلْبَسُ فِي الذِّرَاعِ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِنْ كَانَ مِنْ فِضَّةٍ فَهُوَ قُلْبٌ وَجَمْعُهُ قِلَبَةٌ، فَإِنْ كَانَ مِنْ قَرْنٍ أَوْ عَاجٍ فَهِيَ مَسْكَةٌ وَجَمْعُهُ مَسَكٌ " .

وقال تعالىٰ : **﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾** [الكهف: ٣١] ، قال الإمام مكّي بن أبي طالب في " الهداية إلىٰ

بلوغ النِّهاية " (٦/ ٤٣٧٦) : " وقوله: ﴿**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ**﴾ . أساور جمع أسورة، وأسورة جمع سِوار وسُوار يقال: بالضَّم والكسر. وحكىٰ قطرب إسوار. وإنَّ أساور جمع أسوار علىٰ حذف الياء لأنَّ أصله أساوير علىٰ هذا. والمعروف أنَّ إسوار واحد أساورة الفرس.

وقوله: ﴿**وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ**﴾ ، قال: الكسائي: السُّندس جمع سندسة. وقال: واحد العبقري عبقرية وواحد الرَّفرف: رفرفة، وواحد الأرائك: أريكة. والسُّندس ما رقَّ من الدِّيباج، والإستبرق ما ثخن منه وغلظ " .

وقال الإمام ابن الجوزي في " زاد المسير في علم التَّفسير " (٣/ ٨٢) : " فأمَّا الأَساور، فقال الفرَّاء: في الواحد منها ثلاث لغات: إِسوار، وسِوار، وسُوار فمن قال: إِسوار، جمعَه أساور، ومن قال: سِوار أو سُوار، جمعَه أسْوِرة، وقد يجوز أن يكون واحد أَساورة وأَساور: سِوار ، وقال الزَّجَّاج: الأَساور جمع أَسْوِرَة، وأَسْوِرَة جمع سِوَار، يقال: سوار اليد، بالكسرة، وقد حكي: سُوار. قال المفسِّرون: لَّما كانت الملوك تلبَس في الدُّنيا الأساور في اليد والتِّيجان علىٰ الرُّؤوس، جعل الله تعالىٰ ذلك لأهل الجنَّة. قال سعيد بن جبير: يُحلَّىٰ كلُّ واحد منهم بثلاثة من الأساور، واحدٍ من فضَّة، وواحدٍ من ذهب، وواحدٍ من لؤلؤ ويواقيت. فأمَّا «السُّنْدُسُ» و «الإِستبرق» ، فقال ابن قتيبة: السُّندس: رقيق الديباج، والإِستبرق ثخينه. وقرأت علىٰ شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: السُّندس: رقيق الدِّيباج، لم يختلف أهل اللغة في أنَّه معرَّب، قال الرَّاجز:

وليلة من الليالي جندس   لون حواشيها كلون السُّندس

والاستبرق: غليظ الدِّيباج، فارسي معرَّب، وأصله إِسْتفْرَهْ. وقال ابن دريد: استروه، ونقل من العجميَّة إلىٰ العربيَّة، فلو حُقِّر «إِستبرق» ، أو كُسِّر، لكان في التَّحقير «أُبَيْرِق» ، وفي التَّكسير «أبارق» بحذف السِّين، والتَّاء جميعاً " .

وقال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة " (ص١٠٢٤) : " قوله تعالىٰ : ﴿**وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ**﴾ ، وقال : ﴿**عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ**﴾ [الإنسان:٢١] الإستبرق: الدِّيباج الصَّفيق الكثيف، والسُّندس: الخفيف الرَّقيق ، وخصَّ الأخضر لأنَّه الموافق للبصر، لأنَّ البياض يبدِّد النَّظر ويؤلم ، والسواد يورم ، والخضرة لون بين البياض والسَّواد ، وذلك يجمع الشُّعاع ، والله أعلم " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٢/٢٨-٣٠) : " وَالْأَسَاوِرُ جَمْعُ أَسْوِرَةٍ، وَأَسْوِرَةٌ وَاحِدُهَا سِوَارٌ، وَفِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ: ضَمُّ السِّينِ وَكَسْرُهَا وَإِسْوَارٌ. قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: لَمَّا كَانَتِ الْمُلُوكُ تَلْبَسُ فِي الدُّنْيَا الْأَسَاوِرَ وَالتِّيجَانَ جعَلَ اللهُ ذَلِكَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة إِلَّا وَفِي يَدِهِ ثَلَاثَةُ أَسْوِرَةٍ: سِوَارٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَسِوَارٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَسِوَارٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ. قَالَ هُنَا وفي فاطر: **﴿مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً﴾** [فاطر: ٣٣] وَقَالَ فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ: **﴿وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾** [الإنسان: ٢١] .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ خَلِيلِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ). وَقِيلَ: تُحَلَّى النِّسَاءُ بِالذَّهَبِ وَالرِّجَالُ بِالْفِضَّةِ. وَفِيهِ نَظَرٌ، وَالْقُرْآنُ يَرُدُّهُ. **﴿وَلُؤْلُؤاً﴾** قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ الْقَعْقَاعِ وَشَيْبَةُ وَعَاصِمٌ هُنَا وَفِي سُورَةِ الْمَلَائِكَةِ:" لُؤْلُؤاً" بِالنَّصْبِ، عَلَى مَعْنَى وَيُحَلَّوْنَ لُؤْلُؤًا، وَاسْتَدَلُّوا بِأَنَّهَا مَكْتُوبَةٌ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ هُنَا بِأَلِفٍ. وَكَذَلِكَ قَرَأَ يَعْقُوبُ وَالْجَحْدَرِيُّ وَعِيسَى بْنُ عُمَرَ بِالنَّصْبِ هُنَا وَالْخَفْضِ فِي" فَاطِرٍ" اتِّبَاعًا لِلْمُصْحَفِ، وَلِأَنَّهَا كُتِبَتْ هَاهُنَا بِأَلِفٍ وَهُنَاكَ بِغَيْرِ أَلِفٍ. الْبَاقُونَ بِالْخَفْضِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَهْمِزُ" اللُّؤْلُؤُ" فِي كُلِّ الْقُرْآنِ، وَهُوَ مَا يُسْتَخْرَجُ مِنَ الْبَحْرِ مِنْ جَوْفِ الصَّدَفِ. قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: وَالْمُرَادُ تَرْصِيعُ السِّوَارِ بِاللُّؤْلُؤِ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ فِي الجَنَّة سِوَارٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ مُصْمَتٍ. قُلْتُ: وَهُوَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ بَلْ نصه. وقال ابن الأنباري: من قرأ" لؤلؤ" بِالْخَفْضِ وَقَفَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَقِفْ عَلَى الذَّهَبِ. وَقَالَ السِّجِسْتَانِيُّ: مَنْ نَصَبَ" اللُّؤْلُؤَ" فَالْوَقْفُ الْكَافِي" مِنْ ذَهَبٍ"، لأنَّ المعنى : ويحلون لؤلؤ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَلَيْسَ كَمَا قَالَ، لِأَنَّا إِذَا خَفَضْنَا" اللُّؤْلُؤَ" نَسَقْنَاهُ عَلَى لَفْظِ الْأَسَاوِرِ، وَإِذَا نَصَبْنَاهُ نَسَقْنَاهُ عَلَى تَأْوِيلِ الْأَسَاوِرِ، وَكَأَنَّا قُلْنَا: يُحَلَّوْنَ فِيهَا أَسَاوِرَ وَلُؤْلُؤًا، فَهُوَ فِي النَّصْبِ بِمَنْزِلَتِهِ فِي الْخَفْضِ، فَلَا مَعْنَى لِقَطْعِهِ مِنَ الْأَوَّلِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ﴾، أَيْ : وَجَمِيعُ مَا يَلْبَسُونَهُ مِنْ فُرُشِهِمْ وَلِبَاسِهِمْ وَسُتُورِهِمْ حَرِيرٌ، وَهُوَ أَعْلَى مِمَّا فِي الدُّنْيَا بِكَثِيرٍ. وَرَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ وَمَنْ شَرِبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لَمْ يَشْرَبْ فِيهَا فِي الْآخِرَةِ- ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِبَاسُ أَهْلِ الجَنَّة وَشَرَابُ أَهْلِ الجَنَّة وَآنِيَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ سَوَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ وَأَنَّهُ يُحْرَمُهَا فِي الْآخِرَةِ، فَهَلْ يُحْرَمُهَا إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ! إِذَا لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ وَإِنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ، لِاسْتِعْجَالِهِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا. لَا يُقَالُ: إِنَّمَا يُحْرَمُ ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُعَذَّبُ فِي النَّارِ أَوْ بِطُولِ مُقَامِهِ فِي الْمَوْقِفِ، فَأَمَّا إِذَا دَخَلَ

الجَنَّة فلا، لان حرمان شي مِنْ لَذَّاتِ الجَنَّة لِمَنْ كَانَ فِي الجَنَّة نَوْعُ عُقُوبَةٍ وَمُؤَاخذَةٍ، وَالْجَنَّةُ لَيْسَتْ بِدَارِ عُقُوبَةٍ، وَلَا مُؤَاخَذَةَ فِيهَا بِوَجْهٍ. فَإِنَّا نَقُولُ: مَا ذَكَرْتُمُوهُ مُحْتَمَلٌ، لَوْلَا مَا جَاءَ مَا يَدْفَعُ هَذَا الِاحْتِمَالَ وَيَرُدُّهُ مِنْ ظَاهِرِ الْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ. وَمَا رَوَاهُ الْأَئِمَّةُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ). وَالْأَصْلُ التَّمَسُّكُ بِالظَّاهِرِ حَتَّىٰ يَرِدَ نَصٌّ يَدْفَعُهُ، بَلْ قَدْ وَرَدَ نَصٌّ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَهُوَ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ دَاوُدَ السَّرَّاجِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ وَإِنْ دَخَلَ الجَنَّة لَبِسَهُ أَهْلُ الجَنَّة وَلَمْ يَلْبَسْهُ هُوَ). وَهَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ. فَإِنْ كَانَ (وَإِنْ دَخَلَ الجَنَّة لَبِسَهُ أَهْلُ الجَنَّة وَلَمْ يَلْبَسْهُ هُوَ) مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ الْغَايَةُ فِي الْبَيَانِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ كَلَامِ الرَّاوِي عَلَىٰ ما ذكر فهو أعلم بِالْمَقَالِ وَأَقْعَدُ بِالْحَالِ، وَمِثْلُهُ لَا يُقَالُ بِالرَّأْيِ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَكَذَلِكَ (مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ وَلَمْ يَتُبْ) وَ (مَنِ اسْتَعْمَلَ آنِيَةَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ) وَكَمَا لَا يَشْتَهِي مَنْزِلَةَ مَنْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِعُقُوبَةٍ، كَذَلِكَ لَا يَشْتَهِي خَمْرَ الجَنَّة وَلَا حَرِيرَهَا وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عُقُوبَةً. وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا كُلَّهُ فِي كِتَابِ التَّذْكِرَةِ مُسْتَوْفًى، وَالْحَمْدُ للهِ، وَذَكَرْنَا فِيهَا أَنَّ شَجَرَ الجَنَّة وَثِمَارَهَا يَتَفَتَّقُ عَنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ" .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (١٥/ ٣١٢-٣١٤) : " وَالتَّحْلِيَةُ: التَّزْيِينُ، وَالْحِلْيَةُ: الزِّينَةُ.

وَأَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَىٰ الْمَجْهُولِ، لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ أَنْفُسَهُمْ مُحَلَّيْنَ بِتَكْوِينِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَالْأَسَاوِرُ: جَمْعُ سِوَارٍ عَلَىٰ غَيْرِ قِيَاسٍ. وَقِيلَ: أَصله جَمْعُ أَسْوِرَةٍ الَّذِي هُوَ جَمْعُ سِوَارٍ. فَصِيغَةُ جَمْعِ الْجَمْعِ لِلْإِشَارَةِ إِلَىٰ اخْتِلَافِ أَشْكَالِ مَا يُحَلَّوْنَ بِهِ مِنْهَا، فَإِنَّ الْحِلْيَةَ تَكُونُ مُرَصَّعَةً بِأَصْنَافِ الْيَوَاقِيتِ.

وَ **﴿مِنْ﴾** فِي قَوْلِهِ: **﴿مِنْ أَساوِرَ﴾** مَزِيدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ عَلَىٰ رَأْيِ الْأَخْفَشِ، وَسَيَأْتِي وَجْهُهُ فِي سُورَةِ الْحَجِّ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلِابْتِدَاءِ، وَهُوَ مُتَعَيَّنٌ عِنْدَ الَّذِينَ يَمْنَعُونَ زِيَادَتَهَا فِي الْإِثْبَاتِ.

وَالسِّوَارُ: حُلِيٌّ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يُحِيط بموضع من الذِّرَاعِ، وَهُوَ اسْمٌ مُعَرَّبٌ عَنِ الْفَارِسِيَّةِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ وَهُوَ فِي الفارسية (دستواره) بِهَاءٍ فِي آخِرِهِ كَمَا فِي «كِتَابِ الرَّاغِبِ» ، وَكُتِبَ بِدُونِ هَاءٍ فِي «تَاجِ الْعَرُوسِ " .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: **﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾** فَإِنَّ **﴿مِنْ﴾** فِيهِ لِلْبَيَانِ، وَفِي الْكَلَامِ اكْتِفَاءٌ، أَيْ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ كَمَا اكْتَفَىٰ فِي آيَةِ سُورَةِ الْإِنْسَانِ بِذِكْرِ الْفِضَّةِ عَنْ ذِكْرِ الذَّهَبِ بِقَوْلِهِ: **﴿وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾** [الْإِنْسَان: ٢١] ، وَلِكُلٍّ مِنَ الْمَعْدِنَيْنِ جَمَالُهُ الْخَاصُّ.

وَاللِّبَاسُ: سَتْرُ الْبَدَنِ بِثَوْبٍ مِنْ قَمِيصٍ أَوْ إِزَارٍ أَوْ رِدَاءٍ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ لِلْوِقَايَةِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَلِلتَّجَمُّلِ.

وَالثِّيَابُ: جَمْعُ ثَوْبٍ، وَهُوَ الشُّقَّةُ مِنَ النَّسِيجِ.

وَاللَّوْنُ الْأَخْضَرُ أَعْدَلُ الْأَلْوَانِ وَأَنْفَعُهَا عِنْدَ الْبَصَرِ، وَكَانَ مِنْ شِعَارِ الْمُلُوكِ. قَالَ النَّابِغَةُ:

يَصُونُونَ أَجْسَادًا قَدِيمًا نَعِيمُهَا بِخَالِصَةِ الْأَرْدَانِ خُضْرِ الْمَنَاكِبِ

وَالسُّنْدُسُ: صِنْفٌ مِنَ الثِّيَابِ، وَهُوَ الدِّيبَاجُ الرَّقِيقُ يُلْبَسُ مُبَاشِرًا لِلْجِلْدِ لِيَقِيَهُ غِلَظَ الْإِسْتَبْرَقِ.

وَالْإِسْتَبْرَقُ: الدِّيبَاجُ الْغَلِيظُ الْمَنْسُوجُ بِخُيُوطِ الذَّهَبِ، يُلْبَسُ فَوْقَ الثِّيَابِ الْمُبَاشِرَةِ لِلْجِلْدِ.

وَكِلَا اللَّفْظَيْنِ مُعَرَّبٌ. فَأَمَّا لَفْظُ (سُنْدُسٍ) فَلَا خِلَافَ فِي أَنَّهُ مُعَرَّبٌ وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي أَصْلِهِ، فَقَالَ جَمَاعَةٌ: أَصْلُهُ فَارِسِيٌّ، وَقَالَ الْمُحَقِّقُونَ: أَصْلُهُ هِنْدِيٌّ وَهُوَ فِي اللُّغَةِ (الْهِنْدِيَّةِ) (سَنْدُونْ) بِنُونٍ فِي آخِرِهِ. كَانَ قَوْمٌ مِنْ وُجُوهِ الْهِنْدِ وَفَدُوا عَلَى الْإِسْكَنْدَر يحملون مَعَهم هَدِيَّةً مِنْ هَذَا الدِّيبَاجِ، وَأَنَّ الرُّومَ غَيَّرُوا اسْمَهُ إِلَى (سُنْدُوسْ) ، وَالْعَرَبُ نَقَلُوهُ عَنْهُمْ فَقَالُوا (سُنْدُسْ) فَيَكُونُ مُعَرَّبًا عَنِ الرُّومِيَّةِ وَأَصْلُهُ الْأَصِيلُ هِنْدِيٌّ.

وَأَمَّا الْإِسْتَبْرَقُ فَهُوَ مُعْرَبٌ عَنِ الْفَارِسِيَّةِ. وَأَصْلُهُ فِي الْفَارِسِيَّةِ (إِسْتَبْرَهْ) أَوْ (إِسْتَبْرْ) بِدُونِ هَاءٍ أَوْ (إِسْتَقْرَهْ) أَوْ (إِسْتَفْرَهْ) . وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: هُوَ سُرْيَانِيٌّ عُرِّبَ وَأَصْلُهُ (إِسْتَرْوَهْ).

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: هُوَ رُومِيٌّ عُرِّبَ، وَلِذَلِكَ فَهَمْزَتُهُ هَمْزَةُ قَطْعٍ عِنْدَ الْجَمِيعِ، وَذَكَرَهُ بَعْضُ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ فِي بَابِ الْهَمْزَةِ وَهُوَ الْأَصْوَبُ، وَيُجْمَعُ عَلَى أَبَارِقَ قِيَاسًا، عَلَى أَنَّهُمْ صَغَّرُوهُ عَلَى أُبَيْرِق فَعَامَلُوا السِّينَ وَالتَّاءَ مُعَامَلَةَ الزَّوَائِدِ.

وَفِي «الْإِتْقَانِ» لِلسُّيُوطِيِّ عَنِ ابْنِ النَّقِيبِ: لَوِ اجْتَمَعَ فُصَحَاءُ الْعَالَمِ وَأَرَادُوا أَنْ يَتْرُكُوا هَذَا اللَّفْظَ وَيَأْتُوا بِلَفْظٍ يَقُومُ مَقَامَهُ فِي الْفَصَاحَةِ لَعَجَزُوا.

وَذَلِكَ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا حَثَّ عِبَادَهُ عَلَى الطَّاعَةِ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ. وَالْوَعْدُ بِمَا يَرْغَبُ فِيهِ الْعُقَلَاءُ وَذَلِكَ مُنْحَصِرٌ فِي: الْأَمَاكِنِ، وَالْمَآكِلِ، وَالْمَشَارِبِ، وَالْمَلَابِسِ، وَنَحْوِهَا مِمَّا تَتَّحِدُ فِيهِ الطِّبَاعُ أَوْ تَخْتَلِفُ فِيهِ. وَأَرْفَعُ الْمَلَابِسِ فِي الدُّنْيَا الْحَرِيرُ، وَالْحَرِيرُ كُلَّمَا كَانَ ثَوْبُهُ أَثْقَل كَانَ أَرْفَعَ فَإِذَا أُرِيدَ ذِكْرُ هَذَا فَالْأَحْسَنُ أَنْ يُذْكَرَ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ مَوْضُوعٍ لَهُ صَرِيحٌ، وَذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا الْإِسْتَبْرَقُ وَلَا يُوجَدُ فِي الْعَرَبِيَّةِ لَفْظٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُ إِسْتَبْرَقٍ.

هَذِهِ خُلَاصَةُ كَلَامِهِ عَلَى تَطْوِيلٍ فِيهِ.

وَ ﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِهِ : ﴿مِنْ سُنْدُسٍ﴾ لِلْبَيَانِ.

وَقَدَّمَ ذِكْرَ الْحُلِيِّ عَلَىٰ اللِّبَاسِ هُنَا لِأَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ صِفَةً لِلْجَنَّاتِ ابْتِدَاءً، وَكَانَتْ مَظَاهِرُ الْحُلِيِّ أَبْهَجَ لِلْجَنَّاتِ، فَقَدَّمَ ذِكْرَ الْحُلِيِّ وَأَخَّرَ اللِّبَاسَ لِأَنَّ اللِّبَاسَ أَشَدُّ اتِّصَالًا بِأَصْحَابِ الجَنَّة لَا بِمَظَاهِرِ الْجَنَّةِ، وَعَكْسُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ﴾ [الْإِنْسَان: ٢١] لِأَنَّ الْكَلَامَ هُنَالِكَ جَرَىٰ عَلَىٰ صِفَاتِ أَصْحَابِ الْجَنَّ ".

وقال تعالىٰ : ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ١٣٦) : " جَنَّةً وَحَرِيراً ، أَيْ : أدخلهم الجَنَّة وألبسهم الحرير. أي : يسّمىٰ بِحَرِيرِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ الَّذِي فِي الْآخِرَةِ ، وَفِيهِ مَا شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْفَضْلِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ : أَنَّ مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا أُلْبِسَهُ مَنْ أُلْبِسَهُ فِي الجَنَّة عِوَضًا عَنْ حَبْسِهِمْ أَنْفُسَهُــــمْ فِي الدُّنْيَا عَنِ الْمَلَابِسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ فِيهَا" .

وقال الإمام أبو حيَّان في " البحر المحيط في التَّفسير " (١٠/ ٣٦٢) : " جَنَّةً وَحَرِيراً: بُسْتَانًا فِيهِ كُلُّ مَأْكَلٍ هَنِيءٍ، وَحَرِيراً فِيهِ مَلْبَسٌ بَهِيٌّ، وَنَاسَبَ ذِكْرَ الْحَرِيرِ مَعَ الجَنَّة لِأَنَّهُمْ أُوثِرُوا عَلَىٰ الْجُوعِ وَالْغِذَاءِ " .

ولباسهم أرقىٰ من أي ثياب صنعها الإنسان، فقد روىٰ البخاري (٤/ ١١٨ برقم ٣٢٤٩) بسنده عن البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِثَوْبٍ مِنْ حَرِيرٍ فَجَعَلُوا يَعْجَبُونَ مِنْ حُسْنِهِ وَلِينِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّة أَفْضَلُ مِنْ هَذَا " .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٦/ ٢٣) : " الْمَنَادِيلُ جَمْعُ مِنْدِيلٍ بِكَسْرِ الْمِيمِ فِي الْمُفْرَدِ ، وَهُوَ هَذَا الَّذِي يُحْمَلُ فِي اليد ، قال بن الأعرابي وبن فَارِسٍ وَغَيْرُهُمَا : هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ النَّدْلِ ، وَهُوَ النَّقْلُ ، لِأَنَّهُ يُنْقَلُ مِنْ وَاحِدٍ إِلَىٰ وَاحِدٍ ، وَقِيلَ : مِنَ النَّدْلِ ، وَهُوَ الْوَسَخُ لِأَنَّهُ يُنْدَلُ بِهِ ، قَالَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ : يُقَالُ مِنْهُ تَنَدَّلْتُ بِالْمِنْدِيلِ ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : وَيُقَالُ أَيْضًا تَمَنْدَلْتُ ، قَالَ : وَأَنْكَرَ الْكِسَائِيُّ ، قَالَ : وَيُقَالُ أَيْضًا : تَمَدَّلْتُ ، وَقَالَ الْعُلَمَاءُ : هَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ عَظِيمِ مَنْزِلَةِ سَعْدٍ فِي الجَنَّة ، وَأَنَّ أَدْنَىٰ ثِيَابِهِ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ ، لِأَنَّ الْمِنْدِيلَ أَدْنَىٰ الثِّيَابِ ، لِأَنَّهُ مُعَدٌّ لِلْوَسَخِ وَالِامْتِهَانِ ، فَغَيْرُهُ أَفْضَلُ ، وَفِيهِ إِثْبَاتُ الجَنَّة لِسَعْدٍ " .

وقال الإمام العيني في " عمدة القاري" (١٦/ ٢٦٧) : " وَتَخْصِيص سعد بِهِ، قيل: لِأَنَّهُ كَانَ يُعجبهُ ذَلِك الْجِنْس من الثَّوْب، أَو لأجل كَون اللامسين المتعجبين من الْأَنْصَار، فَقَالَ: مناديل سيدكم خير مِنْهَا، قَالَ الطَّيِّبِيّ: مناديل جمع منديل وَهُوَ الَّذِي يحمل فِي الْيَد، وَقَالَ ابْن الْأَعرَابِي وَغَيره: هُوَ مُشْتَقّ من الندل، وَهُوَ النَّقْل لِأَنَّهُ ينْقل من وَاحِد، وَقيل: من الندل وَهُوَ الْوَسخ، لِأَنَّهُ يندل بِهِ، إِنَّمَا ضرب الْمثل بالمناديل لِأَنَّهَا

لَيست من علية الثِّيَاب بل هِيَ تتبدل فِي أَنْوَاع من الْمَرَافِق يتمسح بهَا الْأَيْدِي وينفض بهَا الْغُبَار عَن الْبدن وَيُعْطى بهَا مَا يهدى وتتخذ لفائف للثياب، فَصَارَ سَبِيلهَا سَبِيل الْخَادِم وسبيل سَائِر الثِّيَاب سَبِيل المخدوم، فَإِذا كَانَ أدناها هَكَذَا، فَمَا ظَنك بعليتها " .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" (ص٢٠٤) : " ولا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه هاهنا ، فإنَّه كان في الأنصار بمنزلة الصِّدِّيق في المهاجرين ، واهتزَّ لموته العرش ، وكان لا يأخذه في الله لومة لائم ، وختم الله له بالشَّهادة ، وآثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته وخلفائه ، ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله فوق سبع سماوات ، ونعاه جبريل إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم يوم موته ، فحقَّ له أن تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجَنَّة أحسن من حُلل الملوك " .

ومن ملابس أهل الجَنَّة : التِّيجان على رؤوسهم ، فقد روى أحمد في " المسند" (٢٨/ ٤١٩ برقم ١٧١٨٢) بسنده عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ الْحَكَمُ: سِتَّ خِصَالٍ - أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى - قَالَ الْحَكَمُ: وَيُرَى - مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ - قَالَ الْحَكَمُ: يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ - وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ " . قال الأرنؤوط : " رجاله ثقات، غير إسماعيل بن عياش، فقد اضطرب فيه: فرواه بهذا الإسناد عند عبد الرزاق في "مصنفه" (٩٥٥٩) ، وسعيد بن منصور في "سننه" (٢٥٦٢) ، وابن ماجه (٢٧٩٩) ، وابن أبي عاصم في "الجهاد" (٢٠٤) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠/ (٦٢٩) ، وفي "مسند الشاميين" (١١٢٠) ، والبيهقي في "الشعب" (٤٢٥٤) . ورواه عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن عبادة بن الصامت، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما سيأتي في الرواية التالية. ورواه عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن عقبة بن عامر، موقوفاً، عند الطبراني في "مسند الشاميين" (١١٦٣) . ورواه عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن نعيم ابن همّار، مرفوعاً، فيما أورده ابن أبي حاتم في "العلل" ١/ ٣٢٨. ورواه عن سعيد بن يوسف، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلاَّم، عن أبي مُعانِق الأشعري، عن أبي مالك، مرفوعاً، عند ابن أبي عاصم في "الجهاد (٢٠٥) . وقد تابع إسماعيلَ بن عياش بقيةُ بن الوليد، بهذا الإسناد، عند الترمذي (١٦٦٣) ، لكنه عنعنه، وتدليسه تدليس التسوية وهو شر أنواع التدليس، ومع ذلك قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وقد قال ابن أبي حاتم في "العلل" ١/ ٣٢٨: سألت أبي عن حديث رواه إسماعيل بن عياش، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن نعيم بن همار، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "للشهيد عند الله ست خصال؟ " قال أبي: رواه بقية، عن بحير، عن خالد بن معدان، عن المقدام، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قلت لأبي: أيهما الصحيح؟ فقال: كان ابن المبارك يقول: إذا اختلف بقيةُ وإسماعيل، فبقيةُ أحبُّ إلي، قلتُ: فأيهما أشبهُ عندك؟ قال: بقية أحب إلينا من إسماعيل، فأما الحديث فلا يضبط أيهما الصحيح. قلنا: وقد رُوي الحديث من طريق كثير بن مرة كذلك، عن قيس الجذامي، فيما سيرد برقم (١٧٧٨٣) . أخرجه الإمام أحمد عن

زيد بن يحيىٰ الشامي، عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عنه، به. وقد قال صالح بنُ محمد البغدادي في عبدِ الرحمن بنِ ثابت: أنكروا عليه أحاديث يرويها عن أبيه، عن مكحول، مسندة. قلنا: فمثله لا يحتمل تفرده، ولم نجد له متابعاً سوىٰ إسماعيل بن عياش الذي اضطرب فيه، وبقية الذي عنعن في إسناده. قال السندي: قوله: ويرىٰ مقعده: الظاهر أن المراد أنه يرىٰ قبل الموت. ويُحَلَّىٰ : من التحلية، والله تعالىٰ يعلم حقيقة حُلَّة الإيمان.ويزوج من الحور العين، أي: العدد الذي في آخر الحديث" .

والحديث ينصُّ علىٰ أنَّ الشَّهيد يُوضع علىٰ رأسه تاج الوقار، وهو تاج مرصَّعٌ بالجواهر واليواقيت...

وروىٰ أحمد في " المسند" (٣٨/ ٤١ برقم ٢٢٩٥٠) بسنده عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: " تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ ". قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: " تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ يُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَىٰ صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَىٰ الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَىٰ وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا ؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذًّا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلًا " . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن في المتابعات والشواهد من أجل بشير بن المهاجر الغَنَوي، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، وحسنه الحافظ ابن كثير في "تفسيره" ١/ ٦٢، ولبعضه شواهد يصح بها. أبو نعيم: هو الفضل بن دُكين المُلائي. وأخرجه مطولاً ومختصراً أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٨٤-٨٥، وابن أبي شيبة في "مسنده" كما في "إتحاف الخيرة" (٧٩٧٩) ، وفي "مصنفه" ١٠/ ٤٩٢-٤٩٣، والدارمي (٣٣٩١) ، ومحمد بن نصر المروزي في "قيام الليل" (٢٠٢) ، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٩٩) ، وابن عدي في "الكامل" ٢/ ٤٥٤، والحاكم ١/ ٥٦٠، والواحدي في "الوسيط" ١/ ٤١١، وأبو محمد البغوي في "تفسيره" ١/ ٣٣-٣٤، وفي "شرح السنة" (١١٩٠) وحسنه بإثره – من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين. وبعضهم لم يسق لفظه. إسناده حسن في المتابعات والشواهد من أجل بشير بن المهاجر الغَنَوي، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، وحسنه الحافظ ابن كثير في "تفسيره" ١/ ٦٢، ولبعضه شواهد يصح بها. أبو نعيم: هو الفضل بن دُكين المُلائي. وأخرجه مطولاً ومختصراً أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٨٤-٨٥، وابن أبي شيبة في "مسنده" كما في "إتحاف الخيرة" (٧٩٧٩) ، وفي "مصنفه" ١٠/ ٤٩٢-٤٩٣، والدارمي (٣٣٩١) ، ومحمد بن نصر المروزي في "قيام الليل" (٢٠٢) ، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٩٩) ، وابن عدي في "الكامل" ٢/ ٤٥٤، والحاكم ١/ ٥٦٠، والواحدي في "الوسيط" ١/ ٤١١، وأبو محمد البغوي في "تفسيره" ١/ ٣٣-٣٤، وفي "شرح السنة" (١١٩٠) وحسنه بإثره – من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين. وبعضهم لم يسق لفظه. وقوله: "الهَواجِر": جمع هاجرة، وهو نصف النهار عند زوال الشمس إلىٰ العصر، عند اشتداد الحَرِّ. وقوله: "هَذّا"، الهَذُّ: هو سرعة القراءة وسرعة القطع، يقال: هَذَّ القرآن يَهُذُّه هَذّا: إذا أسرع في قراءته وسَرْدِه " .

وروى الحاكم في " المستدرك على الصَّحيحين " (٢/ ٤٦٢ برقم ٣٥٩٤ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ كَمَا حَدَّثنَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ، عَنِ الدُّورِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ أَنَّهُ قَالَ: أَصَحُّ إِسْنَادِ الْمِصْرِيِّينَ عَمْرٌو عَنْ دَرَّاجٍ، عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، ووافقه الذَّهبي) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَلَا قَوْلَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ**﴾ [فاطر: ٣٣] ، فَقَالَ: «إِنَّ عَلَيْهِمُ التِّيجَانَ إِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ مِنْهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ " .

وروى أبو نعيم الأصبهاني في " صفة الجَنَّة " (٢/ ١١١ برقم ٢٦٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ، حَدَّثَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُمْ وَذَكَرَ حُلِيَّ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ: " مُسَوَّرُونَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، مُ" .

ولحلي أهل الجَنَّة ضوء لو اطَّلع لطمس ضوء الشَّمس ، فقد روى التِّرمذيُّ (٤/ ٢٥٩ برقم ٢٥٣٨ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ بِهَذَا الإِسْنَادِ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهِيعَةَ) بسنده عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا فِي الجَنَّة بَدَا لَتَزَخْرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الجَنَّة اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَبْلَى ثِيَابُ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : روى مسلم (٤/ ٢١٨١ برقم ٢٨٣٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّة يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ " .

قال الإمام الصَّنعاني في " التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ " (١٠/ ٤٣٠) : " وليس المراد بأنَّها لا تبلى إلَّا الإخبار أنَّها لا تزال جديدة ، لا يؤثِّر فيها اللبس كثياب الدُّنيا " .

وقال الإمام المباركفوري في " تحفة الأحوذي بشرح جامع التِّرمذي " (٧/ ١٩٤) : " وَلَا تَبْلَ") بِفَتْحِ أَوَّلِهِ مِنْ بَابِ : سَمِعَ يَسْمَعُ ، أَيْ : لَا تَخْلَقُ وَلَا تَتَقَطَّعُ "ثِيَابُهُمْ" ، وَكَذَا أَثَاثُهُمْ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا العَلَاقَةُ بَيْنَ الوُضُوءِ والحِلْيَةِ يَوْمَ القِيَامَة ؟

الجواب : روى مسلم (١/ ٢١٩ برقم ٢٥٠) بسنده عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ فَكَانَ يَمُدُّ يَدَهُ حَتَّى تَبْلُغَ إِبْطَهُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا هَذَا الْوُضُوءُ؟ فَقَالَ: يَا بَنِي فَرُّوخَ أَنْتُمْ

هَاهُنَا؟ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هَاهُنَا مَا تَوَضَّأْتُ هَذَا الْوُضُوءَ، سَمِعْتُ خَلِيلِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ " .

قال الإمام علي بن سلطان القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٣٥١/١) : " قَالَ الطِّيبِيُّ: ضُمِّنَ " يَبْلُغُ " مَعْنَىٰ " يَتَمَكَّنُ " وَعُدِّيَ بِمِنْ ، أَيْ : تَتَمَكَّنُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْحِلْيَةُ مَبْلَغًا يَتَمَكَّنُهُ الْوُضُوءُ مِنْهُ " .

وقال الإمام المناوي في " فيض القدير شرح الجامع الصَّغير " (٢٢٧/٣) :" تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ " بكسر الحاء ، أي : التَّحلِّي بأساور الذَّهب والفضَّة المكلَّل بالدُّرِّ والياقوت " مِنَ الْمُؤْمِنِ " يوم القيامة قال الطِّيبي: ضمن تبلغ معنىٰ تتمكَّن ، وعدىٰ بمن ، أي : تتمكن من المؤمن الحلية مبلغاً يتمكَّن الوضوء منه ، قال الحسن: الحُلي في الجَنَّة علىٰ الرِّجال أحسن منه علىٰ النِّساء " حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ " بفتح الواو ماؤه ، وقال أبو عبيد: الحُلية هنا التَّحجيل ، لأنَّه العلامة الفارقة بين هذه الأمَّة وغيرها اهـ. وجزم به الزَّمخشري فقال: أراد التَّحجيل يوم القيامة من أثر الوضوء ، وقد استدلَّ بالخبر علىٰ ندب التَّحجيل " ...

قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في نونيَّته:

وهم الملوك علىٰ الأسرة فوق ها ... تيك الرُّؤوس مرصَّع التِّيجـــان

والحلىٰ أصفـــىٰ لؤلؤ وزبرجد ... وكذاك أسورة من العقيـــــان

ما ذاك يختصُّ الإنـــاث وإنَّما ... هو للإنـــاث كذاك للذُّكران

التَّاركين لباســـــه في هذه الدُّ ... نيا لأجل لباســــه بجنان

أو ما سمعت بأنَّ حليتهـــــم إلىٰ ... حيث انتهاء وضوئهـــــــــم بوزان

﴿سُؤالٌ ﴾ : مَاذَا عَنْ أَمْشَاطِ وَمَبَاخِرِ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : جاء في السُّنَّة المطهَّرة أنَّ من أدوات زينة أهل الجَنَّة : أمشاط ومباخر من الذَّهب والفضَّة، وأنَّهم يستخدمون تلك المباخر التي وقودها العود ، فتفوح منهم رائحة المسك ، فقد روىٰ البخاري (١١٨/٤ برقم ٣٢٤٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَىٰ إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَىٰ مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللهَّ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، لاَ يَسْقَمُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَبْصُقُونَ، آنِيَتُهُمُ

الذَّهَبُ وَالفِضَّةُ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَوَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الأَلُوَّةُ – قَالَ أَبُو اليَمَانِ: يَعْنِي العُودَ –، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ " وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الإِبْكَارُ: أَوَّلُ الفَجْرِ، وَالعَشِيُّ: مَيْلُ الشَّمْسِ إِلَى أَنْ – أُرَاهُ – تَغْرُبَ " .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٧/ ١٧٢) : " (وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ) أَيْ عَرَقُهُمْ (وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ) بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَضَمِّ اللَّامِ أَيِ الْعُودُ الْهِنْدِيُّ " .

وقال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٦/ ٣٢٤) : " وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّ رَائِحَةَ الْعُودِ إِنَّمَا تَفُوحُ بِوَضْعِهِ فِي النَّارِ وَالْجَنَّةُ لَا نَارَ فِيهَا ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ بَعْدَ تَخْرِيجِ الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ : يُنْظَرُ هَلْ فِي الجَنَّة نَارٌ ؟ وَيُجَابُ بِاحْتِمَالِ أَنْ يَشْتَعِلَ بِغَيْرِ نَارٍ بَلْ بِقَوْلِهِ : " كُنْ " ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مِجْمَرَةً بِاعْتِبَارِ مَا كَانَ فِي الْأَصْلِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَشْتَعِلَ بِنَارٍ لَا ضَرَرَ فِيهَا وَلَا إِحْرَاقَ أَوْ يَفُوحُ بِغَيْرِ اشْتِعَالٍ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيث بن مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا : " إِنَّ الرَّجُلَ فِي الجَنَّة لَيَشْتَهِي الطَّيْرَ فَيَخِرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ مَشْوِيًّا " ، وَفِيهِ الِاحْتِمَالَاتُ الْمَذْكُورَة ، وَقد ذكر نَحْو ذَلِك بن الْقَيِّم فِي الْبَابِ الثَّانِي وَالْأَرْبَعِينَ مِنْ "حَادِي الْأَرْوَاحِ" ، وَزَادَ فِي الطَّيْرِ : أَوْ يُشْوَىٰ خَارِجَ الجَنَّة أَوْ بِأَسْبَابٍ قُدِّرَتْ لِإِنْضَاجِهِ وَلَا تَتَعَيَّنُ النَّارُ ، قَالَ : وَقَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿**هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ**﴾ ، ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا**﴾ ، وَهِيَ لَا شَمْسَ فِيهَا . وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : قَدْ يُقَالُ : أَيُّ حَاجَةٍ لَهُمْ إِلَى الْمُشْطِ وَهُمْ مرد وَشُعُورُهُمْ لَا تَتَّسِخُ ؟ وَأَيُّ حَاجَةٍ لَهُمْ إِلَى الْبَخُورِ وَرِيحُهُمْ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ؟ قَالَ : وَيُجَابُ بِأَنَّ نَعِيمَ أَهْلِ الجَنَّة مِنْ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَكِسْوَة وَطيب لَيْسَ عَنْ أَلَمِ جُوعٍ أَوْ ظَمَإٍ أَوْ عُرْيٍ أَوْ نَتْنٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ لَذَّاتٌ مُتَتَالِيَةٌ وَنِعَمٌ مُتَوَالِيَةٌ ، وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ : أَنَّهُمْ يُنَعَّمُونَ بِنَوْعِ مَا كَانُوا يَتَنَعَّمُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا . وَقَالَ النَّوَوِيُّ : مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ تَنَعُّمَ أَهْلِ الجَنَّة عَلَىٰ هَيْئَةِ تَنَعُّمِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَّا مَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّفَاضُلِ فِي اللَّذَّةِ ، وَدَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَىٰ أَنَّ نَعِيمَهُمْ لَا انْقِطَاعَ لَهُ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا الحِكْمَةُ مِنْ وُجُوْدِ المشْطِ فِي الجَنَّة ؟

الجواب : قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٦/ ٣٢٤-٣٢٥) : وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : قَدْ يُقَالُ : أَيُّ حَاجَةٍ لَهُمْ إِلَى الْمُشْطِ وَهُمْ مرد وَشُعُورُهُمْ لَا تَتَّسِخُ ، وَأَيُّ حَاجَةٍ لَهُمْ إِلَى الْبَخُورِ وَرِيحُهُمْ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، قَالَ : وَيُجَابُ بِأَنَّ نَعِيمَ أَهْلِ الجَنَّة مِنْ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَكِسْوَة وَطيب لَيْسَ عَنْ أَلَمِ جُوعٍ أَوْ ظَمَإٍ أَوْ عُرْيٍ أَوْ نَتْنٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ لَذَّاتٌ مُتَتَالِيَةٌ وَنِعَمٌ مُتَوَالِيَةٌ ، وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ يُنَعَّمُونَ بِنَوْعِ مَا كَانُوا يَتَنَعَّمُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَيُكَلِّمُ اللهُ أَهْلَ الجَنَّة ؟

الجواب : نعم ، يُكلِّم الله تعالىٰ أهل الجَنَّة بكلام نفوِّض حقيقته إلىٰ الله تعالىٰ وحده ... وهم سيفهمون عن الله تعالىٰ كلامه ... قال الإمام الرَّازيُّ في التَّفسير" (٢٧/ ٤٨٠) : " فَأَوَّلُهَا: قَوْلُهُمْ : سَلامٌ عَلَيْكُمْ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ يُبَشِّرُونَهُمْ بِالسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ الْآفَاتِ. وَثَانِيهَا: قَوْلُهُمْ طِبْتُمْ ، وَالْمَعْنَىٰ طِبْتُمْ مِنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي ، وَطَهُرْتُمْ مِنْ خُبْثِ الْخَطَايَا. وَثَالِثُهَا: قَوْلُهُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ ، وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ : فَادْخُلُوها يَدُلُّ عَلَىٰ كَوْنِ ذَلِكَ الدُّخُولُ مُعَلَّلًا بِالطِّيبِ وَالطَّهَارَةِ، قَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ : هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ أَحَدًا لا يَدْخُلُهَا إِلَّا إِذَا كَانَ طَاهِرًا عَنْ كُلِّ الْمَعَاصِي، قُلْنَا : هَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ يُبَدِّلُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ، وَحِينَئِذٍ يَصِيرُونَ طَيِّبِينَ طَاهِرِينَ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَىٰ " .

وقد فتح الإمام البخاريُّ في صحيحه (٩/ ١٥١) باباً سمَّاه : " بَابُ كَلامِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الجَنَّة " ، روىٰ فيه (٩/ ١٥١ برقم ٧٥١٨) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا " .

وروىٰ (٩/ ١٥١ برقم ٧٥١٩) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ: " أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّة اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَوَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَىٰ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ، فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الجِبَالِ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ "، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ تَجِدُ هَذَا إِلَّا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ .

وروىٰ أحمد في " المسند" (٣٠/ ١٨٠ برقم ١٨٢٤٦) بسنده عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ عَمَّنْ أَيْمَنَ مِنْهُ، فَلَا يَرَىٰ إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ، وَيَنْظُرُ عَمَّنْ أَشْأَمَ مِنْهُ، فَلَا يَرَىٰ إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ، وَيَنْظُرُ أَمَامَهُ، فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

وكيع: هو ابن الجراح الرؤاسي، وأبو معاوية: هو محمد بن خازم، والأعمش: هو سليمان بن مهران، وخيثمة: هو ابن عبد الرحمن الجعفي.

وأخرجه ابن أحمد في "السنة" (٢٤٧) عن أبيه أحمد، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن خزيمة في "التوحيد" ص١٤٩-١٥٠ من طريق وكيع، وأبي معاوية، به.

وأخرجه الترمذي (٢٤١٥)، وابن ماجه (١٨٥) و (١٨٤٣)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٦٠٦) مختصراً، والآجري في "التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة" (٥٦)، واللالكائي في "أصول الاعتقاد" (٢١٩٥) و (٢١٩٦) من طوق، عن وكيع، به. وأخرجه أبو عبيد القاصم بن سلام في "الأموال" (٩٠٥) بنحوه مختصراً - ومن طريقه الطبراني في "الكبير" ١٧/ (١٨٩) - والترمذي (٢٤١٥)، وعثمان ابن سعيد الدارمي في "الرد على الجهمية" ص ٨٠ مختصراً، وابن حبان (٧٣٧٣) من طريق أبي معاوية، به، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه أبو داود الطيالسي (١٠٣٨) عن أبي معاوية، بهذا الإسناد، موقوفاً. قال يونس بن حبيب راوي المسند: لم يرفعه أبو داود، وهذا الحديث قد رفعه أصحاب الأعمش وأبو أسامة وأظن أبا معاوية أيضاً. قلنا: قد رفعه أبو معاوية في رواية أحمد هذه، وفي المصادر المذكورة آنفاً. وأخرجه مطولاً ومختصراً حميد بن زنجويه في "الأموال" (١٣٥٦)، والبخاري (٦٥٣٩) و (٧٥١٢) و (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦) (٦٧)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٦٠٦)، وعبد الله بن أحمد في "السنة" (٢٤٨) و (٢٤٩)، وابن خزيمة في "التوحيد" ص١٥٠، والآجري في "التصديق بالنظر" (٥٥)، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (١٨٤) ... (١٩٠)، وفي "الأوسط" (٨٥٨٧)، وفي "الصغير" (٩١٧)، وابن منده في "الإيمان" (٧٨٧) - (٧٨٩)، واللالكائي في "أصول الاعتقاد" (٥٥٣)، وأبو نعيم في "الحلية" ٤/ ١٢٤، وفي "تاريخ أصبهان" ١/ ٣١٨ و٢/ ٢٥٧، والبيهقي في "السنن" ٤/ ١٧٦، وفي "الأسماء والصفات" ص٢١٨، والخطيب في "تاريخ بغداد" ١٠/ ٤٦٩، والبغوي في "شرح السنة" (١٦٣٨) و (٤٣٣١)، والذهبي في "سير أعلام النبلاء" ٩/ ٢٧٩ و١٣/ ٣٤ من طرق، عن الأعمش، به.

وقوله: "فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل" سلف نحوه من حديث عبد الله بن مسعود برقم (٣٦٧٩) وذكرنا أحاديث الباب هناك. قال السندي: قوله: "فينظر عمن أيمن من": هكذا في النسخ، بإثبات "عن" و"من" والظاهر أن "من" زائدة، يدل عليه سقوطه في رواية البخاري (١٤١٣) ذكرها في كتاب الزكاة، وعلى تقدير إثباتها، فالظاهر تقديم "من" على "عن" على أن "عن" اسم بمعنى الجانب، والله تعالى أعلم".

ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ الله تعالى ذكر في القرآن العظيم أصنافاً من الخلق لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلِّمهم ولا ينظر إليهم ... قال تعالى :

وقال تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [البقرة:١٧٤] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٥/ ٢٠٥) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾** فَظَاهِرُهُ: أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ أَصْلًا لَكِنَّهُ لَمَّا أَوْرَدَهُ مَوْرِدَ الْوَعِيدِ فُهِمَ مِنْهُ مَا يَجْرِي مَجْرَى الْعُقُوبَةِ لَهُمْ، وَذَكَرُوا فِيهِ ثَلَاثَةَ أَوْجُهٍ :

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ قَدْ دَلَّتِ الدَّلَائِلُ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يكلمهم، وذلك قوله: **﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الحجر: ٩٢- ٩٣] ، وقوله: **﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾** [الْأَعْرَافِ: ٦]

فعَرَفْنَا أَنَّهُ يَسْأَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ، وَالسُّؤَالُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِكَلَامٍ فَقَالُوا: وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا يُكَلِّمُهُمْ بِتَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ وَإِنَّمَا يُكَلِّمُهُمْ بِمَا يَعْظُمُ عِنْدَهُ مِنَ الْغَمِّ وَالْحَسْرَةِ من المناقشة والمساءلة وبقوله: ﴿اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٨].

الثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَىٰ لا يكلِّمهم ، وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الْحِجْرِ: ٩٢] ، فَالسُّؤَالُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِأَمْرِهِ تَعَالَىٰ وَإِنَّمَا كَانَ عَدَمُ تَكْلِيمِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَذْكُورًا فِي مَعْرِضِ التَّهْدِيدِ لِأَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يُكَلِّمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِيهِ كُلَّ الْخَلَائِقِ بِلَا وَاسِطَةٍ فَيَظْهَرُ عِنْدَ كَلَامِهِ السُّرُورُ فِي أَوْلِيَائِهِ، وَضِدُّهُ فِي أَعْدَائِهِ، وَيَتَمَيَّزُ أَهْلُ الجَنَّة بِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَا جَرَمَ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْوَعِيدِ الثَّالِثُ: أَنَّ قَوْلَهُ: وَلا يُكَلِّمُهُمُ اسْتِعَارَةٌ عَنِ الْغَضَبِ لِأَنَّ عَادَةَ الْمُلُوكِ أَنَّهُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ يُعْرِضُونَ عَنِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ وَلَا يُكَلِّمُونَهُ كَمَا أَنَّهُمْ عِنْدَ الرِّضَا يُقْبِلُونَ عَلَيْهِ بِالْوَجْهِ وَالْحَدِيثِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٢/ ٢٣٥) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ عِبَارَةٌ عَنِ الْغَضَبِ عَلَيْهِمْ وَإِزَالَةُ الرِّضَا عَنْهُمْ، يُقَالُ: فُلَانٌ لَا يُكَلِّمُ فُلَانًا إِذَا غَضِبَ عَلَيْهِ. وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: الْمَعْنَىٰ ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ﴾ بِمَا يحبُّونه. وفي التَّنزيل: ﴿اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] . وَقِيلَ: الْمَعْنَىٰ وَلَا يُرْسِلُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ بِالتَّحِيَّةِ. ﴿وَلا يُزَكِّيهِمْ﴾ ، أَيْ : لَا يُصْلِحُ أَعْمَالَهُمُ الْخَبِيثَةَ فَيُطَهِّرُهُمْ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: لَا يُثْنِي عَلَيْهِمْ خَيْرًا ولا يسمِّيهم أزكياء. و ﴿أَلِيمٌ﴾ بِمَعْنَىٰ مُؤْلِمٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ «٤». وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عذابٌ أَلِيمٌ شَيْخٌ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَّابٌ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ" . وَإِنَّمَا خَصَّ هَؤُلَاءِ بِأَلِيمِ الْعَذَابِ وَشِدَّةِ الْعُقُوبَةِ لِمَحْضِ الْمُعَانَدَةِ وَالِاسْتِخْفَافِ الْحَامِلِ لَهُمْ عَلَىٰ تِلْكَ الْمَعَاصِي، إِذْ لَمْ يَحْمِلْهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ حَاجَةٌ، وَلَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ ضَرُورَةٌ كَمَا تَدْعُو مَنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُمْ. وَمَعْنَىٰ" لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ" لَا يَرْحَمُهُمْ وَلَا يَعْطِفُ عَلَيْهِمْ. وَسَيَأْتِي فِي" آلِ عِمْرَانَ " إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ" .

فإذا كان الله تعالىٰ في الغضب لا يكلِّم أهل معصيته ، فإنَّه في الرِّضا يُكلِّم أهل طاعته ، وإلَّا لم يكن ثمَّة فرق بينهم وبين المؤمنين ، قال الإمام ابن القيِّم في " حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح " (ص٢٤٣) : " فلو كان لا يكلِّم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء ، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنَّه لا يكلِّمهم فائدة أصلاً " .

﴿سؤال﴾ : هَلْ سَتُكَلِّمُ الْمَلَائِكَةُ أَهْلَ الجَنَّة ؟

الجواب : قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ * لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ * لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَة هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٣] .

وقال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد:٢٢-٢٤] .

وروى أحمد في " المسند " (١١/ ١٣١ برقم ٦٥٧٠) ، الطَّبري في "التَّفسير" (١٣/ ٥١٢) ، البغوي في "معالم التَّنزيل في تفسير القرآن" (٣/ ٢٠) ، ابن كثير في " تفسير القرآن العظيم " (٤/ ٤٥٢) بسندهم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِي، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ؟ " قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: " أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ، وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي ، لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ : ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد: ٢٤] " . قال الأرنؤوط : إسناده جيد.

وروى ابن المبارك في " الزُّهد" (٢/ ٦٨) بسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، فَقَالَ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَكُونُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَعِنْدَهُ سِمَاطَانِ مِنْ خَدَمٍ، وَعِنْدَ طَرَفِ السِّمَاطَيْنِ بَابٌ مُبَوَّبٌ، فَيُقْبِلُ الْمَلَكُ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ يَسْتَأْذِنُ، فَيَقُومُ أَدْنَى الْخَدَمِ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ بِالْمَلَكِ يَسْتَأْذِنُ، فَيَقُولُ لِلَّذِي يَلِيهِ: هَذَا مَلَكٌ يَسْتَأْذِنُ، وَيَقُولُ لِلَّذِي يَلِيهِ حَتَّى يَبْلُغَ أَقْصَاهُ الْمُؤْمِنَ، فَيَقُولُ: ائْذَنُوا لَهُ، فَيَقُولُ أَقْرَبُهُمْ إِلَى الْمُؤْمِنِ: ائْذَنُوا لَهُ، فَيَقُولُ الَّذِي يَلِيهِ لِلَّذِي يَلِيهِ، وَكَذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغَ أَقْصَاهُمُ الَّذِي عِنْدَ الْبَابِ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَدْخُلُ ، فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَتُذَكِّرُ المَلَائِكَةُ أَهْلَ الخَيْرِ بِأَفْعَالِهِم التِي فَعَلُوْهَا فِي الدُّنْيَا ؟

الجواب : روى مسلم (٣/ ١١٩٤ برقم ١٥٦٠) بسنده عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، أَنَّ حُذَيْفَةَ، حَدَّثَهُمْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَة رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ

شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، قَالُوا: تَذَكَّرْ، قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ " .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٠/ ٢٢٤) : " قَوْلُهُ : " كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ" ، قَالَ اللهُ تَجَوَّزُوا عَنْهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ : كُنْتُ أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَعْسُورِ ، وَفِي رِوَايَةٍ : كُنْتُ أُنْظِرُ الْمُعْسِرَ وَأَتَجَوَّزُ فِي السِّكَّةِ أَوْ فِي النَّقْدِ ، وَفِي رِوَايَةٍ : وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ . فَقَوْلُهُ : " فِتْيَانِي " مَعْنَاهُ : غِلْمَانِي ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى ، وَالتَّجَاوُزُ وَالتَّجَوُّزُ مَعْنَاهُمَا : الْمُسَامَحَةُ فِي الِاقْتِضَاءِ وَالِاسْتِيفَاءِ وَقَبُولِ مَا فِيهِ نَقْصٌ يَسِيرٌ كَمَا قَالَ وَأَتَجَوَّزُ فِي السِّكَّةِ ، وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فَضْلُ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ وَالْوَضْعِ عَنْهُ إِمَّا كُلُّ الدِّين وَإِمَّا بَعْضُهُ مِنْ كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ وَفَضْلُ الْمُسَامَحَةِ فِي الِاقْتِضَاءِ وَفِي الِاسْتِيفَاءِ سَوَاءٌ اسْتُوْفِيَ مِنْ مُوسِرٍ أَوْ مُعْسِرٍ وَفَضْلُ الْوَضْعِ من الدِّين وأنَّه لا يحتقر شيء مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ فَلَعَلَّهُ سَبَبُ السَّعَادَةِ وَالرَّحْمَةِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ يَسْمَعُ أَهْلُ الجَنَّة كَلَامَ المَلَائِكَة ؟

الجواب : نعم ، أهل الجَنَّة يسمعون كلام الملائكة ...فالملائكة يهنئونهم بدخلوهم الجَنَّة ، ويهنئوهم بسلامتهم من أكدار وشهوات ورغبات الدُّنيا ...وقد ذكر الله تعالى سلام الملائكة على أهل الجَنَّة في غير ما آية ، قال تعالى : **﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾** [الرعد: ٢٣- ٢٤]

قال الإمام الرَّازيُّ في " التَّفسير" (١٩/ ٣٧) : " قَوْلُهُ: **﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾** ، وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَهُمْ خَيْمَةٌ مِنْ دُرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا فَرْسَخٌ وَعَرْضُهَا فَرْسَخٌ لَهَا أَلْفُ بَابٍ مَصَارِيعُهَا مِنْ ذَهَبٍ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ يَقُولُونَ لَهُمْ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَصَمُّ: مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْبِرِّ كَبَابِ الصَّلَاةِ وَبَابِ الزَّكَاةِ وَبَابِ الصَّبْرِ وَيَقُولُونَ: وَنِعْمَ مَا أَعْقَبَكُمُ اللَّهُ بَعْدَ الدَّارِ الْأُولَى.

وَاعْلَمْ أَنَّ دُخُولَ الْمَلَائِكَةِ إِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الوجه الْأَوَّلِ فَهُوَ مَرْتَبَةٌ عَظِيمَةٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُطِيعِينَ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ جَنَّةَ الْخُلْدِ، وَيَجْتَمِعُونَ بِآبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ، ثُمَّ إِنَّ

الْمَلَائِكَةَ مَعَ جَلَالَةِ مَرَاتِبِهِمْ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ التَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ عِنْدَ الدخول عليهم يكرمونهم بالتَّحيَّة والسَّلام ويبشرونهم بقوله: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا غَيْرُ مَا يَذْكُرُهُ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنْ أَنَّ الثَّوَابَ مَنْفَعَةٌ خَالِصَةٌ دَائِمَةٌ مَقْرُونَةٌ بِالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي قُبُورَ الشُّهَدَاءِ رَأْسَ كُلِّ حَوْلٍ فَيَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ " .

وَالْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ هَكَذَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، وَأَمَّا إِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الوجه الثَّانِي فَتَفْسِيرُ الْآيَةِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ طَوَائِفُ، مِنْهُمْ رُوحَانِيُّونَ وَمِنْهُمْ كَرُوبِيُّونَ. فالعبد إذا راض نفسه بأنواع الراضيات كَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَالْمُحَاسَبَةِ، وَلِكُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ جَوْهَرٌ قُدُسِيٌّ وَرُوحٌ عُلْوِيٌّ يَخْتَصُّ بِتِلْكَ الصِّفَةِ مَزِيدَ اخْتِصَاصٍ، فَعِنْدَ الْمَوْتِ إِذَا أَشْرَقَتْ تِلْكَ الْجَوَاهِرُ الْقُدُسِيَّةُ تَجَلَّتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ رُوحٍ مِنَ الْأَرْوَاحِ السَّمَاوِيَّةِ مَا يُنَاسِبُهَا مِنَ الصِّفَةِ الْمَخْصُوصَةِ بِهَا فَيَفِيضُ عَلَيْهَا مِنْ مَلَائِكَةِ الصَّبْرِ كَمَالَاتٌ مَخْصُوصَةٌ نَفْسَانِيَّةٌ لَا تَظْهَرُ إِلَّا فِي مَقَامِ الصَّبْرِ، وَمِنْ مَلَائِكَةِ الشُّكْرِ كمالات روحانية لا تتجلى إلا في مَقَامِ الشُّكْرِ وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِي جَمِيعِ الْمَرَاتِبِ " .

وقال الإمام القرطبيُّ في " الجامع لأحكام القرآن" (٩/ ٣١٢) : " أَيْ يَقُولُونَ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ، فَأُضْمِرَ الْقَوْلُ، أَيْ قَدْ سَلِمْتُمْ مِنَ الْآفَاتِ وَالْمِحَنِ. وَقِيلَ: هُوَ دُعَاءٌ لَهُمْ بِدَوَامِ السَّلَامَةِ، وَإِنْ كَانُوا سَالِمِينَ، أَيْ سَلَّمَكُمُ اللَّهُ، فَهُوَ خَبَرٌ مَعْنَاهُ الدُّعَاءُ، وَيَتَضَمَّنُ الِاعْتِرَافَ بِالْعُبُودِيَّةِ. ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ ، أَيْ : بِصَبْرِكُمْ، فَـ" مَا" مَعَ الْفِعْلِ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، وَالْبَاءُ فِي" بِمَا" مُتَعَلِّقَةٌ بِمَعْنَى ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ، وَيَجُوزُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِمَحْذُوفٍ، أَيْ هَذِهِ الْكَرَامَةُ بِصَبْرِكُمْ، أَيْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ونهيه، قاله سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ. وَقِيلَ: عَلَى الْفَقْرِ فِي الدُّنْيَا، قَالَهُ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ. وَقِيلَ: عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" هَلْ تَدْرُونَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ"؟ قَالُوا: الله ورسول أَعْلَمُ، قَالَ:" الْمُجَاهِدُونَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ وَتُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ فَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي نَفْسِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ:" كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي قُبُورَ الشُّهَدَاءِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ حول فيقول: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ .

وَكَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، وَذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي الشُّهَدَاءَ، فإذا أتى فرضة الشعب يقول: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ . ثُمَّ كَانَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ، وَكَانَ عُمَرُ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ يَفْعَلُهُ، وَكَانَ عُثْمَانُ بَعْدَ عُمَرَ يَفْعَلُهُ. وَقَالَ الْحَسَنُ

الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ عَنْ فُضُولِ الدُّنْيَا. وَقِيلَ: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ عَلَىٰ مُلَازَمَةِ الطَّاعَةِ، وَمُفَارَقَةِ الْمَعْصِيَةِ، قَالَ مَعْنَاهُ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ. ابْنُ زَيْدٍ: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ عَمَّا تُحِبُّونَهُ إِذَا فَقَدْتُمُوهُ. وَيَحْتَمِلُ سَابِعًا- ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ عَنِ اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ. وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمَا قَالَا: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُنَادِي مُنَادٍ لِيَقُمْ أَهْلُ الصَّبْرِ، فَيَقُومُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ لَهُمُ: انْطَلِقُوا إِلَىٰ الجَنَّة فَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: إِلَىٰ أَيْنَ؟ فَيَقُولُونَ: إِلَىٰ الْجَنَّةِ، قَالُوا: قَبْلَ الْحِسَابِ؟ قَالُوا نَعَمْ! فَيَقُولُونَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ الصَّبْرِ، قَالُوا: وَمَا كَانَ صَبْرُكُمْ؟ قَالُوا: صَبَرْنَا أَنْفُسَنَا عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَصَبَرْنَاهَا عَنْ مَعَاصِي اللهِ وَصَبَرْنَاهَا عَلَىٰ الْبَلَاءِ وَالْمِحَنِ فِي الدُّنْيَا. قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: ادْخُلُوا الجَنَّة فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. وَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ: فَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أَيْ: نِعْمَ عَاقِبَةُ الدَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا، عَمِلْتُمْ فِيهَا مَا أَعْقَبَكُمْ هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ، فَالْعُقْبَىٰ عَلَىٰ هَذَا اسْمٌ، و ﴿الدَّارِ﴾ هِيَ الدُّنْيَا. وَقَالَ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الجَنَّة عَنِ النَّارِ. وَعَنْهُ: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الجَنَّة عن الدُّنيا " .

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥] ، قال الإمام الرَّازيُّ في " التَّفسير" (٢٤/٤٨٨) : " وَالتَّحِيَّةُ الدُّعَاءُ بِالتَّعْمِيرِ وَالسَّلَامُ الدُّعَاءُ بِالسَّلَامَةِ، فَيَرْجِعُ حَاصِلُ التَّحِيَّةِ إِلَىٰ كَوْنِ نَعِيمِ الجَنَّة بَاقِيًا غَيْرَ مُنْقَطِعٍ، وَيَرْجِعُ السَّلَامُ إِلَىٰ كَوْنِ ذَلِكَ النَّعِيمِ خَالِصًا عَنْ شَوَائِبِ الضَّرَرِ، ثُمَّ هَذِهِ التَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِقَوْلِهِ: ﴿سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِقَوْلِهِ : ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرَّعْدِ: ٢٣- ٢٤] وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ن٨ " .

وقال تعالىٰ عن خزنة الجَنَّة حيث سيُسلِّمون علىٰ أهلها قائلين لهم: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] ، فيقول أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّة حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] .

وروىٰ مسلم (٤/ ٢١٨٢ برقم ٢٨٣٧) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا " فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّة أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا صِفَةُ أَهْلِ الجَنَّةِ المُتعَلِّقَةُ بِطُوْلِهِم وَعَرْضِهِم ؟

الجواب : روىٰ البخاري (٨/ ٥٠ برقم٦٢٢٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَىٰ أُولَئِكَ، النَّفَرِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّىٰ الآنَ " .

وروىٰ البخاري (٤/ ١٣٢ برقم ٣٣٢٧) ، مسلم (٤/ ٢١٧٩ برقم ٢٨٣٤) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ، عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَىٰ خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» .

وروىٰ أحمد في " المسند" (١٣/ ٣١٥ برقم ٧٩٣٣) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جِعَادًا، مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَىٰ خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعِ أَذْرُعٍ " . قال الأرنؤوط: " حديث حسن بطرقه وشواهده دونَ قوله: "في عرض سبع أذرع"، فقد تفرد بها علي بن زيد وهو ابن جُدْعان-، وهو ضعيف. وأخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١١٤، وابن أبي داود في "البعث" (٦٤) من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد. وأخرجه الطبراني في "الصغير" (٨٠٨) ، وأبو نعيم في "صفة الجنة" (٢٥٥) ، وابن عدي ٥/ ١٨٤٢، والبيهقي في "البعث" (٤١٩) و (٤٢٠) من طرق عن حماد، به. وأخرجه ابن سعد ١/ ٣٢ من طريق يحيىٰ بن السكن، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد، عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلاً. وسيأتي موصولاً برقم (٨٥٢٤) و (٩٣٧٥) و (١٠٩١٣) ، والموضع الأخير مختصر، وسلف برقم (٧١٦٥) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً: أن أول زمرة تدخل الجَنَّة علىٰ صورة آدم في طول ستين ذراعاً. وأخرج الدارمي (٢٨٢٨) ، والترمذي (٢٥٣٩) ، وأبو نعيم في "صفة الجنة" (٢٥٦) من حديث معاذ بن هشام، عن أبية، عن عامر الأحول، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أهل الجَنَّة جُرد مُرد كُحل، لا يفنىٰ شبابهم ولا تبلىٰ ثيابهم". وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف، وقال الترمذي: حسن غريب. وله شاهد من حديث معاذ بن جبل، سيأتي ٥/ ٢٤٣، وفيه شهر أيضاً. وآخر من حديث أنس بن مالك أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ٨/ ٢١٩، وابن أبي داود في "البعث" (٦٥) ، والطبراني في "الصغير" (١١٦٤) ، وأبو نعيم في "الحلية" ٣/ ٥٦، وفي "صفة الجنة" (٢٥٥) ، والبيهقي في "البعث" (٤١٨) ، وفيه هارون بن رئاب وقد اختلف في سماعه من أنس. جُرداً مُرداً، قال السندي: الأول جمع أَجْرَد: وهو من لا شَعْر علىٰ جسده، والثاني جمع أمرد: وهو من لا شعر علىٰ ذقنه. وجعاداً: قال: ضُبط بكسر جيم، جمع جَعْد بفتح فسكون، وفي "المجمع": الجعد

في صفات الرجال يكون مدحاً وذماً، فالمدح أن يكون شديد الأسر والخَلْق، أو يكون جعد الشعر، وهو ضدُّ السَّبط، لأن السُّبوطة أكثرها في شعر العجم، والذمّ القصير المتردِّد الخَلْق، وقد يطلق على البخيل، يقال: هو جعد اليدين، ويجمع على جِعاد.

تنبيه: أورد الحافظان: ابن كثير في "جامع المسانيد" ٧/ ورقة ١٧٤، وابن حجر في "الأطراف" ٨/ ٣٢ لهذا الحديث إسناداً ليس في نسخنا الخطية، وهو: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا محمد بن زياد، سمعت أبا هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكره، وقال فيه: "سبعين ذراعاً". وهذا إسناد صحيح ". ولا يخفى على ذي لبٍّ أنَّ هذا العمر هو أفضل وأكمل الأعمار في استيفاء وتحصيل سائر اللذَّات ... قال الإمام ابن القيِّم في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " (ص١٥٤) : " ... فأنَّه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذَّات ، لأنَّه أكمل سنِّ القوَّة عظم الآت اللذَّة " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هُوَ العُمْرُ الذِيْ يَدْخُلُ فِيْهِ أَهْلِ الجَنَّة الجَنَّةَ ؟

الجواب : روى أحمد في " المسند" (١٣/ ٣١٥ برقم ٧٩٣٣) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّة الْجَنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جِعَادًا، مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعِ أَذْرُعٍ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ أَهْلُ الجَنَّة مُضِيْئُوْنَ وَمُتَفَاوِتُوْنَ فِي الإِضَاءَةِ فِيْمَا بَيْنَهُم ؟

الجواب : نعم ، أهل الجَنَّة مضيئون ومتفاوتون في الإضاءة فيما بينهم ...

أما أنَّهم مضيئون ، فقد روى البخاري (٨/ ١١٣ برقم ٦٥٤٢) ، مسلم (١/ ١٩٧ برقم ٢١٦) بسندهما سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، حَدَّثَهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَدْخُلُ الجَنَّة مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ» وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، ادْعُ اللهَّ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، ادْعُ اللهَّ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ " .

وأما أنهم متفاوتون في الإضاءة فيما بينهم ، فلما رواه مسلم (٤/ ٢١٧٩ برقم ٢٨٣٤) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّة مِنْ أُمَّتِي عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ لَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبْزُقُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى طُولِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا»، قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ، وقَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ، وقَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ.

قال الإمام زين الدِّين العراقي في " طرح التَّثريب في شرح التَّقريب " (٨/ ٢٦٨) : " (الرَّابِعَةُ) قَوْلُهُ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ أَيْ عَلَىٰ صِفَتِهِ أَيْ إنَّهُمْ فِي إشْرَاقِ وُجُوهِهِمْ عَلَىٰ صِفَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ وَهِيَ لَيْلَةُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَبِذَلِكَ سُمِّيَ الْقَمَرُ بَدْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي هَذَا الْمَعْنَىٰ مَا يَقْتَضِي مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ فَرَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مَرْفُوعًا «لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّة اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرَهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُوم."

(الْخَامِسَةُ) اقْتَصَرَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ عَلَىٰ ذِكْرِ صِفَةِ الزُّمْرَةِ الْأُولَىٰ وَبَيَّنَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَىٰ أَنَّ الثَّانِيَةَ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إضَاءَةً، وَفِي الدُّرِّيِّ ثَلَاثُ لُغَاتٍ قُرِئَ بِهِنَّ فِي السَّبْعِ (الْأَكْثَرُونَ) دُرِّيٌّ بِضَمِّ الدَّالِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، وَالْيَاءِ بِلَا هَمْزٍ (وَالثَّانِيَةُ) بِضَمِّ الدَّالِ مَهْمُوزٌ مَمْدُودٍ (وَالثَّالِثَةُ) بِكَسْرِ الدَّالِ مَمْدُودٌ مَهْمُوزٌ، وَهُوَ الْكَوْكَبُ الْعَظِيمُ قِيلَ سُمِّيَ دُرِّيًّا لِبَيَاضِهِ كَالدُّرِّ وَقِيلَ لِإِضَاءَتِهِ وَقِيلَ لِشَبَهِهِ بِالدُّرِّ فِي كَوْنِهِ أَرْفَعَ مِنْ بَاقِي النُّجُومِ كَالدُّرِّ أَرْفَعُ الْجَوَاهِرِ وَبَيَّنَ بِقَوْلِهِ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ ، أَيْ إنَّ دَرَجَاتِهِمْ فِي إشْرَاقِ اللَّوْنِ مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ عُلُوِّ دَرَجَاتِهِمْ وَتَفَاوُتِ فَضْلِهِمْ."

﴿سُؤالٌ﴾ : أُذْكُرْ لَنَا أَحْوالَ ثَوابِ الْمُؤمِنِيْن ؟

الجواب : قال الإمام الرَّازيُّ في " التَّفسير" (٢٢/ ١٨٩-١٩٠) : " ... إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شَرَحَ مِنْ أَحْوَالِ ثَوَابِهِمْ أُمُورًا خَمْسَةً:

أَحَدُهَا: قَوْلُهُ: **﴿أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ﴾** ، فَقَالَ أَهْلُ الْعَفْوِ مَعْنَاهُ : أُولَئِكَ عَنْهَا مُخْرَجُونَ، وَاحْتَجُّوا عَلَيْهِ بِوَجْهَيْنِ :

الْأَوَّلُ: قوله: **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها﴾** [مريم: ٧١] أَثْبَتَ الْوُرُودَ وَهُوَ الدُّخُولُ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْإِبْعَادَ هُوَ الْإِخْرَاجُ .

الثَّانِي: أَنَّ إِبْعَادَ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ لَا يَصِحُّ إِلَّا إِذَا كَانَا مُتَقَارِبَيْنِ لِأَنَّهُمَا لَوْ كَانَا مُتَبَاعِدَيْنِ اسْتَحَالَ إِبْعَادُ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ، لِأَنَّ تَحْصِيلَ الْحَاصِلِ مُحَالٌ، وَاحْتَجَّ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ عَلَىٰ فَسَادِ هَذَا الْقَوْلِ الْأَوَّلِ بِأُمُورٍ :

أَحَدُهَا: أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى﴾** يَقْتَضِي أَنَّ الْوَعْدَ بِثَوَابِهِمْ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الدُّنْيَا وَلَيْسَ هَذَا حَالُ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ لَوْ صَحَّ ذَلِكَ .

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ تَعَالَىٰ قَالَ: **﴿أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ﴾** ، وَكَيْفَ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَنْ وَقَعَ فِيهَا .

وَثَالِثُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها**﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿**لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ**﴾ يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ.

وَالْجَوَابُ عَنِ الْأَوَّلِ: لَا نُسَلِّمُ أَنْ يُقَالَ : الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى**﴾ هُوَ أَنَّ الْوَعْدَ بِثَوَابِهِمْ قَدْ تَقَدَّمَ، وَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْحُسْنَىٰ تَقَدُّمُ الْوَعْدِ بِالْعَفْوِ، سَلَّمْنَا أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْحُسْنَىٰ تَقَدُّمُ الْوَعْدِ بِالثَّوَابِ، لَكِنْ لِمَ قُلْتُمْ إِنَّ الْوَعْدَ بِالثَّوَابِ لَا يَلِيقُ بِحَالِ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ فَإِنَّ عِنْدَنَا الْمُحَابَطَةَ بَاطِلَةٌ وَيَجُوزُ الْجَمْعُ بَيْنَ اسْتِحْقَاقِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ .

وَعَنِ الثَّانِي: أَنَّا بَيَّنَّا أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿**أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ**﴾ ، لَا يُمْكِنُ إِجْرَاؤُهُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ إِلَّا فِي حَقِّ مَنْ كَانَ فِي النَّارِ .

وَعَنِ الثَّالِثِ: أَنَّ قَوْلَهُ: لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها مَخْصُوصٌ بِمَا بَعْدَ الْخُرُوجِ.

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿**لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ**﴾ فَالْفَزَعُ الْأَكْبَرُ هُوَ عَذَابُ الْكُفَّارِ، وَهَذَا بِطَرِيقِ الْمَفْهُومِ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَصْغَرُ، فَإِنْ لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ لَا يَدُلَّ عَلَىٰ ثُبُوتِهِ وَلَا عَلَىٰ عَدَمِهِ .

الْوَجْهُ الثَّانِي: فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿**أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ**﴾ أَنَّ الْمُرَادَ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ لَا يَدْخُلُونَ النَّارَ وَلَا يَقْرَبُونَهَا الْبَتَّةَ، وَعَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ بَطَلَ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَرِدُونَ النَّارَ ثُمَّ يَخْرُجُونَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَانِعَةٌ مِنْهُ وَحِينَئِذٍ يَجِبُ التَّوْفِيقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قوله: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها**﴾ [مريم: ٧١] ، وَقَدْ تَقَدَّمَ .

الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها**﴾ ، وَالْحَسِيسُ الصَّوْتُ الَّذِي يُحَسُّ، وَفِيهِ سُؤَالَانِ:

الْأَوَّلُ: أَيُّ وَجْهٍ فِي أَنْ لَا يَسْمَعُوا حَسِيسَهَا مِنَ الْبِشَارَةِ وَلَوْ سَمِعُوهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ حَالُهُمْ .

قُلْنَا: الْمُرَادُ تَأْكِيدُ بُعْدِهِمْ عَنْهَا لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا وَقَرُبَ مِنْهَا قَدْ يَسْمَعُ حَسِيسَهَا .

السُّؤَالُ الثَّانِي: أَلَيْسَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ أَهْلَ النَّارِ فَكَيْفَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَ النَّارِ؟ الْجَوَابُ: إِذَا حَمَلْنَاهُ عَلَىٰ التَّأْكِيدِ زَالَ هَذَا السُّؤَالُ .

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: ﴿**وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ**﴾ ، وَالشَّهْوَةُ طَلَبُ النَّفْسِ لِلَذَّةِ يَعْنِي نَعِيمُهَا مُؤَبَّدٌ، قَالَ الْعَارِفُونَ: لِلنُّفُوسِ شَهْوَةٌ وَلِلْقُلُوبِ شَهْوَةٌ وَلِلْأَرْوَاحِ شَهْوَةٌ، وَقَالَ الْجُنَيْدُ: سَبَقَتِ الْعِنَايَةُ فِي الْبِدَايَةِ، فَظَهَرَتِ الْوِلَايَةُ فِي النِّهَايَةِ .

الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: ﴿**لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ**﴾ ، وَفِيهِ وُجُوهٌ :

أَحَدُهَا: أَنَّهَا النَّفْخَةُ الْأَخِيرَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾** [النَّمل: ٨٧] .

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ الْمَوْتُ قَالُوا: إِذَا اسْتَقَرَّ أَهْلُ الجَنَّة فِي الجَنَّة وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعَهُ الْمَوْتُ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيَقُولُ لِأَهْلِ الدَّارَيْنِ أَتَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ: لا فَيَقُولُ هَذَا الْمَوْتُ ثُمَّ يَذْبَحُهُ ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ الجَنَّة خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ أَبَدًا، وَكَذَلِكَ لِأَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَجَّ هَذَا الْقَائِلُ بِأَنَّ قَوْلَهُ: **﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ إِنَّمَا** ذُكِرَ بَعْدَ قوله: **﴿وَهُمْ فِيها خالِدُونَ﴾** [البقرة: ٢٥] فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ لِأَحَدِهِمَا تَعَلُّقٌ بِالْآخَرِ، وَالْفَزَعُ الْأَكْبَرُ الَّذِي هُوَ يُنَافِي الْخُلُودَ هُوَ الْمَوْتُ .

وَثَالِثُهَا: قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ هُوَ إِطْبَاقُ النَّارِ عَلَى أَهْلِهَا فَيَفْزَعُونَ لِذَلِكَ فَزْعَةً عَظِيمَةً، قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ: الْأَوْلَى فِي ذَلِكَ أَنَّهُ الْفَزَعُ مِنَ النَّارِ عِنْدَ مُشَاهَدَتِهَا لِأَنَّهُ لَا فَزَعَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ لَا يَحْزُنُهُمْ فَقَدْ صَحَّ أَنَّ الْمُؤْمِنَ آمِنٌ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّ عَذَابَ النَّارِ عَلَى مَرَاتِبَ فَعَذَابُ الْكُفَّارِ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ الْفُسَّاقِ، وَإِذَا كَانَتْ مَرَاتِبُ التَّعْذِيبِ بِالنَّارِ مُتَفَاوِتَةً كَانَتْ مَرَاتِبُ الْفَزَعِ مِنْهَا مُتَفَاوِتَةً، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ نَفْيِ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ نَفْيُ الْفَزَعِ مِنَ النَّارِ.

الصِّفَةُ الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: **﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾** ، قَالَ الضَّحَّاكُ: هُمُ الْحَفَظَةُ الَّذِينَ كَتَبُوا أَعْمَالَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ وَيَقُولُونَ لَهُمْ مُبَشِّرِينَ: **﴿هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾** " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ أَهْلُ الجَنَّة يُسَبِّحُوْنَ اللهَ تَعَالَى وَيَحْمدُوْنَه ؟

الجواب : روى البخاري (٤/ ١١٨ برقم ٣٢٤٥) ، مسلم (٤/ ١١٨ برقم ٣٢٤٥) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّة صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللهَّ بُكْرَةً وَعَشِيًّا " .

قال الإمام ابن حجر في " فتح الباري" (٦/ ٣٢٦) : " قَوْلُهُ يُسَبِّحُونَ اللهَّ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، أَيْ قَدْرَهُمَا ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : هَذَا التَّسْبِيحُ لَيْسَ عَنْ تَكْلِيفٍ وَإِلْزَامٍ ، وَقَدْ فَسَّرَهُ جَابِرٌ فِي حَدِيثِهِ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِقَوْلِهِ : " يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ " ، وَوَجْهُ التَّشْبِيهِ : أَنَّ تَنَفُّسَ الْإِنْسَانِ لَا كُلْفَةَ عَلَيْهِ فِيهِ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ ،

فَجَعَلَ تَنَفُّسَهُمْ تَسْبِيحًا ، وَسَبَبُهُ أَنَّ قُلُوبَهُمْ تَنَوَّرَتْ بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَامْتَلَأَتْ بِحُبِّهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ " .

وقال الإمام علي بن سلطان القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (٩/ ٣٥٨١) : " **﴿يُسَبِّحُونَ اللهَّ﴾** ، أَيْ: أَهْلُ الجَنَّة يُنَزِّهُونَهُ تَعَالَىٰ عَنْ صِفَاتِ النُّقْصَانِ، وَيُثْبِتُونَ لَهُ نُعُوتَ الْكَمَالِ، فَإِنَّ النَّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ مُتَلَازِمَانِ، كَمَا حُقِّقَ فِي كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ مِنْ أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا لِلتَّوْكِيدِ، وَإِلَىٰ ذَلِكَ أَشَارَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: **﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾** [يونس: ١٠] ، **﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾** ، أَيْ دَائِمًا عَلَىٰ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمَا لَيْلًا وَنَهَارًا بِإِطْلَاقِ الْجُزْءِ وَإِرَادَةِ الْكُلِّ، مَجَازٌ. وَقَالَ الطِّيبِيُّ – رَحِمَهُ اللهُّ –: يُرَادُ بِهَا الدَّيْمُومَةُ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: أَنَا عِنْدَ فُلَانٍ صَبَاحًا وَمَسَاءً، لَا تَقْصِدُ الْوَقْتَيْنِ الْمَعْلُومَيْنِ، بَلِ الدَّيْمُومَةَ " .

وروىٰ مسلم (٤/ ٢١٨٠ برقم ٢٨٣٥) بسنده عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّة يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ غِرَاسُ الجَنَّة ؟

الجواب : روىٰ التِّرمذي (٥/ ٣٨٧ برقم ٣٤٦٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ) بسنده عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلاَمَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّة طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ الله وَالحَمْدُ للهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُّ وَاللهُّ أَكْبَرُ.

وروىٰ التِّرمذي (٥/ ٣٨٨ برقم ٣٤٦٤ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ) ، أبو بكر أحمد بن مروان الدِّينوري في " المجالسة وجواهر العلم" (١/ ٣٧٤ برقم ٦٧) ، الطَّبراني في " الدُّعاء" (ص٤٧٨ برقم ١٦٧٥) ، " المعجم الصَّغير" (١/ ١٨١ برقم ٢٨٧) ، الحاكم في " المستدرك علىٰ الصَّحيحين "(١/ ٦٨٠ برقم ١٨٤٧ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ) ، البيهقي في " الدَّعوات الكبير "(١/ ٢١٧ برقم ١٤٧) ، البغوي في " شرح السُّنَّة " (٥/ ٤٣ برقم ١٢٦٥) بسندهم عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ" .

وروىٰ ابن ماجه (٢/ ١٢٥١) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا الَّذِي تَغْرِسُ؟» قُلْتُ: غِرَاسًا لِي، قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ غِرَاسٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ

هَذَا؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، يُغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ " .

﴿سُؤَالٌ﴾ : مَا عَدَد زَوْجَاتِ الْمُؤْمِنِ فِي الجَنَّة ؟

الجواب : روى البخاري (٦/ ١٤٥ برقم ٤٨٧٩) ، مسلم (٤/ ٢١٨٢ برقم ٢٨٣٨) بسندهما عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ كَذَا، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ " .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (١٧/ ١٧٥-١٧٦) : " أَمَّا الْخَيْمَةُ فَبَيْتٌ مُرَبَّعٌ مِنْ بُيُوتِ الْأَعْرَابِ ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ " ، هَكَذَا هُوَ فِي عَامَّةِ النُّسَخِ : مُجَوَّفَةٍ بِالْفَاءِ ، قَالَ الْقَاضِي : وَفِي رِوَايَةِ السَّمَرْقَنْدِيِّ : مُجَوَّبَةٍ بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَهِيَ الْمَثْقُوبَةُ ، وَهِيَ بِمَعْنَى الْمُجَوَّفَةِ والزاوية الجانب وَالنَّاحِيَةِ ، وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى : " عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا" ، وَفِي الثَّانِيَةِ : "طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلًا" ، ولا معارضة بَيْنَهُمَا ، فَعَرْضُهَا فِي مِسَاحَةِ أَرْضِهَا وَطُولُهَا فِي السَّمَاءِ ، أَيْ : فِي الْعُلُوِّ مُتَسَاوِيَانِ " .

ولا شكَّ أنَّ لهذه الخيمة زوايا عديدة ... والمعنى أنَّ زوجات المؤمن كثيرة كثرة زوايا خيمته...

وروى أحمد في " المسند" (٢٨/ ٤١٩ برقم ١٧١٨٢) : " عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ الْحَكَمُ: سِتَّ خِصَالٍ - أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى - قَالَ الْحَكَمُ: وَيُرَى - مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ - قَالَ الْحَكَمُ: يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ - وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ " . قال الأرنؤوط : " رجاله ثقات، غير إسماعيل بن عياش، فقد اضطرب فيه: فرواه بهذا الإسناد عند عبد الرزاق في "مصنفه" (٩٥٥٩) ، وسعيد بن منصور في "سننه" (٢٥٦٢) ، وابن ماجه (٢٧٩٩) ، وابن أبي عاصم في "الجهاد" (٢٠٤) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠/ (٦٢٩) ، وفي "مسند الشاميين" (١١٢٠) ، والبيهقي في "الشعب" (٤٢٥٤) . ورواه عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن عبادة بن الصامت، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما سيأتي في الرواية التالية. ورواه عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن عقبة بن عامر، موقوفاً، عند الطبراني في "مسند الشاميين" (١١٦٣) . ورواه عن بحير

بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن نعيم ابن همّار، مرفوعاً، فيما أورده ابن أبي حاتم في "العلل" ١/ ٣٢٨. ورواه عن سعيد بن يوسف، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلاَّم، عن أبي مُعانِق الأشعري، عن أبي مالك، مرفوعاً، عند ابن أبي عاصم في "الجهاد (٢٠٥) . وقد تابع إسماعيلَ بن عياش بقيةُ بن الوليد، بهذا الإسناد، عند الترمذي (١٦٦٣) ، لكنه عنعنه، وتدليسه تدليس التسوية وهو شر أنواع التدليس، ومع ذلك قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وقد قال ابن أبي حاتم في "العلل" ١/ ٣٢٨: سألت أبي عن حديث رواه إسماعيل بن عياش، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن نعيم بن همار، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "للشهيد عند الله ست خصال؟ " قال أبي: رواه بقية، عن بحير، عن خالد بن معدان، عن المقدام، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قلت لأبي: أيهما الصحيح؟ فقال: كان ابن المبارك يقول: إذا اختلف بقيةُ وإسماعيل، فبقيةُ أحبُّ إلي، قلتُ: فأيهما أشبهُ عندك؟ قال: بقية أحب إلينا من إسماعيل، فأما الحديث فلا يضبط أيهما الصحيح. قلنا: وقد رُوي الحديث من طريق كثير بن مرة كذلك، عن قيس الجذامي، فيما سيرد برقم (١٧٧٨٣) . أخرجه الإمام أحمد عن زيد بن يحيى الشامي، عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عنه، به. وقد قال صالح بنُ محمد البغدادي في عبدِ الرحمن بنِ ثابت: أنكروا عليه أحاديث يرويها عن أبيه، عن مكحول، مسندة. قلنا: فمثله لا يحتمل تفرده، ولم نجد له متابعاً سوى إسماعيل بن عياش الذي اضطرب فيه، وبقية الذي عنعن في إسناده. قال السندي: قوله: ويرى مقعده: الظاهر أن المراد أنه يرى قبل الموت. ويُحَلَّى: من التحلية، والله تعالى يعلم حقيقة حُلَّة الإيمان. ويزوج من الحور العين، أي: العدد الذي في آخر الحديث " .

وروى البخاري (٤/ ١١٨ برقم ٣٢٤٥) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا " .

قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٦/ ٣٢٥) : " قَوْلُهُ : " وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ " ، أَيْ مِنْ نِسَاءِ الدُّنْيَا ، فَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا فِي صِفَةِ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً وَإِنَّ لَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَاثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً سِوَى أَزْوَاجِهِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَفِي سَنَدِهِ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ ، وَفِيهِ مَقَالٌ ، وَلِأَبِي يَعْلَى فِي حَدِيثِ الصُّوَرِ الطَّوِيلِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ فَيَدْخُلُ الرَّجُلُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِمَّا يُنْشِئُ اللَّهُ ، وَزَوْجَتَيْنِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ . وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَفَعَهُ إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً ، وَقَالَ : غَرِيبٌ وَمِنْ حَدِيثِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يَكْرِبَ عِنْدَهُ لِلشَّهِيدِ سِتُّ خِصَالٍ الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ : وَيَتَزَوَّجُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ بن مَاجَهْ وَالدَّارِمِيِّ رَفَعَهُ : مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا زَوَّجَهُ اللَّهُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَسَبْعِينَ وَثِنْتَيْنِ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ جِدًّا ، وَأَكْثَرُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مَا

أَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ فِي الْعَظَمَةِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْبَعْثِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَفَعَهُ : إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة لَيُزَوَّجُ خَمْسَمِائَةِ حَوْرَاءَ أَوْ إِنَّهُ لَيُفْضِي إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ بِكْرٍ وَثَمَانِيَةِ آلَافِ ثَيِّبٍ وَفِيهِ رَاوٍ لَمْ يُسَمَّ وَفِي الطَّبَرَانِيِّ من حَدِيث بن عَبَّاسٍ : إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة لَيُفْضِي إِلَى مائة عذراء.

وَقَالَ بن الْقَيِّمِ لَيْسَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ زِيَادَةٌ عَلَى زَوْجَتَيْنِ سِوَى مَا فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى إِنَّ فِي الجَنَّة لِلْمُؤْمِنِ لَخَيْمَةٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ لَهُ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ.

قُلْتُ : الْحَدِيثُ الْأَخِيرُ صَحَّحَهُ الضِّيَاءُ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي صِفَةِ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّة ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ أَقَلَّ مَا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ ، وَقَدْ أَجَابَ بَعْضُهُمْ بِاحْتِمَالِ أَنْ تَكُونَ التَّثْنِيَةُ تَنْظِيرًا لِقَوْلِهِ جَنَّتَانِ وَعَيْنَانِ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ أو المراد تَثْنِيَةُ التَّكْثِيرِ وَالتَّعْظِيمِ نَحْوُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ " .

وعلى كلِّ فإنَّ المراد – والله أعلم – أنَّ أقلَّ ما لكلِّ واحد منهم زوجتان، وهذا ما ذهب إليه ابن حجر رحمه الله ، كما تقدَّم ... ويدلُّ عليه ما رواه مسلم (١/ ١٧٥ برقم ١٨٨) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّة مَنْزِلَةً، رَجُلٌ صَرَفَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ، وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا " وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ: فَيَقُولُ: «يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَزَادَ فِيهِ: " وَيُذَكِّرُهُ اللهُ، سَلْ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ: هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ "، قَالَ: " ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ "، قَالَ: " فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ " . فهذا أدنى واحد يُعطى من الجَنَّة ، وهو يظنُّ أنَّه ما أُعطى أحدٌ مثل ما أُعطي ، قال الإمام ابن رجب في "التَّخويف من النَّار والتَّعريف بحال دار البوار " (ص٢٦٨) : " فهاتان الزَّوجتان من الحور العين، لا بدَّ لكلِّ رجل دخل الجَنَّة منهما، وأمَّا الزِّيادة على ذلك،، فتكون بحسب الدَّرجات والأعمال، ولم يثبت في حصر الزِّيادة على الزَّوجتين شيء " ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنِ التَّمَتُّعِ بِالْحُورِ العِيْن ؟

الجواب : للتَّمتُّع بالحور العين ألوان من المتعة ، منها:

أَوَّلَاً : التَّمَتُّعُ بِشَمِّ رِيحِهِنَّ : روى أحمد في " المسند " (١٩/ ٤٢٤ برقم ١٢٤٣٦) بسنده عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ الله، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ أَوْ

مَوْضِعُ قَدِّهِ - يَعْنِي سَوْطَهُ - مِنَ الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوِ اطَّلَعَتْ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّة إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَطَابَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد حسن، محمد بن طلحة -وهو ابن مصرف اليامي- روى له الشيخان، لكن فيه كلام ينزله عن رتبة الصحيح، وهو صدوق حسن الحديث، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين. أبو النضر: هو هاشم بن القاسم. وسيتكرر الحديث برقم (١٣٧٧٩) ، وأخرجه مطولاً ومختصراً البخاري (٢٧٩٢) و (٢٧٩٦) ، وابن ماجه (٢٧٥٧) ، وابن أبي عاصم في "الجهاد" (٥٧) و (٥٨) ، وفي "الزهد" (٢٤٣) ، وأبو يعلى (٣٧٧٥) ، والسهمي في "تاريخ جرجان" ص١٤٦، وأبو نعيم في "صفة الجنة" (٣٨٠) ، والبغوي (٢٦١٦) من طرق عن حميد الطويل، عن أنس مرفوعاً. وأخرجه ابن المبارك في "الجهاد" (٢٣) ، ونعيم بن حماد في "زوائده على الزهد" (٢٥٧) ، وأبو حاتم في "العلل" لابنه ١/ ٣١٠ من طريق حميد عن أنس موقوفاً.ر وقال أبو حاتم: حديث حميد فيه مثل ذا كثير، واحد عنه يسند، وآخر يوقف. وسيأتي من طريق حميد بالأرقام (١٢٤٣٧) و (١٢٤٩٢) و (١٢٦٠٢) و (١٢٦٠٣) و (١٣٧٨٠) ، وانظر ما سلف برقم (١٢٣٥٠) . وفي باب فضل الغدو في سبيل الله تعالى، عن ابن عباس، سلف برقم (٢٣١٧) . وعن سهل بن سعد الساعدي وأبي أمامة ومعاوية بن حُديج، ستأتي أحاديثهم في "المسند" على التوالي ٣/ ٤٣٣ و٥/ ٢٦٦ و٦/ ٤٠١. ولبقية الحديث انظر حديث أبي هريرة السالف برقم (١٠٢٧٠) ، قوله: "لغدْوة" قال السندي: بالفتح، قيل: هو المرة من الغُدُو: وهو سيرُ أول النهار، نقيض الرواح، والغُدْوة بالضم: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس، والظاهر أنه لا يختص بالغدو والرواح من بلدته، بل يحصل بكل غدْوة وروْحة في طريقه إلى الغزو. كذا في "المجمع" في موضع، وقال في موضع آخر: الغدْوة المرة من الذهاب، والروْحة المرة من المجيء. " لقاب قوس" أي: قدره. " قده" بكسر وتشديد الدال: السوط. أي: قدر موضع يسع سوطه من الجنة. "ما بينهما" أي: بين السماء والأرض، أو بين المشرق والمغرب. "ريحاً" أي: عطراً أو طيباً "ولنصيفها" بفتح نون وكسر صاد: هو الخمار" .

ثَانِيَاً : التَّمَتُّعُ بِسَمَاعِ كَلَامِهِنَّ وَغِنَائِهِنَّ : روى الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (٥/ ١٤٩ برقم ٤٩١٧) ، " الصَّغير " (٢/ ٣٥ برقم ٧٣٤) ، أبو نعيم الأصبهاني في " صفة الجَنَّة " (٢/ ١٦٦ برقم ٣٢٢) ، الضِّياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٣/ ١٩٠ برقم ٣٠٣) بسندهم عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الجَنَّة لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ. إِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْحِسَانُ. أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ. يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَانْ. وَإِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا يَمُتْنَهْ. نَحْنُ الْآمِنَاتُ فَلَا يَخَفْنَهْ. نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا يَظْعَنَّهْ " .

ثَالِثَاً : التَّمَتُّعُ بِمُشَاهَدَتِهِنَّ : فالحوريَّة على جمال خارق ، بحيث لو أطلَّت بوجهها لأضاءت ما بين السَّماء والأرض ، فمشاهدة هذا الجمال البارع متعة كبيرة ، فقد روى البخاري (٤/ ١٧ برقم ٢٧٩٦) بسنده عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ غَدْوَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ - يَعْنِي سَوْطَهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ

الجَنَّة اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا " .

رَابِعَاً : التَّمَتُّعُ بملامستهنَّ وَمُجَامَعَتِهِنَّ ، والتَّلَذُّذ بِهِنَّ لِقَاءً وَاتِّصَالاً : الحور العين أبكار لم يفض بكارتهنَّ إلَّا أزواجهنَّ ، وبعد الانتهاء من الجماع يعدن أبكاراً مرَّة أُخرىٰ ...

قال تعالىٰ : **﴿إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً * فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً﴾** [الواقعة:٣٥-٣٦] ، قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٩/٤٠٧-٤٠٨) : " وَفِي الْإِنْشَاءِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: الضَّمِيرُ فِي: أَنْشَأْناهُنَّ عَائِدٌ إِلَى مَنْ؟ فِيهِ ثلاثة أوجه :

أَحَدُهَا: ﴿إِلى حُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢] وَهُوَ بَعِيدٌ لِبُعْدِهِنَّ وَوُقُوعِهِنَّ فِي قِصَّةٍ أُخْرَىٰ .

ثَانِيهَا: أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْفُرُشِ النِّسَاءُ وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ إِلَيْهِنَّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ﴾** [البَقَرَةِ: ١٨٧] ، وَيُقَالُ لِلْجَارِيَةِ صَارَتْ فِرَاشًا وَإِذَا صَارَتْ فِرَاشًا رُفِعَ قَدْرُهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَارِيَةٍ لَمْ تَصِرْ فِرَاشًا، وَهُوَ أَقْرَبُ مِنَ الْأَوَّلِ لَكِنْ يَبْعُدُ ظَاهِرًا لِأَنَّ وَصْفَهَا بِالْمَرْفُوعَةِ يُنْبِئُ عَنْ خِلَافِ ذَلِكَ .

وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى مَعْلُومٍ دَلَّ عَلَيْهِ فُرُشٌ لِأَنَّهُ قَدْ عُلِمَ فِي الدُّنْيَا وَفِي مَوَاضِعَ مِنْ ذِكْرِ الْآخِرَةِ، أَنَّ فِي الْفُرُشِ حَظَايَا تَقْدِيرُهُ وَفِي فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ حَظَايَا مُنْشَآتٌ وَهُوَ مِثْلُ مَا ذُكِرَ فِي قوله تعالىٰ: **﴿قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾** [الرحمن: ٥٦] و **﴿مَقْصُوراتٌ﴾** [الرَّحْمَنِ: ٧٢] ، فَهُوَ تَعَالَى أَقَامَ الصِّفَةَ مُقَامَ الْمَوْصُوفِ وَلَمْ يَذْكُرْ نِسَاءَ الْآخِرَةِ بِلَفْظٍ حَقِيقِيٍّ أَصْلًا وَإِنَّمَا عَرَّفَهُنَّ بِأَوْصَافِهِنَّ وَلِبَاسِهِنَّ إِشَارَةً إِلَى صَوْنِهِنَّ وَتَخَدُّرِهِنَّ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ﴾** يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْحُورَ فَيَكُونَ الْمُرَادُ الْإِنْشَاءَ الَّذِي هُوَ الِابْتِدَاءُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بَنَاتِ آدَمَ فَيَكُونَ الْإِنْشَاءُ بِمَعْنَى إِحْيَاءِ الْإِعَادَةِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿أَبْكاراً﴾** يَدُلُّ عَلَى الثَّانِي ، لِأَنَّ الْإِنْشَاءَ لَوْ كَانَ بِمَعْنَى الِابْتِدَاءِ لَعُلِمَ مِنْ كَوْنِهِنَّ أَبْكَارًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى بَيَانٍ ، وَلَمَّا كَانَ الْمُرَادُ إِحْيَاءَ بَنَاتِ آدَمَ قَالَ: **﴿أَبْكاراً﴾** ، أَيْ : نَجْعَلُهُنَّ أَبْكَارًا وَإِنْ مِتْنَ ثَيِّبَاتٍ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْفَائِدَةُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ؟ نَقُولُ: الْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ :

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْوَصْفَ بَعْدَهَا لَا يَكُونُ مِنْ غَيْرِهَا إِذَا كُنَّ أَزْوَاجُهُمْ بَيِّنُ الْفَائِدَةِ لِأَنَّ الْبِكْرَ فِي الدُّنْيَا لَا تَكُونُ عَارِفَةً بِلَذَّةِ الزَّوْجِ فَلَا تَرْضَى بِأَنْ تَتَزَوَّجَ مِنْ رَجُلٍ لَا تَعْرِفُهُ وَتَخْتَارُ التَّزْوِيجَ بِأَقْرَانِهَا وَمَعَارِفِهَا لَكِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا لَمْ يَكُنَّ مِنْ جِنْسِ أَبْنَاءِ آدَمَ وَتَكُونُ الْوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ بِكْرًا لَمْ تَرَ زَوْجًا ثُمَّ تَزَوَّجَتْ بِغَيْرِ جِنْسِهَا فَرُبَّمَا يُتَوَهَّمُ مِنْهَا سُوءُ عِشْرَةٍ فَقَالَ: أَبكاراً فَلَا يُوجَدُ فِيهِنَّ مَا يُوجَدُ فِي أَبْكَارِ الدُّنْيَا .

الثَّانِي: الْمُرَادُ أَبْكَارًا بَكَارَةً تُخَالِفُ بَكَارَةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْبَكَارَةَ لَا تَعُودُ إِلَّا عَلَىٰ بُعْدٍ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿أَتْراباً﴾** يَحْتَمِلُ وُجُوهًا :

أَحَدُهَا: مُسْتَوِيَاتٌ فِي السِّنِّ فَلَا تَفْضُلُ إِحْدَاهُنَّ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ بِصِغَرٍ وَلَا كِبَرٍ كُلُّهُنَّ خُلِقْنَ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ، وَلَا يَلْحَقُهُنَّ عَجْزٌ وَلَا زَمَانَةٌ وَلَا تَغَيُّرُ لَوْنٍ، وَعَلَىٰ هَذَا إِنْ كُنَّ مِنْ بَنَاتِ آدَمَ فَاللَّفْظُ فِيهِنَّ حَقِيقَةٌ، وَإِنْ كُنَّ مِنْ غَيْرِهِنَّ فَمَعْنَاهُ مَا كَبِرْنَ سُمِّينَ بِهِ لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُنَّ تَمَسُّ وَقْتَ مَسِّ الْأُخْرَىٰ لَكِنْ نُسِيَ الْأَصْلُ، وَجُعِلَ عِبَارَةً عَنْ ذَلِكَ كَاللَّذَّةِ لِلْمُتَسَاوِيَيْنِ مِنَ الْعُقَلَاءِ، فَأَطْلَقَ عَلَىٰ حُورِ الجَنَّة أَتْرَابًا ز

ثَانِيهَا: **﴿أَتْرَابًا﴾** مُتَمَاثِلَاتٍ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِنَّ كَالْأَتْرَابِ سَوَاءٌ وُجِدْنَ فِي زَمَانٍ أَوْ فِي أَزْمِنَةٍ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ فِي أَزْمِنَةٍ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا خُلِقَ لَهُ مِنْهُنَّ مَا شَاءَ اللهُ ز

ثَالِثُهَا: **﴿أَتْرَابًا﴾** لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ، أَيْ عَلَىٰ سِنِّهِمْ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ الِاتِّفَاقِ، لِأَنَّ أَحَدَ الزَّوْجَيْنِ إِذَا كَانَ أَكْبَرَ مِنَ الْآخَرِ فَالشَّابُّ يُعَيِّرُهُ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: إِنْ قِيلَ مَا الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ: **﴿فَجَعَلْناهُنَّ﴾** ؟ نَقُولُ: فَائِدَتُهُ ظَاهِرَةٌ تَتَبَيَّنُ بِالنَّظَرِ إِلَىٰ اللَّامِ فِي: لِأَصْحابِ الْيَمِينِ فنقول: إن كانت اللام متعلّقة بأترابا يَكُونُ مَعْنَاهُ: أَنْشَأْناهُنَّ وَهَذَا لَا يَجُوزُ وَإِنْ كانت متعلقة بأنشأناهنَّ يَكُونُ مَعْنَاهُ أَنْشَأْنَاهُنَّ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ وَالْإِنْشَاءُ حَالَ كَوْنِهِنَّ أَبْكَارًا وَأَتْرَابًا فَلَا يَتَعَلَّقُ الْإِنْشَاءُ بِالْأَبْكَارِ بِحَيْثُ يَكُونُ كَوْنُهُنَّ أَبْكَارًا بِالْإِنْشَاءِ لِأَنَّ الْفِعْلَ لَا يُؤَثِّرُ فِي الْحَالِ تَأْثِيرًا وَاجِبًا فَنَقُولُ: صَرْفُهُ لِلْإِنْشَاءِ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْإِنْشَاءَ كَانَ بِفِعْلٍ فَيَكُونُ الْإِنْعَامُ عَلَيْهِمْ بِمُجَرَّدِ إِنْشَائِهِنَّ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ: فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً لِيَكُونَ تَرْتِيبُ الْمُسَبَّبِ عَلَىٰ السَّبَبِ فَاقْتَضَىٰ ذَلِكَ كَوْنَهُنَّ أَبْكَارًا، وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْإِنْشَاءُ أَوَّلًا مِنْ غَيْرِ مُبَاشَرَةٍ لِلْأَزْوَاجِ مَا كَانَ يَقْتَضِي جَعْلَهُنَّ أَبْكَارًا فَالْفَاءُ لترتيب المقتضىٰ علىٰ المقتضىٰ" .

وقال الإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن " (١٧/ ٢١٠-٢١١) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً﴾** ، أَيْ : خَلَقْنَاهُنَّ خَلْقًا وَأَبْدَعْنَاهُنَّ إِبْدَاعًا. وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْمَرْأَةَ فِرَاشًا وَلِبَاسًا وَإِزَارًا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ﴾** . ثُمَّ قِيلَ: عَلَىٰ هَذَا هُنَّ الْحُورُ الْعِينُ، أَيْ خَلَقْنَاهُنَّ مِنْ غَيْرِ وِلَادَةٍ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ نِسَاءُ بَنِي آدَمَ، أَيْ خَلَقْنَاهُنَّ خَلْقًا جَدِيدًا وَهُوَ الْإِعَادَةُ، أَيْ أَعَدْنَاهُنَّ إِلَىٰ حَالِ الشَّبَابِ وَكَمَالِ الْجَمَالِ. وَالْمَعْنَىٰ أَنْشَأْنَا الْعَجُوزَ وَالصَّبِيَّةَ إِنْشَاءً وَاحِدًا، وَأُضْمِرْنَ وَلَمْ يَتَقَدَّمْ ذِكْرُهُنَّ، لِأَنَّهُنَّ قَدْ دَخَلْنَ فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَلِأَنَّ الْفُرُشَ كِنَايَةٌ عَنِ النِّسَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً﴾** ، قَالَ: (مِنْهُنَّ الْبِكْرُ وَالثَّيِّبُ). وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكاراً * عُرُباً أَتْراباً﴾** ، فَقَالَ: (يَا أُمَّ سَلَمَةَ هُنَّ اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطاء عُمْشًا رُمْصًا جَعَلَهُنَّ اللهُ بَعْدَ الْكِبَرِ أَتْرَابًا عَلَىٰ مِيلَادٍ وَاحِدٍ فِي الاِسْتِوَاءِ) أَسْنَدَهُ النَّحَّاسُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أبو عاصم عن مُوسَىٰ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَفَعَهُ **﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشاءً﴾** ، قَالَ: (هُنَّ الْعَجَائِزُ الْعُمْشُ الرُّمْصُ كُنَّ فِي الدُّنْيَا عُمْشًا رُمْصًا). وَقَالَ الْمُسَيِّبُ بْنُ شَرِيكٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ (إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً) الْآيَةَ ، قَالَ: (هُنَّ عَجَائِزُ الدُّنْيَا أَنْشَأَهُنَّ اللهُ خَلْقًا جَدِيدًا كُلَّمَا أَتَاهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ وَجَدُوهُنَّ أَبْكَارًا) فَلَمَّا سَمِعَتْ عَائِشَةُ ذَلِكَ قَالَتْ: وَاوَجَعَاهْ! فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيْسَ هُنَاكَ وَجَعٌ)" .

وفي تفسير قوله تعالىٰ : **﴿إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّة الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾** [يس:٥٥] ، قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٥/ ٤٣): " قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ: شَغَلَهُمُ افْتِضَاضُ الْعَذَارَىٰ. وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي كِتَابِ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ لَهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمِّيُّ، عَنْ حَفْصِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ شِمْرِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ : **﴿إِنَّ أَصْحابَ الجَنَّة الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ﴾** ، قَالَ: شُغُلُهُمُ افْتِضَاضُ الْعَذَارَىٰ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ نَهْشَلٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِمِثْلِهِ. وَقَالَ أَبُو قِلَابَةَ: بَيْنَمَا الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّة مَعَ أَهْلِهِ إِذْ قِيلَ لَهُ تَحَوَّلْ إِلَىٰ أَهْلِكَ فَيَقُولُ أَنَا مَعَ أَهْلِي مَشْغُولٌ، فَيُقَالُ تَحَوَّلْ أَيْضًا إِلَىٰ أَهْلِكَ " .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٦/ ٥٨٢-٥٨٣) : " قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّب، وعِكْرِمَة، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالْأَعْمَشُ، وَسُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ، وَالْأَوْزَاعِيُّ فِي قَوْلِهِ: **﴿إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّة الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾** ، قالوا: شغلهم افتضاض الأبكار. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ -: **﴿فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾** ، أَيْ : بِسَمَاعِ الْأَوْتَارِ.

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: لَعَلَّهُ غَلَطٌ مِنَ الْمُسْتَمِعِ، وَإِنَّمَا هُوَ افْتِضَاضُ الْأَبْكَارِ " .

وقال الإمام الشَّنقيطي في " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " (٧/ ١٤٣) : " وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالشُّغُلِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ، هُوَ افْتِضَاضُ الْأَبْكَارِ ، وَقَالَ تَعَالَىٰ : **﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾** [الدخان:٥٤] ، وَقَالَ تَعَالَىٰ : **﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾** [الواقعة:٢٢-٢٣] . وَقَالَ تَعَالَىٰ: **﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾** إِلَىٰ قَوْلِهِ: **﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾** [الرحمن: ٧٠] ، وَقَالَ: **﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ**

عِينٌ﴾ [الصافات:٤٨] ، وَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص:٥٢] ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ ".

فقد روىٰ أحمد في " المسند" (٣٢/ ١٩ برقم ١٩٢٦٩) بسنده عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الجَنَّة يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ؟ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنْ أَقَرَّ لِي بِهَذِهِ خَصَمْتُهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَلَىٰ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَىٰ قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجِمَاعِ ". قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " حَاجَةُ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ، فَإِذَا الْبَطْنُ قَدْ ضَمُرَ " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات، غير أن الأعمش- وهو سليمان بن مهران- قد عنعن، وإنما احتملوا تدليسه عمن أكثر عنهم من شيوخه كما ذكر الذهبي في "الميزان". أبو معاوية: هو محمد بن خازم الضرير. وأخرجه هنَاد في "الزهد" (٦٣) و (٩٠) مختصراً- ومن طريقه ابن حبان (٧٤٢٤) - والبزار (٣٥٢٢) (زوائد) ، والطبراني في "الكبير" (٥٠٠٧) ، والبيهقي في "البعث والنشور" (٣٥٢) من طريق أبي معاوية، بهذا الإسناد. وأخرجه هنَّاد في "الزهد" (٩٠) ، والحسين المروزي في زياداته علىٰ "الزهد" لابن المبارك (١٤٥٩) ، وعبد بن حميد في "المنتخب" (٢٦٣) ، والدارمي (٢٨٢٥) ، والبزار (٣٥٢٣) (زوائد) ، والنسائي في "الكبرىٰ" (١١٤٧٨) - وهو في "التفسير" (٤٩٨) - والطبراني في "الكبير" (٥٠٠٤) - ومن طريقه المزي في "تهذيب الكمال" (في ترجمة ثمامة بن عقبة) - والطبراني أيضاً (٥٠٠٥) و (٥٠٠٧) و (٥٠٠٨) و (٥٠٠٩) ، وفي "الأوسط" (١٧٤٣) ، وأبو نعيم في "الحلية" ٧/ ٣٦٦ و٨/ ١١٦، وفي "صفة الجنة" (٣٢٩) من طرق، عن الأعمش، به. قال البزار: بعضهم يقول: عن الأعمش، عن زيد بن حبان (كذا، ولعله يزيد بن حيان) ، عن زيد بن أرقم. وقال الحافظ في "الفتح" ٦/ ٣٢٤: وسمىٰ الطبراني في روايته هذا السائل ثعلبة بن الحارث. قلنا: قد جاء اسمه عند الطبراني في حديث آخر برقم (٥٠١٤) ، والظاهر أنه صدر هذا الحديث. وقال أبو نعيم: من حديث الأعمش ثابت، رواه عنه الناس. وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٥٠١٠) من طريق عبد النور بن عبد الله بن سنان، عن هارون بن سعد العجلي، أو الجعفي، عن ثمامة بن عقبة، قال: سمعت زيد بن أرقم، قال: كنت جالساً عند النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له رجل من اليهود: أتزعم أن في الجَنَّة طعاماً وشراباً وأزواجاً؟ فذكر نحوه. وعبد النور بن عبد الله بن سنان؛ قال العقيلي: يضع الحديث، وقال الذهبي: كذاب، وساق له حديثاً موضوعاً. قلنا: ومع ذلك ذكره ابن حبان في "الثقات"، قال الحافظ في "اللسان": كأن ابن حبان ما اطلع علىٰ هذا الحديث الذي له عن شعبة، فإنه موضوع. قلنا: قد أورده البخاري في "التاريخ الكبير" ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً! وأورده ابن كثير في "النهاية" ٢/ ٤٣١-٤٣٢، ونقل عن الضياء المقدسي قوله: وهذا عندي علىٰ شرط مسلم، لأن ثمامة ثقة، وقد صرح بسماعه من زيد بن أرقم. قلنا: ثمامة لم يخرج له مسلم، وقد روىٰ له البخاري في "الأدب المفرد". وذكره الهيثمي في "المجمع" ١٠/ ٤١٦، ونسبه للطبراني وأحمد والبزار، وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح، غير ثمامة بن عقبة، وهو ثقة. وله شاهد من حديث جابر، سلف برقم (١٤٤٠١) ، ولفظه: "أهل الجَنَّة يأكلون فيها ويشربون،ولا يتغوَّطون، ولا يبولون، ولا يتمخطون، ولا يبزقون، طعامهم جشاء، ورشح كرشح المسك". وآخر من حديث أنس عند الطيالسي (٢٠١٢) ، والترمذي (٢٥٣٦) ، ولفظه: "يُعطىٰ المؤمنُ في الجَنَّة قوة كذا وكذا من الجماع" قيل: يا رسول الله، أو يطيق ذلك؟! قال: "يعطىٰ قوة مئة". قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب، قلنا: وصححه ابن حبان (٧٤٠٠) . وثالث من حديث أبي هريرة، قال: قيل: يا رسول الله، هل نصلُ إلىٰ نسائنا في

الجنة؟ قال: "إن الرجل ليصل في اليوم إلى مئة عذراء" رواه الطبراني في "الأوسط" (٥٢٦٣) من طريق حسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عنه. قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن هشام بن حسان إلا زائدة، تفرد به حسين بن علي. وأورده ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (وحور عين) من سورة الواقعة، ونقل عن الحافظ المقدسي قوله: هذا الحديث عندي على شرط الصحيح " .

وروى ابن حبَّان في الصَّحيح (٤١٣/١٦ برقم ٧٤٠٠) بسنده عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يُعْطَى الرَّجُلُ فِي الجَنَّة كَذَا وَكَذَا مِنَ النِّسَاءِ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهَّ ومن يطيق ذلك؟ قال: "يعطى قوة مائة" . قال الأرنؤوط : " حديث حسن. رجاله ثقات الصحيح غير عبد الله بن جرير بن جبلة فقد ذكره المؤلف في "الثقات" ٤٢٨/٨، وقد توبع، وعمران -وهو ابن داور- روى له أصحاب السنن وهو حسن الحديث. وأخرجه الطيالسي "٢٠١٢"، ومن طريقه الترمذي "٢٥٣٦" في صفة الجنة: باب ماجاء في صفة أهل الجنة، والبيهقي في "البعث" "٣٦٣" عن عمران، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه من حديث قتادة عن أنس إلا من حديث عمران القطان! وأخرجه البزار "٣٥٢٦" عن محمد بن هاشم، عن موسى بن عبد الله، عن عمرو بن سعيد، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يزوج العبد في الجَنَّة سبعين زوجة"، فقيل: يا رسول الله، أنطيقها؟ قال: "يعطى قوة مئة". وذكره الهيثمي في "المجمع" ٤١٧/١٠ وقال: رواه البزار، وفيه من لم أعرفهم. وأخرجه أبو نعيم في "صفة الجنة" "٣٧٢" من طريق الحجاج – وهو ابن الحجاج الباهلي – عن قتادة، عن أنس، ولفظه: "للمؤمن في الجَنَّة ثلاث وسبعون زوجة " .

وروى الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (٢١٩/١ برقم ٧١٨) ، المعجم الصَّغير" (٦٨/٢ برقم ٧٩٥) ، البزار في " المسند" (٣١١/١٧ برقم ١٠٠٧٢) ، أبو نعيم الأصفهاني في " صفة الجنَّة" (٢٠٦/٢ برقم ٣٧٣) بسندهم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهَّ، نُفْضِي إِلَى نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: «إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْضِي فِي الْغَدَاةِ الْوَاحِدَةِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءَ " .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٢٨٧/٣) : " وَكَانَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا بِأَعْرَفَ بِأَزْوَاجِكُمْ وَمَسَاكِنِكُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة بِأَزْوَاجِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ، فَيَدْخُلُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً، سَبْعِينَ مِمَّا يُنْشِئُ اللهُّ، عَزَّ وَجَلَّ، وَثِنْتَيْنِ آدَمِيَّتَيْنِ مَنْ وَلَدِ آدَمَ، لَهُمَا فَضْلٌ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ اللهُّ، لِعِبَادَتِهِمَا اللهَّ فِي الدُّنْيَا. فَيَدْخُلُ عَلَى الْأُولَى فِي غُرْفَةٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ، عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِاللُّؤْلُؤِ، عَلَيْهَا سَبْعُونَ زَوْجًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ، ثُمَّ إِنَّهُ يَضَعُ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى يَدِهِ مِنْ صَدْرِهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ثِيَابِهَا وَجِلْدِهَا وَلَحْمِهَا، وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى مُخِّ سَاقِهَا كَمَا يَنْظُرُ أَحَدُكُمْ إِلَى السِّلْكِ فِي قَصَبَةِ الْيَاقُوتِ، كَبِدُهَا لَهُ مِرْآةٌ، وَكَبِدُهُ لَهَا مِرْآةٌ. فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَهَا لَا يَمَلُّهَا وَلَا تَمَلُّهُ، مَا يَأْتِيهَا مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا وَجَدَهَا عَذْرَاءَ، مَا يَفْتُرُ ذَكَرُهُ، وَمَا تَشْتَكِي قُبُلَهَا. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نُودِيَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ لَا تَمَلُّ وَلَا تُمَلُّ، إِلَّا أَنَّهُ

لَا مَني وَلَا مَنِية إِلَّا أَنَّ لَكَ أَزْوَاجًا غَيْرَهَا. فَيَخْرُجُ فَيَأْتِيهِنَّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَتَى وَاحِدَةً لَهُ ، قَالَتْ: لَهُ وَاللهِ مَا أَرَىٰ فِي الجَنَّة شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْكَ، وَلَا فِي الجَنَّة شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ " . ذكره الإمام المنذري في " : التَّرغيب والتَّرهيب من الحديث الشَّريف " (٤/ ٢٩٨) ، وقال " رَوَاهُ أَبُو يعلىٰ وَالْبَيْهَقِيّ فِي آخر كِتَابه من رِوَايَة إِسْمَاعِيل بن رَافع بن أبي رَافع انْفَرد بِهِ عَن مُحَمَّد بن يزِيد بن أبي زِيَاد عَن مُحَمَّد بن كَعْب " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ فِيْ الجَنَّةِ إِنْجَابٌ ؟

الجواب : روىٰ التِّرمذي (٤/ ٢٧٦ برقم ٢٥٦٣ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَىٰ الوَلَدَ فِي الجَنَّة كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي" . قال ابن القيِّم في " حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح " (ص٢٤٢) : " إسناد حديث أبي سعيد علىٰ شرط الصحيح فرجاله محتج بهم فيه ولكنه غريب جدا " .

قال التِّرمذي (٤/ ٢٧٧) : " وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ العِلْمِ فِي هَذَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي الجَنَّة جِمَاعٌ وَلاَ يَكُونُ وَلَدٌ هَكَذَا رُوِيَ عَنْ طَاوُوسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وقَالَ مُحَمَّدٌ، قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا اشْتَهَىٰ المُؤْمِنُ الوَلَدَ فِي الجَنَّة كَانَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَشْتَهِي وَلَكِنْ لاَ يَشْتَهِي قَالَ مُحَمَّدٌ: وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي رَزِينٍ العُقَيْلِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ أَهْلَ الجَنَّة لاَ يَكُونُ لَهُمْ فِيهَا وَلَدٌ، وَأَبُو الصِّدِّيقِ النَّاجِيِّ اسْمُهُ: بَكْرُ بْنُ عَمْرٍو وَيُقَالُ: بَكْرُ بْنُ قَيْسٍ أَيْضًا" .

وذكر الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة عدَّة ودوه في انتفاء الولادة في الجَنَّة ، وهي :

الأَوَّلُ : حديث ابن رزين .

الثَّانِيْ : قوله تعالىٰ: **﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾** ، وهنَّ اللاتي طهرن من الحيض والنُّفاس والأذىٰ . قال سفيان : أنبأنا ابن أبي نجيح عن مجاهد : **﴿مُطَهَّرَةٌ﴾** من الحيض والغائط والبول والنّخام والبُصاق والمَني والولد ، وقال أبو معاوية : حدَّثنا ابن جريج عن عطاء **﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾** ، قال : من الولد والحيض والغائط والبول .

الثَّالِثُ : قوله : " غير أنَّه لا مني ولا منية "، والولد إنَّما يخلق من ماء الرَّجل ، فإذا لم يكن هناك مني ولا مذي ولا نفخ في الفرج لم يكن هناك إيلاد .

الرَّابِعُ : أنَّه قد ثبت في الصَّحيح عن النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم أنَّه قال: "يبقىٰ في الجَنَّة فضل فينشئ الله لها خلقا يسكنهم إياها ولو كان في جنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق بهم من غيرهم" .

الخَامِسُ : أنَّ الله سبحانه جعل الحمل والولادة مع الحيض والمني ، فلو كانت النِّساء يحبلن في الجَنَّة لم ينقطع عنهَّن الحيض والإنزال .

السَّادِسُ : أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ قدَّر التَّناسل في الدُّنيا لأنَّه قدَّر الموت ، وأخرجهم إلىٰ هذه الدَّار قرناً بعد قرن ، وجعل لهم أمداً ينتهون إليه ، فلولا التَّناسل لبطل النَّوع الإنساني ، ولهذا الملائكة لا تتناسل ، فإنَّهم لا يموتون كما تموت الإنس والجنّ ، فإذا كان يوم القيامة اخرج الله سبحانه وتعالىٰ النَّاس كلَّهم من الأرض وأنشأهم للبقاء لا للموت ، فلا يحتاجون إلىٰ تناسل يحفظ النَّوع الإنساني ، إذ هو منشأ للبقاء والدَّوام ، فلا أهل الجَنَّة يتناسلون ولا أهل النَّار .

السَّابِعُ : أنَّه سبحانه وتعالىٰ قال: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ [] ، فأخبر سبحانه أنَّه يكرمهم بإلحاق ذريَّاتهم الذين كانوا لهم بهم في الدُّنيا ، ولو كان ينشأ لهم في الجَنَّة ذريَّة أخرىٰ لذكرهم كما ذكر ذريَّاتهم الذين كانوا في الدُّنيا ، لأنَّ قرَّة أعينهم كانت تكون بهم كما هي بذريَّاتهم من أهل الدُّنيا .

الثَّامِنُ : أنَّه إمَّا أن يقال باستمرار التَّناسل فيها لا إلىٰ غاية أو إلىٰ غاية ثمَّ تنقطع وكلاهما ممَّا لا سبيل إلىٰ القول به لاستلزام الأوَّل اجتماع أشخاص لا تتناهىٰ واستلزام الثَّاني انقطاع نوع من لذَّة أهل الجَنَّة وسرورهم ، وهو محال ، ولا يمكن أن يقال بتناسل يموت معه نسل ويخلفه نسل إذ لا موت هناك .

التَّاسِعُ : أنَّ الجَنَّة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو في الدُّنيا ، فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ، ولا الرِّجال ينمون كما تقدَّم ، بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيَّرون ، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيَّرون ، فلو كان في الجَنَّة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتىٰ يصير رجلاً ، ومعلوم أنَّ من مات من الأطفال يُردُّون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نمو يوضَّحه .

الوَجْهُ العَاشِرُ : أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ ينشئ أهل الجَنَّة نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم بحيث لا يبولون ولا يتغوَّطون ولا ينامون ، ويُلهمون التَّسبيح ولا يهرمون علىٰ تطاول الأحقاب ، ولا تنمو أبدانهم ، بل القدر الذي جعلوا عليه لازم لهم أبداً ، والله اعلم" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَتُغَنِّي الحُورُ العِيْنُ لِأَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٦/ ٣٠٧) : ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ**﴾ [الروم:١٤] : قَالَ قَتَادَةُ: هِيَ -وَاللهِ- الْفُرْقَةُ الَّتِي لَا اجْتِمَاعَ بَعْدَهَا، يَعْنِي: إِذَا رُفِعَ هَذَا إِلَى عِلِّيِّينَ، وَخُفِضَ هَذَا إِلَى أَسْفَلِ

السَّافِلِينَ، فَذَاكَ آخِرُ الْعَهْدِ بَيْنَهُمَا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم:١٥] ، قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: يَنْعَمُونَ. وَقَالَ يَحْيَىٰ بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: يَعْنِي سَمَاعَ الْغِنَاءِ" .

وروىٰ الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (٥/ ١٤٩ برقم ٤٩١٧) ، المعجم الصَّغير (٢/ ٣٥ برقم ٧٣٤) ، أبو نعيم الأصبهاني في " صفة الجنَّة" (٢/ ١٦٦ برقم ٣٢٢) ، الضِّياء المقدسي في " الأحاديث المختارة " (١٣/ ١٩٠ برقم ٣٠٣) بسندهم عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الجَنَّة لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ. إِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْحِسَانْ. أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامْ. يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَانْ. وَإِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا يَمُتْنَهْ. نَحْنُ الْآمِنَاتُ فَلَا يَخَفْنَهْ. نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا يَظْعَنَّهْ" .

وقد روي أنَّهنَّ يُغنين : نحن خيرات حسان خلقنا لأزواج كرام ، فقد روىٰ أبو نعيم الأصبهاني في " صفة الجَنَّة " (٢/ ٢٧٠ برقم ٤٣٢) بسنده عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْحُورَ يُغَنِّينَ فِي الْجَنَّةِ: نَحْنُ الْحُورُ الْحِسَانُ خُلِقْنَا لِأَزْوَاجٍ كِرَامٍ" .

وروىٰ (٢/ ٢٦٨ برقم ٤٣٠) بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الجَنَّة لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ، إِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ: نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْحِسَانُ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ، يَنْظُرْنَ بِقَرْنِ أَعْيَانٍ، وَإِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا يَمُتْنَهْ، نَحْنُ الْآمِنَاتُ فَلَا يَخَفْنَهْ، نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا يَظْعَنَّهْ" .

وروىٰ (٢/ ٢٦٩ برقم ٤٣١) بسنده عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَىٰ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:، يُزَوَّجُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة أَرْبَعَةَ آلَافِ بِكْرٍ، وَثَمَانِيَةَ آلَافِ أَيِّمٍ وَمِائَةَ حَوْرَاءَ، فَيَجْتَمِعْنَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ فَيَقُلْنَ بِأَصْوَاتٍ حِسَانٍ لَمْ يَسْمَعِ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهَا: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَبِيدُ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْؤُسُ، وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ، وَنَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنُ طُوبَىٰ لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ" .

وروىٰ البيهقي في " البعث والنُّشور " (ص٢٢٩ برقم ٣٨٣) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: " إِنَّ فِي الجَنَّة نَهَرًا طُولَ الْجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ الْعَذَارَىٰ قِيَامٌ مُتَقَابِلَاتٌ، وَيُغَنِّينَ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ يَسْمَعُهَا الْخَلَائِقُ، حَتَّىٰ مَا يَرَوْنَ أَنَّ فِي الجَنَّة لَذَّةً مِثْلَهَا:، قُلْنَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَا ذَلِكَ الْغِنَاءُ؟ قَالَ: «إِنْ شَاءَ اللهُ التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّقْدِيسُ وَثَنَاءٌ عَلَىٰ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ» . قال الدمياطي في " المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح" (ص٦٩٥ برقم ٢١١٥) : " صحيح موقوف " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تَغَارُ الحُوْر العِيْنُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ ؟

الجواب : نعم ، الحور العين يغرن على أزواجهن وهم في الحياة الدُّنيا ، فإذا ما آذت امرأة من نساء الدُّنيا زوجها بنوع من أنواع الأذيَّة ، قالت لها الحوريَّة : لا تؤذيه قاتلك الله ... فقد روى أحمد في " المسند" (٣٦/ ٤١٧ برقم ٢٢١٠١) بسنده عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللهُ؛ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا " . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن من أجل إسماعيل بن عياش. وأخرجه ابن ماجه (٢٠١٤) ، والترمذي (١١٧٤) ، والشاشي في "مسنده" (١٣٧٤) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠/ (٢٢٤) ، وفي "الشاميين" (١١٦٦) ، وأبو نعيم في "الحلية" ٥/ ٢٢٠، وفي "صفة الجنة" (٨٦) ، والذهبي في "سير أعلام النبلاء" ٤/ ٤٧ من طرق عن إسماعيل بن عياش، بهذا الإسناد. وحسنه الترمذي، وصحح إسناده الذهبي" .

﴿سُؤالٌ﴾ : أُذْكُرْ لَنَا بَعْضَ تَنَعُّماتِ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٧/ ٦٦٥-٦٦٦) عند تفسير قول الله تعالى : **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾** [الدخان:٥١-٥٥] : " اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ مِنْ أَسْبَابِ تَنَعُّمِهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ :

أَوَّلُهَا: مَسَاكِنُهُمْ فَقَالَ: **﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾** .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَسْكَنَ إِنَّمَا يَطِيبُ بِشَرْطَيْنِ :

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ آمِنًا عَنْ جَمِيعِ مَا يَخَافُ وَيَحْذَرُ ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ **﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾** قَرَأَ الْجُمْهُورُ فِي مَقَامٍ بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ بِضَمِّ الْمِيمِ، قال صاحب «الكشاف» : المقام بفتح الميم هو مَوْضِعُ الْقِيَامِ، وَالْمُرَادُ الْمَكَانُ وَهُوَ مِنَ الْخَاصِّ الَّذِي جُعِلَ مُسْتَعْمَلًا فِي الْمَعْنَى الْعَامِّ وَبِالضَّمِّ هُوَ مَوْضِعُ الْإِقَامَةِ، وَالْأَمِينُ مِنْ قَوْلِكَ أَمُنَ الرَّجُلُ أَمَانَةً فَهُوَ أَمِينٌ وَهُوَ ضِدُّ الْخَائِنِ، فَوُصِفَ بِهِ الْمَكَانُ اسْتِعَارَةً لِأَنَّ الْمَكَانَ الْمُخِيفَ كَأَنَّهُ يَخُونُ صَاحِبَهُ .

وَالشَّرْطُ الثَّانِي: لِطِيبِ الْمَكَانِ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَصَلَ فِيهِ أَسْبَابُ النُّزْهَةِ وَهِيَ الْجَنَّاتُ وَالْعُيُونُ، فَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فِي مَسَاكِنِ أَهْلِ الجَنَّة فَقَدْ وَصَفَهَا بِمَا لَا يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: مِنْ تَنَعُّمَاتِهِمُ الْمَلْبُوسَاتُ فَقَالَ: **﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾** ، قِيلَ : السُّنْدُسُ مَا رَقَّ مِنَ الدِّيبَاجِ، وَالْإِسْتَبْرَقُ مَا غَلُظَ مِنْهُ، وَهُوَ تَعْرِيبُ اسْتَبْرَكْ، فَإِنْ قَالُوا كَيْفَ جَازَ وُرُودُ الْأَعْجَمِيِّ فِي الْقُرْآنِ؟ قُلْنَا لَمَّا عُرِّبَ فَقَدْ صَارَ عَرَبِيًّا.

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ: فَهُوَ جُلُوسُهُمْ عَلَىٰ صِفَةِ التَّقَابُلِ ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ اسْتِئْنَاسُ الْبَعْضِ بِالْبَعْضِ، فَإِنْ قَالُوا الْجُلُوسُ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ مُوحِشٌ لِأَنَّهُ يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُطَّلِعًا عَلَىٰ مَا يَفْعَلُهُ الْآخَرُ، وَأَيْضًا فَالَّذِي يَقِلُّ ثَوَابُهُ إِذَا اطَّلَعَ عَلَىٰ حَالِ مَنْ يَكْثُرُ ثَوَابُهُ يَتَنَغَّصُ عَيْشُهُ، قُلْنَا أَحْوَالُ الْآخِرَةِ بِخِلَافِ أَحْوَالِ الدُّنْيَا.

وَالْقِسْمُ الرَّابِعُ: أَزْوَاجُهُمْ فَقَالَ: **﴿كَذلِكَ وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾** الْكَافُ فِيهِ وَجْهَانِ أَنْ تَكُونَ مَرْفُوعَةً وَالتَّقْدِيرُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَوْ مَنْصُوبَةً وَالتَّقْدِيرُ آتَيْنَاهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: جَعَلْنَاهُمْ أَزْوَاجًا كَمَا يُزَوَّجُ الْبَعْلُ بِالْبَعْلِ أَيْ جَعَلْنَاهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ هَلْ يَدُلُّ عَلَىٰ حُصُولِ عَقْدِ التَّزْوِيجِ أَمْ لَا؟، قَالَ يُونُسُ قَوْلُهُ : **﴿وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾** ، أَيْ : قَرَنَّاهُمْ بِهِنَّ فَلَيْسَ مِنْ عَقْدِ التَّزْوِيجِ، وَالْعَرَبُ لَا تَقُولُ تَزَوَّجْتُ بِهَا وَإِنَّمَا تَقُولُ تَزَوَّجْتُهَا، قَالَ الْوَاحِدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : وَالتَّنْزِيلُ يَدُلُّ عَلَىٰ مَا قَالَ يُونُسُ وَذَلِكَ قَوْلُهُ : **﴿فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها﴾** [الأَحْزَابِ: ٣٧] ، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ تَزَوَّجْتَ بِهَا زَوَّجْنَاكَ بِهَا وَأَيْضًا فَقَوْلُ الْقَائِلِ زَوَّجْتُهُ بِهِ مَعْنَاهُ أَنَّهُ كَانَ فَرْدًا فَزَوَّجْتُهُ بِآخَرَ كَمَا يُقَالُ شَفَعْتُهُ بِآخَرَ، وَأَمَّا الْحُورُ، فَقَالَ الْوَاحِدِيُّ أَصْلُ الْحَوَرِ الْبَيَاضُ وَالتَّحْوِيرُ التَّبْيِيضُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ الْحَوَارِيِّينَ، وَعَيْنٌ حَوْرَاءُ إِذَا اشْتَدَّ بَيَاضُ بَيَاضِهَا وَاشْتَدَّ سَوَادُ سَوَادِهَا، وَلَا تُسَمَّىٰ الْمَرْأَةُ حَوْرَاءَ حَتَّىٰ يَكُونَ حَوَرُ عَيْنَيْهَا بَيَاضًا فِي لَوْنِ الْجَسَدِ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحَوَرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْبِيضُ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ بِعِيسٍ عِينٍ وَالْعِيسُ الْبِيضُ، وَأَمَّا الْعِينُ فَجَمْعُ عَيْنَاءَ وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ عَظِيمَةَ الْعَيْنَيْنِ مِنَ النِّسَاءِ، فَقَالَ الْجُبَّائِيُّ رَجُلٌ أَعْيَنُ إِذَا كَانَ ضَخْمَ الْعَيْنِ وَاسِعَهَا وَالْأُنْثَىٰ عَيْنَاءُ وَالْجَمْعُ عِينٌ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي هَؤُلَاءِ الْحُورِ الْعِينِ، فَقَالَ الْحَسَنُ هُنَّ عَجَائِزُكُمُ الدُّرْدُ يُنْشِئُهُنَّ اللهُ خَلْقًا آخَرَ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِنَّهُنَّ لَيْسُوا مِنْ نِسَاءِ الدُّنْيَا.

وَالنَّوْعُ الْخَامِسُ: مِنْ تَنَعُّمَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْمَأْكُولُ فَقَالَ: **﴿يَدْعُونَ فِيها بِكُلِّ فاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾** ، قَالُوا : إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْفَاكِهَةِ لِأَجْلِ أَنَّهُمْ آمِنُونَ مِنَ التُّخَمِ وَالْأَمْرَاضِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ؟

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (٢٧/ ٦٦٦-٦٦٧) : " وَفِيهِ سُؤَالَانِ:

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ مَا ذَاقُوا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ فِي الْجَنَّةِ فَكَيْفَ حَسُنَ هَذَا الِاسْتِثْنَاءُ؟

وَأُجِيبَ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ :

الْأَوَّلُ: قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» : أُرِيدَ أَنْ يُقَالَ: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ الْبَتَّةَ فَوُضِعَ قَوْلُهُ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ مَوْضِعَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَوْتَةَ الْمَاضِيَةَ مُحَالٌ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّعْلِيقِ بِالْمُحَالِ، كَأَنَّهُ قِيلَ إِنْ كَانَتِ الْمَوْتَةُ الْأُولَىٰ يُمْكِنُ ذَوْقُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَإِنَّهُمْ يَذُوقُونَهَا .

الثَّانِي: أَنَّ إِلَّا بِمَعْنَىٰ لَكِنَّ وَالتَّقْدِيرُ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ لَكِنَّ الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ قَدْ ذَاقُوهَا .

وَالثَّالِثُ: أَنَّ الجَنَّة حَقِيقَتُهَا ابْتِهَاجُ النَّفْسِ وَفَرَحُهَا بِمَعْرِفَةِ اللهَّ تَعَالَىٰ وَبِطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي فَازَ بِهَذِهِ السَّعَادَةِ فَهُوَ فِي الدُّنْيَا فِي الجَنَّة وَفِي الْآخِرَةِ أَيْضًا فِي الْجَنَّةِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَقَدْ وَقَعَتِ الْمَوْتَةُ الْأُولَىٰ حِينَ كَانَ الْإِنْسَانُ فِي الجَنَّة الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي هِيَ جَنَّةُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهَّ وَالْمَحَبَّةِ، فَذِكْرُ هَذَا الِاسْتِثْنَاءِ كَالتَّنْبِيهِ عَلَىٰ قَوْلِنَا إِنَّ الجَنَّة الْحَقِيقِيَّةَ هِيَ حُصُولُ هَذِهِ الْحَالَةِ لَا الدَّارُ الَّتِي هِيَ دَارُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَلِهَذَا السَّبَبِ

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "أَنْبِيَاءُ اللهَّ لَا يَمُوتُونَ وَلَكِنْ يُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَىٰ دَارٍ" .

وَالرَّابِعُ: أَنَّ مَنْ جَرَّبَ شَيْئًا وَوَقَفَ عَلَيْهِ صَحَّ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ ذَاقَهُ، وَإِذَا صَحَّ أَنْ يُسَمَّىٰ الْعِلْمُ بِالذَّوْقِ صَحَّ أَنْ يُسَمَّىٰ تَذَكُّرُهُ أَيْضًا بِالذَّوْقِ فَقَوْلُهُ : **﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولى﴾** يَعْنِي إِلَّا الذَّوْقَ الْحَاصِلَ بِسَبَبِ تَذَكُّرِ الْمَوْتَةِ الْأُولَىٰ.

السُّؤَالُ الثَّانِي: أَلَيْسَ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ أَيْضًا لَا يَمُوتُونَ فَلِمَ بَشَّرَ أَهْلَ الجَنَّة بِهَذَا مَعَ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يُشَارِكُونَهُمْ فِيهِ؟ وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْبِشَارَةَ مَا وَقَعَتْ بِدَوَامِ الْحَيَاةِ بَلْ بِدَوَامِ الْحَيَاةِ مَعَ سَابِقَةِ حُصُولِ تِلْكَ الْخَيْرَاتِ وَالسَّعَادَاتِ فَظَهَرَ الْفَرْقُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿وَوَقاهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ﴾** قُرِئَ وَوَقَّاهُمْ بِالتَّشْدِيدِ، فَإِنْ قَالُوا مُقْتَضَىٰ الدَّلِيلِ أَنْ يَكُونَ ذِكْرُ الْوِقَايَةِ عَنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ مُتَقَدِّمًا عَلَىٰ ذِكْرِ الْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ لِأَنَّ الَّذِي وُقِيَ عَنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ قَدْ يَفُوزُ وَقَدْ لَا يَفُوزُ، فَإِذَا ذُكِرَ بَعْدَهُ أَنَّهُ فَازَ بِالْجَنَّةِ حَصَلَتِ الْفَائِدَةُ، أَمَّا الَّذِي فَازَ بِخَيْرَاتِ الجَنَّة فَقَدْ تَخَلَّصَ عَنْ عِقَابِ اللهَّ لَا مَحَالَةَ فَلَمْ يَكُنْ ذِكْرُ الْفَوْزِ عَنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ بَعْدَ الْفَوْزِ بِثَوَابِ الجَنَّة مُفِيدًا، قُلْنَا التَّقْدِيرُ كَأَنَّهُ تَعَالَىٰ قَالَ: وَوَقَاهُمْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ عَنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ.

ثُمَّ قَالَ: **﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ﴾** ، يَعْنِي : كُلَّ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْمُتَّقُونَ مِنَ الْخَلَاصِ عَنِ النَّارِ والفوز بالجنَّة فإنَّما يحصل بتفضل اللهِّ، وَاحْتَجَّ أَصْحَابُنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ أَنَّ الثَّوَابَ يَحْصُلُ تَفَضُّلًا مِنَ اللهَّ تَعَالَىٰ لَا بِطَرِيقِ

الاِسْتِحْقَاقِ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمَّا عَدَّدَ أَقْسَامَ ثَوَابِ الْمُتَّقِينَ بَيَّنَ أَنَّهَا بِأَسْرِهَا إِنَّمَا حَصَلَتْ عَلَىٰ سَبِيلِ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ مِنَ اللهَّ تَعَالَىٰ" .

﴿سُؤَالٌ﴾ : هَلْ فِيْ الجَنَّة لَيْلٌ وَنَهَار ، ومَا هُوَ المَقْصُوْدُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ؟

الجواب : قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢١/ ٥٥٣) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾** ، وَفِيهِ سُؤَالَانِ:

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ وَصْفُ الجَنَّة بِأَحْوَالٍ مُسْتَعْظَمَةٍ وَوُصُولُ الرِّزْقِ إِلَيْهِمْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا لَيْسَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُسْتَعْظَمَةِ. وَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: قَالَ الْحَسَنُ أَرَادَ اللهَّ تَعَالَىٰ أَنْ يُرَغِّبَ كُلَّ قَوْمٍ بِمَا أَحَبُّوهُ فِي الدُّنْيَا وَلِذَلِكَ ذَكَرَ أَسَاوِرَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلُبْسَ الْحَرِيرِ الَّتِي كَانَتْ عَادَةَ الْعَجَمِ وَالْأَرَائِكَ الَّتِي هِيَ الْحِجَالُ الْمَضْرُوبَةُ عَلَىٰ الْأَسِرَّةِ وَكَانَتْ مِنْ عَادَةِ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فِي الْيَمَنِ وَلَا شَيْءَ كَانَ أَحَبَّ إِلَىٰ الْعَرَبِ مِنَ الْغَدَاءِ وَالْعَشَاءِ فَوَعَدَهُمْ بِذَلِكَ.

الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ دَوَامُ الرِّزْقِ كَمَا تَقُولُ أَنَا عِنْدَ فُلَانٍ صَبَاحًا وَمَسَاءً وَبُكْرَةً وَعَشِيًّا تُرِيدُ الدَّوَامَ وَلَا تَقْصِدُ الْوَقْتَيْنِ الْمَعْلُومَيْنِ.

السُّؤَالُ الثَّانِي: قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿لَا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً﴾** [الْإِنْسَانِ: ١٣] .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لَا صَبَاحَ عِنْدَ رَبِّكَ وَلَا مَسَاءَ" .

وَالْبُكْرَةُ وَالْعَشِيُّ لَا يُوجَدَانِ إِلَّا عِنْدَ وُجُودِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ. وَالْجَوَابُ: الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ عِنْدَ مِقْدَارِ الْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الجَنَّة غُدْوَةٌ وَعَشِيٌّ إِذْ لَا لَيْلَ فِيهَا وَيَحْتَمِلُ مَا قِيلَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ جَعَلَ لِقَدْرِ الْيَوْمِ عَلَامَةً يَعْرِفُونَ بِهَا مَقَادِيرَ الْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَهُمْ رِزْقُهُمْ مَتَىٰ شَاءُوا كَمَا جَرَتِ الْعَادَةُ فِي الْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ".

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٤/ ٤٥٢) : " ... كَيْفَ يَصِحُّ الْقَيْلُولَةُ فِي الجَنَّة وَالنَّارِ، وَعِنْدَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الجَنَّة فِي الْآخِرَةِ لَا يَنَامُونَ، وَأَهْلَ النَّارِ أَبَدًا فِي عَذَابٍ يَعْرِفُونَهُ، وَأَهْلَ الجَنَّة فِي نَعِيمٍ يَعْرِفُونَهُ؟ وَالْجَوَابُ: قَالَ اللهَّ تَعَالَىٰ: **﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾** [مَرْيَمَ: ٦٢] ، وَلَيْسَ فِي الجَنَّة بُكْرَةٌ وَعَشِيٌّ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿لَا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً﴾** [الْإِنْسَانِ: ١٣] ، ولأنه إذا لم يكون هُنَاكَ شَمْسٌ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ نِصْفُ النَّهَارِ وَلَا وَقْتُ الْقَيْلُولَةِ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ بَيَانُ أَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ أَطْيَبُ الْمَوَاضِعِ وَأَحْسَنُهَا، كَمَا أَنَّ مَوْضِعَ الْقَيْلُولَةِ يَكُونُ أَطْيَبَ الْمَوَاضِعِ واللهَّ أعلم" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١١/١٢٦-١٢٧) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾** ، أَيْ : لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ **﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾** ، أَيْ : فِي قَدْرِ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ إِذْ لَا بُكْرَةَ ثَمَّ ولا عشيّاً ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ﴾** ، أَيْ : قَدْرَ شَهْرٍ، قَالَ مَعْنَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَغَيْرُهُمَا. وَقِيلَ: عَرَّفَهُمْ اعْتِدَالَ أَحْوَالِ أَهْلِ الجَنَّة وَكَانَ أَهْنَأَ النِّعْمَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ التَّمْكِينُ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا. قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ وَقَتَادَةُ كَانَتِ الْعَرَبُ فِي زَمَانِهَا مَنْ وَجَدَ غَدَاءً وَعَشَاءً مَعًا فَذَلِكَ هُوَ النَّاعِمُ فَنَزَلَتْ. وَقِيلَ: أَيْ رِزْقُهُمْ فِيهَا غَيْرُ مُنْقَطِعٍ كَمَا قَالَ: **﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمنوعة﴾** ، كَمَا تَقُولُ: أَنَا أُصْبِحُ وَأُمْسِي فِي ذِكْرِكَ. أَيْ ذِكْرِي لَكَ دَائِمٌ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْبُكْرَةُ قَبْلَ تَشَاغُلِهِمْ بِلَذَّاتِهِمْ وَالْعَشِيُّ بَعْدَ فَرَاغِهِمْ مِنْ لَذَّاتِهِمْ لِأَنَّهُ يَتَخَلَّلُهَا فَتَرَاتُ انْتِقَالٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ. وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ.

وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ : قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: طَعَامُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْيَوْمِ مَرَّتَانِ وَتَلَا قَوْلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾** ، ثُمَّ قَالَ: وَعَوَّضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصِّيَامِ السَّحُورَ بَدَلًا مِنَ الْغَدَاءِ لِيَقْوَوْا بِهِ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ. وَقِيلَ: إِنَّمَا ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَنَّ صِفَةَ الْغَدَاءِ وَهَيْئَتَهُ غير صِفَةِ الْعَشَاءِ وَهَيْئَتِهِ، وَهَذَا لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْمُلُوكُ. وَكَذَلِكَ يَكُونُ فِي الجَنَّة رِزْقُ الْغَدَاءِ غَيْرَ رِزْقِ الْعَشَاءِ تَتَلَوَّنُ عَلَيْهِمُ النِّعَمُ لِيَزْدَادُوا تَنَعُّمًا وَغِبْطَةً.

وَخَرَّجَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي (نَوَادِرِ الْأُصُولِ) مِنْ حَدِيثِ أَبَانٍ عَنِ الْحَسَنِ وَأَبِي قِلَابَةَ قَالَا قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهَ هَلْ فِي الجَنَّة مِنْ لَيْلٍ؟ قَالَ (وَمَا هَيَّجَكَ عَلَى هَذَا) قَالَ سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ:" وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا" فقلت: الليل بين البكرة والعشي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيْسَ هُنَاكَ لَيْلٌ إِنَّمَا هُوَ ضَوْءٌ وَنُورٌ يَرُدُّ الْغُدُوَّ عَلَى الرَّوَاحِ وَالرَّوَاحَ عَلَى الْغُدُوِّ وَتَأْتِيهِمْ طُرَفُ الْهَدَايَا مِنَ اللَّهَ تَعَالَى لِمَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ الَّتِي كَانُوا يُصَلُّونَ فِيهَا فِي الدُّنْيَا وَتُسَلِّمُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) وَهَذَا فِي غَايَةِ الْبَيَانِ لِمَعْنَى الْآيَةِ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي كِتَابِ (التَّذْكِرَةِ). وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: لَيْسَ فِي الجَنَّة لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ وَإِنَّمَا هُمْ فِي نُورٍ أَبَدًا إِنَّمَا يَعْرِفُونَ مِقْدَارَ اللَّيْلِ مِنَ النَّهَارِ بِإِرْخَاءِ الْحُجُبِ وَإِغْلَاقِ الْأَبْوَابِ وَيَعْرِفُونَ مِقْدَارَ النَّهَارِ بِرَفْعِ الْحُجُبِ وَفَتْحِ الْأَبْوَابِ. ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ الْجَوْزِيُّ وَالْمَهْدَوِيُّ وغيرهما" .

وقال الإمام الشَّنقيطي في " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " () : " وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا، فِيهِ سُؤَالٌ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: مَا وَجْهُ ذِكْرِ الْبُكْرَةِ وَالْعَشِيِّ، مَعَ أَنَّ الجَنَّة ضِيَاءٌ دَائِمٌ وَلَا لَيْلَ فِيهَا، وَلِلْعُلَمَاءِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ أَجْوِبَةٌ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبُكْرَةِ وَالْعَشِيِّ قَدْرُ ذَلِكَ مِنَ الزَّمَنِ، كَقَوْلِهِ: **﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾** ، أَيْ: قَدْرُ شَهْرٍ، وَرُوِيَ مَعْنَىٰ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ جُرَيْجٍ وَغَيْرِهِمَا.

الْجَوَابُ الثَّانِي: أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ فِي زَمَنِهَا تَرَىٰ أَنَّ مَنْ وَجَدَ غَدَاءً وَعَشَاءً فَذَلِكَ النَّاعِمُ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ مُرَغِّبَةً لَهُمْ وَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّة أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَيُرْوَىٰ هَذَا عَنْ قَتَادَةَ، وَالْحَسَنِ، وَيَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ.

الْجَوَابُ الثَّالِثُ: أَنَّ الْعَرَبَ تُعَبِّرُ عَنِ الدَّوَامِ بِالْبُكْرَةِ وَالْعَشِيِّ، وَالْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ: أَنَا عِنْدَ فُلَانٍ صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَبُكْرَةً وَعَشِيًّا، يُرِيدُ الدَّيْمُومَةَ وَلَا يَقْصِدُ الْوَقْتَيْنِ الْمَعْلُومَيْنِ.

الْجَوَابُ الرَّابِعُ: أَنْ تَكُونَ الْبُكْرَةُ هِيَ الْوَقْتَ الَّذِي قَبْلَ اشْتِغَالِهِمْ بِلَذَّاتِهِمْ، وَالْعَشِيُّ: هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي بَعْدَ فَرَاغِهِمْ مِنْ لَذَّاتِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ يَتَخَلَّلُهَا فَتَرَاتُ انْتِقَالٍ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ، وَهَذَا يَرْجِعُ مَعْنَاهُ إِلَى الْجَوَابِ الْأَوَّلِ.

الْجَوَابُ الْخَامِسُ: هُوَ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي" نَوَادِرِ الْأُصُولِ" مِنْ حَدِيثِ أَبَانٍ عَنِ الْحَسَنِ وَأَبِي قِلَابَةَ، قَالَا: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ فِي الجَنَّة مِنْ لَيْلٍ؟ قَالَ: «وَمَا يُهَيِّجُكَ عَلَىٰ هَذَا» ؟ قَالَ: سَمِعْتُ اللهَ تَعَالَىٰ يَذْكُرُ: وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا، فَقُلْتُ: اللَّيْلُ بَيْنَ الْبُكْرَةِ وَالْعَشِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ هُنَاكَ لَيْلٌ، إِنَّمَا هُوَ ضَوْءٌ وَنُورٌ، يَرِدُ الْغُدُوُّ عَلَىٰ الرَّوَاحِ وَالرَّوَاحُ عَلَىٰ الْغُدُوِّ، تَأْتِيهِمْ طُرَفُ الْهَدَايَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِمَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ الَّتِي كَانُوا يُصَلُّونَ فِيهَا فِي الدُّنْيَا، وَتُسَلِّمُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ» " .

وروىٰ مسلم (٤/ ٧٨٨٧ برقم ٢٨٣٣) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ فِي الجَنَّة لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا " .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (١٧/ ١٧٠) : " وَمَعْنَىٰ يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ أَيْ فِي مِقْدَارِ كُلِّ جُمُعَةٍ أَيْ أُسْبُوعٍ وَلَيْسَ هُنَاكَ حَقِيقَةُ أُسْبُوعٍ لِفَقْدِ الشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ " .

وقال الإمام علي القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (٩/ ٣٥٨٠) : " وَإِنَّمَا يُعْرَفُ وَقْتُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِإِرْخَاءِ أَسْتَارِ الْأَنْوَارِ وَرَفْعِهَا عَلَىٰ مَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ، فَبِهَذَا يُعْرَفُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَأَيَّامُ الْأَعْيَادِ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِمَا مِنَ الزِّيَارَةِ وَالرُّؤْيَةِ وَسَائِرِ الْأَمْدَادِ وَالْإِسْعَادِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ فِيْ الجَنَّة عِبَادَات ؟

الجواب : روىٰ مسلم (٤/ ٢١٨٠ برقم ٢٨٣٤) بسنده عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ، صُوَرُهُمْ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا، آنِيَتُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمْ مِنَ الْأَلُوَّةِ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَىٰ مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» .

وروىٰ مسلم (٤/ ٢١٨٠ برقم ٢٨٣٥) بسنده عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّة يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَيَتَذَكَّرُ وَيَتَذَاكَرُ أَهْلُ الجَنَّة مَا كَانَ مِنْ أُمُوْرِ الدُّنْيَا ؟

الجواب :

قال تعالىٰ : **﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾** [الصافات:٥٠-٥٣] .

قال الإمام ابن عطيَّة في " المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " (٤/٥٤٣) : " هذا التَّساؤل الذي بين أهل الجَنَّة هو تساؤل راحة وتنعُّم ، يتذكَّرون أمورهم في الجَنَّة وأمر الدُّنيا وحال الطَّاعة والإيمان فيها، ثمَّ أخبر الله تعالىٰ عن قول قائِلٌ مِنْهُمْ في قصَّته ، فهو مثال لكل من له قَرِينٌ سوء يعطي هذا المثال التَّحفُّظ من قرناء السُّوء، واستشعار معصيتهم ، وعبَّر عن قول هذا الرَّجل بالمضي من حيث كان أمراً متيقَّناً حاصلاً لا محالة، وقال ابن عبَّاس وغيره : كان هذان من البشر مؤمن وكافر، وقالت فرقة: هما اللذان ذكر الله تعالىٰ في قوله : **﴿يَا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا﴾** [الفرقان: ٢٨] ، وقال مجاهد : كان إنسيَّاً وجنيَّاً من الشَّياطين الكفرة.

قال القاضي أبو محمَّد: والأوَّل أصوب، وقرأ جمهور النَّاس «من المصدقين» بتخفيف الصَّاد من التَّصديق، وقرأت فرقة «من المصَّدقين» بشد الصَّاد من التَّصدق، وقال فرات بن ثعلبة البهراني في قصص هذين : إنَّهما كانا شريكين بثمانية آلاف دينار ، فكان أحدهما يعبد الله ويقصد من التِّجارة والنَّظر ، وكان الآخر كافراً مقبلاً علىٰ ماله ، فحلَّ الشَّركة مع المؤمن وبقي وحده لتقصير المؤمن ، ثمَّ إنَّه جعل كلَّما اشترىٰ

شيئاً من دار وجارية وبستان ونحوه عرضه على ذلك المؤمن وفخر عليه به ، فيمضي المؤمن عند ذلك ويتصدَّق بنحو ذلك الثَّمن ليشتري به من الله في الجَنَّة ، فكان من أمرهما في الآخرة ما تضمَّنته هذه الآية" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٥/ ٨١) : " قَوْلُهُ تَعَالَى:" فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ" أَيْ يَتَفَاوَضُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَحَادِيثَهُمْ فِي الدُّنْيَا. وَهُوَ مِنْ تَمَامِ الْأُنْسِ فِي الْجَنَّةِ. وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى مَعْنَى" يُطافُ عَلَيْهِمْ" الْمَعْنَى يَشْرَبُونَ فَيَتَحَادَثُونَ عَلَى الشَّرَابِ كَعَادَةِ الشُّرَّابِ. قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَّاتِ إِلَّا وأحاديث الْكِرَامِ عَلَى الْمُدَامِ

فَيُقْبِلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ عَمَّا جَرَى لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا أَنَّه جيء بِهِ مَاضِيًا عَلَى عَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي إخباره" .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٧/ ١٥) " يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الجَنَّة أَنَّهُ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، أَيْ: عَنْ أَحْوَالِهِمْ، وَكَيْفَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا، وَمَاذَا كَانُوا يُعَانُونَ فِيهَا؟ وَذَلِكَ مِنْ حَدِيثِهِمْ عَلَى شَرَابِهِمْ، وَاجْتِمَاعِهِمْ فِي تُنَادِمِهِمْ وَعِشْرَتِهِمْ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَهُمْ جُلُوسٌ عَلَى السُّرُرِ، وَالْخَدَمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، يَسْعَوْنَ وَيَجِيئُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ عَظِيمٍ، مِنْ مَآكِلَ وَمُشَارِبَ وَمَلَابِسَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ" .

وقال تعالى : **﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ * قالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا وَوَقانا عَذابَ السَّمُومِ﴾** [الطور:٢٥-٢٧] .

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (٢١/ ٥٩٠) : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّا أَيُّهَا الْقَوْمُ كُنَّا فِي أَهْلِنَا فِي الدُّنْيَا مُشْفِقِينَ خَائِفِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَجِلِينَ أَنْ يُعَذِّبَنَا رَبُّنَا الْيَوْمَ **﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾** [الطور: ٢٧] بِفَضْلِهِ **﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾** [الطور: ٢٧] ، يَعْنِي: عَذَابَ النَّارِ، يَعْنِي فَنَجَّانَا مِنَ النَّارِ، وَأَدْخَلَنَا الْجَنَّةَ" .

وقال الإمام البغوي في " : معالم التَّنزيل في تفسير القرآن" (٤/ ٢٩٤) : " **﴿قالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا﴾** ، فِي الدُّنْيَا، **﴿مُشْفِقِينَ﴾** ، خَائِفِينَ مِنَ الْعَذَابِ.

﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا﴾ ، بِالْمَغْفِرَةِ، **﴿وَوَقانا عَذابَ السَّمُومِ﴾** ، قَالَ الْكَلْبِيُّ: عَذَابَ النَّارِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: السَّمُومُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ. **﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾** ، فِي الدُّنْيَا، **﴿نَدْعُوهُ﴾** ، نُخْلِصُ لَهُ الْعِبَادَةَ" .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٨/ ٢١٢) : " إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَا جَرَى عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَيَذْكُرُونَهُ، وَكَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا يَنْسَى مَا كَانَ لَهُ مِنَ النَّعِيمِ فِي الدُّنْيَا، فَتَزْدَادُ لَذَّةُ الْمُؤْمِنِ مِنْ حَيْثُ يَرَى نَفْسَهُ

انْتَقَلَتْ مِنَ السِّجْنِ إِلَىٰ الجَنَّة وَمِنَ الضِّيقِ إِلَىٰ السَّعَةِ، وَيَزْدَادُ الْكَافِرُ أَلَمًا حَيْثُ يَرَىٰ نَفْسَهُ مُنْتَقِلَةً مِنَ الشَّرَفِ إِلَىٰ التَّلَفِ وَمِنَ النَّعِيمِ إِلَىٰ الْجَحِيمِ، ثُمَّ يَتَذَكَّرُونَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْخَشْيَةِ وَالْخَوْفِ، فَيَقُولُونَ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ وَهُوَ أَنَّهُمْ يَكُونُ تَسَاؤُلُهُمْ عَنْ سَبَبِ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ فَيَقُولُونَ خَشْيَةُ اللهَّ كُنَّا نَخَافُ اللهَّ فَمَنَّ اللهُّ عَلَيْنا وَوَقانا عَذابَ السَّمُومِ ، وَفِيهِ لَطِيفَةٌ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ إِشْفَاقُهُمْ عَلَىٰ فَوَاتِ الدُّنْيَا وَالْخُرُوجِ مِنْهَا وَمُفَارَقَةِ الْإِخْوَانِ ثُمَّ لَمَّا نزلوا الجَنَّة علموا خطأهم" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ فِيْ الجَنَّة نَوْمٌ ؟

الجواب : أهل الجَنَّة لا ينامون فيها لأنَّ النوم أخو الموت ، وفي ذلك روىٰ الطَّبرانيُّ في " المعجم الأوسط" (١/ ٢٨٢ برقم ٩١٩) ، البزار (٤/ ١٩٣ برقم ٣٥١٧ كشف) ، أبو نعيم في " صفة الجنة" (١/ ١١٧ برقم ٩٠) ، البيهقي في " شعب الإيمان"(٦/ ٤٠٩ برقم ٤٤١٦) ، "البعث والنُّشور"(ص٦٥٠ برقم ١٠١٧) بسندهم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ قَالَ: سُئِلَ نَبِيُّ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَيَنَامُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَأَهْلُ الجَنَّة لَا يَنَامُونَ» . قال الهيثمي في "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " (١٠/ ٤١٥ برقم١٨٧٤٠) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَالْبَزَّارُ، وَرِجَالُ الْبَزَّارِ رِجَالُ الصَّحِيحِ. ، وقال العجلوني في "كشف الخفاء ومزيل الإلباس " (٢/ ٣٩٩ برقم٢٨٦٨) : "رواه البزار والطبراني والبيهقي بإسناد صحيح".

قال الإمام المناوي في " فيض القدير شرح الجامع الصَّغير" (٦/ ٣٠٠) : " النوم أخو الموت" لانقطاع العمل فيه "ولا يموت أهل الجنَّة"فلا ينامون ، قاله لمن سأل أينام أهل الجنَّة؟ وفيه إشارة إلىٰ ذمِّ كثرة النَّوم لكثرة مفاسده الأخرويَّة بل والدُّنيويَّة ، فإنَّه يورث الغفلة والشُّبهات ، وفساد المزاج الطَّبيعي والنَّفساني ، ويكثر البلغم والسَّوداء ، ويضعف المعدة ، وينتن الفم ، ويولِّد دود القرح ، ويُضعف البصر والباه ، حتىٰ لا يكون له داعية للجماع ، ويفسد الماء ، ويُورث الأمراض المزمنة في الولد المتخلِّق من تلك النُّطفة حال تكوينه ، ويُضعف الجسد ، هذا في النَّوم في غير وقت العصر والصُّبح ، فإنَّه فيهما أعظم ضرراً ، لأنَّه يفسد كيموس صحَّة حكم عين المزاح المادي والصّوري ، ولا يمكن استقصاء مفاسده في العقل والنَّفس والرُّوح ، ومنها أنَّه يُورث ضعف الحال بحكم الخاصيَّة وعدم الإيمان بالبعث والنُّشور ، قال بعضهم: إيَّاكم وكثرة النَّوم تبعاً لما ترونه من بعض العارفين ، فإنَّ لهم أحكاماً خلافكم ، فإنَّ بعضهم يخلع عليه القوَّة علىٰ خلع نفسه عنه متىٰ شاء وسراحها إلىٰ أي وجه شاء من غير ارتباط بعالم الخيال " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ لُغَةُ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : لم يرد دليل مُعتبر يبيِّن اللغة التي يتكلَّم بها أهل الجَنَّة ... والحديث الوارد في ذلك حديث ضعيف ، بل حكم عليه البعض بالوضع ... فقد روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " «أَحِبُّوا الْعَرَبَ لِثَلَاثٍ: لِأَنِّي عَرَبِيٌّ، وَالْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ، وَكَلَامَ أَهْلِ الجَنَّة عَرَبِيٌّ» .

قال الهيثمي في " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" (١٠/ ٥٢ برقم ١٦٦٠٠) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: " «وَلِسَانَ أَهْلِ الجَنَّة عَرَبِيٌّ» ". وَفِيهِ الْعَلَاءُ بْنُ عَمْرٍو الْحَنَفِيُّ، وَهُوَ مُجْمَعٌ عَلَىٰ ضَعْفِهِ" .

وقال الإمام السخاوي في " المقاصد الحسنة " (ص٦٤ برقم ٣١) : " الطبراني في معجميه الكبير والأوسط، والحاكم في مستدركه، والبيهقي في الشعب، وتمام في فوائده، وآخرون، كلهم من حديث العلاء بن عمرو الحنفي حدثنا يحيىٰ بن يزيد الأشعري عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي اللهَّ عنهما رفعه بهذا. وابن يزيد والراوي عنه ضعيفان، وقد تفردا به كما قاله الطبراني والبيهقي، ومتابعة محمد بن الفضل التي أخرجها الحاكم أيضا من جهته عن ابن جريج لا يعتد بها، فابن الفضل لا يصلح للمتابعة ولا يعتبر بحديثه للاتفاق علىٰ ضعفه واتهامه بالكذب، ولكن لحديث ابن عباس شاهد رواه الطبراني أيضا في معجمه الأوسط من رواية شبل بن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن أبي هريرة مرفوعا: أنا عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجَنَّة عربي، وهو مع ضعفه أيضا أصح من حديث ابن عباس. وأخرج أبو الشيخ في الثواب بسند ضعيف عن عطاء بن أبي ميمونة عن أبي هريرة مرفوعا: أحبوا العرب وبقاءهم، فإن بقاءهم نور في الإسلام، وإن فناءهم ظلمة في الإسلام، وفي حب العرب أحاديث كثيرة أفردها بالتأليف العراقي، منها ما في الأفراد للدارقطني عن ابن عمر رفعه: حب العرب إيمان، وبغضهم نفاق، وعن أنس مثله بزيادة أخرجه الديلمي، وعن البراء أخرجه البيهقي في الشعب، ولكنه قال: إن المحفوظ من حديث البراء معناه في الأنصار، قال: وإنما يعرف هذا المتن من حديث الهيثم بن جماز عن ثابت عن أنس، يعني كما أخرجه الديلمي، ومنها ما للبيهقي أيضا من حديث زيد بن جبير عن داود بن الحصين عن أبي رافع عن أبيه عن علي مرفوعا: من لم يعرف حق عترتي والأنصار، فهو لأحد ثلاث، إما منافق، وإما لزينة، وإما لغير طهور، يعني حملته أمه علىٰ غير طهور، وقال: زيد غير قوي في الرواية" .

وقال الإمام العجلوني في " كشف الخفاء ومزيل الإلباس" (١/ ٦٤ برقم ١٣٣) : " وفي لفظ: وكلام أهل الجَنَّة في الجَنَّة عربي، قال في الأصل: رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وآخرون عن ابن عباس مرفوعًا بسند فيه ضعيف جدًّا، ورواه الطبراني أيضًا عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: أنا عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجَنَّة عربي، وهو مع ضعفه أقوىٰ من حديث ابن عباس، وأخرجه أبو الشيخ بسند ضعيف أيضًا عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: أحبوا العرب وبقاءَهم؛ فإن بقاءَهم نور في الإسلام، وإن فناءهم ظلمة في الإسلام، ورواه الدارقطني عن ابن عمر بلفظ: حب العرب إيمان وبغضهم نفاق... " .

وقال الشَّوكاني في "الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة" (١/ ٤١٣ برقم ١٧٣) : " رَوَاهُ الْعُقَيْلِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا، وَقَالَ: لا أَصْلَ لَهُ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ في الموضوعات.

وقال في اللآلىء: الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ، وُالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، وَصَحَّحَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، وَتَعَقَّبَهُ الذَّهَبِيُّ، فَقَالَ يَحْيَىٰ ين يَزِيدَ: ضَعَّفَهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، وَالْعَلَاءُ بن عمروالحنفي لَيْسَ بِعُمْدَةٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ متهم، فليس يصلح للمتابعات. قال: وَأَظُنُّ الْحَدِيثَ مَوْضُوعًا (١) ، وَلَهُ شَاهِدٌ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَا عَرَبِيٌّ، وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ، ولسان أهل الجَنَّة عربي" .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٦/١٦٣) : " وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [] ، وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: لَمْ يَنْزِلْ وَحْيٌ إِلَّا بِالْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ تَرجم كُلُّ نَبِيٍّ لِقَوْمِهِ، وَاللِّسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالسُّرْيَانِيَّةِ، فَمَنْ دَخَلَ الجَنَّة تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ" .

وجاء في " مجموع الفتاوىٰ" الإمام ابن تيمية " (٤/ ٣٠٠) : " سَأَلَ سَائِلٌ: بِمَاذَا يُخَاطَبُ النَّاسُ يَوْمَ الْبَعْثِ؟ وَهَلْ يُخَاطِبُهُمْ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِلِسَانِ الْعَرَبِ؟ وَهَلْ يَصِحُّ أَنَّ لِسَانَ أَهْلِ النَّارِ الْفَارِسِيَّةُ وَأَنَّ لِسَانَ أَهْلِ الجَنَّة الْعَرَبِيَّةُ ، فَأَجَبْته بَعْدَ:

الْحَمْدِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا يُعْلَمُ بِأَيِّ لُغَةٍ يَتَكَلَّمُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ وَلَا بِأَيِّ لُغَةٍ يَسْمَعُونَ خِطَابَ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ لَمْ يُخْبِرْنَا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَمْ يَصِحَّ أَنَّ الْفَارِسِيَّةَ لُغَةُ الجهنميين وَلَا أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ لُغَةُ أَهْلِ النَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ وَلَا نَعْلَمُ نِزَاعًا فِي ذَلِكَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَلْ كُلُّهُمْ يَكُفُّونَ عَنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي مِثْلِ هَذَا مِنْ فُضُولِ الْقَوْلِ وَلَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ لِأَصْحَابِ الثَّرَىٰ وَلَكِنْ حَدَثَ فِي ذَلِكَ خِلَافٌ بَيْنَ الْمُتَأَخِّرِينَ. فَقَالَ نَاسٌ: يَتَخَاطَبُونَ بِالْعَرَبِيَّةِ. وَقَالَ آخَرُونَ إلَّا أَهْلَ النَّارِ فَإِنَّهُمْ يُجِيبُونَ بِالْفَارِسِيَّةِ وَهِيَ لُغَتُهُمْ فِي النَّارِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: يَتَخَاطَبُونَ بِالسُّرْيَانِيَّةِ لِأَنَّهَا لُغَةُ آدَمَ وَعَنْهَا تَفَرَّعَتْ اللُّغَاتُ. وَقَالَ آخَرُونَ: إلَّا أَهْلُ الجَنَّة فَإِنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِالْعَرَبِيَّةِ. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ لَا حُجَّةَ لِأَرْبَابِهَا لَا مِنْ طَرِيقِ عَقْلٍ وَلَا نَقْلٍ بَلْ هِيَ دَعَاوَىٰ عَارِيَةٌ عَنْ الْأَدِلَّةِ وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ" .

فالأولىٰ في هذه المسألة ومثيلاتها تفويض الأمر إلىٰ الله تعالىٰ ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا تَفْسِيرُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧] .

الجواب : قال الإمام الواحدي في " الوسيط في تفسير القرآن المجيد " (٣/ ٤٥٣) : " قوله: **﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** [السجدة: ١٧] ، أي: لا يعلم أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ما خبئ لهؤلاء الذين ذكرهم مما تقر به أعينهم، قال ابن عباس في هذه الآية: هذا مما لا تفسير له، والأمر أعظم وأجل مما يعرف تفسيره.

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَاضِي، أنا حَاجِبُ بْنُ أَحْمَدَ، نا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ، نا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ

وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: **﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ، أنا أَبُو الشَّيْخِ الأَصْبَهَانِيُّ، نا أَبُو يَحْيَى الرَّازِيُّ، نا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ، نا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ" .

قَالَ: وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: **﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقْرَؤُهَا: مِنْ قُرَّاتِ أَعْيُنٍ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ نَصْرٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، كِلاهُمَا عَنِ الأَعْمَشِ " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٥/١٤٦-١٤٧) : " يَعْنِي مِمَّا تَقَرُّ الْعَيْنُ عِنْدَهُ وَلَا تَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهِ يُقَالُ إِنَّ هَذَا لَا يَدْخُلُ فِي عَيْنِي، يَعْنِي عَيْنِي تَطَلَّعُ إِلَى غَيْرِهِ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ تَطَلُّعٌ لِلْعَيْنِ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ لَمْ يَبْقَ لِلْعَيْنِ مَسْرَحٌ إِلَى غَيْرِهِ فَتَقَرُّ جَزَاءً بِحُكْمِ الْوَعْدِ، وَهَذَا فِيهِ لَطِيفَةٌ وَهِيَ أَنَّ مِنَ الْعَبْدِ شَيْئًا وَهُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَمِنَ اللَّهِ أَشْيَاءُ سَابِقَةٌ مِنَ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَغَيْرِهِمَا وَأَشْيَاءُ لَاحِقَةٌ مِنَ الثَّوَابِ وَالْإِكْرَامِ، فَلِلَّهِ تَعَالَى أَنْ يَقُولَ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِحْسَانٌ، وَأَنَا أَحْسَنْتُ أَوَّلًا وَالْعَبْدُ أَحْسَنَ فِي مُقَابَلَتِهِ، فَالثَّوَابُ تَفَضُّلٌ وَمِنْحَةٌ مِنْ غَيْرِ عِوَضٍ، وَلَهُ أَنْ يَقُولَ جَعَلْتُ الْأَوَّلَ تَفَضُّلًا لَا أَطْلُبُ عَلَيْهِ جَزَاءً، فَإِذَا أَتَى الْعَبْدُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ لِأَنِّي أَبْرَأْتُهُ مِمَّا عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ فَكَانَ هُوَ آتِيًا بِالْحَسَنَةِ ابْتِدَاءً، وَجَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِحْسَانٌ، فَأَجْعَلُ الثَّوَابَ جَزَاءً كِلَاهُمَا جَائِزٌ، لَكِنَّ غَايَةَ الْكَرَمِ أَنْ يَجْعَلَ الْأَوَّلَ هِبَةً وَيَجْعَلَ الثَّانِيَ مُقَابِلًا وَعِوَضًا لِأَنَّ الْعَبْدَ ضَعِيفٌ لَوْ قِيلَ لَهُ بِأَنَّ فِعْلَكَ جَزَاءٌ فَلَا تَسْتَحِقُّ جَزَاءً، وَإِنَّمَا اللَّهُ يَتَفَضَّلُ يَثِقُ وَلَكِنْ لَا يَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ الْأَوَّلُ غَيْرُ مَحْسُوبٍ عَلَيْكَ وَالَّذِي أَتَيْتَ بِهِ أَنْتَ بِهِ بَادٍ وَلَكَ عَلَيْهِ اسْتِحْقَاقُ ثَوَابٍ يَثِقُ وَيَطْمَئِنُّ ثُمَّ إِذَا عَرَفَ أَنَّ هَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ فَالْوَاجِبُ مِنْ جَانِبِ الْعَبْدِ أَنْ يَقُولَ فِعْلِي جَزَاءُ نِعَمِ اللَّهِ السَّابِقَةِ وَلَا أَسْتَحِقُّ بِهِ جَزَاءً، فَإِذَا أَثَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ الَّذِي أَتَيْتُ بِهِ كَانَ جَزَاءً، وَهَذَا ابْتِدَاءُ إِحْسَانٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَسْتَحِقُّ حَمْدًا وَشُكْرًا فَيَأْتِي بِحَسَنَةٍ فَيَقُولُ اللَّهُ إِنِّي أَحْسَنْتُ إِلَيْهِ جَزَاءَ فِعْلِهِ الْأَوَّلِ وَمَا فَعَلْتُ أَوَّلًا لَا أَطْلُبُ لَهُ جَزَاءً فَيُجَازِيهِ ثَالِثًا فَيَشْكُرُ الْعَبْدَ ثَالِثًا فَيُجَازِيهِ رَابِعًا وَعَلَى هَذَا لَا تَنْقَطِعُ الْمُعَامَلَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالرَّبِّ، وَمِثْلُهُ فِي الشَّاهِدِ اثْنَانِ تَحَابَّا فَأَهْدَى أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ هَدِيَّةً وَنَسِيَهَا وَالْمُهْدَى إِلَيْهِ يَتَذَكَّرُهَا فَأَهْدَى إِلَى الْمُهْدِي عِوَضًا فَرَآهُ الْمُهْدِي الْأَوَّلُ ابْتِدَاءً لِنِسْيَانِهِ مَا أَهْدَاهُ إِلَيْهِ فَجَازَاهُ بِهَدِيَّةٍ فَقَالَ الْمُحِبُّ الْآخَرُ مَا أَهْدَيْتُهُ كَانَ جَزَاءً لِهَدِيَّتِهِ السَّابِقَةِ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ مَا عَوَّضْتُهَا

فَيُعَوِّضُ وَيُعَوِّضُ عَنْهُ الْمُحِبُّ الْآخَرُ وَيَتَسَلْسَلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا وَلَا يَنْقَطِعُ التَّهَادِي وَالتَّحَابُّ، بِخِلَافِ مَنْ أَرْسَلَ إِلَىٰ وَاحِدٍ هَدِيَّةً وَهُوَ يَتَذَكَّرُهَا فَإِذَا بَعَثَ إِلَيْهِ الْمُهْدَىٰ إِلَيْهِ عِوَضًا يَقُولُ الْمُهْدِي هَذَا عِوَضُ مَا أَهْدَيْتُ إِلَيْهِ فَيَسْكُتُ وَيَتْرُكُ الْإِهْدَاءَ فَيَنْقَطِعُ، وَاعْلَمْ أَنَّ التَّكَالِيفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنِ ارْتَفَعَتْ لَكِنَّ الذِّكْرَ وَالشُّكْرَ وَالْعِبَادَةَ لَا تَرْتَفِعُ بَلِ الْعَبْدُ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي الجَنَّة أَكْثَرَ مِمَّا يَعْبُدُهُ فِي الدُّنْيَا، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ صَارَ حَالُهُ مِثْلَ حَالِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ قَالَ فِي حَقِّهِمْ : **﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ﴾** [الْأَنْبِيَاءِ: ٢٠] غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِتَكْلِيفٍ بَلْ هِيَ بِمُقْتَضَىٰ الطَّبْعِ وَمِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ الْمُوجِبَةِ لِدَوَامِ نَعِيمِ الجَنَّة هَذَا وَكَيْفَ لَا وَخِدْمَةُ الْمُلُوكِ لَذَّةٌ وَشَرَفٌ فَلَا تُتْرَكُ وَإِنْ قَرُبَ الْعَبْدُ مِنْهُ بَلْ تَزْدَادُ لذتها" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٤/ ١٠٤-١٠٥) : " وَالْمَعْنَىٰ الْمُرَادُ: أَنَّهُ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ بِمَا لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي لَمْ تَعْلَمْهُ نَفْسٌ وَلَا بَشَرٌ وَلَا مَلَكٌ. وَفِي مَعْنَىٰ هَذِهِ الْآيَةُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"(قَالَ اللهُ عز وجل أعدت لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ- ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : **﴿تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ﴾** إِلَىٰ قَوْلِهِ : **﴿بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾** . خَرَّجَهُ الصَّحِيحُ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فِي التَّوْرَاةِ مَكْتُوبٌ: عَلَىٰ اللهُ لِلَّذِينَ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْأَمْرُ فِي هَذَا أَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ تَفْسِيرُهُ. قُلْتُ: وَهَذِهِ الْكَرَامَةُ إِنَّمَا هِيَ لِأَعْلَىٰ أَهْلِ الجَنَّة مَنْزِلًا، كَمَا جَاءَ مُبَيَّنًا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ يَرْفَعُهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "سَأَلَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ فَقَالَ يَا رَبِّ مَا أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّة منزلة قال هو رجل يأتي بعد ما يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّة الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ : ادْخُلِ الجَنَّة ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ ، فَيَقُولُ : لَكَ ذلك ومثله ومثله معه وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ : رَضِيتُ رَبِّ ، فَيُقَالُ : هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ ، فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ ، قَالَ رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً ، قَالَ : أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ- قَالَ- وَمِصْدَاقُهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾** .

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْمُغِيرَةِ مَوْقُوفًا قَوْلُهُ. وَخَرَّجَ مُسْلِمٌ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ

قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْرًا بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَرَأَ : **﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** . وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: الْمُرَادُ بِهِ النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَقَالَ الْحَسَنُ: أَخْفَى الْقَوْمُ أَعْمَالًا فَأَخْفَى اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ" .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٢١/ ٢٢٩-٢٣٠) : **﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** ، أَيْ: لَا تَبْلُغُ نَفْسٌ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مَعْرِفَةَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ، قَالَ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ" .

فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِـ **﴿نَفْسٌ﴾** فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَصْحَابُ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ.

فَإِنَّ مُدْرَكَاتِ الْعُقُولِ مُنْتَهِيَةٌ إِلَى مَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ مِنَ الْمَرْئِيَّاتِ مِنَ الْجَمَالِ وَالزِّينَةِ، وَمَا تُدْرِكُهُ الْأَسْمَاعُ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَقْوَالِ وَمَحَامِدِهَا وَمَحَاسِنِ النَّغَمَاتِ، وَإِلَى مَا تَبْلُغُ إِلَيْهِ الْمُتَخَيَّلَاتُ مِنْ هَيْئَاتٍ يُرَكِّبُهَا الْخَيَالُ مِنْ مَجْمُوعِ مَا يَعْهَدُهُ مِنَ الْمَرْئِيَّاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ مِثْلَ الْأَنْهَارِ مِنْ عَسَلٍ أَوْ خَمْرٍ أَوْ لَبَنٍ، وَمِثْلَ الْقُصُورِ وَالْقِبَابِ مِنَ اللُّؤْلُؤِ، وَمِثْلَ الْأَشْجَارِ مِنْ زَبَرْجَدٍ، وَالْأَزْهَارِ مِنْ يَاقُوتٍ، وَتُرَابٍ مِنْ مِسْكٍ وَعَنْبَرٍ، فَكُلُّ ذَلِكَ قَلِيلٌ فِي جَانِبِ مَا أُعِدَّ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ هَذِهِ الْمَوْصُوفَاتِ وَلَا تَبْلُغُهُ صِفَاتُ الْوَاصِفِينَ لِأَنَّ مُنْتَهَى الصِّفَةِ مَحْصُورٌ فِيمَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ دَلَالَاتُ اللُّغَاتِ مِمَّا يَخْطُرُ عَلَى قُلُوبِ الْبَشَرِ فَلِذَلِكَ

قَالَ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ" ، وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ فِي تَعْظِيمِ شَيْءٍ: هَذَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

فَلَمْ يَدْرِ إِلَّا اللَّهُ مَا هَيَّجَتْ لَنَا   عَشِيَّةَ آنَاءِ الدِّيَارِ وِشَامُهَا

وَعَبَّرَ عَنْ تِلْكَ النعم بِـ **﴿مَا أُخْفِيَ﴾** لِأَنَّهَا مُغَيَّبَةٌ لَا تُدْرَكُ إِلَّا فِي عَالَمِ الْخُلُودِ.

وَقُرَّةُ الْأَعْيُنِ: كِنَايَةٌ عَنِ الْمَسَرَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَقَرِّي عَيْناً﴾ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ** .

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ أُخْفِيَ بِفَتْحِ الْيَاءِ بِصِيغَةِ الْمَاضِي الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ. وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَيَعْقُوبُ أُخْفِي بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ الْمُفْتَتَحِ بِهَمْزَةِ الْمُتَكَلِّمِ وَالْيَاءِ سَاكِنَةً، وجَزَاءً مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ وَقَدْ فَسَّرَ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ جَزَاءٌ عَلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ فِي حَدِيثٍ أَغَرَّ ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ. قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ

الْبَيْتَ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطَايَا كَمَا يطفىء الْمَاءُ النَّارَ وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلَا **﴿تتجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾** حَتَّى بَلَغَ **﴿يَعْمَلُون ﴾**... الحَدِيث" .

وفي شرح قوله صلى الله عليه وسلم : " "

قال الإمام ابن الجوزي في " كشف المشكل من حديث الصَّحيحين " (٢/ ٢٨٤-٢٨٥) : " اعْلَم أَنَّ نعيم الجَنَّة لما كَانَ غَائِباً نَاب الْوَصْف عَن الْمُشَاهدَة. وَإِنَّمَا يُوصف مَا قد رئي جنسه وَمَا يعرف شبهه، فوصف الله عزَّ وَجلَّ للْمُؤْمنين مَا يعْرفُونَ من المطاعم والأزواج والفرش والقصور وَالْأَشْجَار والأنهار، ثمَّ درج الْأَغْرَاض فِي قَوْله: **﴿وَفيْهَا مَا تَشْتَهِيْهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُن﴾** [الزخرف: ٧١] ثمَّ قَالَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: " فِيهَا مَا لَا عين رَأَتْ، وَلَا أذن سَمِعت، وَلَا خطر على قلب تشر " وَهَذَا لِأَن النُّفُوس تحب الْأَشْيَاء المتجدِّدة والغريبة. فَلَمَّا كَانَ مَا قد رَأَتْهُ وَسمعت بِهِ وَمَا يخْطر بالقلوب عِنْدهَا مَعْرُوفا، أخْبرهَا بِوُجُود مَا يزِيد على ذَلِك مِمَّا لم يبلغ إِلَى مَعْرفَته، إِذْ لم تَرَ جنسه، وَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: **﴿فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** [السَّجْدَة: ١٧] ، وَقد جعل ذَلِك فِي مُقَابلَة قيام اللَّيْل حِين قَالَ: **﴿تَتَجَافَى جنُوبُهُم عَنِ الْمَضَاجِع﴾** [السَّجْدَة: ١٦] فأخفى جزاءهم لإخفائهم عِبَادَته فِي الدُّجى. وَقَول الْقرظِيّ: إِن ثمَّ لكيسا. أَي عقلاً وافراً. حِين أخفوا مُعَامَلَته، وَفِي إخفاء الْمُعَامَلَة اقتناع بِرُؤْيَة الْمَعْمُول مَعَه" .

وقال الإمام في " طرح التَّثريب في شرح التَّقريب " (٨/ ٢٧٣-٢٧٤) : " مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ادَّخَرَ فِي الجَنَّة مِنْ النَّعِيمِ، وَالْخَيْرَاتِ، وَاللَّذَّاتِ مَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ الْخَلْقِ بِطَرِيقٍ مِنْ الطُّرُقِ فَذَكَرَ الرُّؤْيَةَ، وَالسَّمْعَ لِأَنَّهُ يُدْرَكُ بِهِمَا أَكْثَرُ الْمَحْسُوسَاتِ، وَالْإِدْرَاكُ بِالذَّوْقِ، وَالشَّمِّ، وَاللَّمْسِ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ زَادَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ طَرِيقًا إلَّا تَوَهُّمَهَا بِفِكْرٍ وَخُطُورٍ عَلَى قَلْبٍ فَقَدْ جَلَّتْ وَعَظُمَتْ عَنْ أَنْ يُدْرِكَهَا فِكْرٌ وَخَاطِرٌ، وَلَا غَايَةَ فَوْقَ هَذَا فِي إخْفَائِهَا، وَالْإِخْبَارِ عَنْ عِظَمِ شَأْنِهَا عَلَى طَرِيقِ الْإِجْمَالِ دُونَ التَّفْصِيلِ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ.

وَقَدْ تَعَرَّضَ بَعْضُ النَّاسِ لِتَعْيِينِهِ، وَهُوَ تَكَلُّفٌ يَنْفِيهِ الْخَبَرُ نَفْسُهُ إذْ قَدْ نَفَى عِلْمَهُ، وَالشُّعُورَ بِهِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ قَالَ وَيَشْهَدُ لَهُ وَيُحَقِّقُهُ قَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ الصَّحِيحَيْنِ بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهِ أَيْ مَا أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهِ يَعْنِي أَنَّ الْمُعَدَّ الْمَذْكُورَ غَيْرُ الَّذِي أَطْلَعَ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ الْخَلْقِ وَبَلْهَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ بِمَعْنَى دَعْ هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِيهَا وَقِيلَ هِيَ بِمَعْنَى غَيْرُ وَهَذَا تَفْسِيرُ مَعْنًى. قَالَ النَّوَوِيُّ وَمَعْنَاهُ دَعْ مَا أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهِ فَالَّذِي لَمْ يُطْلِعْكُمْ عَلَيْهِ أَعْظَمُ فَكَأَنَّهُ أَضْرَبَ عَنْهُ اسْتِقْلَالًا فِي جَنْبِ مَا لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ وَقِيلَ مَعْنَى بَلْهُ كَيْفَ.

(الثَّالِثَةُ) إنْ (قُلْت) رَوَىٰ أَبُو دَاوُد، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَغَيْرُهُمَا مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَيْهَا فَقَالَ انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَىٰ مَا أَعْدَدْت لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَجَاءَهَا فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَىٰ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعِزَّتِك لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَىٰ مَا أَعْدَدْت لِأَهْلِهَا فِيهَا فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعِزَّتِك لَقَدْ خِفْت أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ" .

فَقَدْ دَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَىٰ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ أَطْلَعَ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَىٰ مَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ فِيهَا فَقَدْ رَأَتْهُ عَيْنٌ قُلْت : الْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا : أَنَّهُ تَعَالَىٰ خَلَقَ فِيهَا بَعْدَ رُؤْيَةِ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أُمُورًا كَثِيرَةً لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا جِبْرِيلُ وَلَا غَيْرُهُ فَتِلْكَ الْأُمُورُ هِيَ الْمُشَارُ إِلَيْهَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

ثَانِيهَا : أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَعْيُنِ، وَالْآذَانِ أَعْيُنُ الْبَشَرِ وَآذَانُهَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ «وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ» فَأَمَّا الْمَلَائِكَةُ فَلَا مَانِعَ مِنْ اطِّلَاعِ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ.

ثَالِثُهَا : أَنَّ ذَلِكَ يَتَجَدَّدُ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَيَدُلُّ لَهُ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرَ حَدِيثًا فِي أَثْنَائِهِ «وَيَقُولُ رَبُّنَا قُومُوا إِلَىٰ مَا أَعْدَدْت لَكُمْ مِنْ الْكَرَامَةِ فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ فَنَأْتِي سُوقًا قَدْ حَفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مَا لَمْ تَنْظُرْ الْعُيُونُ إِلَىٰ مِثْلِهِ، وَلَمْ تَسْمَعْ الْأَذَانُ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَىٰ الْقُلُوبِ فَنَحْمِلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا» الْحَدِيثَ وَلَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ «أَعْدَدْت» لِأَنَّ هَذَا لَمَّا كَانَ مُحَقَّقُ الْوُقُوعِ نَزَلَ مَنْزِلَةَ الْوَاقِعِ" .

وقال الإمام علي القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٩/ ٣٥٧٥-٣٥٧٦) : " قَالَ الطِّيبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: (مَا) هُنَا إِمَّا مَوْصُولَةٌ أَوْ مَوْصُوفَةٌ، وَعَيْنٌ وَقَعَتْ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ فَأَفَادَ الِاسْتِغْرَاقَ، وَالْمَعْنَىٰ مَا رَأَتِ الْعُيُونُ كُلُّهُنَّ وَلَا عَيْنٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ، وَالْأُسْلُوبُ مِنْ بَابِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾ [غافر: ١٨] ، فَيُحْتَمَلُ نَفْيُ الرُّؤْيَةِ وَالْعَيْنِ مَعًا، أَوْ نَفْيُ الرُّؤْيَةِ فَحَسْبُ، أَيْ: لَا رُؤْيَةٌ وَلَا عَيْنٌ، أَوْ لَا رُؤْيَةٌ، وَعَلَىٰ الْأَوَّلِ الْغَرَضُ مِنْهُ الْعَيْنُ، وَبِهَا ضُمَّتْ إِلَيْهِ الرُّؤْيَةُ لِيُؤْذِنَ بِأَنَّ انْتِفَاءَ الْمَوْصُوفِ أَمْرٌ مُحَقَّقٌ لَا نِزَاعَ فِيهِ، وَبَلَغَ فِي تَحَقُّقِهِ إِلَىٰ أَنْ صَارَ كَالشَّاهِدِ عَلَىٰ نَفْيِ الصِّفَةِ وَعَكْسِهِ (وَلَا أُذُنٌ) : بِضَمَّتَيْنِ وَيُسَكَّنُ الذَّالُ (سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ) أَيْ: وَقَعَ (عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ) . قَالَ الطِّيبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: هُوَ مِنْ بَابِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**يَوْمَ**

لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ [غافر: ٥٢] ، أَيْ: لَا قَلْبٌ وَلَا خُطُورٌ، أَوْ لَا خُطُورًا، فَعَلَى الْأَوَّلِ لَهُمْ قَلْبٌ مُخْطِرٌ، فَجَعَلَ انْتِفَاءَ الصِّفَةِ دَلِيلًا عَلَى انْتِفَاءِ الذَّاتِ أَيْ: إِذَا لَمْ يَحْصُلْ ثَمَرَةُ الْقَلْبِ وَهُوَ الْإِخْطَارُ فَلَا قَلْبَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾** [ق: ٣٧] .

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ خَصَّ الْبَشَرَ هُنَا دُونَ الْقَرِينَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ؟ قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ وَيَهْتَمُّونَ بِشَأْنِهِ وَيَخْطُرُونَ بِبَالِهِمْ، بِخِلَافِ الْمَلَائِكَةِ، وَالْحَدِيثُ كَالتَّفْصِيلِ لِلْآيَةِ، فَإِنَّهَا نَفَتِ الْعِلْمَ، وَالْحَدِيثُ نَفَى طَرِيقَ حُصُولِهِ. (وَاقْرَءُوا) : ظَاهِرُهُ أَنَّهُ مَرْفُوعٌ، وَيُؤَيِّدُهُ الْعَاطِفُ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ؛ لِقَوْلِهِ: إِنْ شِئْتُمْ أَيْ: أَرَدْتُمُ الِاسْتِشْهَادَ وَالِاعْتِضَادَ **﴿فَلَا تَعْلَمُ﴾** [السجدة: ١٧] : فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ اقْرَءُوا أَوِ التَّقْدِيرُ آيَةَ **﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾** ، أَيْ: مُقْتَضَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ **﴿مَا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾** [السجدة: ١٧] : قَرَأَ الْجُمْهُورُ " أُخْفِيَ " بِتَحْرِيكِ الْيَاءِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ بِسُكُونِهَا عَلَى أَنَّهُ مُضَارِعٌ مُسْنَدٌ لِلْمُتَكَلِّمِ، وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ " نُخْفِي " بِنُونِ الْعَظَمَةِ، وَقُرِئَ " أَخْفَى " بِفَتْحِ أَوَّلِهِ، وَالْفَاعِلُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** [السجدة: ١٧] ، الْكَشَّافُ: لَا تَعْلَمُ النُّفُوسُ كُلُّهُنَّ وَلَا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُمْ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَيَّ نَوْعٍ عَظِيمٍ مِنَ الثَّوَابِ ادَّخَرَ اللَّهُ لِأُولَئِكَ وَأَخْفَاهُ مِنْ جَمِيعِ خَلَائِقِهِ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ مِمَّا تَقَرُّ بِهِ عُيُونُهُمْ، وَلَا مَزِيدَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ وَلَا مَطْمَحَ وَرَاءَهُمَا. وَفِي " شَرْحِ السُّنَّةِ ": يُقَالُ: أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ، وَمَعْنَاهُ بَرَّدَ اللَّهُ دَمْعَتَهَا؛ لِأَنَّ دَمْعَةَ الْفَرَحِ بَارِدَةٌ، حَكَاهُ الْأَصْمَعِيُّ. وَقَالَ غَيْرُهُ: مَعْنَاهُ بَلَّغَكَ اللَّهُ أُمْنِيَّتَكَ حَتَّى تَرْضَى بِهِ نَفْسُكَ وَتَقَرَّ عَيْنُكَ وَلَا تَسْتَشْرِفَ إِلَى غَيْرِهِ.

قَالَ الطِّيبِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ –: فَعَلَى هَذَا الْأَوَّلُ مِنَ الْقُرَّةِ بِمَعْنَى الْبَرْدِ، وَالثَّانِي مِنَ الْقَرَارِ، وَفِي قَوْلِهِ: أَعْدَدْتُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ مَخْلُوقَةٌ، وَيُعَضِّدُهُ سُكْنَى آدَمَ وَحَوَّاءَ الْجَنَّةَ، وَلِمَجِيئِهَا فِي الْقُرْآنِ عَلَى نَهْجِ الْأَسْمَاءِ الْغَالِبَةِ اللَّاحِقَةِ بِالْأَعْلَامِ، كَالنَّجْمِ وَالثُّرَيَّا وَالْكِتَابِ وَنَحْوِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ كَانَتْ تُطْلَقُ عَلَى كُلِّ بُسْتَانٍ مُتَكَاثِفٍ أَغْصَانُ أَشْجَارِهَا، ثُمَّ غَلَبَتْ عَلَى دَارِ الثَّوَابِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: اللَّاحِقَةُ؛ لِلْإِعْلَامِ لِكَوْنِهَا غَيْرَ لَازِمَةٍ لِلَّامِ، وَتَحْقِيقُ الْقَوْلِ أَنَّهَا مَنْقُولٌ شَرْعِيَّةٌ عَلَى سَبِيلِ التَّغْلِيبِ، وَإِنَّمَا تُغَلَّبُ إِذَا كَانَتْ مَوْجُودَةً مَعْهُودَةً، وَكَذَلِكَ اسْمُ النَّارِ مَنْقُولَةٌ لِدَارِ الْعِقَابِ عَلَى سَبِيلِ الْغَلَبَةِ، وَإِنِ اشْتَمَلَتْ عَلَى الزَّمْهَرِيرِ وَالْمُهْلِ وَالضَّرِيعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا كَانَ يُغْنِي عَنْ طَلَبِ الْقُصُورِ وَالْحُورِ وَالْوِلْدَانِ بِالْجَنَّةِ، وَلَا عَنْ طَلَبِ الْوِقَايَةِ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ وَالْمُهْلِ وَالضَّرِيعِ عَنْ مُطْلَقِ النَّارِ "مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ" ، وَكَذَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ غَيْرِ قَوْلِهِ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ... إِلَى آخِرِهِ، عَلَى مَا فِي الْجَامِعِ فَهُوَ يُؤَيِّدُ كَوْنَهُ مَوْقُوفًا. وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ

مَرْفُوعًا وَلَفْظُهُ: «إِنَّ فِي الجَنَّة مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ أَحَدٍ» . وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَالْبَزَّارُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَلَفْظُهُ: «فِي الجَنَّة مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ» . وَرَوَىٰ الطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا، قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ تعَالَىٰ جَنَّةَ عَدْنٍ خَلَقَ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ». ثُمَّ قَالَ لَهَا: تكَلَّمِي، فَقَالَتْ: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [المؤمنون: ١] ، هَذَا وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ -: سَبَبُ هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَأَلَ رَبَّهُ: مَنْ أَعْظَمُ أَهْلِ الجَنَّة مَنْزِلَةً؟ فَقَالَ: غَرَزْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَا عَيْنٌ رَأَتْ. . . وَإِلَىٰ آخِرِهِ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ، انْتَهَىٰ. وَلَا يَخْفَىٰ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي ﴿**مَا أُخْفِيَ لَهُمْ**﴾ [السجدة: ١٧] لِقَوْمٍ خاصٍّ. ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ [السجدة: ١٦] ، وَالْمُرَادُ الْمُتَهَجِّدُونَ وَالْأَوَّابُونَ، وَلَمَّا أَخْفَوْا أَعْمَالَهُمْ عَنْ أَعْيُنِ الْعِبَادِ جُوزُوا بِإِخْفَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُمْ مَا أَرَادَ لَهُمْ مِنَ الْإِعْدَادِ جَزَاءً وِفَاقًا عَلَىٰ حَسَبِ مَا وُفِّقُوا مِنَ الْإِمْدَادِ وَالْإِسْعَادِ" .

سُؤالٌ : مَا تَفْسِيرُ قَوْلِ الله تَعَالَىٰ : ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً**﴾ [الإنسان:٢٠] .

قال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن"(٥/ ١٩٤) : " ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ**﴾ ، أَيْ إِذَا رَأَيْت بِبَصَرِكَ وَنَظَرْتَ بِهِ ثَمَّ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ، ﴿**رَأَيْتَ نَعِيماً**﴾ ، لَا يُوصَفُ، ﴿**وَمُلْكاً كَبِيراً**﴾ ، وَهُوَ أَنَّ أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةً يَنْظُرُ إِلَىٰ مُلْكِهِ فِي مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ يَرَىٰ أَقْصَاهُ كَمَا يَرَىٰ أَدْنَاهُ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ: هُوَ أَنَّ رَسُولَ رَبِّ الْعِزَّةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ. وَقِيلَ: مُلْكًا لَا زَوَالَ لَهُ" .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٣٠/ ٧٥٣-٧٥٤) : " وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: رَأَيْت هَلْ لَهُ مَفْعُولٌ؟ فِيهِ قَوْلَانِ: الْأَوَّلُ: قَالَ الْفَرَّاءُ: الْمَعْنَىٰ وَإِذَا رَأَيْت مَا ثَمَّ وَصَلُحَ إِضْمَارُ مَا كَمَا قَالَ: ﴿**لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ**﴾ [الأنعام: ٩٤] يُرِيدُ مَا بَيْنَكُمْ، قَالَ الزَّجَّاجُ: لَا يَجُوزُ إِضْمَارُ ما لأن ثم صلة وما مَوْصُولُهَا، وَلَا يَجُوزُ إِسْقَاطُ الْمَوْصُولِ وَتَرْكُ الصِّلَةِ الثَّانِي: أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَفْعُولٌ ظَاهِرٌ وَلَا مُقَدَّرٌ وَالْغَرَضُ مِنْهُ أَنْ يَشِيعَ وَيَعُمَّ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَإِذَا وَجَدْتَ الرُّؤْيَةَ ثَمَّ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ بَصَرَ الرَّائِي أَيْنَمَا وَقَعَ لَمْ يَتَعَلَّقْ إِدْرَاكُهُ إلا بنعيم كثير وملك كثير، وثَمَّ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ عَلَىٰ الظَّرْفِ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: اعْلَمْ أَنَّ اللَّذَّاتِ الدُّنْيَوِيَّةَ مَحْصُورَةٌ فِي أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ: قَضَاءِ الشَّهْوَةِ، وَإِمْضَاءِ الْغَضَبِ، وَاللَّذَّةِ الْخَيَالِيَّةِ الَّتِي يُعَبَّرُ عَنْهَا بِحُبِّ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُسْتَحْقَرٌ فَإِنَّ الْحَيَوَانَاتِ الْخَسِيسَةَ قَدْ تُشَارِكُ الْإِنْسَانَ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا، فالملك الكبير الذي ذكره الله هاهنا لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ مُغَايِرًا لِتِلْكَ اللَّذَّاتِ الْحَقِيرَةِ، وَمَا هُوَ إِلَّا

أَنْ تَصِيرَ نَفْسُهُ منقشة بِقُدْسِ الْمَلَكُوتِ مُتَحَلِّيَةً بِجَلَالِ حَضْرَةِ اللَّاهُوتِ، وَأَمَّا مَا هُوَ عَلَىٰ أُصُولِ الْمُتَكَلِّمِينَ، فَالْوَجْهُ فِيهِ أَيْضًا أَنَّهُ الثَّوَابُ وَالْمَنْفَعَةُ الْمَقْرُونَةُ بِالتَّعْظِيمِ فَبَيَّنَ تَعَالَىٰ فِي الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ تَفْصِيلَ تِلْكَ الْمَنَافِعِ وَبَيَّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ حُصُولَ التَّعْظِيمِ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَكُونُ كَالْمَلِكِ الْعَظِيمِ، وَأَمَّا الْمُفَسِّرُونَ فَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ هَذَا الْمُلْكَ الْكَبِيرَ عَلَىٰ أَنَّ هُنَاكَ مَنَافِعَ أَزْيَدَ مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَقْدِرُ وَاصِفٌ يَصِفُ حُسْنَهُ وَلَا طِيبَهُ. وَيُقَالُ: إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّة مَنْزِلَةً يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ عَامٍ وَيَرَىٰ أَقْصَاهُ كَمَا يَرَىٰ أدناه، وقيل: لا زوال له وقيل: إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّة مَنْزِلَةً يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ عَامٍ وَيَرَىٰ أَقْصَاهُ كَمَا يَرَىٰ أَدْنَاهُ، وَقِيلَ: لَا زَوَالَ لَهُ وَقِيلَ: إِذَا أَرَادُوا شَيْئًا حَصَلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَهُ عَلَىٰ التَّعْظِيمِ. فَقَالَ الْكَلْبِيُّ: هُوَ أَنْ يَأْتِيَ الرَّسُولُ مِنْ عِنْدِ اللهَّ بِكَرَامَةٍ مِنَ الْكُسْوَةِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالتُّحَفِ إِلَىٰ وَلِيِّ اللهَّ وَهُوَ فِي مَنْزِلِهِ فَيَسْتَأْذِنَ عَلَيْهِ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ رَسُولُ رَبِّ الْعِزَّةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ الْمُطَهَّرِينَ إِلَّا بَعْدَ الِاسْتِئْذَانِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: قَالَ بَعْضُهُمْ قَوْلُهُ: وَإِذا رَأَيْتَ خِطَابٌ لِمُحَمَّدٍ خَاصَّةً، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِرَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلْتُ الجَنَّة أَتَرَىٰ عَيْنَايَ مَا تَرَىٰ عَيْنَاكَ؟ فَقَالَ نَعَمْ، فَبَكَىٰ حَتَّىٰ مَاتَ، وَقَالَ آخرون: بل هو خطاب لكلِّ أحد" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ١٤٤-١٤٥) : " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَإِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾** ثَمَّ: ظَرْفُ مَكَانٍ أَيْ هُنَاكَ فِي الْجَنَّةِ، وَالْعَامِلُ فِي ثَمَّ مَعْنَىٰ **﴿رَأَيْتَ﴾** ، أَيْ وَإِذَا رَأَيْتَ بِبَصَرِكَ ثَمَّ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: فِي الْكَلَامِ" مَا" مُضْمَرَةٌ، أَيْ وَإِذَا رَأَيْتَ مَا ثَمَّ، كقوله تعالىٰ: **﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾** [الانعام: ٩٤] ، أَيْ : مَا بَيْنَكُمْ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ:" مَا" مَوْصُولَةٌ بِـ ثَمَّ عَلَىٰ مَا ذَكَرَهُ الْفَرَّاءُ، وَلَا يَجُوزُ إِسْقَاطُ الْمَوْصُولِ وَتَرْكُ الصِّلَةِ، وَلَكِنْ رَأَيْتَ يَتَعَدَّىٰ فِي الْمَعْنَىٰ إِلَىٰ ثَمَّ وَالْمَعْنَىٰ: إِذَا رَأَيْتَ بِبَصَرِكَ ثَمَّ وَيَعْنِي بِـ ثَمَّ الْجَنَّةَ، وَقَدْ ذَكَرَ الْفَرَّاءُ هَذَا أَيْضًا. وَالنَّعِيمُ: سَائِرُ مَا يُتَنَعَّمُ بِهِ. وَالْمُلْكُ الْكَبِيرُ: اسْتِئْذَانُ الْمَلَائِكَةِ عليهم، قاله السُّدِّيُّ وَغَيْرُهُ. قَالَ الْكَلْبِيُّ: هُوَ أَنْ يَأْتِيَ الرَّسُولُ مِنْ عِنْدِ اللهَّ بِكَرَامَةٍ مِنَ الْكِسْوَةِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالتُّحَفِ إِلَىٰ وَلِيِّ اللهَّ وَهُوَ فِي مَنْزِلِهِ، فَيَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ، فَذَلِكَ الْمُلْكُ الْعَظِيمُ. وَقَالَهُ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ. وَقِيلَ: الْمُلْكُ الْكَبِيرُ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِهِمْ سَبْعُونَ حَاجِبًا، حَاجِبًا دُونَ حَاجِبٍ، فَبَيْنَمَا وَلِيُّ اللهَّ فِيمَا هُوَ فِيهِ مِنَ اللَّذَّةِ وَالسُّرُورِ إِذْ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ اللهَّ، قَدْ أَرْسَلَهُ اللهُّ بِكِتَابٍ وَهَدِيَّةٍ وَتُحْفَةٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَمْ يَرَهَا ذَلِكَ الْوَلِيُّ فِي الْجَنَّة قَطُّ، فَيَقُولُ لِلْحَاجِبِ الْخَارِجِ: اسْتَأْذِنْ عَلَىٰ وَلِيِّ اللهَّ فَإِنَّ مَعِي كِتَابًا وَهَدِيَّةً مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ هَذَا الْحَاجِبُ لِلْحَاجِبِ الَّذِي يَلِيهِ: هَذَا رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مَعَهُ كِتَابٌ وَهَدِيَّةٌ يَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ وَلِيِّ

اللهَّ، فَيَسْتَأْذِنُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَبْلُغَ إِلَى الْحَاجِبِ الَّذِي يَلِي وَلِيِّ اللهَّ فَيَقُولُ لَهُ: يَا وَلِيِّ اللهَّ! هَذَا رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ، مَعَهُ كِتَابٌ وَتُحْفَةٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَفَيُؤْذَنُ لَهُ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ! فَأْذَنُوا لَهُ. فَيَقُولُ ذَلِكَ الْحَاجِبُ الَّذِي يَلِيهِ: نَعَمْ فَأْذَنُوا لَهُ. فَيَقُولُ الَّذِي يَلِيهِ لِلْآخَرِ كذلك حتىٰ يبلغ الْحَاجِبَ الْآخَرَ. فَيَقُولُ لَهُ: نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلَكُ، قَدْ أُذِنَ لَكَ، فَيُدْخَلُ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: السَّلَامُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَهَذِهِ تُحْفَةٌ، وَهَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَيْكَ. فَإِذَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ: مِنَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، إِلَى الْحَيِّ الَّذِي يَمُوتُ. فَيَفْتَحُهُ فَإِذَا فِيهِ: سَلَامٌ عَلَىٰ عَبْدِي وَوَلِيِّي وَرَحْمَتِي وبَرَكَاتِي، يَا وَلِيِّي أَمَا آنَ لَكَ أَنْ تَشْتَاقَ إِلَى رُؤْيَةِ رَبِّكَ؟ فَيَسْتَخِفُّهُ الشَّوْقُ فَيَرْكَبُ الْبُرَاقَ فَيَطِيرُ بِهِ البراق شوقا إلىٰ زيادة عَلَّامِ الْغُيُوبِ، فَيُعْطِيهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ. وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: بَلَغَنَا أَنَّ الْمُلْكَ الْكَبِيرَ تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ. سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾** [الرعد: ٢٤ – ٢٣] . وَقِيلَ: الْمُلْكُ الْكَبِيرُ كَوْنُ التِّيجَانِ عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ كَمَا تَكُونُ عَلَىٰ رَأْسِ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ: يَعْنِي مُلْكَ التَّكْوِينِ، فَإِذَا أَرَادُوا شَيْئًا قَالُوا لَهُ كُنْ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: مُلْكٌ لَا يَتَعَقَّبُهُ هُلْكٌ. وَفِي الْخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهَُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ الْمُلْكَ الْكَبِيرَ هُوَ أَنَّ أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةً يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ مَسِيرَةَ أَلْفَيْ عَامٍ، يَرَىٰ أَقْصَاهُ كَمَا يَرَىٰ أَدْنَاهُ " ، قَالَ: وَإِنَّ أَفْضَلَهُمْ مَنْزِلَةً مَنْ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ رَبِّهِ تَعَالَىٰ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ سُبْحَانَ الْمُنْعِمِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَاذَا عَنْ رُؤيَةِ الله فِيْ الآخِرَة ؟

الجواب : رؤية الله تعالىٰ في الآخرة من أعظم نِعَم الله تعالىٰ علىٰ عباده في الجَنَّة ، وهي ثابتة بالكتاب والسُّنَّة ، وقد قرَّرها وأثبتها جمهور أهل السُّنَّة والجماعة ...

وقد دلَّ علىٰ ذلك العديد من آيات الكتاب العزيز ... ومن أشهر الأدلَّة علىٰ إثبات الرُّؤية في الآخرة : قوله تعالىٰ : **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾** [القيامة:٢٢-٢٣] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (٣٠/ ٧٣٠-٧٣٣) : " اعْلَمْ أَنَّ جُمْهُورَ أَهْلِ السُّنَّةِ يَتَمَسَّكُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي إِثْبَاتِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللهََّ تَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَمَّا المعتزلة فلهم هاهنا مَقَامَانِ : أَحَدُهُمَا: بَيَانُ أَنَّ ظَاهِرَهُ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ رُؤْيَةِ اللهَّ تَعَالَىٰ وَالثَّانِي: بَيَانُ التَّأْوِيلِ.

أَمَّا الْمَقَامُ الْأَوَّلُ: فَقَالُوا: النَّظَرُ الْمَقْرُونُ بِحَرْفِ إِلَى لَيْسَ اسْمًا لِلرُّؤْيَةِ، بَلْ لِمُقَدِّمَةِ الرُّؤْيَةِ وهي تقليب الحدقة نحو المرئي التماس لِرُؤْيَتِهِ، وَنَظَرُ الْعَيْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرُّؤْيَةِ كَنَظَرِ الْقَلْبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ، وَكَالْإِصْغَاءِ

بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ السَّمَاعِ، فَكَمَا أَنَّ نَظَرَ الْقَلْبِ مُقَدِّمَةٌ لِلْمَعْرِفَةِ، وَالْإِصْغَاءَ مُقَدِّمَةٌ لِلسَّمَاعِ، فَكَذَا نَظَرُ الْعَيْنِ مُقَدِّمَةٌ لِلرُّؤْيَةِ، قَالُوا: وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ النَّظَرَ لَيْسَ اسْمًا لِلرُّؤْيَةِ وُجُوهٌ:

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾** [الْأَعْرَافِ: ١٩٨] أَثْبَتَ النَّظَرَ حَالَ عَدَمِ الرُّؤْيَةِ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ النَّظَرَ غَيْرُ الرُّؤْيَةِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ النَّظَرَ يُوصَفُ بِمَا لَا تُوصَفُ بِهِ الرُّؤْيَةُ، يُقَالُ: نَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرًا شَزَرًا، وَنَظَرَ غَضْبَانَ، وَنَظَرَ رَاضٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِأَجْلِ أَنَّ حَرَكَةَ الْحَدَقَةِ تَدُلُّ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَلَا تُوصَفُ الرُّؤْيَةُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا يُقَالُ: رَآهُ شَزَرًا، وَرَآهُ رُؤْيَةَ غَضْبَانَ، أَوْ رُؤْيَةَ رَاضٍ:

الثَّالِثُ: يُقَالُ: انْظُرْ إِلَيْهِ حَتَّىٰ تَرَاهُ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَرَأَيْتُهُ، وَهَذَا يُفِيدُ كَوْنَ الرُّؤْيَةِ غَايَةً لِلنَّظَرِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ الْفَرْقَ بَيْنَ النَّظَرِ وَالرُّؤْيَةِ.

الرَّابِعُ: يقال: دور فُلَانٍ مُتَنَاظِرَةٌ، أَيْ مُتَقَابِلَةٌ، فَمُسَمَّىٰ النَّظَرِ حَاصِلٌ هاهنا، ومسمىٰ الرُّؤية غير حاصل

الْخَامِسُ: قوله الشَّاعِرِ:

وُجُوهٌ نَاظِرَاتٌ يَوْمَ بَدْرٍ   إِلَىٰ الرَّحْمَنِ تَنْتَظِرُ الْخَلَاصَا

أَثْبَتَ النَّظَرَ الْمَقْرُونَ بِحَرْفِ إِلَىٰ مَعَ أَنَّ الرُّؤْيَةَ مَا كَانَتْ حَاصِلَةً.

السَّادِسُ: احْتَجَّ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ عَلَىٰ أَنَّ النَّظَرَ لَيْسَ عِبَارَةً عَنِ الرُّؤْيَةِ، الَّتِي هِيَ إِدْرَاكُ الْبَصَرِ، بَلْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَقْلِيبِ الْحَدَقَةِ نَحْوَ الْجِهَةِ الَّتِي فِيهَا الشَّيْءُ الَّذِي يُرَادُ رُؤْيَتُهُ، لِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَيَا مَيُّ هَلْ يُجْزِي بكائي بمثله   مرارا وأنفاسي إليك الزوافر

وَإِنِّي مَتَّىٰ أُشْرِفُ عَلَىٰ الْجَانِبِ الَّذِي   بِهِ أَنْتِ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِبِ نَاظِرَا

قَالَ: فَلَوْ كَانَ النَّظَرُ عِبَارَةً عَنِ الرُّؤْيَةِ لَمَا طَلَبَ الْجَزَاءَ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْمُحِبَّ لَمْ يَطْلُبِ الثَّوَابَ عَلَىٰ رُؤْيَةِ الْمَحْبُوبِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ مَطَالِبِهِ، قَالَ: وَيَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُ الْآخَرِ:

وَنَظْرَةُ ذِي شَجَنٍ وَامِقٍ   إِذَا مَا الرَّكَائِبُ جَاوَزْنَ مِيلًا

وَالْمُرَادُ مِنْهُ تَقْلِيبُ الْحَدَقَةِ نَحْوَ الْجَانِبِ الَّذِي فِيهِ الْمَحْبُوبُ، فَعَلِمْنَا بِهَذِهِ الْوُجُوهِ أَنَّ النَّظَرَ الْمَقْرُونَ بِحَرْفِ إِلَىٰ لَيْسَ اسْمًا لِلرُّؤْيَةِ.

السَّابِعُ: أَنَّ قَوْلَهُ: **﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾** مَعْنَاهُ أَنَّهَا تَنْظُرُ إِلَىٰ رَبِّهَا خَاصَّةً وَلَا تَنْظُرُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَهَذَا مَعْنَىٰ تَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ: **﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾** [الْقِيَامَةِ: ١٢]، **﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾** [الْقِيَامَةِ: ٣٠]،

﴿أَلا إِلَى اللهَّ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] ، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٨] ، ﴿وَإِلَى اللهَّ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨] ، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشُّورَىٰ: ١٠] كَيْفَ دَلَّ فِيهَا التَّقْدِيمُ عَلَى مَعْنَىٰ الِاخْتِصَاصِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ أَشْيَاءَ لا يُحِيطُ بِهَا الْحَصْرُ، وَلَا تَدْخُلُ تَحْتَ الْعَدَدِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ نَظَّارَةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ لِأَنَّهُمُ الْآمِنُونَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ فَلَمَّا دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ النَّظَرَ لَيْسَ إِلَّا إِلَىٰ اللهَّ، وَدَلَّ الْعَقْلُ عَلَىٰ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ غَيْرَ اللهَّ، عَلِمْنَا أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ اللهَّ لَيْسَ هُوَ الرُّؤْيَةُ .

الثَّامِنُ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ [آل عِمْرَانَ: ٧٧] ، وَلَوْ قَالَ: لَا يَرَاهُمْ كَفَىٰ ، فَلَمَّا نَفَىٰ النَّظَرَ، وَلَمْ يَنْفِ الرُّؤْيَةَ دَلَّ عَلَىٰ الْمُغَايَرَةِ، فَثَبَتَ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ، أَنَّ النَّظَرَ الْمَذْكُورَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَيْسَ هُوَ الرُّؤْيَةَ.

الْمَقَامُ الثَّانِي: فِي بَيَانِ التَّأْوِيلِ الْمُفَصَّلِ، وَهُوَ مِنْ وَجْهَيْنِ :

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ النَّاظِرُ بِمَعْنَىٰ الْمُنْتَظِرِ، أَيْ : أُولَئِكَ الْأَقْوَامُ يَنْتَظِرُونَ ثَوَابَ اللهَّ، وَهُوَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ، إِنَّمَا أَنْظُرُ إِلَىٰ فُلَانٍ فِي حَاجَتِي وَالْمُرَادُ أَنْتَظِرُ نَجَاحَهَا مِنْ جِهَتِهِ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النَّمْلِ: ٣٥] وَقَالَ: ﴿وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٢٨٠] لَا يُقَالُ: النَّظَرُ الْمَقْرُونُ بِحَرْفِ إِلَىٰ غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ فِي مَعْنَىٰ الِانْتِظَارِ، وَلِأَنَّ الِانْتِظَارَ غَمٌّ وَأَلَمٌ، وَهُوَ لَا يَلِيقُ بِأَهْلِ السَّعَادَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّا نَقُولُ: الْجَوَابُ: عَنِ الْأَوَّلِ مِنْ وَجْهَيْنِ :

الْأَوَّلُ: النَّظَرُ الْمَقْرُونُ بِحَرْفِ إِلَىٰ قَدْ يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَىٰ الِانْتِظَارِ، وَالتَّوَقُّعِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّهُ يُقَالُ: أَنَا إِلَىٰ فُلَانٍ نَاظِرٌ مَا يَصْنَعُ بِي، وَالْمُرَادُ مِنْهُ التَّوَقُّعُ وَالرَّجَاءُ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ وَالْبَحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نِعَمًا

وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ فِيهِ أَنَّ قَوْلَهُمْ فِي الِانْتِظَارِ نَظَرْتُ بِغَيْرِ صِلَةٍ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي الِانْتِظَارِ لِمَجِيءِ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ مُنْتَظِرًا لِرِفْدِهِ وَمَعُونَتِهِ، فَقَدْ يُقَالُ فِيهِ: نَظَرْتُ إِلَيْهِ كَقَوْلِ الرَّجُلِ، وَإِنَّمَا نَظَرِي إِلَىٰ اللهَّ ثُمَّ إِلَيْكَ، وَقَدْ يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ لَا يُبْصِرُ، وَيَقُولُ الْأَعْمَىٰ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَىٰ: عَيْنِي شَاخِصَةٌ إِلَيْكَ، ثُمَّ إِنْ سَلَّمْنَا ذَلِكَ لَكِنْ لَا نُسَلِّمُ أَنَّ المراد من (إلىٰ) هاهنا حَرْفُ التَّعَدِّي بَلْ هُوَ وَاحِدُ الْآلَاءِ، وَالْمَعْنَىٰ: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ نِعْمَةُ رَبِّهَا مُنْتَظِرَةٌ.

وَأَمَّا السُّؤَالُ الثَّانِي: وَهُوَ أَنَّ الِانْتِظَارَ غَمٌّ وَأَلَمٌ فَجَوَابُهُ أَنَّ الْمُنْتَظِرَ إِذَا كَانَ فِيمَا يَنْتَظِرُهُ عَلَىٰ يَقِينٍ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي أَعْظَمِ اللَّذَّاتِ.

التَّأْوِيلُ الثَّانِي: أَنْ يُضْمَرَ الْمُضَافُ، وَالْمَعْنَى إِلَى ثَوَابِ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، قَالُوا: وَإِنَّمَا صِرْنَا إِلَى هَذَا التَّأْوِيلِ، لِأَنَّهُ لَمَّا دَلَّتِ الدَّلَائِلُ السَّمْعِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى تَمْتَنِعُ رُؤْيَتُهُ وَجَبَ الْمَصِيرُ إِلَى التَّأْوِيلِ، وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ:

فَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ النَّظَرَ لَيْسَ عِبَارَةً عَنْ تَقْلِيبِ الْحَدَقَةِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَيْسَ المراد أنّه تَعَالَى يُقَلِّبُ الْحَدَقَةَ إِلَى جِهَنَّمَ فَإِنْ قُلْتُمْ: الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ نَظَرَ الرَّحْمَةِ كَانَ ذَلِكَ جَوَابَنَا عَمَّا قَالُوهُ.

التَّأْوِيلُ الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مَعْنَى: إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ أَنَّهَا لَا تَسْأَلُ وَلَا تَرْغَبُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ" .

فَأَهْلُ الْقِيَامَةِ لِشِدَّةِ تَضَرُّعِهِمْ إِلَيْهِ وَانْقِطَاعِ أَطْمَاعِهِمْ عَنْ غَيْرِهِ صَارُوا كَأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ الْجَوَابُ: قَوْلُهُ: لَيْسَ النَّظَرُ عبارة عن الرُّؤية، قلنا: هاهنا مَقَامَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ تُقِيمَ الدَّلَالَةَ عَلَى أَنَّ النَّظَرَ هُوَ الرُّؤْيَةُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: مَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿**أَنْظُرْ إِلَيْكَ**﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٤٣] فَلَوْ كَانَ النَّظَرُ عِبَارَةً عَنْ تَقْلِيبِ الْحَدَقَةِ إِلَى جَانِبِ الْمَرْئِيِّ، لَاقْتَضَتِ الْآيَةُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثْبَتَ لِلَّهِ تَعَالَى وِجْهَةً وَمَكَانًا وَذَلِكَ مُحَالٌ .

الثَّانِي: أَنَّهُ جَعَلَ النَّظَرَ أَمْرًا مُرَتَّبًا عَلَى الْإِرَادَةِ فَيَكُونُ النَّظَرُ مُتَأَخِّرًا عَنِ الْإِرَادَةِ، وَتَقْلِيبُ الْحَدَقَةِ غَيْرُ مُتَأَخِّرٍ عَنِ الْإِرَادَةِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ النَّظَرُ عِبَارَةً عَنْ تَقْلِيبِ الْحَدَقَةِ إِلَى جَانِبِ الْمَرْئِيِّ.

الْمَقَامُ الثَّانِي: وَهُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ، سَلَّمْنَا أَنَّ النَّظَرَ عِبَارَةٌ عَنْ تَقْلِيبِ الْحَدَقَةِ نَحْوَ الْمَرْئِيِّ الْتِمَاسًا لِرُؤْيَتِهِ، لَكِنَّا نَقُولُ: لَمَّا تَعَذَّرَ حَمْلُهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَى مُسَبِّبِهِ وَهُوَ الرُّؤْيَةُ، إِطْلَاقًا لِاسْمِ السَّبَبِ عَلَى الْمُسَبِّبِ، وَحَمْلُهُ عَلَى الرُّؤْيَةِ أَوْلَى مِنْ حَمْلِهِ عَلَى الِانْتِظَارِ، لِأَنَّ تَقْلِيبَ الْحَدَقَةِ كَالسَّبَبِ لِلرُّؤْيَةِ وَلَا تَعَلُّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الِانْتِظَارِ، فَكَانَ حَمْلُهُ عَلَى الرُّؤْيَةِ أَوْلَى مِنْ حَمْلِهِ عَلَى الِانْتِظَارِ.

أَمَّا قَوْلُهُ: النَّظَرُ جَاءَ بِمَعْنَى الِانْتِظَارِ، قُلْنَا: لَنَا فِي الْجَوَابِ مَقَامَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ النَّظَرَ الْوَارِدَ بِمَعْنَى الِانْتِظَارِ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُقْرَنِ الْبَتَّةَ بِحَرْفِ إِلَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ**﴾ [الْحَدِيدِ: ١٣] ، وَقَوْلِهِ: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ**﴾ [الْأَعْرَافِ: ٥٣] ، ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ**﴾ [الْبَقَرَةِ: ٢١٠] ، وَالَّذِي نَدَّعِيهِ أَنَّ النَّظَرَ الْمَقْرُونَ بِحَرْفِ إِلَى الْمُعَدَّى إِلَى الْوُجُوهِ لَيْسَ إِلَّا بِمَعْنَى الرُّؤْيَةِ أَوْ بِالْمَعْنَى الَّذِي يَسْتَعْقِبُ الرُّؤْيَةَ ظَاهِرٌ، فَوَجَبَ أَنْ لَا يَرِدَ بِمَعْنَى الِانْتِظَارِ دَفْعًا لِلِاشْتِرَاكِ.

وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وُجُوهٌ نَاظِرَاتٌ يَوْمَ بَدْرٍ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ تَنْتَظِرُ الْخَلَاصَا

قُلْنَا: هَذَا الشِّعْرُ مَوْضُوعٌ وَالرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ:

وُجُوهٌ نَاظِرَاتٌ يَوْمَ بَكْرٍ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ تَنْتَظِرُ الْخَلَاصَا

وَالْمُرَادُ مِنْ هَذَا الرَّحْمَنِ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَهُ رَحْمَنَ الْيَمَامَةِ، فَأَصْحَابُهُ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَتَوَقَّعُونَ مِنْهُ التَّخَلُّصَ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ

فَالْجَوَابُ: أَنَّ قَوْلَهُ: وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ الِانْتِظَارَ، لِأَنَّ مُجَرَّدَ الِانْتِظَارِ لَا يَسْتَعْقِبُ الْعَطِيَّةَ بَلِ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ، وَإِذَا سَأَلْتُكَ لِأَنَّ النَّظَرَ إِلَىٰ الْإِنْسَانِ مُقَدِّمَةُ الْمُكَالَمَةِ فَجَازَ التَّعْبِيرُ عَنْهُ بِهِ، وَقَوْلُهُ: كَلِمَةُ إِلَىٰ هاهنا لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ حَرْفَ التَّعَدِّي بَلْ وَاحِدُ الْآلَاءِ، قُلْنَا: إِنَّ إِلَىٰ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ تَكُونُ اسْمًا لِلْمَاهِيَّةِ الَّتِي يَصْدُقُ عَلَيْهِ أَنَّهَا نِعْمَةٌ، فَعَلَىٰ هَذَا يَكْفِي فِي تَحَقُّقِ مُسَمَّىٰ هَذِهِ اللَّفْظَةِ أَيُّ جُزْءٍ فُرِضَ مِنْ أَجْزَاءِ النِّعْمَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ وَالْحَقَارَةِ، وَأَهْلُ الثَّوَابِ يَكُونُونَ فِي جَمِيعِ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ فِي النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ الْمُتَكَامِلَةِ، وَمَنْ كَانَ حَالُهُ كَذَلِكَ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يُبَشَّرَ بِأَنَّهُ يَكُونُ فِي تَوَقُّعِ الشَّيْءِ الَّذِي يَنْطَلِقُ عَلَيْهِ اسْمُ النِّعْمَةِ، وَمِثَالُ هَذَا أَنْ يُبَشَّرَ سُلْطَانُ الْأَرْضِ بِأَنَّهُ سَيَصِيرُ حَالُكَ فِي الْعَظَمَةِ وَالْقُوَّةِ بَعْدَ سَنَةٍ، بِحَيْثُ تَكُونُ مُتَوَقِّعًا لِحُصُولِ اللُّقْمَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْخُبْزِ وَالْقَطْرَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْمَاءِ، وَكَمَا أَنَّ ذَلِكَ فَاسِدٌ مِنَ الْقَوْلِ: فَكَذَا هَذَا.

الْمَقَامُ الثَّانِي: هَبْ أَنَّ النَّظَرَ الْمُعَدَّىٰ بِحَرْفِ إِلَىٰ الْمَقْرُونَ بِالْوُجُوهِ جَاءَ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَىٰ الِانْتِظَارِ لَكِنْ لَا يُمْكِنُ حَمْلُ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَيْهِ، لِأَنَّ لَذَّةَ الِانْتِظَارِ مَعَ يَقِينِ الْوُقُوعِ كَانَتْ حَاصِلَةً فِي الدُّنْيَا، فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَحْصُلَ فِي الْآخِرَةِ شَيْءٌ أَزْيَدُ مِنْهُ حَتَّىٰ يَحْسُنَ ذِكْرُهُ فِي مَعْرِضِ التَّرْغِيبِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ هُوَ قُرْبَ الْحُصُولِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مَعْلُومٌ بِالْعَقْلِ فَبَطَلَ مَا ذَكَرُوهُ مِنَ التَّأْوِيلِ.

وَأَمَّا التَّأْوِيلُ الثَّانِي: وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ إِلَىٰ ثَوَابِ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، فَهَذَا تَرْكٌ لِلظَّاهِرِ، وَقَوْلُهُ: إِنَّمَا صِرْنَا إِلَيْهِ لِقِيَامِ الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ لَا يُرَىٰ، قُلْنَا: بَيَّنَّا فِي الْكُتُبِ الْعَقْلِيَّةِ ضَعْفَ تِلْكَ الْوُجُوهِ، فَلَا حَاجَةَ هاهنا إلى ذكرها ، والله أعلم" .

وفي " فتح الباري" (١٣/ ٤١٩) استدلَّ الحافظ ابن حجر بالآية علىٰ إثبات الرُّؤية ، حيث أشار إلىٰ مَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (١/ ٢٦٠ برقم ٨١٩) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٤/ ٢٦٩ برقم ٢٥٥٣) ، وَالطَّبَرِيُّ (تفسير ٢٣/ ٥٠٩) ، وَغَيْرُهُمْ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ (٢/ ٥٥٣ برقم ٣٨٨٠) مِنْ طَرِيق ثُوَيْر بن أبي فَاخِتَة عَن ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّة مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَإِنَّ أَفْضَلَهُمْ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ ، قَالَ : ثُمَّ تَلا : **﴿وُجُوه يَوْمئِذٍ ناضرة﴾** ، قَالَ : بالبياض والصَّفاء **﴿إِلَىٰ رَبِّهَا ناظرة﴾** ، قَالَ : تَنْظُرُ كُلَّ يَوْمٍ فِي وَجْهِ اللهِ " .

ونقل الحافظ في (١٣/ ٤٢٥) عن البيهقي أنَّ " وَجْهُ الدَّلِيلِ مِنَ الْآيَةِ : أَنَّ لَفْظَ **﴿نَاضِرَةٌ﴾** الْأَوَّلُ بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ السَّاقِطَةِ مِنَ النَّضْرَةِ بِمَعْنَىٰ السُّرُورِ ، وَلَفْظُ **﴿نَاظِرَةٌ﴾** بِالظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ الْمُشَالَةِ يَحْتَمِلُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ : نَظَرُ التَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : **﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾** [الغاشية:١٧] ، وَنَظَرُ الِانْتِظَارِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : **﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَة وَاحِدَة﴾** [يس:٤٩] ، وَنظر التَّعطُّف وَالرَّحْمَة كَقَوْله تَعَالَىٰ : **﴿وَلَا ينظر إِلَيْهِم﴾** [آل عمران:٧٧] ، وَنَظَرُ الرُّؤْيَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : **﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المغشي عَلَيْهِ من الْمَوْت﴾** [محمد:٢٠] ، وَالثَّلَاثَة الأول غير مُرَادة:

أَمَّا الْأَوَّلُ : فَلِأَنَّ الْآخِرَةَ لَيْسَتْ بِدَارِ اسْتِدْلَالٍ .

وَأَمَّا الثَّانِي : فَلِأَنَّ فِي الِانْتِظَارِ تَنْغِيصًا وَتَكْدِيرًا ، وَالْآيَةُ خَرَجَتْ مَخْرَجَ الِامْتِنَانِ وَالْبِشَارَةِ وَأَهْلُ الجَنَّة لَا ينتظرون شَيْئاً لِأَنَّهُ مهما خطر لَهُم أتوا به.

وَأَمَّا الثَّالِثُ : فَلَا يَجُوزُ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يَتَعَطَّفُ عَلَىٰ خَالِقِهِ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا نَظَرُ الرُّؤْيَةِ ، وَانْضَمَّ إِلَىٰ ذَلِكَ أَنَّ النَّظَرَ إِذَا ذكر مَعَ الْوَجْه انْصَرف الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي الْوَجْهِ ، وَلِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَعَدَّىٰ بِإِلَىٰ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : **﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾** [الأعراف:١٩٨] " .

روىٰ البخاري (٩/ ١٢٧ برقم ٧٤٣٤) بسنده عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَىٰ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا " .

وروىٰ البخاري (٩/ ١٢٧ برقم٧٤٣٥) بسنده عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا " .

وروى البخاري (٩/ ١٢٨ برقم ٧٤٣٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟» ، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» ، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ ... " .

وروى البخاري (٩/ ١٢٩ برقم ٧٤٣٩) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟» ، قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا ... " .

وروى مسلم (١/ ١٦٣ برقم ١٨١) بسنده عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ "
.

قال الإمام الطَّحاوي في " عقيدته " : " وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾** ، وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ، لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا، فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ " .

وقال الإمام ابن حبَّان في " الصَّحيح" (١/ ٢٥٩) : " يُرَى فِي الْقِيَامَةِ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ إِذَا رَأَتْهُ لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ هُوَ الْإِحَاطَةُ وَالرُّؤْيَةُ هِيَ النَّظَرُ وَاللهُ يُرَى وَلَا يُدْرَكُ كُنْهُهُ ٢ لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ يَقَعُ عَلَى الْمَخْلُوقِينَ وَالنَّظَرُ يَكُونُ مِنَ الْعَبْدِ رَبَّهُ " .

وقال الإمام البغوي في " معالم التَّنزيل في تفسير القرآن" (٢/ ١٤٨-١٤٩) : " اعلم أَنَّ الْإِدْرَاكَ غَيْرُ الرُّؤْيَةِ ، لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ هُوَ الْوُقُوفُ عَلَى كُنْهِ الشَّيْءِ وَالْإِحَاطَةُ بِهِ وَالرُّؤْيَةُ الْمُعَايَنَةُ، وَقَدْ تَكُونُ الرُّؤْيَةُ بِلَا إِدْرَاكٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ موسى عليه السلام: **﴿فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾** [الشعراء: ٦١] ، قال: لا وَقَالَ: **﴿لَا تَخافُ دَرَكاً وَلا تَخْشى﴾** [طه: ٧٧] ، فَنَفَى الْإِدْرَاكَ مَعَ إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ، فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَجُوزُ أن يرى من غير دْرَاكٍ وَإِحَاطَةٍ كَمَا يُعْرَفُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يُحَاطُ بِهِ " .

وقال الإمام الحافظ تقي الدِّين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي في " عقيدته" (ص٥٨) : " وأجمع أهلُ الحقِّ واتَّفق أهل التَّوحيد والصِّدق أنَّ الله تعالىٰ يُرىٰ في الآخرة ، كما جاء في كتابه وصحَّ عن رسوله " .

وقال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (٣/ ١٥-١٦) : " اعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ بِأَجْمَعِهِمْ أَنَّ رُؤْيَةَ اللهَّ تَعَالَىٰ مُمْكِنَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ عَقْلًا ، وَأَجْمَعُوا أَيْضًا عَلَىٰ وُقُوعِهَا فِي الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللهَّ تَعَالَىٰ دُونَ الْكَافِرِينَ ، وَزَعَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ وَبَعْضُ الْمُرْجِئَةِ أَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ ، وَأَنَّ رُؤْيَتَهُ مُسْتَحِيلَةٌ عَقْلًا ، وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ خَطَأٌ صَرِيحٌ وَجَهْلٌ قَبِيحٌ ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَدِلَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ اللهَّ تَعَالَىٰ فِي الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَرَوَاهَا نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ صَحَابِيًّا عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآيَاتُ الْقُرْآنِ فِيهَا مَشْهُورَةٌ وَاعْتِرَاضَاتُ الْمُبْتَدِعَةِ عَلَيْهَا لَهَا أَجْوِبَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي كُتُبِ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَكَذَلِكَ بَاقِي شُبَهِهِمْ ، وَهِيَ مُسْتَقْصَاةٌ فِي كُتُبِ الْكَلَامِ ، وَلَيْسَ بِنَا ضَرُورَةٌ إِلَىٰ ذِكْرِهَا هُنَا .. ثُمَّ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ الرُّؤْيَةَ قُوَّةٌ يَجْعَلُهَا اللهُّ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ وَلَا يُشْتَرَطُ فِيهَا اتِّصَالُ الْأَشِعَّةِ وَلَا مُقَابَلَةُ الْمَرْئِيِّ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ لَكِنْ جَرَتِ الْعَادَةُ فِي رُؤْيَةِ بَعْضِنَا بَعْضًا بِوُجُودِ ذَلِكَ عَلَىٰ جِهَةِ الِاتِّفَاقِ لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الِاشْتِرَاطِ ، وَقَدْ قَرَّرَ أَئِمَّتُنَا الْمُتَكَلِّمُونَ ذَلِكَ بِدَلَائِلِهِ الْجَلِيَّةِ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ رُؤْيَةِ اللهَّ تَعَالَىٰ إِثْبَاتُ جِهَةٍ تَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ بَلْ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ لَا فِي جِهَةٍ كَمَا يَعْلَمُونَهُ لَا فِي جِهَةٍ ، وَاللهُّ أَعْلَمُ " .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح" (ص٢٩٦-٢٩٧) : " وأمَّا الأحاديث عن النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه الدالَّة علىٰ الرُّؤية فمتواترة ، رواها عنه أبو بكر الصدِّيق ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدري ، وجرير ابن عبد الله البجلي ، وصهيب بن سنان الرُّومي ، وعبد الله بن مسعود الهذلي ، وعلي ابن أبي طالب ، وأبو موسىٰ الأشعري ، وعدي بن حاتم الطَّائي ، وأنس بن مالك الأنصاري ، وبريدة بن الحصيب الأسلمي ، وأبو رزين العقيلي ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبو أمامة الباهلي ، وزيد بن ثابت ، وعمَّار بن ياسر ، وعائشة أمّ المؤمنين ، وعبد الله بن عمر ، وعمارة بن رويبة ، وسلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله ابن عبَّاس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وحديثه موقوف ، وأبي بن كعب ، وكعب بن عجرة ، وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف ، ورجلٌ من أصحاب النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم غير مسمَّىٰ " .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني في " فتح الباري" (٨/ ٣٠٢) : " وَجَازَ فِي الْآخِرَةِ لِأَنَّ أَبْصَارَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا بَاقِيَةٌ فَلَا اسْتِحَالَةَ أَنْ يُرَىٰ الْبَاقِي بِالْبَاقِي بِخِلَافِ حَالَةِ الدُّنْيَا فَإِنَّ أَبْصَارَهُمْ فِيهَا فَانِيَةٌ فَلَا يُرَىٰ الْبَاقِي بِالْفَانِي وَتَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ النَّبَوِيَّةُ بِوُقُوعِ هَذِهِ الرُّؤْيَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ وَبِإِكْرَامِهِمْ بِهَا فِي الْجَنَّةِ وَلَا اسْتِحَالَةَ فِيهَا فَوَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ" .

وأضاف الحافظ ابن حجر (١٣/ ٤٣٤) : " جَمَعَ الدَّارَقُطْنِيُّ طُرُقَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الْآخِرَةِ فَزَادَتْ عَلَىٰ الْعِشْرِينَ وتتبعها بن الْقَيِّمِ فِي حَادِي الْأَرْوَاحِ فَبَلَغَتِ الثَّلَاثِينَ وَأَكْثَرُهَا جِيَادٌ وَأَسْنَدَ الدَّارَقُطْنِيُّ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ مَعِينٍ قَالَ عِنْدِي سَبْعَةَ عَشَرَ حَدِيثًا فِي الرُّؤْيَةِ صِحَاح ."

وقال الإمام ابن أبي العز في " شرح العقيدة الطَّحاويَّة" (ص١٥٣) : " وَقَدْ قَالَ بِثُبُوتِ الرُّؤْيَةِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ، وَأَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفُونَ بِالْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ، وَسَائِرُ طَوَائِفِ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَنْسُوبُونَ إِلَىٰ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا مَعْنَى رُؤيَة الله تَعَالَى ؟

الجواب : قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (١٣/ ٤٢٦) : " وَاخْتَلَفَ مَنْ أَثْبَتَ الرُّؤْيَةَ فِي مَعْنَاهَا : فَقَالَ قَوْمٌ : يَحْصُلُ لِلرَّائِي الْعِلْمُ بِاللهِ تَعَالَىٰ بِرُؤْيَةِ الْعَيْنِ كَمَا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَرْئِيَّاتِ ، وَهُوَ عَلَىٰ وَفْقِ قَوْلِهِ فِي حَدِيثِ الْبَابِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ إِلَّا أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْجِهَةِ وَالْكَيْفِيَّةِ ، وَذَلِكَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَىٰ الْعِلْمِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْمُرَادَ بِالرُّؤْيَةِ الْعِلْمُ .

وَعَبَّرَ عَنْهَا بَعْضُهُمْ بِأَنَّهَا حُصُولُ حَالَةٍ فِي الْإِنْسَانِ نِسْبَتُهَا إِلَىٰ ذَاتِهِ الْمَخْصُوصَةِ نِسْبَةَ الْإِبْصَارِ إِلَىٰ الْمَرْئِيَّاتِ وقَالَ بَعْضُهُمْ : رُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِ للهِ نَوْعُ كَشْفٍ وَعِلْمٍ إِلَّا أَنَّهُ أَتَمُّ وَأَوْضَحُ مِنَ الْعِلْمِ ، وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَىٰ الصَّوَابِ مِنَ الْأَوَّلِ .

وَتُعُقِّبَ الْأَوَّلُ بِأَنَّهُ حِينَئِذٍ لَا اخْتِصَاصَ لِبَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ لِأَنَّ الْعِلْمَ لَا يَتَفَاوَتُ وَتَعَقَّبَهُ بن التِّينِ بِأَنَّ الرُّؤْيَةَ بِمَعْنَىٰ الْعِلْمِ تَتَعَدَّىٰ لِمَفْعُولَيْنِ تَقُولُ رَأَيْتُ زَيْدًا فَقِيهًا أَيْ عَلِمْتُهُ فَإِنْ قُلْتَ رَأَيْتُ زَيْدًا مُنْطَلِقًا لَمْ يُفْهَمْ مِنْهُ إِلَّا رُؤْيَةُ الْبَصَرِ وَيَزِيدُهُ تَحْقِيقًا قَوْلُهُ فِي الْخَبَرِ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا لِأَنَّ اقْتِرَانَ الرُّؤْيَةِ بِالْعِيَانِ لَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ الْعلم " .

وفي ردِّه علىٰ من منعوا الرُّؤية وقالوا بنفيها واستحالتها ... قال الإمام ابن رجب في " فتح الباري شرح صحيح البخاري" (٤/ ٣٢٠) : " وإنَّما خالف فيه طوائف أهل البدع من الجهميَّة والمعتزلة ونحوهم ممَّن يردّ

النُّصوص الصَّحيحة لخيالات فاسدة وشبهات باطلة، يخيّلها لهم الشَّيطان، فيسرعون إلىٰ قبولها منه، ويوهمهم أنَّ هذه النُّصوص الصَّحيحة تستلزم باطلاً، ويسمِّيه تشبيهاً أو تجسيماً، فينفرون منه، كما خيّل إلىٰ المشركين قبلهم أنَّ عبادة الأوثان ونحوها تعظيم لجناب الرَّب، وأنَّه لا يتوصَّل إليه من غير وسائط تعبد فتقرب إليه زلفاً، وأنَّ ذلك أبلغ في التَّعظيم والاحترام، وقاسه لهم علىٰ ملوك بني آدم، فاستجابوا لذلك، وقبلوه منه.

وإنَّما بعث الله الرُّسل وأنزل الكتب لإبطال ذلك كلّه، فمن اتَّبع ما جاءوا به فقد اهتدىٰ، ومن أعرض عنه أو عن شيءٍ منه واعترض فقد ضلّ. وقوله: " كما ترون هذا القمر" شبه الرُّؤية بالرُّؤية، لا المرئي بالمرئي سبحانه وتعالىٰ. وإنَّما شبَّه الرُّؤية برؤية البدر؛ لمعنيين: أَحَدُهُمَا: أن رؤية القمر ليلة البدر لا يشكُّ فيه ولا يمترىٰ. وَالثَّانِي: يستوي فيه جميع النَّاس من غير مشقَّة. وقد ظنَّ المريسي ونحوه ممَّن ضل وافترىٰ علىٰ الله، أنَّ هذا الحديث يرد؛ لما يتضمَّن من التَّشبيه، فضلّ وأضلّ" .

وفي ردِّه علىٰ الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة الذين منعوا الرُّؤية ، قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (١٣/٤٢٦) : " وَمَنَعَ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَبَعْضُ الْمُرجِئَةِ وَتَمَسَّكُوا بِأَنَّ الرُّؤْيَةَ تُوجِبُ كَوْنَ الْمَرْئِيِّ مُحْدَثًا وَحَالًّا فِي مَكَانٍ ، وَأَوَّلُوا قَوْله ﴿ناظرة﴾ بِمُنْتَظِرَةٍ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، لِأَنَّهُ لَا يَتَعَدَّىٰ بِإِلَىٰ ' ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ ثُمَّ قَالَ : وَمَا تَمَسَّكُوا بِهِ فَاسِدٌ لِقِيَامِ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ مَوْجُودٌ ، وَالرُّؤْيَةُ فِي تَعَلُّقِهَا بِالْمَرْئِيِّ بِمَنْزِلَةِ الْعِلْمِ فِي تَعَلُّقِهِ بِالْمَعْلُومِ، فَإِذَا كَانَ تَعَلُّقُ الْعِلْمِ بِالْمَعْلُومِ لَا يُوجِبُ حُدُوثَهُ فَكَذَلِكَ الْمَرْئِيُّ ، قَالَ : وَتَعَلَّقُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿لا تُدْرِكهُ الْأَبْصَار﴾ [الأنعام:١٠٣] ، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ لِمُوسَىٰ : ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف:١٤٣] .

وَالْجَوَابُ عَنِ الْأَوَّلِ : أَنَّهُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ فِي الدُّنْيَا جَمْعًا بَيْنَ دَلِيلَيِ الْآيَتَيْنِ ، وَبِأَنَّ نَفْيَ الْإِدْرَاكِ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الرُّؤْيَةِ لِإِمْكَانِ رُؤْيَةِ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ إِحَاطَةٍ بِحَقِيقَتِهِ .

وَعَنِ الثَّانِي : الْمُرَادُ لَنْ تَرَانِي فِي الدُّنْيَا جَمْعًا أَيْضًا ، وَلِأَنَّ نَفْيَ الشَّيْءِ لَا يَقْتَضِي إِحَالَتَهُ مَعَ مَا جَاءَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ عَلَىٰ وَفْقِ الْآيَةِ .

وَقَدْ تَلَقَّاهَا الْمُسْلِمُونَ بِالْقَبُولِ مِنْ لَدُنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ حَتَّىٰ حَدَثَ مَنْ أَنْكَرَ الرُّؤْيَةَ وَخَالَفَ السَّلَف.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : اشْتَرَطَ النُّفَاةُ فِي الرُّؤْيَةِ شُرُوطًا عَقْلِيَّةً ، كَالْبِنْيَةِ الْمَخْصُوصَةِ ، وَالْمُقَابَلَةِ ، وَاتِّصَالِ الْأَشِعَّةِ ، وَزَوَالِ الْمَوَانِعِ ، كَالْبُعْدِ ، وَالْحَجْبِ فِي خَبْطٍ لَهُمْ وَتَحَكُّمٍ ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ لَا يَشْتَرِطُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ سِوَىٰ

وُجُودِ الْمَرْئِيِّ ، وَأَنَّ الرُّؤْيَةَ إِدْرَاكٌ يَخْلُقُهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلرَّائِي ، فَيَرَىٰ الْمَرْئِيَّ وَتَقْتَرِنُ بِهَا أَحْوَالٌ يَجُوزُ تَبَدُّلُهَا وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ " .

فالله تعالىٰ يُرىٰ لا في جهة ... وفي ذلك قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" () في شرحه لحديث : " قَوْلُهُ لَا تُضَامُونَ بِضَمٍّ أَوَّلِهِ ، وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ لِلْأَكْثَرِ ، وَفِيهِ رِوَايَاتٌ أُخْرَىٰ تَقَدَّمَ بَيَانُهَا فِي بَابِ الصِّرَاطِ جِسْرُ جَهَنَّمَ مِنْ كِتَابِ الرِّقَاقِ .

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ الْإِمَامَ أَبَا الطَّيِّبِ سَهْلَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصُّعْلُوكِيَّ يَقُولُ فِي إِمْلَائِهِ فِي قَوْلِهِ : " لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ بِالضَّمِّ وَالتَّشْدِيدِ : مَعْنَاهُ لَا تَجْتَمِعُونَ لِرُؤْيَتِهِ فِي جِهَةٍ ، وَلَا يُضَمُّ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ . وَمَعْنَاهُ بِفَتْحِ التَّاءِ كَذَلِكَ ، وَالْأَصْلُ لَا تَتَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ بِاجْتِمَاعٍ فِي جِهَةٍ . وَبِالتَّخْفِيفِ مِنَ الضَّيْمِ ، وَمَعْنَاهُ لَا تُظْلَمُونَ فِيهِ بِرُؤْيَةِ بَعْضِكُمْ دُونَ بَعْضٍ ، فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ فِي جِهَاتِكُمْ كُلِّهَا ، وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْجِهَةِ ، وَالتَّشْبِيهِ بِرُؤْيَةِ الْقَمَرِ لِلرُّؤْيَةِ دُونَ تَشْبِيهِ الْمَرْئِيِّ ، تَعَالَىٰ اللهُ عَن ذَلِكَ" .

وذهب البعض إلىٰ القول بأنَّ الرُّؤية علىٰ حقيقتها ، بمعنىٰ أنَّ الله سيُرىٰ بالعين ...

قلت : والأولىٰ في هذه المسألة هو : إثباتها وتفويض معناها وحقيقتها إلىٰ الله تعالىٰ ، والله أعلم .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَيَرَى الكُفَّارُ اللهَ تَعَالَى فِي الآخِرَة ؟

الجواب : قال تعالىٰ : **﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾** [المطففين:١٥] .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٩/ ٢٦١) : " قِيلَ: **﴿كَلَّا﴾** رَدْعٌ وَزَجْرٌ، أَيْ لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ، بَلْ **﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾** . قَالَ الزَّجَّاجُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُرَىٰ فِي الْقِيَامَةِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا كَانَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَائِدَةٌ، وَلَا خَسَّتْ مَنْزِلَةُ الْكُفَّارِ بِأَنَّهُمْ يُحْجَبُونَ. وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ، إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾** [القيامة: ٢٣ - ٢٢] فَأَعْلَمَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَأَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ مَحْجُوبُونَ عَنْهُ، وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: لَمَّا حَجَبَ أَعْدَاءَهُ فَلَمْ يَرَوْهُ تَجَلَّىٰ لِأَوْلِيَائِهِ حَتَّىٰ رَأَوْهُ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَمَّا حَجَبَ قَوْمًا بِالسُّخْطِ، دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ قَوْمًا يَرَوْنَهُ بِالرِّضَا. ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَوْ لَمْ يُوقِنْ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَنَّهُ يَرَىٰ رَبَّهُ فِي الْمَعَادِ لَمَا عَبَدَهُ فِي الدُّنْيَا. وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: لَمَّا حَجَبَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَنْ نُورِ تَوْحِيدِهِ حَجَبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَنْ رُؤْيَتِهِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾** : أَيْ عَنْ كَرَامَتِهِ وَرَحْمَتِهِ مَمْنُوعُونَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ أَنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وَعَلَىٰ الْأَوَّلِ الْجُمْهُورُ، وَأَنَّهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَتِهِ فَلَا يَرَوْنَهُ" .

وقال الإمام ابن رجب في " التَّخويف من النَّار والتَّعريف بحال دار البوار " (ص١٩٥-١٩٦) : " وأعظم عذاب أهل النَّار حجابهم عن الله عزَّ وجلَّ، إبعادهم عنه، وإعراضه عنهم، وسخطه عليهم، كما أنَّ رضوان الله على أهل الجنَّة أفضل من كلِّ نعيم الجنَّة، وتجلِّيه لهم ورؤيتهم إيَّاه أعظم من جميع أنواع نعيم الجنَّة، قال الله تعالى: **﴿كَلاَّ بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ مَا كانُوا يَكْسِبُونَ * كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقالُ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُون﴾** [المطففين:١٤-١٧] ، فذكر الله تعالى ثلاثة أنواع من العذاب: حجابهم عنه، ثمَّ صليهم الجحيم، ثمَّ توبيخهم بتكذيبهم به في الدُّنيا، ووصفهم بالرَّان على قلوبهم، وهو صدأ الذُّنوب الذي سوَّد قلوبهم، فلم يصل إليها بعد ذلك في الدُّنيا شيء من معرفة الله ولا من إجلاله ومهابته وخشيته ومحبَّته، فكما حجبت قلوبهم في الدُّنيا عن الله حجبوا في الآخرة عن رؤيته، وهذا بخلاف حال أهل الجنَّة، قال الله تعالى: **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ﴾** [يونس:٢٦] ، والذين أحسنوا هم أهل الإحسان، والإحسان أن يعبد العبد ربَّه كأنَّه يراه، كما فسَّره النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لمَّا سأله عنه جبريل عليه السَّلام، فجعل جزاء الإحسان الحسنى، وهم الجنَّة، والزِّيادة، وهي النَّظر إلى وجه الله عزَّ وجلَّ، كما فسَّره بذلك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في حديث صهيب وغيره" .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٣٠/ ٢٠٠-٢٠١) : " جُمْلَةُ: **﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾** وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا ابْتِدَائِيَّةٌ وَقَدِ اشْتَمَلَتِ الْجُمْلَةُ وَمَعْطُوفَاهَا عَلَى أَنْوَاعٍ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْوَيْلِ ، وَهِيَ : الْإِهَانَةُ، وَالْعَذَابُ، وَالتَّقْرِيعُ مَعَ التَّأْيِيسِ مِنَ الْخَلَاصِ مِنَ الْعَذَابِ.

فَأَمَّا الْإِهَانَةُ : فَحَجْبُهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ، وَالْحَجْبُ هُوَ السَّتْرُ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْمَنْعِ مِنَ الْحُضُورِ لَدَى الْمَلِكِ وَلَدَى سَيِّدِ الْقَوْمِ، قَالَ الشَّاعِرُ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ «الْكَشَّافِ:

إِذَا اعْتَرَوْا بَابَ ذِي عُبِّيَّةٍ رُجِبُوا ... وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَرْجُوبٍ وَمَحْجُوبِ

وَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ مُرَادٌ هُنَا ، لِأَنَّ الْمُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ لَا يَرَوْنَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَرَاهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ.

وَيُوَضِّحُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ فِي حِكَايَةِ أَحْوَالِ الْأَبْرَارِ: **﴿عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ﴾** [المطففين: ٢٣] ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا لَا يَدْخُلُونَ حَضْرَةَ الْقُدُسِ قَالَ تَعَالَى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ﴾** [الْأَعْرَاف: ٤٠] ، وَلِيَكُونَ الْكَلَامُ مُفِيدًا لِلْمَعْنَيَيْنِ قِيلَ: **﴿عَنْ رَبِّهِمْ لَمَحْجُوبُونَ﴾** دُونَ أَنْ يُقَالَ: عَنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ، أَوْ عَنْ وَجْهِ رَبِّهِمْ كَمَا قَالَ فِي آيَةِ آلِ عِمْرَانَ [٧٧] : **﴿وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾** " .

وذهب البعض إلى أنَّ الكفَّار يرون ربَّهم في الآخرة ...

وفي " فتح الباري" (١٣/ ٤٢٥) ردَّ الحافظ ابن حجر عليهم ، فقال : " وَزَعَمَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ كَالسَّالِمِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَنَّ فِي الْخَبَرِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الْكُفَّارَ يَرَوْنَ اللَّهَ فِي الْقِيَامَةِ مِنْ عُمُومِ اللِّقَاءِ وَالْخِطَابِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَرَاهُ بَعْضٌ دُونَ بَعْضٍ ، وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ حَيْثُ جَاءَ فِيهِ : "أَنَّ الْكُفَّارَ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَلَا تَرِدُونَ وَيَبْقَى الْمُؤْمِنُونَ وَفِيهِمُ الْمُنَافِقُونَ فَيَرَوْنَهُ لَمَّا يَنْصِبُ الْجِسْرَ وَيَتْبَعُونَهُ وَيُعْطِي كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ نُورَهُ ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ " . وَأَجَابُوا عَنْ قَوْلِهِ : **﴿إِنَّهُم عَنْ رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُوْن﴾** أَنَّهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّة ، وَهُوَ احْتِجَاجٌ مَرْدُودٌ ، فَإِنَّ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ : **﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيم﴾** ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْحَجْبَ وَقَعَ قَبْلَ ذَلِكَ . وَأَجَابَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ الْحَجْبَ يَقَعُ عِنْدَ إِطْفَاءِ النُّورِ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ يَتَجَلَّى لِلْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ مَعَهُمْ مِمَّنْ أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِيهِمْ أَنْ تَعُمَّهُمُ الرُّؤْيَةُ ، لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِهِمْ فَيُنْعِمُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِرُؤْيَتِهِ دُونَ الْمُنَافِقِينَ ، كَمَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ السُّجُودِ ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى " .

والحقَّ في مسألة رؤية الكفَّار ربَّهم يوم القيامة أنَّها مسألة خلافيَّة ، والجمهور على أنَّهم لا يرونه ، والله أعلم .

سُؤالٌ : مَاذَا عَنْ رُؤيَةِ الله تَعَالَى فِيْ المَوْقِف ؟

الجواب :

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ صَحِيْحٌ أَنَّ رِضَا الله تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الجَنَّة أَفْضَل مِنَ الجَنَّة ؟

الجواب : نعم ... هذا صحيح ، يُؤيِّده ما رواه البخاري (٩/ ١٥١ برقم ٧٥١٨) ، مسلم (٤/ ٢١٧٦ برقم ٢٨٢٩) بسندهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا " .

قا الإمام علي القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٩/ ٣٥٨٥) : " (يَقُولُ: أُحِلُّ) بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْحَاءِ أَيْ أُنْزِلُ (عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي) بِكَسْرِ الرَّاءِ وَيُضَمُّ، أَيْ دَوَامَ رِضْوَانِي، فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَثْرَةِ الْعَطَاءِ دَوَامُ الرِّضَا، وَلِذَا قَالَ: (فَلَا أَسْخَطُ) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ، أَيْ لَا أَغْضَبُ (عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) . ثُمَّ

اللِّقَاءُ يَتَرَتَّبُ عَلَى الرِّضَا مِنَ الرَّبِّ الْمُتَفَرِّعِ عَلَى الرِّضَا مِنَ الْعَبْدِ لِلْقَضَاءِ - تَرْتِيبَ الْبَقَاءِ بَعْدَ تَحَقُّقِ الْفَنَاءِ. قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ: فِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ رِضْوَانَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ فَوْقَ إِدْخَالِهِ إِيَّاهُ الْجَنَّةَ.

قَالَ الطِّيبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: الْحَدِيثُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾** [التوبة: ٧٢] الْكَشَّافُ: إِنَّمَا أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ لِأَنَّ رِضَاهُ سَبَبُ كُلِّ فَوْزٍ وَسَعَادَةٍ؛ لِأَنَّهُمْ يَنَالُونَ بِرِضَاهُ عَنْهُمْ تَعْظِيمَهُ وَكَرَامَتَهُ، وَالْكَرَامَةُ أَكْبَرُ أَصْنَافِ الثَّوَابِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَلِمَ أَنَّ مَوْلَاهُ رَاضٍ عَنْهُ فَهُوَ أَكْبَرُ فِي نَفْسِهِ مِمَّا وَرَاءَهُ مِنَ النِّعَمِ، وَإِنَّمَا يَتَهَيَّأُ لَهُ بِرِضَاهُ، كَمَا يَنْتَقِصُ عَلَيْهِ بِسُخْطٍ وَلَمْ يَجِدْ لَهَا لَذَّةً وَإِنْ عَظُمَتْ. قَالَ الطِّيبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: وَأَكْبَرُ أَصْنَافِ الْكَرَامَةِ رُؤْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى. قُلْتُ: وَلَعَلَّ الرِّضْوَانَ أَكْبَرُ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى تَحْصِيلِ اللِّقَاءِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ النَّعْمَاءِ" .

وقال الإمام الصَّنعاني في " التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ " (٣/ ٤١٥-٤١٦) : " فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ " إعلاماً لهم بأنَّه تعالى يريد رضاهم ليتم قوله في صفة أهل الجَنَّة : **﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾** [البينة:٨] " فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى " أيُّ أمر يوجب لنا عدم الرِّضى؟ " وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ " الذين لم يدخلهم الجَنَّة ، " فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ " أي : ممَّا أعطيتم من دخول الجَنَّة " فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ" لم يكن في علمهم أنَّه يوجد شيء أفضل من ذلك.

" فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ " هو من أحله المكان أنزله به ، والمراد : أنزله مرتفعًا عليكم غامراً لكم شاملاً لجميعكم"رِضْوَانِي " هو مصدر رضي عليه مضاف إلى فاعله " فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا" تفريع على إحلال الرِّضا بهم وأنَّه لا يعقبه سخط لأنَّهم لا يأتون في دار كرامته ما يسخطه عليهم؛ لأنَّه تعالى ينزع عنهم شهوات القبائح التي بسببها ينزل بهم السّخط أو لأنَّ الجَنَّة ليست دار تكليف، والسّخط من لوازم التّكليف"

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ سَيُنْسِيْ نَعِيْمُ الجَنَّة مَا كَانَ مِنْ بُؤسِ الدُّنْيَا ؟

الجواب : روى مسلم (٤/ ٢١٦٢ برقم ٢٨٠٧) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ

الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ" .

وقال الإمام يحيى بن هُبَيْرَة بن محمَّد بن هبيرة الذُّهلي الشَّيبانيّ في " الإفصاح عن معاني الصِّحاح" (٥/ ٣٨٧) : " في هذا الحديث ما يدلُّ على أنَّ مقدار نعيم الإنسان من أوَّل عمره إلى يوم موته، وإن عاش أطول الأعمار، ويغمره ويغلب عليه -حتى ينسى كلَّ شيء كان منه- صبغة واحدة في النَّار، وكلَّ بؤس يناله الآدمي في الدُّنيا على طول عمره يغمره ويغلب عليه -حتى ينسى ذكره- غطَّة واحدة في الجَنَّة ، فلا أغبن من يبيع تلك الحسنة بشيء من هذه السيِّئة، فالله سبحانه وتعالى يعيذنا ويسلِّمنا من آفات هذه الدُّنيا، إنَّه على كلِّ شيء قدير."

وقال الإمام ابن الجوزي في " كشف المشكل من حديث الصَّحيحين " (٣/ ٣٠٩-٣١٠) : " هَذَا الحَدِيث يحث على مُرَاعَاة العواقب، فَإِنَّ التَّعَب إِذا أعقب الرَّاحَة هان، والرَّاحة إِذا أثمرت النَّصب فَلَيْسَتْ رَاحَة، فالعاقل من نظر فِي الْمَآل لَا فِي عَاجل الْحَال، وَقد كشف هَذَا الْمَعْنى الحَدِيث الَّذِي بعده: "حُفَّت الجَنَّة بالمكاره، وحُفَّت النَّار بالشَّهوات" ، وَقد قَالَت الْحُكَمَاء: لَا تنَال الرَّاحَة بالرَّاحة، وَقَلَّ أَن يلمع برق لَذَّة إِلَّا وَتَقَع صَاعِقَة نَدم"

وقال الإمام الحسين بن محمود بن الحسن مظهر الدِّين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالْمُظْهِري في " المفاتيح في شرح المصابيح" (٦/ ٢٩-٣٠) : " الباء في بـ (أنعم): للتَّعدية، و (أنعم): أفعل التَّفضيل من: النِّعمة، وهي الطِّيب. و"قَطُّ": معناها الزَّمان، يقال: ما رأيتُه قطُّ، قال الكِسائي: كانت (قَطُطُ)، فلما سُكِّن الحرفُ الثَّاني للإدغام جُعل الآخرُ متحركًا إلى إعرابه، ذكره في "الصِّحاح" .

وقيل: المراد بالصَّبغ هنا: الغَمس، لأنَّ الصَّبغَ لا يكون غالبًا إلَّا بالغَمس، فيكون مجازًا من نوع إطلاق اسم الملزوم على اللازم.

"البؤس" : الشدَّة والمشقَّة؛ يعني: يُجاء يومَ القيامة من له أنعمُ عيشًا، أو أطيبُ حالًا في الدُّنيا من أهل النَّار، فإذا أُدخل النَّارَ فيُسأل عمَّا مضى عليه في الُّدنيا من طيب عيشه، فيقال له: هل رأيتَ خيرًا وسرورًا فيها قطُّ؟ وهل وجدتَ فيها نعمةً؟ فشدةُ العذاب تُنسيه ما مضى عليه من نعيم الدُّنيا، فيقول: ما وجدتُ شيئًا قطُّ من نعيمها وزبرجدها، وكذا يُجاء يوم القيامة من له أشدُّ حالًا وأسوءُ عيشًا في الدُّنيا من أهل

الجنَّة، فإذا أُدخل الجنَّة بفضله فيُسأل عمَّا كان عليه من تعب الدُّنيا وشدَّتها، فنعيمُ الجنَّة يُنسيه ما مضىٰ فيها من سوء الحال وضيق البال" .

وقال الإمام عبد الحقّ بن سيف الدين بن سعد اللهّ البخاري الدِّهلوي في " لمعات التَّنقيح في شرح مشكاة المصابيح " (٩/ ١٤٩) : " لعلَّ النُّكتة في ذلك أنَّ أهل الجَنَّة لحصول غاية الرَّاحة والسُّرور لهم نسوا البؤس والشدَّة مطلقًا، فصرَّحوا بنفيها وبالغوا فيه بخلاف أهل النَّار ، فإنَّهم إن فرض تذكّرهم للخير والسُّرور في الدُّنيا كان ذلك غاية في عذابهم وحسرتهم، فافهم ".

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا مَعْنَى حَوْلَهَا نُدَنْدِن التِيْ جَاءَتْ فِيْ الحَدِيْثِ الشَّرِيْف ؟

الجواب : روىٰ أحمد في " المسند" (٢٥/ ٢٣٤ برقم ١٥٨٩٨) بسنده عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ: " كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟ " قَالَ: أَتَشَهَّدُ ثُمَّ أَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين. معاوية بن عمرو: هو ابن المهلب الأزدي، وزائدة: هو ابن قدامة الثقفي، والأعمش: هو سليمان بن مهران، وأبو صالح: هو ذكوان السَّمَّان. وأخرجه أبو داود (٧٩٢) من طريق حسين بن علي الجُعْفي، عن زائدة، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن ماجه (٩١٠) و (٣٨٤٧) ، وابن خزيمة (٧٢٥) ، وابن حبان (٨٦٨) من طريق جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، به، وسمىٰ الصحابيَّ أبا هريرة. وفي الباب عن جابو، عند أبي داود (٧٩٣) .
قال السندي: قوله: دندنتك، بفتحات، ما عدا النون الأولىٰ وسكونها: أي: مسألتك الخفية، وكلامك الخفي، والدندنة: أن يتكلم الرجل بكلامٍ تسمع نغمته ولا تفهمه، وضمير "حولها" للجنة، أي: حول تحصيلها، أو للنار، أي: حوله التعوذ منها، أولهما بتأويل كل واحدة، ويؤيده "حول هاتين" في رواية [قلنا: هي رواية أبي داود من حديث جابر (٧٩٣)] . أو لمسألته، أي: حول مسألتك أو مقالتك، والمقصود تسليته بأن مرجع كلامنا وكلامك واحد، والله تعالىٰ أعلم" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ صَحِيْحٌ أَنَّ الإِنْسَانَ فِيْ الجَنَّة تُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِيْهَا بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِهِ لَه ؟

الجواب :

روىٰ أحمد في " المسند" (١٦/ ٣٥٦ برقم ١٠٦١٠) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّىٰ لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ " . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود- وهو ابن بهدلة-، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح. وأخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٣٩٦، وأحمد بن منيع كما في "أطراف المسند" ٧/ ١٧٩-١٨٠ عن يزيد بن هارون، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبي شيبة ٣/ ٣٨٧، وابن ماجه (٣٦٦٠) ، والبزار (٣١٤١- كشف الأستار) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث، والطبراني في "الأوسط" (٥١٠٤) ، وابن عبد البر في "التمهيد" ٢٣/ ١٤٢ من طرق عن حماد بن سلمة، به. وأخرجه البيهقي ٧/ ٧٨-

٧٩، والبغوي (١٣٩٦) من طريق حماد بن زيد، عن عاصم بن أبي النجود، به. وفي رواية البزار والبيهقي والبغوي: بدعاء ولدك لك. وأخرجه ابن عبد البر ٢٣/ ١٤٣ من طريق سفيان الثوري، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: وأكبر ظني أنه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكره. وأخرجه موقوفاً البخاري في "الأدب المفرد" (٣٦) من طريق أبي بكر بن عياش، عن عاصم بن أبي النجود، به.وفي الباب عن أبي سعيد الخدري عند الطبراني في "الأوسط" (١٩١٥) . ولفظه: "يتبع الرجل من الحسنات يوم القيامة أمثال الجبال، فيقول: أنى هذا؟ فيُقال: باستغفار ولدك لك". وإسناده ضعيف.

تنبيه: ذكر الحافظ لهذا الحديث في "أطراف المسند" ٧/ ١٧٩ إسناداً آخر، وهو: حدثنا روح، حدثنا إسرائيل، عن أبي حَصين، عن أبي صالح. وهذا الإسناد لم يقع لنا في شيء من النسخ الخطية التي بين أيدينا، ويغلب على ظننا أنه وهم من الحافظ رحمه الله، بينما لم يذكر إسنادنا هذا" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ تلْحَقُ ذُرِّيَّةُ الْمُؤْمِنِ بِهِ فِيْ الدَّرَجَةِ وإِنْ كَانُوا أَقَلّ مِنْهُ دَرَجَة ؟

الجواب : قال تعالى : **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾** [الطور:٢١] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٠٨/٢٨) : " قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾** ، وَفِيهِ لَطَائِفُ :

الْأُولَى: أَنَّ شَفَقَةَ الْأُبُوَّةِ كَمَا هِيَ فِي الدُّنْيَا مُتَوَفِّرَةٌ كَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ، وَلِهَذَا طَيَّبَ اللَّهُ تَعَالَىٰ قُلُوبَ عِبَادِهِ بِأَنَّهُ لَا يُوَلِّهُهُمْ بِأَوْلَادِهِمْ بَلْ يَجْمَعُ بَيْنَهُمْ، فَإِنْ قِيلَ قَدْ ذَكَرْتَ فِي تَفْسِيرِ بَعْضِ الْآيَاتِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يُسَلِّي الْآبَاءَ عَنِ الْأَبْنَاءِ وَبِالْعَكْسِ، وَلَا يَتَذَكَّرُ الْأَبُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الِابْنَ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، نَقُولُ الْوَلَدُ الصَّغِيرُ وَجَدَ فِي وَالِدِهِ الْأُبُوَّةَ الْحَسَنَةَ وَلَمْ يُوجَدْ لَهَا مُعَارِضٌ وَلِهَذَا أَلْحَقَ اللَّهُ الْوَلَدَ بِالْوَالِدِ فِي الْإِسْلَامِ فِي دَارِ الدُّنْيَا عِنْدَ الصِّغَرِ وَإِذَا كَبِرَ اسْتَقَلَّ، فَإِنْ كَفَرَ يُنْسَبْ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ لِلْمُسْلِمِينَ كَالْأَبِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾** [الْحُجُرَاتِ: ١٠] جَمْعُ أَخٍ بِمَعْنَىٰ أُخُوَّةِ الْوِلَادَةِ وَالْإِخْوَانُ جَمْعُهُ بِمَعْنَىٰ أُخُوَّةِ الصَّدَاقَةِ وَالْمَحَبَّةِ فَإِذَنِ الْكُفْرُ مِنْ حَيْثُ الْحِسُّ وَالْعُرْفُ أَبٌ، فَإِنْ خَالَفَ دِينُهُ دِينَ أَبِيهِ صَارَ لَهُ مِنْ حَيْثُ الشَّرْعُ أَبٌ آخَرُ، وَفِيهِ إِرْشَادُ الْآبَاءِ إِلَى أَنْ لَا يَشْغَلَهُمْ شَيْءٌ عَنِ الشَّفَقَةِ عَلَىٰ الْوَلَدِ فَيَكُونُ مِنَ الْقَبِيحِ الْفَاحِشِ أَنْ يَشْتَغِلَ الْإِنْسَانُ بِالتَّفَرُّجِ فِي الْبُسْتَانِ مَعَ الْأَحِبَّةِ الْإِخْوَانِ وعن تَحْصِيلِ قُوتِ الْوِلْدَانِ، وَكَيْفَ لَا يَشْتَغِلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِمَا فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ عَنْ أَوْلَادِهِمْ حَتَّى ذَكَرُوهُمْ فَأَرَاحَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بقوله ألحقنا بهم ذريَّاتهم ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَا ظَنُّكَ بِالْفَاسِقِ الَّذِي يُبَذِّرُ مَالَهُ فِي الْحَرَامِ وَيَتْرُكُ أَوْلَادَهُ يَتَكَفَّفُونَ وُجُوهَ اللِّئَامِ وَالْكِرَامِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ يُورِّثُ أَوْلَادَهُ مَالًا حَلَالًا يُكْتَبُ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ، وَلِهَذَا لَمْ يجوز لِلْمَرِيضِ التَّصَرُّفُ فِي أَكْثَرَ مِنَ الثُّلُثِ.

اللَّطِيفَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ**﴾، فَهَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّا فِي الْآخِرَةِ نُلْحَقُ بِهِمْ لِأَنَّ فِي دَارِ الدُّنْيَا مُرَاعَاةَ الْأَسْبَابِ أَكْثَرُ. وَلِهَذَا لَمْ يُجْرِ اللهُ عَادَتَهُ عَلَىٰ أَنْ يُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِنْسَانِ طَعَامًا مِنَ السَّمَاءِ، فَمَا يَتَسَبَّبُ لَهُ بِالزِّرَاعَةِ وَالطَّحْنِ وَالْعَجْنِ لَا يَأْكُلُهُ، وَفِي الْآخِرَةِ يُؤْتِيهِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ جَزَاءً لَهُ عَلَىٰ مَا سَعَىٰ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَيَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ ذَلِكَ دَلِيلًا ظَاهِرًا عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُلْحِقُ بِهِ وَلَدَهُ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا كَمَا اتَّبَعَهُ، وَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ وَلَمْ يَعْتَقِدْ شَيْئًا.

اللَّطِيفَةُ الثَّالِثَةُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**بِإِيمانٍ**﴾، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَتْبَعَ الْوَلَدَ الْوَالِدَيْنِ فِي الْإِيمَانِ وَلَمْ يُتْبِعْهُ أَبَاهُ فِي الْكُفْرِ بِدَلِيلِ أَنَّ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْكُفَّارِ حُكِمَ بِإِسْلَامِ أَوْلَادِهِ، وَمَنِ ارْتَدَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِ وَلَدِهِ.

اللَّطِيفَةُ الرَّابِعَةُ: قال في الدُّنيا ﴿**أَتْبَعْناهُمْ**﴾، وَقَالَ فِي الْآخِرَةِ: ﴿**أَلْحَقْنا بِهِمْ**﴾، وَذَلِكَ لِأَنَّ في الدنيا لا يدرك الصَّغير التبع مساواة الْمَتْبُوعِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ هُوَ تَبَعًا وَالْأَبُ أَصْلًا لِفَضْلِ السَّاعِي عَلَىٰ غَيْرِ السَّاعِي، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِذَا أَلْحَقَ اللهُ بِفَضْلِهِ وَلَدَهُ بِهِ جُعِلَ لَهُ مِنَ الدَّرَجَةِ مِثْلُ مَا لِأَبِيهِ.

اللَّطِيفَةُ الْخَامِسَةُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَما أَلَتْناهُمْ**﴾ تطييب لقلبهم وإزالة وهم الْمُتَوَهِّمِ أَنَّ ثَوَابَ عَمَلِ الْأَبِ يُوَزَّعُ عَلَىٰ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ بَلْ لِلْوَالِدِ أَجْرُ عَمَلِهِ بِفَضْلِ السَّعْيِ وَلِأَوْلَادِهِ مِثْلُ ذَلِكَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرَحْمَةً.

اللَّطِيفَةُ السَّادِسَةُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**مِنْ عَمَلِهِمْ**﴾، وَلَمْ يَقُلْ مِنْ أَجْرِهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ قوله تعالى: ﴿**وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ**﴾ دَلِيلٌ عَلَىٰ بَقَاءِ عَمَلِهِمْ كَمَا كَانَ وَالْأَجْرُ عَلَىٰ الْعَمَلِ مَعَ الزِّيَادَةِ فَيَكُونُ فِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَىٰ بَقَاءِ الْعَمَلِ الَّذِي لَهُ الْأَجْرُ الْكَبِيرُ الزَّائِدُ عَلَيْهِ الْعَظِيمُ الْعَائِدُ إِلَيْهِ، وَلَوْ قَالَ: مَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ أَجْرِهِمْ، لَكَانَ ذَلِكَ حَاصِلًا بِأَدْنَىٰ شَيْءٍ لِأَنَّ كُلَّ مَا يُعْطِي اللهُ عَبْدَهُ عَلَىٰ عَمَلِهِ فَهُوَ أَجْرٌ كَامِلٌ وَلِأَنَّهُ لَوْ قَالَ تَعَالَىٰ مَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ أَجْرِهِمْ، كَانَ مَعَ ذَلِكَ يَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِالْأَجْرِ الْكَامِلِ عَلَىٰ الْعَمَلِ النَّاقِصِ، وَأَعْطَاهُ الْأَجْرَ الْجَزِيلَ، مَعَ أَنَّ عَمَلَهُ كَانَ لَهُ وَلِوَلَدِهِ جَمِيعًا" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/٦٦-٦٧) : " وَاخْتُلِفَ فِي مَعْنَاهُ، فَقِيلَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَرْبَعُ رِوَايَاتٍ:

الْأُولَى أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللهَ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِي دَرَجَتِهِ فِي الْجَنَّة وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ. وَرَوَاهُ مَرْفُوعًا النَّحَّاسُ فِي (النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ) لَهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِي دَرَجَتِهِ فِي الْجَنَّة وَإِنْ كَانَ لَمْ

يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ) ثُمَّ قَرَأَ : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمانٍ﴾ الْآيَةَ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَصَارَ الْحَدِيثُ مَرْفُوعًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ، لِأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَا يَقُولُ هَذَا إِلَّا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا يَفْعَلُهُ وَبِمَعْنَى أَنَّهُ أَنْزَلَهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ. الزَّمَخْشَرِيُّ: فَيَجْمَعُ اللهُ لَهُمْ أَنْوَاعَ السُّرُورِ بِسَعَادَتِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَبِمُزَاوَجَةِ الْحُورِ الْعِينِ، وَبِمُؤَانَسَةِ الْإِخْوَانِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِاجْتِمَاعِ أَوْلَادِهِمْ وَنَسْلِهِمْ بِهِمْ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللهَ لَيُلْحِقُ بِالْمُؤْمِنِ ذُرِّيَّتَهُ الصِّغَارَ الَّذِينَ لَمْ يبلغوا الايمان، قاله الْمَهْدَوِيُّ. وَالذُّرِّيَّةُ تَقَعُ عَلَى الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ، فَإِنْ جعلت الذُّرِّيَّة ها هنا لِلصِّغَارِ كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِإِيمانٍ﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْمَفْعُولِينَ، وَكَانَ التَّقْدِيرُ ﴿بِإِيمانٍ﴾ مِنَ الْآبَاءِ. وَإِنْ جُعِلَتِ الذُّرِّيَّةُ لِلْكِبَارِ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿بِإِيمانٍ﴾ حَالًا مِنَ الْفَاعِلِينَ.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالَّذِينَ آمَنُوا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالذُّرِّيَّةُ التَّابِعُونَ .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: إِنْ كَانَ الْآبَاءُ أَرْفَعَ دَرَجَةً رَفَعَ اللهُ الْأَبْنَاءَ إِلَى الْآبَاءِ، وَإِنْ كَانَ الْأَبْنَاءُ أَرْفَعَ دَرَجَةً رَفَعَ اللهُ الْآبَاءَ إِلَى الْأَبْنَاءِ، فَالْآبَاءُ دَاخِلُونَ فِي اسْمِ الذُّرِّيَّةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّة الْجَنَّةَ سَأَلَ أَحَدُهُمْ عَنْ أَبَوَيْهِ وَعَنْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ فَيُقَالُ لَهُمْ إِنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا مَا أَدْرَكْتَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ إِنِّي عَمِلْتُ لِي وَلَهُمْ فَيُؤْمَرُ بِإِلْحَاقِهِمْ بِهِ ... ﴿وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ ، أَيْ : مَا نَقَصْنَا الْأَبْنَاءَ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ لِقِصَرِ أَعْمَارِهِمْ، وَمَا نَقَصْنَا الْآبَاءَ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ شَيْئًا بِإِلْحَاقِ الذُّرِّيَّاتِ بِهِمْ. وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ رَاجِعَانِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ . وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْمَعْنَى ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمانٍ﴾ أَلْحَقْنَا بِالذُّرِّيَّةِ أَبْنَاءَهُمُ الصِّغَارَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْعَمَلَ، فَالْهَاءُ وَالْمِيمُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ لِلذُّرِّيَّةِ. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ (وَمَا أَلِتْنَاهُمْ) بِكَسْرِ اللَّامِ. وَفَتَحَ الْبَاقُونَ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (آلَتْنَاهُمْ) بِالْمَدِّ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: أَلَتَهُ يَأْلِتُهُ أَلْتًا، وَآلَتَهُ يُؤْلِتُهُ إِيلَاتًا، وَلَاتَهُ يَلِيتُهُ لَيْتًا كُلُّهَا إِذَا نقصه"

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٧/ ٤٣٢-٤٣٣) : " يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، وَامْتِنَانِهِ وَلُطْفِهِ بِخَلْقِهِ وَإِحْسَانِهِ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّاتُهُمْ فِي الْإِيمَانِ يُلحقهم بِآبَائِهِمْ فِي الْمَنْزِلَةِ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغُوا عَمَلَهُمْ، لِتَقَرَّ أَعْيُنُ الْآبَاءِ بِالْأَبْنَاءِ عِنْدَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، فَيَجْمَعُ بَيْنَهُمْ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ، بِأَنْ يَرْفَعَ النَّاقِصَ الْعَمَلِ، بِكَامِلِ

الْعَمَلِ، وَلَا يَنْقُصَ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهِ وَمَنْزِلَتِهِ، لِلتَّسَاوِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَاكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: **﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾** .

قَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ ثُمَّ قَرَأَ: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾** رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، بِهِ. وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ بِهِ . وَرَوَاهُ الْبَزَّارُ، عَنْ سَهْلِ بْنِ بَحْرٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ حَمَّادٍ الْوَرَّاقِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرّة، عَنْ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا، فذكره، ثم قال: وقد رواه الثوري، عن عمرو بن مرة، عَنْ سَعِيدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مَزِيدٍ الْبَيْرُوتِيُّ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ أَخْبَرَنِي شَيْبَانُ، أَخْبَرَنِي لَيْثٌ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ الْأَسَدِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾** ، قَالَ: هُمْ ذُرِّيَّةُ الْمُؤْمِنِ، يَمُوتُونَ عَلَى الْإِيمَانِ: فَإِنْ كَانَتْ مَنَازِلُ آبَائِهِمْ، أَرْفَعَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ أُلْحِقُوا بِآبَائِهِمْ، وَلَمْ يَنْقُصُوا مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوا شَيْئًا.

وَقَالَ الْحَافِظُ الطَّبَرَانِيُّ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتَرِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَزْوان، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ سَالِمٍ الْأَفْطَسِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -أَظُنُّهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: "إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ الْجَنَّةَ سَأَلَ عَنْ أَبَوَيْهِ وَزَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَبْلُغُوا دَرَجَتَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ لِي وَلَهُمْ. فَيُؤْمَرُ بِإِلْحَاقِهِمْ بِهِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾** الْآيَةَ.

وَقَالَ الْعَوْفِي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: يَقُولُ: وَالَّذِينَ أَدْرَكَ ذُرِّيَّتَهُمُ الْإِيمَانُ فَعَمِلُوا بِطَاعَتِي، أَلْحَقْتُهُمْ بِإِيمَانِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَوْلَادُهُمُ الصِّغَارُ تَلْحَقُ بِهِمْ.

وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّ ذَاكَ مُفَسَّرٌ أَصْرَحَ مِنْ هَذَا. وَهَكَذَا يَقُولُ الشَّعْبِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَإِبْرَاهِيمُ، وقَتَادَةُ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ. وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ" .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢٧/٤٨-٥١) : " وَالتَّعْبِيرُ بِالْمَوْصُولِ إِظْهَارٌ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ لِتَكُونَ الصِّلَةُ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ وَجْهَ بِنَاءِ الْخَبَرِ الْوَارِدِ بَعْدَهَا، أَيْ أَنَّ سَبَبَ إِلْحَاقِ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِهِمْ فِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ هُوَ إِيمَانُهُمْ وَكَوْنُ الذُّرِّيَّاتِ آمَنُوا بِسَبَبِ إِيمَانِ آبَائِهِمْ لِأَنَّ الْآبَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُلَقِّنُونَ أَبْنَاءَهُمُ الْإِيمَانَ.

وَالْمَعْنَىٰ: وَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَهُمْ ذُرِّيَّاتٌ مُؤْمِنُونَ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارا﴾** [التَّحْرِيم: ٦] ، وَهل يَسْتَطِيع أحد أَنْ يَقِيَ النَّارَ غَيْرَهُ إِلَّا بِالْإِرْشَادِ. وَلَعَلَّ مَا فِي الْآيَةِ مِنْ إِلْحَاقِ ذُرِّيَّاتِهِمْ مِنْ شَفَاعَةِ الْمُؤْمِنِ الصَّالِحِ لِأَهْلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ.

وَالتَّنْكِيرُ فِي قَوْلِهِ: **﴿بِإِيمانٍ﴾** يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لِلتَّعْظِيمِ، أَيْ بِإِيمَانٍ عَظِيمٍ، وَعَظَمَتُهُ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَيَكُونَ ذَلِكَ شَرْطًا فِي إِلْحَاقِهِمْ بِآبَائِهِمْ وَتَكُونَ النِّعْمَةُ فِي جَعْلِهِمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لِلنَّوْعِيَّةِ، أَيْ بِمَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ.

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ وَاتَّبَعَتْهُمْ بِهَمْزَةِ وَصلٍ وَبِتَشْدِيدِ التَّاءِ الْأُولَىٰ وَبِتَاءٍ بَعْدَ الْعَيْنِ هِيَ تَاءُ تَأْنِيثِ ضَمِيرِ الْفِعْلِ. وَقَرَأَهُ أَبُو عَمْرٍو وَحْدَهُ وَأَتْبَعْنَاهُمْ بِهَمْزَةِ قَطْعٍ وَسُكُونِ التَّاءِ.

وَقَوْلُهُ: **﴿ذُرِّيَّتُهُمْ﴾** الْأَوَّلُ قَرَأَهُ الْجُمْهُورُ بِصِيغَةِ الْإِفْرَادِ. وَقَرَأَهُ أَبُو عَمْرٍو ذُرِّيَّاتِهِمْ بِصِيغَةِ جَمْعِ ذُرِّيَّةٍ فَهُوَ مَفْعُولُ أَتْبَعْنَاهُمْ. وَقَرَأَهُ ابْنُ عَامِرٍ وَيَعْقُوبُ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ أَيْضًا لَكِنْ مَرْفُوعًا عَلَىٰ أَنَّهُ فَاعِلُ اتَّبَعَتْهُمْ، فَيَكُونُ الْإِنْعَامُ عَلَىٰ آبَائِهِمْ بِإِلْحَاقِ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلُوا مِثْلَ عَمَلِهِمْ.

وَقَدْ رَوَىٰ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ الطَّبَرِيُّ وَالْبَزَّارُ وَابْنُ عَدِيٍّ وَأَبُو نُعَيْمٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ حَدِيثًا مُسْنَدًا إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيءِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَّ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ (أَيْ فِي الْعَمَلِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي رِوَايَةِ الْقُرْطُبِيِّ) لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ ثُمَّ قَرَأَ: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ﴾ إِلَى** قَوْلِهِ: **﴿مِنْ شَيْءٍ﴾** .

وَعَلَىٰ الِاحْتِمَالَيْنِ هُوَ نِعْمَةٌ جَمَعَ اللهَّ بِهَا لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْوَاعَ الْمَسَرَّةِ بِسَعَادَتِهِمْ بِمُزَاوَجَةِ الْحُورِ وَبِمُؤَانَسَةِ الْإِخْوَانِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِاجْتِمَاعِ أَوْلَادِهِمْ وَنَسْلِهِمْ بِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي طَبْعِ الْإِنْسَانِ التَّأَنُّسَ بِأَوْلَادِهِ وَحُبَّهُ اتِّصَالَهُمْ بِهِ.

وَقَدْ وَصَفَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّفِيعِ الْجَعْفَرِيُّ الْمُرْسِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ نَزِيلُ تُونِسَ سَنَةَ ١٠١٣ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَلْفٍ فِي كِتَابٍ لَهُ سَمَّاهُ «الْأَنْوَارُ النَّبَوِيَّةُ فِي آبَاءِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ» ، قَالَ فِي خَاتِمَةِ الْكِتَابِ «قَدْ أَطْلَعَنِي اللهَّ تَعَالَىٰ عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ بِوَاسِطَةِ وَالِدِي وَأَنَا ابْنُ سِتَّةِ أَعْوَامٍ مَعَ أَنِّي كُنْتُ إِذَّاكَ أَرُوحُ إِلَىٰ مَكْتَبِ النَّصَارَىٰ لِأَقْرَأَ دِينَهُمْ ثُمَّ أَرْجِعَ إِلَىٰ بَيْتِي فَيُعَلِّمَنِي وَالِدِي دِينَ الْإِسْلَامِ فَكُنْتُ أَتَعَلَّمُ فِيهِمَا (كَذَا) مَعًا وَسِنِّي حِينَ حُمِلْتُ إِلَىٰ مَكْتَبِهِمْ أَرْبَعَةُ أَعْوَامٍ فَأَخَذَ وَالِدِي لَوْحًا مِنْ عُودِ الْجَوْزِ كَأَنِّي أَنْظُرُ الْآنَ إِلَيْهِ مُمَلَّسًا مِنْ غَيْرِ طَفَلٍ (اسْمٌ لِطِينٍ يَابِسٍ وَهُوَ طِينٌ لَزِجٌ وَلَيْسَتْ بِعَرَبِيَّةٍ وَعَرَبِيَّتُهُ طُفَالٌ كَغُرَابٍ) ، فكتب لِي فِيهِ حُرُوفَ الْهِجَاءِ وَهُوَ يَسْأَلُنِي عَنْ حُرُوفِ النَّصَارَىٰ حَرْفًا حَرْفًا تَدْرِيبًا وَتَقْرِيبًا فَإِذَا سَمَّيْتُ لَهُ حَرْفًا أَعْجَمِيًّا يَكْتُبُ لِي حَرْفًا عَرَبِيًّا حَتَّىٰ اسْتَوْفَىٰ

جَمِيعَ حُرُوفِ الْهِجَاءِ وَأَوْصَانِي أَنْ أَكْتُمَ ذَلِكَ حَتَّى عَنْ وَالِدَتِي وَعَمِّي وَأَخِي مَعَ أَنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ قَدْ أَلْقَى نَفْسَهَ لِلْهَلَاكِ لِإِمْكَانِ أَنْ أُخْبِرَ بِذَلِكَ عَنْهُ فَيُحْرَقَ لَا مَحَالَةَ وَقَدْ كَانَ يلقّنني مَا أقوله عِنْدَ رُؤْيَتِي الْأَصْنَامَ، فَلَمَّا تَحَقَّقَ وَالِدِي أَنِّي أَكْتُمُ أُمُورَ دِينِ الْإِسْلَامِ أَمَرَنِي أَنْ أَتَكَلَّمَ بِإِفْشَائِهِ لِوَالِدَتِي وَبَعْضِ الْأَصْدِقَاءِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَسَافَرْتُ الْأَسْفَارَ مِنْ جَيَّانَ لِأَجْتَمِعَ بِالْمُسْلِمِينَ الْأَخْيَارِ إِلَى غَرْنَاطَةَ وَأَشْبِيلِيَّةَ وَطُلَيْطِلَةَ وَغَيْرِهَا مِنْ مُدُنِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ، فَتَخَلَّصَ لِي مِنْ مَعْرِفَتِهِمْ أَنِّي مَيَّزْتُ مِنْهُمْ سَبْعَةَ رِجَالٍ كَانُوا يُحَدِّثُونَنِي بِأَحْوَالِ غَرْنَاطَةَ وَمَا كَانَ بِهَا فِي الْإِسْلَامِ وَقَدْ مَرُّوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْخٍ مِنْ مَشَائِخِ غَرْنَاطَةَ يُقَالُ لَهُ الْفَقِيهُ الْأَوْطُورِيُّ ... » إِلَخْ.

وَإِيثَارُ فِعْلِ أَلْحَقْنا دُونَ أَنْ يُقَالَ: أَدْخَلْنَا مَعَهُمْ، أَوْ جعلنا مَعَهم لَعَلَّه لِمَا فِي مَعْنَى الْإِلْحَاقِ من الصلاحية للفور وَالتَّأْخِيرِ، فَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ الْإِلْحَاقُ بَعْدَ إِجْرَاءِ عِقَابٍ عَلَى بَعْضِ الذُّرِّيَّةِ اسْتَحَقُّوهُ بِسَيِّئَاتِهِمْ عَلَى مَا فِي الْأَعْمَالِ مِنْ تَفَاوُتٍ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِقَابِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ مِنْ عِبَادِهِ. وَفِعْلُ الْإِلْحَاقِ يَقْتَضِي أَنَّ الذُّرِّيَّاتِ صَارُوا فِي دَرَجَاتِ آبَائِهِمْ. وَفِي الْمُخَالَفَةِ بَيْنَ الصِّيغَتَيْنِ تَفَنُّنٌ لِدَفْعِ إِعَادَةِ اللَّفْظِ.

و **﴿أَلَتْناهُمْ﴾** نَقَصْنَاهُمْ، يُقَالُ: آلَتَهُ حَقَّهُ، إِذَا نَقَصَهُ إِيَّاهُ، وَهُوَ مِنْ بَابِ ضَرَبَ وَمِنْ بَابَ عَلِمَ.

فَقَرَأَهُ الْجُمْهُورُ بِفَتْحِ لَامِ أَلَتْناهُمْ. وَقَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ بِكَسْرِ لَامِ أَلِتْناهُمْ، وَتَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ شَيْئاً فِي سُورَةِ الْحُجُرَاتِ﴾** . وَالْوَاوُ لِلْحَالِ وَضَمِيرُ الْغَيْبَةِ عَائِدٌ إِلَى الَّذِينَ آمَنُوا.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللهَ أَلْحَقَ بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ فِي الدَّرَجَةِ فِي الجَنَّة فَضْلًا مِنْهُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا دُونَ عِوَضٍ احْتِرَاسًا مِنْ أَنْ يَحْسَبُوا أَنَّ إِلْحَاقَ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِهِمْ بَعْدَ عَطَاءِ نَصِيبٍ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ لِذُرِّيَاتِهِمْ لِيَدْخُلُوا بِهِ الجَنَّة عَلَى مَا هُوَ مُتَعَارَفٌ عِنْدَهُمْ فِي فَكِّ الْأَسِيرِ، وَحَمَالَةِ الدِّيَاتِ، وَخَلَاصِ الْغَارِمِينَ، وَعَلَى مَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي الِانْتِصَافِ مِنَ الْمَظْلُومِ لِلظَّالِمِ بِالْأَخْذِ مِنْ حَسَنَاتِهِ وَإِعْطَائِهَا لِلْمَظْلُومِ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ انْتِقَاصِ حُظُوظِهِمْ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُوَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّة مَنْزِلَةً الذِيْ هُوَ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّة دُخُولًا؟

الجواب : روى البخاري (٩/ ١٤٧ برقم ٧٥١١) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّة دُخُولًا الجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْوًا، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رَبِّ الجَنَّة مَلْأَى، فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَكُلُّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ الجَنَّة مَلْأَى، فَيَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مِرَارٍ " .

وروى مسلم (١/ ١٧٦ برقم ١٨٩) بسنده عَنْ الشَّعْبِيَّ، يُخْبِرُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُهُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَحَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ، وَابْنُ أَبْجَرَ سَمِعَا الشَّعْبِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، يُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ - قَالَ سُفْيَانُ: رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا، أُرَاهُ ابْنَ أَبْجَرَ - قَالَ: " سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ "، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** [السجدة: ١٧] الْآيَةَ.

وروى البخاري (٨/ ١١٧ برقم ٦٥٧١)، مسلم (١/ ١٧٣ برقم ١٨٦) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي - أَوْ: تَضْحَكُ مِنِّي - وَأَنْتَ المَلِكُ " فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: «ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً».

وروى مسلم (١/ ١٧٥ برقم ١٨٨) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، رَجُلٌ صَرَفَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ، وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا " وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ: فَيَقُولُ: «يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَزَادَ فِيهِ: " وَيُذَكِّرُهُ اللهُ، سَلْ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ: هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ "، قَالَ: " ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ "، قَالَ: " فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ ".

وروى أحمد في " المسند" (٧/ ١٤ برقم ٣٨٩٩) بسنده عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّة رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا جَاوَزَهَا، الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي أَنْجَانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلْأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، فَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، فَلَعَلِّي إِذَا أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا "، قَالَ: " وَرَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْذُرُهُ، لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، هَذِهِ فَلْأَشْرَبْ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْذُرُهُ، لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى، أَيْ رَبِّ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذُرُهُ، لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا، سَمِعَ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا، وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ بِي، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ " فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّا أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ " فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: " مِنْ ضَحِكِ رَبِّي حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَدِيرٌ" . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه ابن أبي شيبة ١٢/ ٤٦٠، وأبو عوانة ٤/ ٧٣، من طريق عفان، بهذا الإسناد. وأخرجه البخاري (٣١٨٦) ، ومسلم (١٧٣٦) (١٢) ، والنسائي في "الكبرى" (٨٧٣٨) ، وابن ماجه (٢٨٧٢) ، والدارمي ٢/ ٢٤٨، وأبو يعلى (٥٣٤٢) ، وأبو عوانة ٤/ ٧٣، والشاشي (٥٦٩) و (٥٧٠) و (٥٧١) و (٥٧٣) و (٥٧٤) و (٥٨٦) ، وابن حبان (٧٣٤١) ، والقضاعي في "مسند الشهاب " (٢١٠) ، والبيهقي في "السنن " ٨/ ١٦٠، وفي "الشعب " (٤٣٥٣) و (٥٢٧٠) من طرق عن شعبة، به. وأخرجه ابنُ أبي شيبة ١٢/ ٤٦٠، ومسلم (١٧٣٦) (١٣) ، وأبو عَوانة ٤/ ٧٣ و٧٤ من طريقين عن الأعمش، به" .

﴿سُؤالٌ﴾ : كَيْفَ يَهْتَدِي الإِنْسَانُ إِلَى مَنْزِلِهِ فِي الجَنَّة ؟

الجواب : قال تعالى : **﴿وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ﴾** [محمد:٦] .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٢٨/ ٤١-٤٢) : " وَكَأَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ عِنْدَ حَشْرِهِمْ يَهْدِيهِمْ إِلَىٰ طَرِيقِ الجَنَّة وَيُلْبِسُهُمْ فِي الطَّرِيقِ خُلَعَ الْكَرَامَةِ، وَهُوَ إِصْلَاحُ الْبَالِ وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّة فَهُوَ عَلَىٰ تَرْتِيبِ الْوُقُوعِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿**عَرَّفَها لَهُمْ**﴾ . فَفِيهِ وُجُوهٌ:

أَحَدُهَا: هُوَ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَعْرِفُ منزلته ومأواه، حتىٰ أن أهل الجنة

يَكُونُونَ أَعْرَفَ بِمَنَازِلِهِمْ فِيهَا مِنْ أَهْلِ الْجُمُعَةِ يَنْتَشِرُونَ فِي الْأَرْضِ كُلُّ أَحَدٍ يَأْوِي إِلَىٰ مَنْزِلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِأَعْمَالِهِ يَهْدِيهِ .

الْوَجْهُ الثَّانِي: عَرَّفَها لَهُمْ أَيْ طَيَّبَهَا يُقَالُ طَعَامٌ مُعَرَّفٌ الْوَجْهُ الثَّالِثُ: قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ يَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ عَرَّفَهَا لَهُمْ حَدَّدَهَا مِنْ عرف الدار وأرفها أي حددها، وتحديها فِي قَوْلِهِ : ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ**﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٣٣] ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ الْمُرَادُ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَتِلْكَ الجَنَّة الَّتِي أُورِثْتُمُوها**﴾ [الزُّخْرُفِ: ٧٢] مُشِيرًا إِلَيْهَا مُعَرِّفًا لَهُمْ بِأَنَّهَا هِيَ تِلْكَ وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ أَنْ يُقَالَ مَعْنَاهُ عَرَّفَها لَهُمْ قَبْلَ الْقَتْلِ فَإِنَّ الشَّهِيدَ قَبْلَ وَفَاتِهِ تُعْرَضُ عَلَيْهِ مَنْزِلَتُهُ فِي الجَنَّة فَيَشْتَاقُ إِلَيْهَا وَوَجْهٌ ثَانٍ: مَعْنَاهُ وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّة وَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ وَصْفِهَا فَإِنَّهُ تَعَالَىٰ: عَرَّفَها لَهُمْ مِرَارًا وَوَصَفَهَا" .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٦/ ٢٣١) : " أَيْ : إِذَا دَخَلُوهَا يُقَالُ لَهُمْ : تَفَرَّقُوا إِلَىٰ مَنَازِلِكُمْ، فَهُمْ أَعْرَفُ بِمَنَازِلِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجُمُعَةِ إِذَا انْصَرَفُوا إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ. قَالَ مَعْنَاهُ مُجَاهِدٌ وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ. ، وَفِي الْبُخَارِيِّ (٨/ ١١١ برقم ٦٥٣٥) مَا يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّة وَالنَّارِ فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بعض مظالم كانت بينهم في الدُّنيا حتىٰ إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّة فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَىٰ بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّة مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ فِي الدُّنْيَا .

وَقِيلَ:" عَرَّفَها لَهُمْ" أَيْ بَيَّنَهَا لَهُمْ حَتَّىٰ عَرَفُوهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِدْلَالٍ. قَالَ الْحَسَنُ: وَصَفَ اللهَّ تَعَالَىٰ لَهُمُ الجَنَّة فِي الدُّنْيَا، فَلَمَّا دَخَلُوهَا عَرَفُوهَا بِصِفَتِهَا. وَقِيلَ: فِيهِ حَذْفٌ، أَيْ عَرَّفَ طُرُقَهَا وَمَسَاكِنَهَا وَبُيُوتَهَا لَهُمْ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ. وَقِيلَ: هَذَا التَّعْرِيفُ بِدَلِيلٍ، وَهُوَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَتْبَعُهُ الْعَبْدُ حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْعَبْدُ مَنْزِلَهُ، وَيُعَرِّفَهُ الْمَلَكُ جَمِيعَ مَا جُعِلَ لَهُ فِي الْجَنَّةِ. وَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ يَرُدُّهُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ" عَرَّفَها لَهُمْ" أَيْ طَيَّبَهَا لَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَلَاذِ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْعَرْفِ، وَهُوَ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ. وَطَعَامٌ مُعَرَّفٌ أَيْ مُطَيَّبٌ، تَقُولُ الْعَرَبُ: عَرَّفْتَ الْقِدْرَ إِذَا طَيَّبْتَهَا بِالْمِلْحِ وَالْأَبْزَارِ. وَقَالَ الشَّاعِرُ يُخَاطِبُ رَجُلًا ويمدحه:

عرفت كاتب عرفته اللطائم

يقول: كَمَا عُرِّفَ الْإِتْبُ، وَهُوَ الْبَقِيرُ وَالْبَقِيرَةُ، وَهُوَ قَمِيصٌ لَا كُمَّيْنِ لَهُ تَلْبَسُهُ النِّسَاءُ. وَقِيلَ: هُوَ مِنْ وَضْعِ الطَّعَامِ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ مِنْ كَثْرَتِهِ، يُقَالُ: حَرِيرٌ مُعَرَّفٌ، أَيْ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَهُوَ مِنَ الْعُرْفِ الْمُتَتَابِعِ كَعُرْفِ الْفَرَسِ. وَقِيلَ:" عَرَّفَها لَهُمْ" أَيْ وَفَّقَهُمْ لِلطَّاعَةِ حَتَّى اسْتَوْجَبُوا الْجَنَّةَ. وَقِيلَ: عَرَّفَ أَهْلَ السَّمَاءِ أَنَّهَا لَهُمْ إِظْهَارًا لِكَرَامَتِهِمْ فِيهَا. وَقِيلَ: عَرَّفَ المطيعين أنها لهم" .

وقال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٧/ ٣١٠) : " أَيْ: عَرَّفَهُمْ بِهَا وَهَدَاهُمْ إِلَيْهَا.

قَالَ مُجَاهِدٌ: يَهْتَدِي أَهْلُهَا إِلَى بُيُوتِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ، وَحَيْثُ قَسَمَ اللهُ لَهُمْ مِنْهَا، لَا يُخْطِئُونَ كَأَنَّهُمْ سَاكِنُوهَا مُنْذُ خُلِقُوا، لَا يَسْتَدِلُّونَ عَلَيْهَا أَحَدًا. وَرَوَى مَالِكٌ عَنِ ابْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ نَحْوَ هَذَا.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: يَعْرِفُونَ بُيُوتَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ، كَمَا تَعْرِفُونَ بُيُوتَكُمْ إِذَا انْصَرَفْتُمْ مِنَ الْجُمُعَةِ.

وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّان: بَلَغَنَا أَنَّ الْمَلَكَ الَّذِي كَانَ وُكِّل بِحِفْظِ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْجَنَّةِ، وَيَتْبَعُهُ ابْنُ آدَمَ حَتَّى يَأْتِيَ أَقْصَى مَنْزِلٍ هُوَ لَهُ، فَيُعَرِّفُهُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَاهُ اللهُ فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى أَقْصَى مَنْزِلِهِ فِي الجَنَّة دَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَأَزْوَاجِهِ، وَانْصَرَفَ الْمَلَكُ عَنْهُ ذَكَرَهُنَّ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، رَحِمَهُ اللهُ.

وَقَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ بِذَلِكَ أَيْضًا، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِي، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم قال: "إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّة وَالنَّارِ، يَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ أَحَدَهُمْ بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّة أَهْدَى مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا" .

وقال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (١١/ ٣٩٩-٤٠٠) : " قَوْلُهُ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّة مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا قَالَ الطِّيبِيُّ أَهْدَى لَا يَتَعَدَّى بِالْبَاءِ بَلْ بِاللَّامِ أَوْ إِلَى فَكَأَنَّهُ ضُمِّنَ مَعْنَى اللُّصُوقِ بِمَنْزِلِهِ هَادِيًا إِلَيْهِ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى يَهْدِيهِمْ ربهم بإيمانهمْ الْآيَةَ فَإِنَّ الْمَعْنَى يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ إِلَى طَرِيق الجَنَّة فَأَقَامَ تَجْرِي من تَحْتهم إِلَى آخِرِهَا بَيَانًا وَتَفْسِيرًا لِأَنَّ التَّمَسُّكَ بِسَبَبِ السَّعَادَةِ كَالْوُصُولِ إِلَيْهَا قُلْتُ وَلِأَصْلِ الْحَدِيثِ شَاهِدٌ من مُرْسل الْحسن أخرجه بن أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْهُ قَالَ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُحْبَسُ أَهْلُ الجَنَّة بَعْدَ مَا يَجُوزُونَ الصِّرَاطَ حَتَّى يُؤْخَذَ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ ظُلَامَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَدْخُلُونَ الجَنَّة وَلَيْسَ فِي قُلُوبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ غِلٌّ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَقَعَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ سَلَامٍ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَدُلُّهُمْ عَلَى طَرِيقِ الجَنَّة يَمِينًا وَشِمَالًا وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ لَمْ يُحْبَسْ

بِالْقَنْطَرَةِ أَوْ عَلَى الْجَمِيعِ وَالْمُرَادُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ ذَلِكَ لَهُمْ قَبْلَ دُخُولِ الجَنَّة فَمَنْ دَخَلَ كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ بِمَنْزِلِهِ فِيهَا كَمَعْرِفَتِهِ بِمَنْزِلِهِ فِي الدُّنْيَا قُلْتُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْقَوْلُ بَعْدَ الدُّخُولِ مُبَالَغَةً فِي التَّبْشِيرِ وَالتَّكْرِيمِ وَحَدِيثُ عَبْدِ اللهِّ بْنِ سَلَامٍ الْمَذْكُورُ أَخْرَجَهُ عَبْدُ اللهِّ بْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزُّهْدِ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ" .

﴿ الفَصْلُ الثَّالِثُ ﴾

✿✿✿ أَسْبَابُ دُخُوْلِ الجَنَّة وأسباب الطَّرْدِ مِنْهَا ✿✿✿

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا الْمُرَادُ بِرَحْمَةِ اللهِّ الوَارِدَةُ فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللهِّ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [] .

الْجَوَابُ: قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (/ ٣٢٠) : " وَفِيهِ سُؤَالَاتٌ :

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: مَا الْمُرَادُ بِرَحْمَةِ اللهِّ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمُرَادُ الْجَنَّةُ، وَقَالَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا: هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْعَبْدَ وَإِنْ كَثُرَتْ طَاعَتُهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّة إِلَّا بِرَحْمَةِ اللهِّ، وَكَيْفَ لَا نَقُولُ ذَلِكَ وَالْعَبْدُ مَا دَامَتْ دَاعِيَتُهُ إِلَى الْفِعْلِ وَإِلَى التَّرْكِ عَلَى السَّوِيَّةِ يَمْتَنِعُ مِنْهُ الْفِعْلُ؟ فَإِذَنْ مَا لَمْ يَحْصُلْ رُجْحَانُ دَاعِيَةِ الطَّاعَةِ امْتَنَعَ أَنْ يَحْصُلَ مِنْهُ الطَّاعَةُ وَذَلِكَ الرُّجْحَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِخَلْقِ اللهِّ تَعَالَى، فَإِذَنْ صُدُورُ تِلْكَ الطَّاعَةِ مِنَ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِّ فِي حَقِّ الْعَبْدِ فَكَيْفَ يَصِيرُ ذَلِكَ مُوجِبًا عَلَى اللهِّ شَيْئًا، فَثَبَتَ أَنَّ دُخُولَ الجَنَّة لَا يَكُونُ إِلَّا بِفَضْلِ اللهِّ وَبِرَحْمَتِهِ وَبِكَرَمِهِ لَا بِاسْتِحْقَاقِنَا.

السُّؤَالُ الثَّانِي: كَيْفَ مَوْقِعُ قَوْلِهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ بعد قوله فَفِي رَحْمَتِ اللهِّ.

الْجَوَابُ: كَأَنَّهُ قِيلَ: كَيْفَ يَكُونُونَ فِيهَا؟ فَقِيلَ : **﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** لَا يَظْعَنُونَ عَنْهَا وَلَا يَمُوتُونَ.

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: الْكُفَّارُ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ كَمَا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُخَلَّدُونَ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَنُصَّ عَلَى خُلُودِ أَهْلِ النَّارِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَعَ أَنَّهُ نَصَّ عَلَى خُلُودِ أَهْلِ الجَنَّة فِيهَا فَمَا الْفَائِدَةُ؟

وَالْجَوَابُ: كُلُّ ذَلِكَ إِشْعَارَاتٌ بِأَنَّ جَانِبَ الرَّحْمَةِ أَغْلَبُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ابْتَدَأَ فِي الذِّكْرِ بِأَهْلِ الرَّحْمَةِ وَخَتَمَ بِأَهْلِ الرَّحْمَةِ، وَلَمَّا ذَكَرَ الْعَذَابَ مَا أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ، بَلْ قَالَ: **﴿فَذُوقُوا الْعَذابَ﴾** مَعَ أَنَّهُ ذَكَرَ الرَّحْمَةَ مُضَافَةً إِلَى نفسه حيث قال: **﴿فَفِي رَحْمَتِ اللهِ﴾** وَلَمَّا ذَكَرَ الْعَذَابَ مَا نَصَّ عَلَى الْخُلُودِ مَعَ أَنَّهُ نَصَّ عَلَى الْخُلُودِ فِي جَانِبِ الثَّوَابِ، وَلَمَّا ذَكَرَ الْعَذَابَ عَلَّلَهُ بِفِعْلِهِمْ فَقَالَ: **﴿فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾** ، وَلَمَّا ذكر الثّواب علّله برحمته فقال: **﴿فَفِي رَحْمَتِ اللهِ﴾** ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْآيَةِ : **﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ﴾** ، وَهَذَا جَارٍ مَجْرَى الِاعْتِذَارِ عَنِ الْوَعِيدِ بِالْعِقَابِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يُشْعِرُ بِأَنَّ جَانِبَ الرَّحْمَةِ مُغَلَّبٌ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ لَا تَحْرِمْنَا مِنْ بَرْدِ رَحْمَتِكَ وَمِنْ كَرَامَةِ غُفْرَانِكَ وَإِحْسَانِكَ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هُوَ ثَمَنُ الجَنَّةِ ؟

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٦/ ١٥٠-١٥١) : " وَفِي الْآيَةِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الأولى: في شأن نزول الآية :

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : لَمَّا بَايَعَتِ الْأَنْصَارُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ بِمَكَّةَ وَهُمْ سَبْعُونَ نَفْسًا، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ: اِشْتَرِطْ لِرَبِّكَ وَلِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ. فَقَالَ: «أَشْتَرِطُ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَلِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مَا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ» قَالُوا: فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ فَمَاذَا لَنَا؟ قَالَ: «الْجَنَّةُ» قَالُوا: رَبِحَ الْبَيْعُ لَا نَقِيلُ وَلَا نَسْتَقِيلُ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

قَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَمُقَاتِلٌ: ثَامَنَهُمْ فَأَغْلَى ثَمَنَهُمْ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: لَا يَجُوزُ أَنْ يَشْتَرِيَ اللهُ شَيْئًا فِي الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ الْمُشْتَرِي إِنَّمَا يَشْتَرِي مَا لَا يَمْلِكُ، وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ: اشْتَرَى أَنْفُسًا هُوَ خَلَقَهَا، وَأَمْوَالًا هُوَ رَزَقَهَا، لَكِنْ هَذَا ذَكَرَهُ تَعَالَى لِحُسْنِ التَّلَطُّفِ فِي الدُّعَاءِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَحَقِيقَةُ هَذَا، أَنَّ الْمُؤْمِنَ مَتَى قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يُقْتَلَ، فَتَذْهَبَ رُوحُهُ، وَيُنْفِقَ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَخَذَ مِنَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ الجَنَّة جَزَاءً لِمَا فَعَلَ. فَجَعَلَ هَذَا اسْتِبْدَالًا وَشِرَاءً. هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: **﴿اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾** ، أَيْ : بِالْجَنَّةِ، وَكَذَا قِرَاءَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَالْأَعْمَشِ. قَالَ الْحَسَنُ: اسْمَعُوا وَاللهِ بَيْعَةٌ رَابِحَةٌ وَكَفَّةٌ رَاجِحَةٌ، بَايَعَ اللهُ بِهَا كُلَّ مُؤْمِنٍ، وَاللهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ.

وَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَيْسَ لِأَبْدَانِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الجَنَّةَ فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا" .

وَقَوْلُهُ: **﴿وَأَمْوالَهُمْ﴾** يُرِيدُ الَّتِي يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ وَعَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَعِيَالِهِمْ، وَفِي الْآيَةِ لَطَائِفُ:

اللَّطِيفَةُ الْأُولَى: الْمُشْتَرِي لَا بُدَّ له من بائع، وهاهنا الْبَائِعُ هُوَ اللهُ وَالْمُشْتَرِي هُوَ اللهُ، وَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ فِي حَقِّ الْقَيِّمِ بِأَمْرِ الطِّفْلِ الَّذِي لَا يُمْكِنُهُ رِعَايَةُ الْمَصَالِحِ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَصِحَّةُ هَذَا الْبَيْعِ مَشْرُوطَةٌ بِرِعَايَةِ الْغِبْطَةِ الْعَظِيمَةِ، فَهَذَا الْمَثَلُ جَارٍ مَجْرَى التَّنْبِيهِ عَلَى كَوْنِ الْعَبْدِ شَبِيهًا بِالطِّفْلِ الَّذِي لَا يَهْتَدِي إِلَى رِعَايَةِ مَصَالِحِ نَفْسِهِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُرَاعِي لِمَصَالِحِهِ بِشَرْطِ الْغِبْطَةِ التَّامَّةِ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ التَّنْبِيهُ عَلَى السُّهُولَةِ وَالْمُسَامَحَةِ، وَالْعَفْوِ عَنِ الذُّنُوبِ، والإيصال إلى درجات الخيرات ومراتب السَّعادات.

وَاللَّطِيفَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ تَعَالَى أَضَافَ الْأَنْفُسَ وَالْأَمْوَالَ إِلَيْهِمْ فَوَجَبَ أَنَّ كَوْنَ الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ مُضَافَةً إِلَيْهِمْ يُوجِبُ أَمْرَيْنِ مُغَايِرَيْنِ لَهُمْ، وَالْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ كَذَلِكَ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ عِبَارَةٌ عَنِ الْجَوْهَرِ الْأَصْلِيِّ الْبَاقِي، وَهَذَا الْبَدَنُ يَجْرِي مَجْرَى الْآلَةِ وَالْأَدَوَاتِ وَالْمَرْكَبِ، وَكَذَلِكَ الْمَالُ خُلِقَ وَسِيلَةً إِلَى رِعَايَةِ مَصَالِحِ هَذَا الْمَرْكَبِ، فَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ اشْتَرَى مِنَ الْإِنْسَانِ هَذَا الْمَرْكَبَ وَهَذَا الْمَالَ بِالْجَنَّةِ، وَهُوَ التَّحْقِيقُ. لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَا دَامَ يَبْقَى مُتَعَلِّقَ الْقَلْبِ بِمَصَالِحِ عَالَمِ الْجِسْمِ الْمُتَغَيِّرِ الْمُتَبَدِّلِ، وَهُوَ الْبَدَنُ وَالْمَالُ، امْتَنَعَ وُصُولُهُ إِلَى السَّعَادَاتِ الْعَالِيَةِ وَالدَّرَجَاتِ الشَّرِيفَةِ، فَإِذَا انْقَطَعَ الْتِفَاتُهُ إِلَيْهَا وَبَلَغَ ذَلِكَ الِانْقِطَاعُ إِلَى أَنْ عَرَّضَ الْبَدَنَ لِلْقَتْلِ، وَالْمَالَ لِلْإِنْفَاقِ فِي طَلَبِ رِضْوَانِ اللهِ، فَقَدْ بَلَغَ إِلَى حَيْثُ رَجَّحَ الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَالْمَوْلَى عَلَى الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةَ عَلَى الْأُولَى، فَعِنْدَ هَذَا يَكُونُ مِنَ السُّعَدَاءِ الْأَبْرَارِ وَالْأَفَاضِلِ الْأَخْيَارِ، فَالْبَائِعُ هُوَ جَوْهَرُ الرُّوحِ الْقُدْسِيَّةِ وَالْمُشْتَرِي هُوَ اللهُ، وَأَحَدُ الْعِوَضَيْنِ الْجَسَدُ الْبَالِي وَالْمَالُ الْفَانِي، وَالْعِوَضُ الثَّانِي الجَنَّة الْبَاقِيَةُ وَالسَّعَادَاتُ الدَّائِمَةُ، فَالرِّبْحُ حَاصِلٌ وَالْهَمُّ وَالْغَمُّ زَائِلٌ، وَلِهَذَا قَالَ: فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ.

ثُمَّ قَالَ: **﴿يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾**، قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ»: قَوْلُهُ: **﴿يُقاتِلُونَ﴾** فِيهِ مَعْنَى الْأَمْرِ كقوله: **﴿تُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾**، وَقِيلَ: جَعَلَ **﴿يُقاتِلُونَ﴾** كَالتَّفْسِيرِ لِتِلْكَ الْمُبَايَعَةِ، وَكَالْأَمْرِ اللَّازِمِ لَهَا. قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِتَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ عَلَى الْفَاعِلِ وَهُوَ كَوْنُهُمْ مَقْتُولِينَ عَلَى كَوْنِهِمْ قَاتِلِينَ، وَالْبَاقُونَ بِتَقْدِيمِ الْفَاعِلِ عَلَى الْمَفْعُولِ. أَمَّا تَقْدِيمُ الْفَاعِلِ عَلَى الْمَفْعُولِ فَظَاهِرٌ، لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ الْكُفَّارَ وَلَا يَرْجِعُونَ عَنْهُمْ إِلَى أَنْ يَصِيرُوا مَقْتُولِينَ. وَأَمَّا تَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ عَلَى الْفَاعِلِ، فَالْمَعْنَى: أَنَّ طَائِفَةً كَبِيرَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ صَارُوا مَقْتُولِينَ لَمْ يَصِرْ ذَلِكَ رَادِعًا لِلْبَاقِينَ عَنِ الْمُقَاتَلَةِ، بَلْ يَبْقَوْنَ بَعْدَ ذَلِكَ مُقَاتِلِينَ مَعَ الْأَعْدَاءِ. قَاتِلِينَ لَهُمْ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: **﴿فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾** [آل عِمْرَانَ: ١٤٦]، أَيْ مَا وَهَنَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ. وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّهُ هَلْ دَخَلَ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ مُجَاهَدَةُ الْأَعْدَاءِ بِالْحُجَّةِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ أَمْ لَا؟ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هُوَ مُخْتَصٌّ بِالْجِهَادِ بِالْمُقَاتَلَةِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى فَسَّرَ تِلْكَ الْمُبَايَعَةَ بِالْمُقَاتَلَةِ

بِقَوْلِهِ: يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِّ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: كُلُّ أَنْوَاعِ الْجِهَادِ دَاخِلٌ فِيهِ، بِدَلِيلِ الْخَبَرِ الَّذِي رَوَيْنَاهُ عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ رَوَاحَةَ. وَأَيْضًا فَالْجِهَادُ بِالْحُجَّةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ أَكْمَلُ آثَارًا مِنَ الْقِتَالِ، وَلِذَلِكَ

قَالَ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ: "لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُّ عَلَى يَدِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ" .

وَلِأَنَّ الْجِهَادَ بِالْمُقَاتَلَةِ لَا يَحْسُنُ أَثَرُهَا إِلَّا بَعْدَ تَقْدِيمِ الْجِهَادِ بِالْحُجَّةِ. وَأَمَّا الْجِهَادُ بِالْحُجَّةِ فَإِنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْجِهَادِ بِالْمُقَاتَلَةِ.

وَالْأَنْفُسُ جَوْهَرُهَا جَوْهَرٌ شَرِيفٌ خَصَّهُ اللهُّ تَعَالَى بِمَزِيدِ الْإِكْرَامِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَلَا فَسَادَ فِي ذَاتِهِ، إِنَّمَا الْفَسَادُ فِي الصِّفَةِ الْقَائِمَةِ بِهِ، وَهِيَ الْكُفْرُ وَالْجَهْلُ. وَمَتَى أَمْكَنَ إِزَالَةُ الصِّفَةِ الْفَاسِدَةِ، مَعَ إِبْقَاءِ الذَّاتِ وَالْجَوْهَرِ كَانَ أَوْلَى.

أَلَا تَرَى أَنَّ جِلْدَ الْمَيْتَةِ لَمَّا كَانَ مُنْتَفَعًا بِهِ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، لَا جَرَمَ حَثَّ الشَّرْعِ عَلَى إِبْقَائِهِ،

فَقَالَ: " هَلَّا أَخَذْتُمْ إِهَابَهَا فَدَبَغْتُمُوهُ فَانْتَفَعْتُمْ بِهِ" .

فَالْجِهَادُ بِالْحُجَّةِ يَجْرِي مَجْرَى الدِّبَاغَةِ، وَهُوَ إِبْقَاءُ الذَّاتِ مَعَ إِزَالَةِ الصِّفَةِ الْفَاسِدَةِ، وَالْجِهَادُ بِالْمُقَاتَلَةِ يَجْرِي مَجْرَى إِفْنَاءِ الذَّاتِ، فَكَانَ الْمَقَامُ الْأَوَّلُ أَوْلَى وَأَفْضَلَ" .

قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " (ص٨٤-٨٥) : " الباب التَّاسع عشر: في عرض الرَّب تعالى سلعته الجنَّة على عباده وثمنها الذي طلبه منهم وعقد التَّبايع الذي وقع بين المؤمنين وبين ربِّهم ، قال تعالى : **﴿إِنَّ اللهَّ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهَّ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهَّ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة:١١١] ، فجعل سبحانه ها هنا الجَنَّة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم ، بحيث إذا بذلوها فيه استحقُّوا الثَّمن ، وعقد معهم هذا العقد ، وأكَّده بأنواع من التَّأكيد:

أَحَدُهَا: إخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكَّد بأداة إنَّ.

الثَّانِّي: الإخبار بذلك بصيغة الماضي الذي قد وقع وثبت واستقرَّ.

الثَّالِثُ: إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه ، وأنَّه هو الذي اشترى هذا المبيع.

الرَّابِعُ: أنَّه أخبر بأنَّه وعد بتسليم هذا الثَّمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه.

الخَامِسُ: أنَّه أتىٰ بصيغة علىٰ التي للوجوب إعلاماً لعباده بأنَّ ذلك حقٌّ عليه أحقَّه هو علىٰ نفسه.

السَّادِسُ: أنَّه أكَّد ذلك بكونه حقّاً عليه.

السَّابِعُ: أنَّه أخبر عن محلِّ هذا الوعد ، وأنَّه في أفضل كتبه المنزلة من السَّماء وهي التَّوراة والإنجيل والقرآن.

الثَّامِنُ: إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار ، وأنَّه لا أحد أوفىٰ بعهده منه سبحانه.

التَّاسِعُ: أنَّه سبحانه وتعالىٰ أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشِّر به بعضهم بعضاً بشارة من قد تمَّ له العقد ولزم ، بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه.

العَاشِرُ: أنَّه أخبرهم إخباراً مؤكَّداً بأنَّ ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم ، والبيع ههنا بمعنىٰ المبيع الذي أخذوه بهذا الثَّمن وهو الجَنَّة .

وقوله : بايعتم به ، أي : عاوضتم وثامنتم به.

ثمَّ ذكر سبحانه أنَّه هذا العقد الذي وقع العقد وتمَّ لهم دون غيرهم وهم التَّائبون ممَّا يكره ، العابدون له بما يحبّ ، الحامدون له علىٰ ما يحبُّون وما يكرهون ، السَّائحون ، وفسِّرت السِّياحة بالصِّيام ، وفسِّرت بالَّسفر في طلب العلم ، وفسِّرت بالجهاد ، وفسِّرت بدوام الطَّاعة . والتَّحقيق فيها أنَّها سياحة القلب في ذكر الله ومحبَّته ، والإنابة إليه ، والشَّوق إلىٰ لقائه ، ويترتَّب عليها كلّ ما ذكر من الأفعال ، ولذلك وصف الله سبحانه نساء النَّبي صلىٰ الله عليه وسلَّم اللاتي لو طلق أزواجه بدَّله بهنَّ بأنهنَّ سائحات ، وليست سياحتهنَّ جهاداً ولا سفراً في طلب علم ولا إدامة صيام ، وإنَّما هي سياحة قلوبهنَّ في محبَّة الله تعالىٰ وخشيته والإنابة إليه وذكره " .

وروىٰ التِّرمذي (٤/ ٢١٤ برقم ٢٤٥٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ) ، الحاكم في " المستدرك علىٰ الصَّحيحين " (٤/ ٣٤٣ برقم ٧٨٥١ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الذهبي) ، أبو نعيم في " صفة الجنَّة" (ص٧٠ برقم ٤٧) ، البيهقي في " شعب الإيمان" (١٣/ ١٥٠ برقم ١٠٠٩٢) ، البغوي في " شرح السنَّة" (١٤/ ٣٧١) ، عبد بن حميد في " المسند" (ص٤٢٥ برقم ١٤٦٠) بسندهم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّة " .

قال الإمام علي القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح "(٨/ ٣٣٥١) : " قَالَ الطِّيبِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ -: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِسَالِكِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَلَى طَرِيقِهِ، وَالنَّفْسُ

وَأَمَانِيهِ الْكَاذِبَةُ أَعْوَانُهُ، فَإِنْ تَيَقَّظَ فِي مَسِيرِهِ، وَأَخْلَصَ النِّيَّةَ فِي عَمَلِهِ أَمِنَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَجُنْدِهِ، وَمَنْ قَطَعَ الطَّرِيقَ بِأَعْوَانِهِ ثُمَّ أُرْشِدَ إِلَى أَنَّ سُلُوكَ طَرِيقِ الْآخِرَةِ صَعْبٌ، وَتَحْصِيلَ الْآخِرَةِ مُتَعَسِّرٌ، لَا يَحْصُلُ بِأَدْنَى سَعْيٍ فَقَالَ: (" أَلَا ") بِالتَّخْفِيفِ لِلتَّنْبِيهِ (" إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ ") أَيْ: مَتَاعَهُ مِنْ نَعِيمِ الجَنَّة الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِالْحُسْنَى وَزِيَادَةٍ (" غَالِيَةٌ ") بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ، أَيْ: رَفِيعَةُ الْقَدْرِ (" أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ ") أَيِ: الْغَالِيَةَ (" الجَنَّة ") أَيِ: الْعَالِيَةُ، وَالْمَعْنَى: ثَمَنُهَا الْأَعْمَالُ الْبَاقِيَةُ الْمُشَارُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: **﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾** [الكهف: ٤٦] وَالْمُومَأُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ عَزَّ وَعَلَا: **﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾** [التوبة: ١١١] .

ورحم الله ابن القيِّم القائل في " القصيدة النُّونيَّة " (ص٣٥٤) :

يا سلعة الرَّحمن لست رخيصة	بل أنت غالية على الكسلان
يا سلعة الرَّحمن ليس ينالها	في الألف إلَّا واحد لا اثنان
يا سلعة الرَّحمن ماذا كفؤها	إلَّا أولو التَّقوى مع الإيمان
يا سلعة الرَّحمن سوقك كاسد	بين الأراذل سلفة الحيوان
يا سلعة الرَّحمن أين المشتري	فلقد عرضت بأيسر الأثمان
يا سلعة الرَّحمن هل من خاطب	فالمهر قبل الموت ذو إمكان
يا سلعة الرَّحمن كيف تصبَّر الـ	ـخُطَّاب عنك وهم ذوو إيمان
يا سلعة الرَّحمن لولا أنَّها	حجبت بكلِّ مكاره الإنسان
ما كان عنها قط من متخلِّف	وتعطَّلت دار الجزاء الثَّاني
لكنَّها حُجبت بكلِّ كريهة	ليصدَّ عنها المبطل المتواني
وتنالها الهمم التي تسمو إلى	ربِّ العلى بمشيئة الرَّحمن
فاتعب ليوم معـــــادك الأدنى تجد	راحاته يوم المعــــــــاد الثَّاني

فليشمِّر المشمِّرون عن سواعد الجد للفوز بجنَّة عرضها السَّموات والأرض ،...................

قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " (ص٦-٧) : " ولمَّا علم الموافقون ما خلقوا له وما أُريد بإيجادهم ، رفعوا رؤوسهم ، فإذا عَلَم الجَنَّة قد رفع لهم ، فشمَّروا إليه ، وإذا صراطها

المستقيم قد وضح لهم ، فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغُبن بيع ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطَرَ علىٰ قلب بشر في أبد لا يزول ، ولا ينفذ بصبابة عيش ، إنَّما هو كأضغاث أحلام أو كطيف زار في المنام مشوب بالنّغص ، ممزوج بالغَصص ، إن أضحك قليلاً أبكىٰ كثيراً ، وإن سرَّ يوماً أحزن شهوراً ، آلامه تزيد علىٰ لذَّاته ، وأحزانه أضعاف مسرَّاته ، وله مخاوف ، وآخره متآلف .

فيا عجباً من سفيه في صورة حليم ، ومعتوه في مسلاخ عاقل ، آثر الحظَّ الفاني الخسيس ، علىٰ الحظِّ الباقي النَّفيس ، وباع جنَّة عرضها السَّماوات والأرض ، بسجن ضيِّق بين أرباب العاهات ، والبليَّات ، ومساكن طيِّبة في جنَّات عدن تجري من تحتها الأنهار ، بأعطان ضيِّقة آخرها الخراب والبوار ، وأبكاراً عرباً أتراباً كأنهنَّ الياقوت والمرجان ، بقذرات دنسات سيِّئآت الأخلاق مسافحات أو متَّخذات أخدان ، وحوراً مقصورات في الخيام ، بخبيثات مسيَّبات بين الأنام ، وأنهاراً من خمر لذَّة للشَّاربين ، بشراب نجس مُذْهِبٍ للعقل مفسدٍ للدُّنيا والدِّين ، ولذَّة النَّظر إلىٰ وجه العزيز الرَّحيم ، بالتَّمتُّع برؤية الوجه القبيح الذَّميم ، وسماع الخطاب من الرَّحمن بسماع المعازف والغناء والألحان ، والجلوس علىٰ منابر اللؤلؤ والياقوت والزَّبرجد يوم المزيد ، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كلِّ شيطان مريد ، ونداء المنادي يا أهل الجَنَّة إنَّ لكم أن تنعموا فلا تيأسوا ، وتحيوا فلا تموتوا ، وتقيموا فلا تظعنوا ، وتشبّوا فلا تهرموا ، بغناء المغنِّين :

وقف الهوىٰ بي حيث أنت فليس لي ... متأخّر عنه ولا متقــــــــــدّم
أجد الملامــــــــة في هواك لذيذة ... حبّاً لذكرك فليلمنــــــــــي اللوَّم

وإنَّما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة ، وإنَّما يتبيَّن سفه بائعه يوم الحسر والنَّدامة ، إذا حُشر المتَّقون إلىٰ الرَّحمن وفدا ، وسِيِّق المجرمون إلىٰ جهنَّم وردا ، ونادىٰ المنادي علىٰ رؤوس الأشهاد ليعلمنَّ أهل الموقف من أولي بالكرم من بين العباد ، فلو توهَّم المتخلِّف عن هذه الرِّفقة ما أعدَّ الله لهم من الإكرام ، وادَّخر لهم من الفضل والإنعام ، وما أخفىٰ لهم من قرَّة أعين لم يقع علىٰ مثلها بصر ولا سمعته أذن ولا خطر علىٰ قلب بشر ، لعلم أيَّ بضاعة أضاع ، وأنَّه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم

أنَّ القوم قد توسَّطوا مُلكاً كبيراً لا تعترية الآفات ، ولا يلحقه الزَّوال ، وفازوا بالنَّعيم المقيم في جِوار الكبير المتعال.

فهم في روضات الجَنَّة يتقلَّبون ، وعلىٰ أسرَّتها تحت الحِجال يجلسون ، وعلىٰ الفُرُش التي بطائنها من إستبرق يتَّكئون ، وبالحور العين يتنعَّمون ، وبأنواع الثِّمار يتفكَّهون ، يطوف عليهم وِلدان مخلَّدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدَّعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة ممَّا يتخيَّرون ، ولحم طير ممَّا يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين وأنتم فيها خالدون ، تالله لقد نُودي عليها في سوق الكساد ، فما قلب ولا أسنام إلَّا أفراد من العباد ، فواعجباً لها كيف نام طالبها ، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ، وكيف طاب العيش في هذه الدَّار بعد سماع أخبارها ، وكيف قرَّ للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها ، وكيف قرَّت دونها أعين المشتاقين ، وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين ، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين ، وبأيِّ شيء تعوَّضت عنها نفوس المُعرضين" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُمُ العَشَرَةُ المُبَشَّرُوْنَ بِالجَنَّة ؟

الجواب :

الأَوَّلُ : عَبْد اللهِّ بْن أَبِي قحافة أبو بكر الصديق رضي الله عَنْهُ، وهو عتيق بْن عثمان بْن عامر بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تيم بنْ مُرَّة ابن كَعْب بْن لؤي بْن غَالِب الْقُرَشِيّ ثم التيمي :

الثَّانِيْ : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بن نُفَيْلَ بْنَ عَبْدِ الْعُزَّىٰ بْنِ رِيَاحِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ قُرْطِ بْنِ رَزَّاحِ بْنِ عدي بْن كعب .

الثَّالِثُ : عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ .

الرَّابِعُ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ .

الخَامِسُ : الزبير بن العوَّام بن خُوَيْلِد بن أسد بْنِ عَبْدِ العزَّىٰ بْنِ قُصَيٍّ .

السَّادِسُ : طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهَّ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّة .

السَّابِعُ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ .

الثَّامِنُ : سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ .

التَّاسِعُ : سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ بْنِ رِيَاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطِ بْنِ رَزَاحِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ .

العَاشِرُ : أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَاسْمُهُ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ بْنِ هِلَالِ بْنِ أُهَيْبِ بْنِ ضَبَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ .

روىٰ ابن حبَّان في " الصَّحيح" (١٥/ ٤٦٣ برقم ٧٠٠٢) بسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَابْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الجنة" . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، ورجاله ثقات رجال الشيخين، غير عبد العزيز بن محمد – وهو الدراوردي – فقد روىٰ له البخاري تعليقا ومقرونا، واحتج به مسلم والباقون. وأخرجه أحمد في "المسند" ١/ ١٩٣، و"الفضائل" "٢٧٨"، والترمذي "٣٧٤٧" في المناقب: باب مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، والنسائي في "الفضائل" "٩١"، والبغوي "٣٩٢٥" عن قتيبة بن سعيد، بهذا الإسناد. وأخرجه البغوي "٣٩٢٦" من طريق يحيىٰ الحماني، عن عبد العزيز بن محمد، به " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُمُ الَّذِيْنَ بَشَّرَهُم الرَّسول بِالجَنَّة مِنْ غَيْرِ العَشَرَةِ المَشْهُوْرِيْن ؟

الجواب : .... ، ومنهم :

الأَوَّلُ : أَبُو الدَّحْدَاحِ الأَنْصَارِيّ :

روىٰ مسلم (٢/ ٦٦٥ برقم ٩٦٥) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ ابْنِ الدَّحْدَاحِ: ثُمَّ أُتِيَ بِفَرَسٍ عُرْيٍ فَعَقَلَهُ رَجُلٌ فَرَكِبَهُ، فَجَعَلَ يَتَوَقَّصُ بِهِ، وَنَحْنُ نَتَّبِعُهُ، نَسْعَىٰ خَلْفَهُ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَمْ مِنْ عِذْقٍ مُعَلَّقٍ – أَوْ مُدَلًّى – فِي الجَنَّة لِابْنِ الدَّحْدَاحِ» أَوْ قَالَ شُعْبَةُ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ " .

الثَّانِيْ : آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِم بنْ عُبَيْدِ الدَّيَّانِ بِن الوَلِيْد :

روىٰ الحاكم في "المستدرك علىٰ الصَّحيحين" (٣/ ٢٠٥ برقم ٤٨٥٣، قال الذَّهبي: علىٰ شرط البخاري ومسلم) بسنده عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا أُبَشِّرُكِ، أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " سَيِّدَاتُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّة أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَآسِيَةُ " .

الثَّالِثُ : أصيرم، واسمه: عمرو بْن ثابت بْن وقش بْن زغبة بْن زعوراء بْن عبد الأشهل بْن جشم بْن الحارث بْن الخزرج بْن عمرو بْن مالك بْن الأوس الأنصاري الأوسي الأشهلي :

روىٰ البخاري (٤/ ٢٠ برقم ٢٨٠٨) بسنده عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: «أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ» ، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ، فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا" .

ورواه مسلم (٣/ ١٥٠٩ برقم ١٩٠٠) بسنده عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّبِيتِ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح وحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَنَابٍ الْمِصِّيصِيُّ، حَدَّثَنَا عِيسَىٰ يَعْنِي ابْنَ يُونُسَ، عَنْ زَكَرِيَّا، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّبِيتِ قَبِيلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَمِلَ هَذَا يَسِيرًا، وَأُجِرَ كَثِيرًا "
.

قال الإمام القسطلاني في " إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري " (٥/ ٤٧) : " قال الحافظ ابن حجر: لم أعرف اسمه ، لكنَّه أنصاري أوسي من بني النبيت بنون مفتوحة فموحدة مكسورة فتحتيَّة ساكنة ففوقيَّة ، كما في مسلم، ولولا ذلك لأمكن تفسيره بعمرو بن ثابت بن وقش بفتح الواو والقاف بعدها معجمة ، وهو المعروف بأصيرم بني عبد الأشهل ، فإن بني عبد الأشهل بطن من الأنصار من الأوس وهم غير بني النبيت، ويمكن أن يحمل علىٰ أنَّ له في بني النبيت نسبة ، فإنَّهم إخوة بني عبد الأشهل يجمعهم الانتساب إلىٰ الأوس."

وروىٰ أحمد في " المسند" (٣٩/ ٤١ برقم٢٣٦٣٤) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ يَقُولُ: حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ سَأَلُوهُ: مَنْ هُوَ؟ فَيَقُولُ: أُصَيْرِمُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ، قَالَ الْحُصَيْنُ: فَقُلْتُ لِمَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ: كَيْفَ كَانَ شَأْنُ الْأُصَيْرِمِ؟ قَالَ: كَانَ يَأْبَىٰ الْإِسْلَامَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ أُحُدٍ بَدَا لَهُ الْإِسْلَامُ فَأَسْلَمَ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَغَدَا حَتَّىٰ أَتَىٰ الْقَوْمَ فَدَخَلَ فِي عُرْضِ النَّاسِ، فَقَاتَلَ حَتَّىٰ أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ، قَالَ: فَبَيْنَمَا رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ قَتْلَاهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ إِذَا هُمْ بِهِ، فَقَالُوا: وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَلْأُصَيْرِمُ، وَمَا جَاءَ؟ لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لَمُنْكِرٌ لِهَذَا الْحَدِيثَ، فَسَأَلُوهُ مَا جَاءَ بِهِ؟ قَالُوا: مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو، أَحَدَبًا عَلَىٰ قَوْمِكَ، أَوْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: بَلْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَسْلَمْتُ، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي فَغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ فَقَاتَلْتُ

حَتَّىٰ أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي، قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ " . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن. وهو في "السيرة النبوية" لابن هشام ٢/ ٩٠ عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن الأثير في "أسد الغابة" ٤/ ٢٠٢ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، به " .

الرَّابِعُ : أُم زفر الحَبَشِيَّة السَّوْدَاء الطَّوِيْلَة :

روىٰ البخاري (٧/ ١١٦ برقم ٥٦٥٢) بسنده عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ: «أَنَّهُ رَأَىٰ أُمَّ زُفَرَ تِلْكَ امْرَأَةً طَوِيلَةً سَوْدَاءَ، عَلَىٰ سِتْرِ الكَعْبَةِ " .

الخَامِسُ : بِلالُ بْنُ رَبَاحٍ مَوْلَى أبي بكر ويكنى أبا عبد الله ، ويقال : أَبُو عَبْد الكريم ويقال أيضا: أَبُو عَمْرو:

روىٰ البخاري (٢/ ٥٣ برقم ١١٤٩) ، مسلم (٤/ ١٩١٠ برقم ٢٤٥٨) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبِلاَلٍ: «عِنْدَ صَلاَةِ الفَجْرِ يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَىٰ عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَىٰ عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ " قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «دَفَّ نَعْلَيْكَ يَعْنِي تَحْرِيكَ " .

الخَامِسُ : ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسِ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ.

السَّادِسُ: ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ :

روىٰ أحمد في " المسند " (١٩/ ٣٩١ برقم ١٢٣٩٩) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾** [الحجرات: ٢] إِلَىٰ قَوْلِهِ : **﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾** [الزمر: ٥٥] ، وَكَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ رَفِيعَ الصَّوْتِ، فَقَالَ: أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَرْفَعُ صَوْتِي عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَبِطَ عَمَلِي، أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَجَلَسَ فِي أَهْلِهِ حَزِينًا، فَتَفَقَّدَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَيْهِ، فَقَالُوا لَهُ: تَفَقَّدَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَكَ؟ فَقَالَ: أَنَا الَّذِي أَرْفَعُ

صَوْتِي فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ، وَأَجْهَرُ بِالْقَوْلِ حَبِطَ عَمَلِي، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ، فَقَالَ: " لَا، بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة " قَالَ أَنَسٌ: " وَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْيَمَامَةِ كَانَ فِينَا بَعْضُ الِانْكِشَافِ، فَجَاءَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَقَدْ تَحَنَّطَ وَلَبِسَ كَفَنَهُ، فَقَالَ: بِئْسَمَا تُعَوِّدُونَ أَقْرَانَكُمْ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم. وأخرجه عبد بن حميد (١٢٠٩) ، وأبو عوانة ١/ ٦٩، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٦/ ٣٥٤ من طريق هاشم بن القاسم، بهذا الإسناد. وأخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" (٥٥٧) ، ومسلم (١١٩) (١٨٨) ، وأبو يعلىٰ (٣٣٣١) ، وابن حبان (٧١٦٨) من طرق عن سليمان بن المغيرة، به. وأخرجه مسلم (١١٩) (١٨٨) ، وأبو يعلىٰ (٣٤٢٧) ، والواحدي في "أسباب النزول" ص٢٥٨ من طريق جعفر بن سليمان، ومسلم (١١٩) (١٨٨) ، والنسائي في "الكبرىٰ" (٨٢٢٧) و (١١٥١٣) ، وأبو يعلىٰ (٣٣٨١) ، وابن حبان (٧١٦٩) من طريق سليمان التيمي، كلاهما عن ثابت، به. وأخرجه البخاري (٣٦١٣) و (٤٨٤٦) ، وأبو عوانة ١/ ٦٩، والبغوي (٣٩٩٦) ، وابن الأثير في "أسد الغابة" ١/ ٢٧٥ من طريق أزهر بن سعد، والإسماعيلي في "مستخرجه" -كما في "الفتح" ٦/ ٦٢٠ -من طريق ابن المبارك، كلاهما عن ابن عون، قال: أخبرني موسىٰ بن أنس، عن أبيه أنس. وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١٣٠٩) من طريق أزهر بن سعد، عن ابن عون، عن ثمامة بن عبد الله، عن أنس. وابن عون: هو عبد الله، وهو من الثقات المكثرين، فلا يبعد أن يكون عنده علىٰ الوجهين. وأخرجه البخاري (٢٨٤٥) من طريق ابن عون، عن موسىٰ بن أنس، عن أنس -بقصة التحنط فقط. وسيأتي الحديث من طريق ثابت البناني برقم (١٢٤٨٠) و (١٤٠٦٠) . وفي الباب عن ثابت بن قيس نفسه، أخرجه ابن حبان (٧١٦٧) . قوله: "رفيع الصوت"، قال السندي: أي: جهيره طبعاً، وكان خطيب الأنصار، وجاء أنه خطب مقدم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، فقال: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا، فما لنا؟ قال: "الجنة". قالوا: رضينا. ويقال له: خطيب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضاً. "حبط"، أي: ضلَّ وبطل " .

السَّابِعُ : جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَاسْمُ أَبِي طَالِبٍ: عَبْدُ مَنَافِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ:

روىٰ ابن حبَّان في " الصَّحيح" (١٥/ ٥٢١ برقم ٧٠٤٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُرِيْتُ جَعْفَرَاً مَلَكَاً يَطِيْرُ بِجَنَاحَيْهِ فِي الجَنَّة" . قال الأرنؤوط : " "حديث صحيح، يحيىٰ بن نصر بن حاجب روىٰ عنه جمع، ووثقه المؤلف ٩/ ٢٥٤، وقال ابن عدي في "الكامل" ٧/ ٢٧٠٢ وقد روىٰ له أحاديث حسنة: أرجو أنه لا بأس به، وقال أبو زرعة فيما نقله عنه أبي حاتم ٩/ ١٩٣: ليس بشيء له ترجمة في "تاريخ بغداد" ١٤/ ١٥٩ - ١٦٠، وأبو نصر بن حاجب، قال أبو حاتم وغيره: صالح الحديث، وقال أبو داود: ليس بشيء، وقال ابن معين: ثقة، وروىٰ عباس عن ابن معين أنه قال: ليس بشيء. مترجم في"تاريخ بغداد" ١٣/ ٢٧٧ - ٢٧٨، وباقي رجاله ثقات.ر وأخرجه الترمذي "٣٧٦٣" في المناقب: باب مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، عن علي بن حجر السعدي، والحاكم ٣/ ٢٠٩ من طريق علي بن عبد الله بن جعفر المديني، كلاهما عن عبد الله بن جعفر والد علي، عن العلاء بن عبد الرحمن، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: حديث غريب من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن جعفر، وقد ضعفه يحيىٰ بن معين وغيره، وصحح إسناده الحاكم، فتعقبه الذهبي بقوله: المديني "أي: عبد الله بن جعفر" واه. وأخرجه الحاكم ٣/ ٢١٢ من طريق حماد بن سلمة، عن عبد الله بن المختار، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: "مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم". وصححه علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وفي الباب عن ابن عباس عند الطبراني "١٤٦٦"و"١٤٦٧"، والحاكم ٣/ ٢٠٩. وعن البراء عند الحاكم ٣/ ٤٠، وعن علي عند ابن سعد ٤/ ٣٩. وعن

ابن عمر عند البخاري "٣٧٠٩" و"٤٢٩٤"، والنسائي في "الفضائل" "٥٥"، والطبراني "١٤٧٤" أنه كان إذا سلم على عبد الله بن جعفر، قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين " .

وروى الطَّبراني في " المعجم الكبير" (٢/ ١٠٧ برقم ١٤٦٦) ، الحاكم في " المستدرك على الصَّحيحين " (٣/ ٢١٧ برقم ٤٨٩٠ ، وقال : صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ) ،الضِّياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١١/ ٤٠٧ برقم ٤٣١) بسندهم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ الْبَارِحَةَ، فَنَظَرْتُ فِيهَا، وَإِذَا جَعْفَرٌ، يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ» . قال الدمياطي في " المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح" (١/ ٣٧٩) : " رواه الطبراني بإسناد حسن " .

الثَّامِنُ : حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ مالك بْن عدي بْنِ عَامِرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ النَّجَّار :

روى البخاري (١/ ٣١٠ برقم ٢٨٠٩) بسنده عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ البَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى " .

التَّاسِعُ : حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْيَمَانِ بْنِ جَرْوَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَازِنِ بْنِ قَطِيعَةَ بْنِ عَبْسِ بْنِ بُغَيْضِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ غَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ :

روى مسلم (٣/ ١٤١٤ برقم ١٧٨٨) بسنده عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي

رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ " .

العَاشِرُ وَالحَادِيْ عَشَر : الحَسَن وَالحُسَيْن ابْنَي بْن عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبِ بْن عَبد المطلب بْن هاشم الهاشِمِيّ :

روىٰ أحمد في " المسند" (١٧/ ٣١ برقم ١٠٩٩٩) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّة " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير يزيد بن مردانبة، فقد أخرج له النسائي، وهو ثقة. محمد بن عبد الله الزبيري: هو أبو أحمد، وابن أبي نُعْم: هو عبد الرحمن البجلي. وأخرجه النسائي في "الكبرىٰ" (٨٥٢٥) ، والطبراني في "الكبير" (٢٦١١) ، وأبو نعيم في "أخبار أصبهان " ٢/ ٣٤٣، والخطيب في "تاريخه" ١١/ ٩٠ من طريق الفضل بن دكين، عن يزيد بن مردانبة، بهذا الإسناد. وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٢٦١٤) من طريق عطاء بن يسار، والطبراني أيضاً (٢٦١٥) ، والخطيب في "تاريخه" ٩/ ٢٣١ من طريق عطية العوفي، كلاهما عن أبي سعيد، به. وأخرجه النسائي في "الكبرىٰ" (٨١٦٩) و (٨٥٢٨) ، والفسوي في "المعرفة والتاريخ" ٢/ ٦٤٤، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (١٩٦٧) ، وابن حبان (٦٩٥٩) ، والطبراني في "الكبير" (٢٦١٠) ، والحاكم في "المستدرك" ٣/ ١٦٦-١٦٧، وأبو نعيم في "الحلية" ٥/ ٧١، والخطيب في "تاريخه" ٤/ ٢٠٧ من طريق الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نُعْم، عن أبيه، به. وفيه زيادة: "إلا ابني الخالة: عيسىٰ ابن مريم، ويحيىٰ بن زكريا". قال الحاكم: هذا حديث قد صح من أوجه كثيرة، وأنا أتعجب أنهما لم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله: الحكم فيه لين. قلنا: الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نُعْم، وثقه الفسوي، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وضعفه ابن معين، فهو حسن الحديث. وسيرد بالأرقام (١١٥٩٤) و (١١٦١٨) و (١١٧٧٧) . وفي الباب عن حذيفة بن اليمان، سيرد ٥/ ٣٩١-٣٩٢ وإسناده صحيح. وعن عبد الله بن مسعود عند الحاكم ٣/ ١٦٧ وصححه، ووافقه الذهبي. وعن قرة بن إياس، عند الطبراني في "الكبير" (٢٦١٧) ، وإسناده صحيح. وعن البراء بن عازب، أورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٩/ ١٨٤، وقال: رواه الطبراني، وإسناده حسن. وعن علي بن أبي طالب عند الطبراني في "الكبير" (٢٥٩٩) ، و (٢٦٠٠) و (٢٦٠١) ، والخطيب في "تاريخه" ١/ ١٤٠ و٢/ ١٨٥، وإسناده ضعيف. وعن أبي هريرة عند النسائي في "الكبرىٰ" (٨٥١٥) ، والطبراني في "الكبير" (٢٦٠٤) و (٢٦٠٥) ، وإسناده ضعيف. وعن جابر بن عبد الله عند الطبراني في "الكبير" (٢٦١٦) ، وإسناده ضعيف. وعن مالك بن الحويرث عند الطبراني في "الكبير" ١٩/ (٦٥٠) ، وإسناده ضعيف. وعن ابن عمر عند ابن ماجه (١١٨) ، والحاكم ٣/ ١٦٧، وإسناده ضعيف. قال السندي: قوله: "سيدا شباب أهل الجنة" بفتح الشين، جمع شاب، ويطلق علىٰ خلاف المشيب، والمراد الأول. وتخصيص الشباب مع فضلهما علىٰ كثيرٍ ممن مات شيخاً لبيان موتهما شابين، أي إنهما فيمن مات شاباً من أهل الجنة، أي: في نوعهما سيدان. والمراد بمن مات شاباً منْ مات قبل أن يطعن في سن الشيخوخة، فشمل من مات كهلاً، فلا إشكال بما قيل: إنهما ماتا كهلين. وقيل: المراد بقوله: سيدا شباب أهل الجنة، أنهما سيدا أهل الجنة، لأن أهل الجَنَّة كلهم في سن الشباب، ولا بد حينئذٍ من التخصيص بما عدا الأنبياء والخلفاء. قلت (القائل السندي) : لا يبقىٰ حينئذٍ فائدة في ذكر الشباب، بل الظاهر حينئذ سيد أهل الجنة. وقيل: يمكن أن يراد: هما الآن سيدا شباب هم من أهل الجَنَّة من شباب هذا الزمان. ثم قال السندي: لعل أباهما حينئذٍ كان شاباً، وهما كانا صغيرين، فليتأمل " .

الثَّانِيْ عَشَر : حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلَ بْنَ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ رِيَاحِ بْنِ عَبْدِ اللهِّ بْنِ قُرْطِ بْنِ رَزَّاحِ بْنِ عدي بن كعب بن لؤي :

روى الطَّبراني في " المعجم الأوسط " (٤/ ١٤٢ برقم ٣٨٢١) بسنده عَنْ أَنَسٍ قَالَ: طَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَفْصَةَ، فاغْتَمَّ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ، وَدَخَلَ عَلَيْهَا خَالُهَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَأَخُوهُ قُدَامَةُ، فَبَيْنَمَا هُمَا عِنْدَهَا، وَهُمْ مُغْتَمِّينَ، إِذْ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَفْصَةَ، فَقَالَ: «يَا حَفْصَةُ، أَتَانِي جِبْرِيلُ آنِفًا، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: رَاجِعْ حَفْصَةَ، فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَهِيَ زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ» . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٩/ ٢٤٥ برقم ١٥٣٣٤) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ " .

الثَّالِثُ عَشَر : خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ :

روى البخاري (٥/ ٣٩ برقم ٣٨٢٠) ، مسلم (٤/ ١٨٨٧ برقم ٢٤٣٢) بسندهما ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ " .

روى الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (٢/ ٣٥٧ برقم ٢٢٢١) بسنده عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَشِّرْ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ» . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٩/ ٢٢٤ برقم ١٥٢٧٨) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَمِينَةَ، وَقَدْ وَثَّقَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ" .

الرَّابِعُ عَشَر : الرُّمَيْصَاء بِنْتُ ملْحَان أُم سليم الْأَنْصَارِيَّة امْرَأَة أبي طَلْحَة الْأَنْصَارِيّ وَالِدَة أَنَس بنْ مَالِك :

روى البخاري (٥/ ١٠ برقم ٣٦٧٩) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلاَلٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ " فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ.

الخَامِسُ عَشَر : زَيد بْن حارثة بْن شَراحِيل بْن عَبد العُزَّى. مَولَى النَّبيِّ صَلى اللهُ عَلَيه وسَلم ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَمْرِو بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ مَالِكِ الْأَغَرِّ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ :

روى أحمد في "المسند " (٣٧/ ٢٤٤ برقم ٢٢٥٥١) بسنده عَنْ أَبِي قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشَ الْأُمَرَاءِ وَقَالَ: " عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ،

فجَعْفَرٌ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ " فَوَثَبَ جَعْفَرٌ فقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللهِ وَأُمِّي مَا كُنْتُ أَرْهَبُ أَنْ تَسْتَعْمِلَ عَلَيَّ زَيْدًا قَالَ: " امْضُوا، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ ". قَالَ: فَانْطَلَقَ الْجَيْشُ فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نَابَ خَبرٌ، أَوْ ثَابَ خَبَرٌ، شَكَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا حَتَّى لَقُوا الْعَدُوَّ، فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ". فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ، " ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى أُصِيبَ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأُمَرَاءِ هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ ". فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُصْبُعَيْهِ وَقَالَ: " اللهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ فَانْصُرْهُ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَرَّةً: فَانْتَصِرْ بِهِ ". فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ خَالِدٌ سَيْفَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " انْفِرُوا، فَأَمِدُّوا إِخْوَانَكُمْ، وَلَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ " فَنفَرَ النَّاسُ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ مُشَاةً وَرُكْبَانًا " .

قال الأرنؤوط : " صحيح لغيره، وهذا إسناد جيد من أجل خالد بن سُمير، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح. وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٨٢٤٩) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن سعد ٣/ ٤٦-٤٧، وابن أبي شيبة ١٤/ ٥١٢، والدارمي (٢٤٤٨) ، والنسائي (٨١٥٩) و (٨٢٨٢) ، والطحاوي في "شرح المشكل" (٥١٧٠) ، وابن حبان (٧٠٤٨) ، والبيهقي في "الدلائل" ٤/ ٣٦٧-٣٦٨ من طرق عن الأسود بن شيبان، به. ورواية ابن أبي شيبة مطولة جداً، وفيها زيادة، ورواية الدارمي مختصرة جداً من أوله، ورواية ابن سعد مختصرة أيضاً. قوله: "ناب خبر" بالنون، أي: نزل. "أو ثاب" بالمثلثة، أي: رجع خبر، والمعنى: وصل خبرُهم " .

السَّادِسُ عَشَر: سلمَان الْفَارِسِي أَبُو عَبْد اللهِّ الأَصْبَهَانِي ، وَهُوَ الَّذِي يُقَال لَهُ سلمَان الخَيْر ، عَمَّارُ بْنُ يَاسِرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ الْحُصَيْنِ بْنِ الْوُذِيمِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَامِرِ الْأَكْبَرِ بْنِ يَامِ بْنِ عَنْسٍ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أُدَدِ بْنَ زَيْدِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ عُرَيْبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَإِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يُعْرِبَ بْنِ قَحْطَانَ :

روى الترمذي (٦/ ١٤١ برقم ٣٧٩٧ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ) ، أبو يعلى في " المسند" (٥/ ١٦٥ برقم ٢٧٨٠) ، أبو بكر الدينوري في " المجالسة وجواهر العلم" (٢/ ١٣٣ برقم ٢٦٧) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الجَنَّة تَشْتَاقُ إِلَى ثَلَاثَةٍ: عَلِيٍّ، وَعَمَّارٍ، وَسَلْمَانَ" . قال الهيثمي في " مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد" (٩/ ٣٤٤ برقم ١٥٨٤٣) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ أَبِي رَبِيعَةَ الْإِيَادِيِّ، وَقَدْ حَسَّنَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثَهُ " .

السَّابِعُ عَشَر: عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ وَأُمُّهَا أُمُّ رُومَانَ بِنْتُ عُمَيْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ دُهْمَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ غَنْمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ :

روى البخاري (٩/ ٥٥ برقم ٧١٠٠) بسنده عَنْ أَبِي مَرْيَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الأَسَدِيُّ، قَالَ: لَمَّا سَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى البَصْرَةِ، بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَدِمَا عَلَيْنَا الكُوفَةَ، فَصَعِدَا المِنْبَرَ، فَكَانَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَوْقَ المِنْبَرِ فِي أَعْلاَهُ، وَقَامَ عَمَّارٌ أَسْفَلَ مِنَ الحَسَنِ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ، فَسَمِعْتُ عَمَّارًا، يَقُولُ: «إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى البَصْرَةِ، وَوَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلاَكُمْ، لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ " .

الثَّامِنُ عَشَر: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ الإِسْرَائِيْلِي:

روى مسلم (٤/ ١٩٣٠ برقم ٢٤٨٣) بسنده عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لِحَيٍّ يَمْشِي، إِنَّهُ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ " .

التَّاسِعُ عَشَر: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ حَرَامِ بْنِ كَعْبِ بْنِ غَنْمِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَلَمَةَ :

روى ابن حبَّان في " الصَّحيح" (١٥/ ٤٩١ برقم ٧٠٢٢) بسنده طَلْحَةَ بْنَ خِرَاشٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ: لَقِيَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: "يَا جابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا"؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتُشْهِدَ أَبِي وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، فَقَالَ: "أَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ"؟ قلت: بلى يا رسول اللَّه، قَالَ: "مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إلا من وراء حجاب، وإن الله أحيى أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ أُعْطِكَ، قَالَ: تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ قَتْلَةً ثَانِيَةً، قَالَ اللَّهُ: إِنِّي قَضَيْتُ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ"، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** [آل عمران:١٦٩] . قال الأرنؤوط : " " إسناده جيد. وأخرجه الترمذي "٣٠١٠" في تفسير القرآن: باب سورة آل عمران، والحاكم ٣/ ٢٠٣ - ٢٠٤ عن يحيى بن حبيب، بهذا الإسناد. وقرن الحاكم بيحيى بن حبيب عبدة بن عبد الله الخزاعي، ولم يسق لفظه بتمامه، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه. وأخرجه ابن ماجه "٢٨٠٠" في الجهاد: باب فضل الشهادة في سبيل الله، وابن أبي عاصم في "السنة" "٦٠٢" عن إبراهيم بن المنذر الحزامي، والواحدي في "أسباب النزول" ص "٨٦"، والبيهقي في "الدلائل" ٣/ ٢٩٨ - ٢٩٩ من طريق علي ابن المديني، كلاهما عن موسى بن إبراهيم الأنصاري، به. وأخرجه بنحوه مختصرا أحمد ٣/ ٣٦١، والحميدي "١٢٦٥"، وأبو يعلى "٢٠٠٢"، وابن جرير الطبري في "جامع البيان" "٨٢١٤" من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر. وله شاهد حسن في الشواهد من حديث عائشة عند البزار "٢٧٠٦"، والحاكم ٣/ ٢٠٣، والبيهقي في "الدلائل" ٣/ ٢٩٨، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي " .

العِشْرُوْن : عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنِ بْنِ حُرْثَانَ بْنِ قَيْسِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَبِيرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ :

روى البخاري (٧/ ١٢٦ برقم ٥٧٠٥) بسنده عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لاَ رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ، فَذَكَرْتُهُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ " ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ القَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَالَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ ".

الحَادِيْ وَالعِشْرُوْن: عَمْرُو بْنُ الجُمُوحِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامٍ السُّلَمِيُّ :

روى أحمد في " المسند" (٣٧/ ٢٤٧ برقم ٢٢٥٥٣) بسنده عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّهُ حَضَرَ ذَلِكَ قَالَ: أَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ؟، وَكَانَتْ رِجْلُهُ عَرْجَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نَعَمْ ". فَقَتَلُوهُ يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ وَمَوْلًى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الجَنَّة ". فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا فَجُعِلُوا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن من أجل حميد بن زياد، وهو –وإن كان من رجال مسلم فيه كلام ينزله عن رتبة الصحيح، وله بعض الأوهام، ومن أوهامه في هذا الحديث قوله: ابن أخيه والصواب أنه ابن عمه من بعيد، وهو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، وعمرو بن الجموح: هو ابن زيد بن حرام الأنصاري، والوهم الثاني الذي وقع فيه هو ذكره لدفن المولى معهما في قبر واحد ولم يتابعه عليه أحد، فالذي في الصحيح أنهما دفنا معاً دون المولى (انظر البخاري ١٣٥١) ، وعليه أهل السير والمغازي كابن إسحاق ومالك والواقدي. انظر دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٩١ و٢٩٣، و"تاريخ المدينة" لعمر ابن شبة ١/ ١٢٨ وباقي رجال الإسناد ثقات. أبو عبد الرحمن المقرئ: هو عبد الله بن يزيد المكي، وحيوة: هو ابن شريح بن صفوان المصري. وأخرجه ابن شبة في "تاريخ المدينة" ١/ ١٢٨– ١٢٩ عن هارون بن معروف، عن عبد الله بن وهب، عن حيوة بن شريح، بهذا الإسناد " .

الثَّانِي والعِشْرُوْن : فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سيِّد الخَلْقِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

روىٰ البخاري (٨/ ٦٤ برقم ٦٢٨٥) بسنده عَنْ مَسْرُوقٍ، حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ جَمِيعًا، لَمْ تُغَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ تَمْشِي، لاَ وَاللهِ مَا تَخْفَىٰ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ قَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا، فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَىٰ حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ، فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ: خَصَّكِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا: عَمَّا سَارَّكِ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ، قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتِنِي، قَالَتْ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرَتْنِي، قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الأَمْرِ الأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أَرَىٰ الأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ» قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَىٰ جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ " .

وروىٰ أحمد في " المسند" (٣٨/ ٣٥٣ برقم ٢٣٣٢٩) بسنده عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: سَأَلَتْنِي أُمِّي: مُنْذُ مَتَىٰ عَهْدُكَ بِالنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَنَالَتْ مِنِّي وَسَبَّتْنِي، قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: دَعِينِي، فَإِنِّي آتِي النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُصَلِّي مَعَهُ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ لَا أَدَعُهُ حَتَّىٰ يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، فَصَلَّىٰ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ الْعِشَاءِ، ثُمَّ انْفَتَلَ فَتَبِعْتُهُ، فَعَرَضَ لَهُ عَارِضٌ فَنَاجَاهُ، ثُمَّ ذَهَبَ فَاتَّبَعْتُهُ فَسَمِعَ صَوْتِي فَقَالَ: " مَنْ هَذَا؟ "، فَقُلْتُ: حُذَيْفَةُ، قَالَ: " مَا لَكَ؟ "، فَحَدَّثْتُهُ بِالْأَمْرِ، فَقَالَ: " غَفَرَ اللهُ لَكَ وَلِأُمِّكَ "، ثُمَّ قَالَ: " أَمَا رَأَيْتَ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي قُبَيْلُ؟ "، قَالَ: قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: " فَهُوَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَهْبِطِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح. إسرائيل: هو ابن يونس السبيعي. وأخرجه تاماً ومختصراً النسائي في "الكبرىٰ" (٣٨١) و (٨٢٩٨) ، والخطيب في "تاريخ بغداد" ٦/ ٣٧٢-٣٧٣ من طريق حسين ابن محمد، بهذا الإسناد. وأخرجه مطولاً ومختصراً ابن أبي شيبة ٢/ ١٩٨ و١٢/ ٩٦، والترمذي (٣٧٨١) ، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٢٩٦٦) ، وابن نصر في "قيام الليل" (٢٦٧) ، والنسائي في "الكبرىٰ" (٨٣٦٥) ، وابن حبان (٦٩٦٠) و (٧١٢٦) ، والطبراني في "الكبير" (٢٦٠٧) ، والقطيعي في زياداته علىٰ "فضائل الصحابة" لأحمد (١٤٠٦) ، والحاكم ٣/ ١٥١ و٣٨١، والبيهقي في "الدلائل" ٧/ ٧٨ من طرق عن إسرائيل، به. وأخرجه مختصراً بقصة فضل فاطمة الحاكم ٣/ ١٥١ من طريق أبي مريم عبد الغفار بن قاسم الأنصاري، عن المنهال بن عَمرو، به. وأخرجه مقطعاً الطبراني في

"الكبير" (٢٦٠٦) و٢٢/ (١٠٠٥) من طريق عدي ابن ثابت، والطبراني في "الكبير" (٢٦٠٨) ، والخطيب في "تاريخ بغداد" ١٠/ ٢٣٠-٢٣١ من طريق عاصم بن أبي النجود، كلاهما عن زر بن حبيش، به. ووقع في رواية عاصم: جبريل، بدل ملك لم ينزل! وسيأتي الحديث بأخصر مما هنا من طريق زر بن حبيش عن حذيفة برقم (٢٣٤٣٦) ، ومن طريق الشعبي عن حذيفة برقم (٢٣٣٣٠) . وأخرج الطبراني في "الكبير" (٢٦٠٩) ، وفي "الأوسط" (٦٢٨٢) من طريق قيس ابن أبي حازم، عن حذيفة قال: بت عند رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرأيت عنده شخصاً فقال لي: "يا حذيفة، هل رأيت؟ " قلت: نعم يا رسول الله، قال: "هذا ملك لم يهبط إلي منذ بُعِثت، أتاني الليلة فبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة". وفي باب قوله: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة" عن أبي سعيد الخدري، سلف برقم (١٠٩٩٩) ، وذُكِرت شواهده هناك. وفي باب قوله: "فاطمة سيدة نساء أهل الجنة" عن ابن عباس، سلف برقم (٢٦٦٨) . وعن فاطمة، سيأتي برقم (٢٦٤١٣) . وعن أبي هريرة عند الطبراني في "الكبير" ٢٢/ (١٠٠٦) " .

الثَّالِثُ والعِشْرُوْن : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ :

روىٰ الحاكم في "المستدرك علىٰ الصَّحيحين" (٣/ ٢٠٥ برقم ٤٨٥٣، قال الذَّهبي: علىٰ شرط البخاري ومسلم) بسنده عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا أُبَشِّرُكِ، أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " سَيِّدَاتُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّة أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَآسِيَةُ " .

الرَّابِعُ وَالعِشْرُوْن والخَامِسُ والعِشْرُوْن : يَاسِرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ الْحُصَيْنِ بْنِ الْوَذِيمِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَامِرِ الأَكْبَرِ بْنِ يَامِ بْنِ عَنْسٍ ، وَهُوَ زَيْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أُدَدِ بْنَ زَيْدِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ عُرَيْبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَإِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يُعْرِبَ بْنِ قَحْطَانَ ، وزَوجَتُهُ سُمَيَّةُ بِنْتُ خُبَّاطٍ مَوْلَاةُ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ ، وَهِيَ أُمُّ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ :

روىٰ الحاكم في " المستدرك علىٰ الصَّحيحين" (٣/ ٤٣٨ برقم ٥٦٦٦ ، وقال : صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، وقال الذهبي : علىٰ شرط مسلم) بسنده عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِعَمَّارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ» صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ هُنَاكَ فِئاتٌ من النَّاسِ بُشِّرُوا بِالجَنَّة ؟

الجواب : نعم ... لقد بشَّر الله تعالىٰ ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جماعات من النَّاس بالجنَّة ...

فمن المبشَّرين بالجنَّة بحسب آيات القرآن العظيم. :

أَوَّلاً : الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ : قال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ كُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً وَلَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥] .

ثَانِياً : الشُّهَدَاءُ : قال تعالى : ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧١] .

وروى أحمد في " المسند" (٣٧/ ١٤٤ برقم ٢٢٤٧٦) بسنده عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: " الَّذِينَ إِنْ يُلْقَوْا فِي الصَّفِّ لَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْغُرَفِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ " . قال الأرنؤوط : " حديث قوي، إسماعيل بن عياش صدوق في رواياته عن الشاميين أهل بلده، وهذا منها، وباقي رجاله ثقات، لكن سقط منه قيس الجذامي بين كثير ابن مرة وبين نعيم بن همار، وقيس صحابي، وهو ثابت في الإسناد كما بينت رواية البخاري في "تاريخه" ٨/ ٩٥، وإسنادها قوي. وهو في "العلل" للمصنِّف ٢/ ٣٠٩-٣١٠. وأخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٢٥٦٦) ، والبخاري في "تاريخه" ٨/ ٩٥، وابن أبي عاصم في "الجهاد" (٢٢٨) ، وفي "الآحاد والمثاني" (١٢٧٧) ، وأبو يعلى (٦٨٥٥) ، والطبراني في "مسند الشاميين" (١١٦٧) ، وابن قانع في "معجم الصحابة" ٣/ ١٥٢، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص٤٧٢-٤٧٣، وابن الأثير في "أسد الغابة" ٥/ ٣٥٠ من طرق عن إسماعيل بن عياش، بهذا الإسناد. وأخرجه الطبراني في "مسند الشاميين" (١١٦٩) من طريق بقية بن الوليد، عن بحير بن سعد، به. وأخرجه بزيادة قيس الجذامي ابن أبي عاصم في "الجهاد" (٢٢٩) ، والطبراني في "مسند الشاميين" (١١٦٨) ، وابن قانع ٣/ ١٥٢ من طريق إسماعيل بن رافع، عن بحير، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن قيس الجذامي، عن نعيم. وإسماعيل بن رافع ضعيف. وأخرجه البخاري في "التاريخ" ٨/ ٩٥ من طريق برد بن سنان، عن سليمان ابن موسى، عن مكحول الشامي، عن كثير بن مرة، عن قيس الجذامي، عن نعيم. وهذا إسناد قوي، برد بن سنان وسليمان بن موسى الأشدق صدوقان لا بأس بهما، وباقي رجاله ثقات " .

ثَالِثَاً : الصَّابِرُوْنَ فِيْ البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاء : قال تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] .

رَابِعَاً : مَنْ بَاعَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ لله تَعَالَى : قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة :١١١] .

خَامِسَاً : أَوْلِيَاءُ اللهِ الْمُتَّقُوْن : قال تعالىٰ : ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللهَّ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهَّ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤] .

سَادِسَاً: الْمُؤمِنُوْنَ الْمُسْتَقِيْمُوْنَ عَلَى مَنْهَجِ اللهِ تَعَالَىٰ: قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهَّ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

ومن الجماعات الْمُبَشَّرين بالجنَّة علىٰ لسان رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أَوَّلاً : أَهْلُ غَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَى : روىٰ البخاري (٤/ ٧٦ برقم ٣٠٨١) بسنده عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، - وَكَانَ عُثْمَانِيًّا فَقَالَ لِابْنِ عَطِيَّةَ: وَكَانَ عَلَوِيًّا - إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا الَّذِي جَرَّأَ صَاحِبَكَ عَلَىٰ الدِّمَاءِ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: بَعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالزُّبَيْرَ، فَقَالَ: «ائْتُوا رَوْضَةَ كَذَا، وَتَجِدُونَ بِهَا امْرَأَةً، أَعْطَاهَا حَاطِبٌ كِتَابًا» ، فَأَتَيْنَا الرَّوْضَةَ: فَقُلْنَا: الكِتَابَ، قَالَتْ: لَمْ يُعْطِنِي، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ أَوْ لَأُجَرِّدَنَّكِ، فَأَخْرَجَتْ مِنْ حُجْزَتِهَا، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ حَاطِبٍ، فَقَالَ: لاَ تَعْجَلْ، وَاللهَّ مَا كَفَرْتُ وَلاَ ازْدَدْتُ لِلْإِسْلاَمِ إِلَّا حُبًّا، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا وَلَهُ بِمَكَّةَ مَنْ يَدْفَعُ اللهَّ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي أَحَدٌ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا، فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ فَإِنَّهُ قَدْ نَافَقَ، فَقَالَ: " مَا يُدْرِيكَ، لَعَلَّ اللهَّ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ "، فَهَذَا الَّذِي جَرَّأَهُ.

ثَانِيَاً : أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَان : قال تعالىٰ : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهَّ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ [الفتح:١٨] .

وروىٰ أحمد في " المسند" (٢٣/ ٩٣ برقم ١٤٧٧٨) بسنده عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم. وأخرجه أبو داود (٤٦٥٣) ، والترمذي (٣٨٦٠) ، والنسائي في "الكبرىٰ" (١١٥٠٨) من طريق قتيبة بن سعيد، وأبو داود (٤٦٥٣) ، وابن حبان (٤٨٠٢) من طريق يزيد بن موهب، كلاهما عن الليث بن سعد، بهذا الإسناد. وأخرج الترمذي (٣٨٦٣) من طريق خداش بن عياش، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ليدخلن الجَنَّة من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر". وخداش لين الحديث، قيل: صاحب الجمل الأحمر: هو الجدُ بن قيس، انظر "تحفة الأحوذي " ٤/ ٣٦٠. وقد سلف قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعبد الذي جاء يشتكي حاطباً: "كذبت لا يدخلها- أي النار- إنه قد شهد بدراً والحديبية" برقم (١٤٤٨٤) " .

وروى أحمد في " المسند" (٢٣/ ٤١٠ برقم ١٥٢٦٢) بسنده عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد حسن. وأخرج ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٣٣٥) من طريق جرير بن حازم، وأبو يعلى (١٩٠٠) من طريق جرير بن عبد الحميد، كلاهما عن الأعمش، بهذا الإسناد: أن عبد حاطب أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشتكي حاطباً، فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار. قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كلاَ إنه شهد بدراً والحديبية " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُمُ الذِيْنَ يَدْخُلُوْنَ الجَنَّة بِغَيْرِ حِسَاب ؟

الجواب : روى البخاري (٧/ ١٢٦ برقم ٥٧٠٥) بسنده عَن ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ " ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ القَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَالَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» .

وروى البخاري (٨/ ١١٤ برقم ٦٥٥٤) ، مسلم (١/ ١٩٨ برقم ٢١٩) بسندهما عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ - لاَ يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيُّهُمَا قَالَ - مُتَمَاسِكُونَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لاَ يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ» .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا المَقْصُوْدُ بِحَثَيَاتِ الرَّبِّ التِيْ وَرَدَتْ فِيْ الحَدِيْث ؟

الجواب : روى أحمد في " المسند" (٣٦/ ٤٧٩ برقم ٢٢١٥٦) بسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ". فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَخْنَسِ السُّلَمِيُّ وَاللهِ مَا أُولَئِكَ فِي أُمَّتِكَ إِلَّا كَالذُّبَابِ الْأَصْهَبِ فِي الذِّبَّانِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَإِنَّ رَبِّي قَدْ وَعَدَنِي سَبْعِينَ أَلْفًا مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَزَادَنِي ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ ". قَالَ: فَمَا سِعَةُ

حَوْضِكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: " كَمَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عُمَانَ وَأَوْسَعَ وَأَوْسَعَ ". يُشِيرُ بِيَدِهِ. قَالَ: " فِيهِ مَثْعَبَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ". قَالَ: فَمَا حَوْضُكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: " مَاءٌ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مَذَاقَةً مِنَ الْعَسَلِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا، وَلَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ أَبَدًا " . قال الأرنؤوط : "صحيح، وهذا إسناد قوي من جهة سليم بن عامر الخبائري، رجاله رجال الصحيح، وأما أبو اليمان الهَوْزني متابع سليم بن عامر -وهو عامر ابن عبد الله بن لُحَيٍّ، أبو اليمان بن أبي عامر الهَوْزني الحمصي- فقد روى له أبو داود في "المراسيل"، يروي عنه صفوان بن عمرو وأبو عبد الرحمن الحُبُلي، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال ابن القطان: لا تعرف له حال. صفوان بن عمرو: هو ابن هَرِم السَّكْسَكي الحِمْصي. وأخرجه تاماً ومقطعاً ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٢٤٧) و (١٢٤٨) ، وفي "السنة" (٧٢٩) و (٥٨٨) ، وابن حبان (٦٤٥٧) و (٧٢٤٦) ، والطبراني في "الكبير" (٧٦٧٢) من طريقين عن صفوان بن عمرو، بهذا الإسناد. وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٧٦٦٥) ، وفي "الشاميين" (١٩٦٨) ، والبيهقي في "البعث والنشور" (١٣٤) من طريق أبي صالح عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن سليم بن عامر وحده، به. وأخرج الطبراني في "الكبير" (٧٥٤٦) ، وفي "الشاميين" (٨٠٢) من طريق مصعب بن سلاَّم، عن عبد الله بن العلاء بن زَبْر، عن أبي سلام الأسود، عن أبي أمامة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "حوضي كما بين عَدَن وعَمَّان، فيه الأكاويبُ عددَ نجوم السماء، مَن شَرِبَ منه لم يَظْمَأ بعده أبداً، وإن ممن يَرِدُ عليه من أمتي الشَّعِثَةُ رؤوسُهم، الدَّنِسَةُ ثيابُهم، لا ينكحون المُتنعِّمات، ولا يحضرون السُّدَدَ -يعني: أبواب السلطان-، الذين يُعْطُونَ كلَّ الذي عليهم، ولا يُعْطَوْنَ كل الذي لهم". وإسناده ضعيف فيه مصعب بن سلام التميمي الكوفي، وهو ضعيف، وقد خالف في روايته الجماعة، والصحيح أنه عن أبي سلام الأسود، عن ثوبان وسيأتي في المسند برقم (٢٢٣٦٧) ، وسيأتي بعض الحديث من طريق محمد ابن زياد الأَلْهاني، عن أبي أمامة برقم (٢٢٣٠٣) وفي باب دخول سبعين ألفاً من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجَنَّة بغير حساب عن أبي هريرة سلف في مسنده برقم (٨٠١٦) ، وعن ابن مسعود سلف أيضاً برقم (٣٨٠٦) ، وذُكِرت شواهده عندهما. وفي باب زياداته مع كل ألفٍ سبعين ألفاً عن ثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسيأتي (٢٢٤١٨) ، وسنده حسن إن كان متصلاً. وعن أبي بكر الصديق، سلف برقم (٢٢) ، وإسناده ضعيف. وعن أبي هريرة سلف أيضاً برقم (٨٧٠٧) ، وأشرنا هناك إلى نكارة هذا الحرف، وقد تبين لنا الآن خطأ ما ذكرناه هناك، فيستدرك من هنا، لكن بقي هناك الإشارة إلى نكارة قوله: "فقلت: أي رَبِّ، إن لم يكن هؤلاءِ مهاجري أمتي ... إلخ" . وفي باب سعة حوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصفة شرابه عن عبد الله بن عمر، سلف في مسنده برقم (٦١٦٢) ، وقد ذكرنا شواهده هناك. وقوله: "المَثْعَب" بالفتح: واحد مثاعب الحياض، وهو مَسيل الماء. وقوله: "الأَصْهَب": هو الذي يعلو لونَه صُهْبَةٌ، وهي الشُّقْرة، أو الحُمْرة في سواد" .

وروى ابن حبَّان في " الصَّحيح" (١٦/ ٢٣١ برقم ٧٢٤٧) بسنده عَنْ عَامِرُ بْنُ زَيْدٍ الْبِكَالِيُّ عَنْ عُتْبَةَ بْنَ عَبْدٍ السُّلَمِيَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ رَبِّي وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي الجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ثُمَّ يُتْبِعُ كُلَّ أَلْفٍ بِسَبْعِينَ أَلْفًا ثُمَّ يَحْثِي بِكَفِّهِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ" فَكَبَّرَ عُمَرُ: فَقَالَ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ السَّبْعِينَ أَلْفًا الْأُوَلَ يُشَفِّعُهُمُ اللهُّ فِي آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ وَأَرْجُو أَنْ يجعل أمتي أدنى الحثوات الأواخر" . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح لغيره. مكحول: هو محمد بن عبد السلام البيروتي، ومحمد بن خلف الداري: هو محمد بن خلف بن طارق بن كيسان الداري، أبو عبد الله الشامي، سكن بيروت. روى عنه أبو داود، وأبو مسهر، وأبو حاتم الرازي، وأبو بكر بن أبي داود، وابن جوصا، وذكره القاضي عبد الجبار الخولاني في "تاريخ داريا"، ومعمر بن يعمر ذكره المؤلف في "ثقاته" ٩/ ١٩٢ وقال:

يغرب، وروىٰ عنه جمع، وقد توبع هو ومحمد بن خلف، وعامر بن زيد البكالي ذكره المؤلف في "الثقات" ٥/ ١٩١، وقال: يروي عن عتبة بن عبد، وروىٰ عنه أبو سلام، ويحيىٰ بن أبي كثير، عداده في أهل الشام. وأخرجه الطبراني في "الكبير" ١٧/ "٣١٢"، و "الأوسط" "٤٠٤"، والفسوي في "المعرفة والتاريخ" ٢/ ٣٤١-٣٤٢، والبيهقي في "البعث" "٢٧٤"، من طريق أبي توبة الربيع بن نافع، حدثنا معاوية بن سلام، بهذا الإسناد. وأخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في "الرد علىٰ بشر المريسي" ص ٣٩٥ عن أبي توبة الربيع بن نافع، به. وأخرجه الدارمي ص ٣٩٥، والطبراني في "الكبير" ٢٢/ "٧٧١"، وفي "الأوسط" "٤٠٦"، وأبو أحمد الحاكم فيما قاله الحافظ في "الإصابة" ٤/ ٨٩، وابن الأثير في "أسد الغابة" ٦/ ١٣٧-١٣٨ من طرق عن أبي توبة الربيع بن نافع، عن معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام، عن أبي سلام، عن عبد الله بن عامر اليحصبي، عن قيس بن الحارث الكندي، عن أبي سعد الخير الأنماري، وهذا سند صحيح رجاله رجال الصحيح غير قيس بن الحارث، فقد روىٰ له أبو داود والنسائي، وهو ثقة. وحديث أبي أمامة المتقدم يشهد له. وذكر ابن كثير في "النهاية" ٢/ ٢٩، وقال: قال الضياء: لا أعلم لهذا الإسناد علة. وذكره الهيثمي في "المجمع" ١٠/ ٤٠٩ و٤١٤، قال: رواه الطبراني في "الأوسط" و"الكبير" من طريق عامر بن زيد البكالي، وقد ذكره ابن أبي حاتم، ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات" .

قال الإمام البيهقي في " الأسماء والصِّفات" (٢/ ١٥٦) : " أَمَّا الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُفَسِّرُوا مَا كَتَبْنَا مِنَ الْآيَتَيْنِ وَالْأَخْبَارِ فِي هَذَا الْبَابِ مَعَ اعْتِقَادِهِمْ بِأَجْمَعِهِمْ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَاحِدٌ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّبْعِيضُ" .

وقال الإمام ابن الجوزي في " : دفع شُبَه التَّشبيه بأكفِّ التَّنزيه " (ص٢٧٠) : " الحثية ملء الكف ، والمراد التَّقريب بها يعقل لا حقيقة الحثية" .

وقال الإمام ابن الأثير في " النِّهاية في غريب الحديث والأثر" (١/ ٣٣٩) : " هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْمُبالَغة فِي الْكَثْرَةِ، وَإِلَّا فَلَا كَفَّ ثَمَّ وَلَا حَثْيَ، جَلَّ اللهُ عَنْ ذَلِكَ وعَزَّ" .

وقال الإمام الطِّيبي في " شرح الطِّيبي علىٰ مشكاة المصابيح "(١١/ ٣٥١١) : " (نه): الحثيات كناية عن المبالغة في الكثرة، وإلَّا فلا كفَّ ثَمَّ ولا حثَىٰ ، جلَّ الله عن ذلك وعزَّ.

(تو): الحثية ما يحثيه الإنسان بيديه من ماء أو تراب أو غير ذلك، ويستعمل فيما يعطيه المعطي بكفَّيه دفعة واحدة، وقد جيء به هاهنا علىٰ وجه التَّمثيل، وأريد بها الدَّفعات، أي: يعطي بعد هذا العد المنصوص عليه ما يخفي علىٰ العادِّين حصره وتعداده ، فإنَّ عطاءه الذي لا يضبطه الحساب أوفىٰ وأربىٰ من النَّوع الذي يتداخله الحساب" .

وقال الإمام الطِّيبي أيضاً (١١/ ٣٥٤٧) : " (تو): إنَّما ضرب بالمثل الحثيَّات لأنَّ من شأن المعطي إذا استزيد أن يحثي بكفَّيه من غير حساب، وربَّما ناوله ملء كف، وإنَّما لم يجب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أبا بكر بمثل كلام عمر رضي الله عنه لأنَّه وجد في البشارات في ذلك مدخلاً، فإنَّ الله يُنجي خلقه من عذابه

بشفاعة الشَّافعين الفوج بعد الفوج، والقبيل بعد القبيل، ثمَّ يخلص من قصر عنه شفاعة الشَّافعين بفضل رحمته، وهم الذين سلم لهم الإيمان، ولم يعملوا خيرًا قط، على ما مرَّ في الحديث" .

وقال الإمام محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ في " شرح مصابيح السُّنَّة" (٦/ ٤٧) : " وهذا على وجه التَّمثيل والمبالغة في الكثرة ، بحيث يخفى على العادِّين تقديره وإحصاؤه؛ لأنَّ حثيات الكريم لا تكون إلَّا كذلك، كما أنَّ المأخوذ من التُّراب بالكفِّ لا يُحصى ولا يعلم عدده، وإلَّا فلا كفَّ ثمةَ ولا حثيَ" .

وقال الإمام جمال الدِّين، محمَّد طاهر بن علي الصدِّيقي الهندي الفَتَّني الكجراتي في " مجمع بحار الأنوار في غرائب التَّنزيل ولطائف الأخبار" (١/ ٤٤٨) : " كناية عن المبالغة في الكثرة، ولا كفَّ ثَمَّ ولا حثى، جلَّ عنه وتعالى ... والمراد كثرة لا تحصى " .

وقال الإمام علي القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٨/ ٣٥٧٠) : " وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَؤُلَاءِ يَدْخُلُونَ الجَنَّة مِنْ غَيْرِ شَفَاعَةٍ مَخْصُوصَةٍ، وَإِنْ كَانُوا دَاخِلِينَ فِي الشَّفَاعَةِ الْعَامَّةِ، هَذَا وَفِي قَوْلِهِ: زِدْنَا، عَلَى أَنَّ لَهُ – صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَدْخَلًا وَمَجَالًا فِي الْأُمُورِ الْأُخْرَوِيَّةِ، وَفِي التَّصَرُّفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، بِحَسَبِ مَا أَوْلَاهُ مَوْلَاهُ مِنَ الرُّتْبَةِ الْجَلِيَّةِ وَالْمَزِيَّةِ الْعَلِيَّةِ. (قَالَ) أَيْ: أَنَسٌ (وَهَكَذَا) أَيْ: وَفَعَلَ هَكَذَا، وَتَفْسِيرُ (فَحَثَا بِكَفَّيْهِ وَجَمَعَهَا، فقَالَ أَبُو بَكْرٍ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: وَهَكَذَا) أَيْ: فَحَثَا بِكَفَّيْهِ وَجَمَعَهُمَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا حِكَايَةٌ لِفِعْلِهِ سُبْحَانَهُ ؛ وَلِذَا قَالَ الشُّرَّاحُ: إِنَّمَا ضَرَبَ الْمَثَلَ بِالْحَثَيَاتِ ؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْمُعْطِي الْكَرِيمِ إِذَا اسْتُزِيدَ أَنْ يَحْثِيَ بِكَفَّيْهِ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ، وَرُبَّمَا نَاوَلَهُ مِلْءَ كَفٍّ، فَالْحَثْيُ كِنَايَةٌ عَنِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْكَثْرَةِ، وَإِلَّا فَلَا كَفَّ وَلَا حَثْيَ" .

وقال الإمام السِّندي في " كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه " (٢/ ٥٧٤) : " قَوْلُهُ: (وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ) يَحْتَمِلُ الرَّفْعَ عَطْفٌ عَلَى " سَبْعُونَ " وَالنَّصْبَ عَلَى أَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى سَبْعِينَ وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ لَفْظًا وَأَبْلَغُ مَعْنًى فَلَعَلَّهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى هُوَ الْمُرَادُ وَاللهُ أَعْلَمُ، وَقَالَ السُّيُوطِيُّ: قَالَ فِي النِّهَايَةِ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْمُبَالَغَةِ عَنِ الْكَثْرَةِ، وَإِلَّا فَلَا كَفَّ وَلَا حَثَى جَلَّ عَنْ ذَلِكَ وَعَزَّ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ صَحِيْحٌ أَنَّ كُلَّ مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ ؟

الجواب : روى البخاري (١/ ٣٧ برقم ١٢٨) بسنده عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ» ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ» ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : روى البخاري (٤/١٣٨ برقم ٣٣٤٨) ، مسلم (١/ ٢٠١ برقم ٢٢٢) بسندهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: " يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ : " أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّة " فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ» .

وروى البخاري (٨/ ١١٠ برقم ٦٥٢٨) ، مسلم (١/ ٢٠٠ برقم ٢٢١) بسندهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي قُبَّةٍ، فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ» .

وروى أحمد في " المسند" (٣٨/ ٢٣ برقم ٢٢٩٤٠) بسنده عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " " أَهْلُ الجَنَّة عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، مِنْهُمْ ثَمَانُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ " " وَقَالَ عَفَّانُ مَرَّةً: " " أَنْتُمْ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ صَفًّا " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح. عفان: هو ابن الصفَّار، وعبد العزيز بن مسلم: هو القَسْملي، وأبو سنان: هو ضرار بن مُرَّة الشيباني، وابن بريدة: جاءت تسميته في الرواية رقم (٢٣٠٦١) : عبد الله بن بريدة، ويحتمل أن يكون سليمان بن بريدة، فقد جاء الحديث من طريقه، وأيّاً كان، فهو ثقة. وأخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٣٦٦)

من طريق عفان بن مسلم، بهذا الإسناد. وأخرجه أبو يعلىٰ في "معجم شيوخه" (٢١١) ، وكذا ابن عدي في "الكامل" ٤/ ١٤٢٠ عن القاسم بن الليث بن مسرور، كلاهما (أبو يعلىٰ والقاسم) عن عبد الله بن معاوية الجمحي، والطبراني في "الأوسط" (٨٤٨٨) من طريق إسحاق ابن عمر، كلاهما عن عبد العزيز بن مسلم، به. لكن قال القاسم بن الليث في روايته: "عن ضرار بن عمرو الملطي" بدل "ضرار بن مرة الشيباني"، وهو خطأ لم يتابعه عليه أحد. وسيأتي عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن عبد العزيز بن مسلم القَسْملي برقم (٢٣٠٠٢) و (٢٣٠٦١) . وأخرجه ابن أبي شيبة ١١/ ٤٧٠-٤٧١، والترمذي (٢٥٤٦) ، وابن أبي الدنيا في "حسن الظن بالله" (٧٤) ، وابن حبان (٧٤٥٩) ، والحاكم ١/ ٨١-٨٢ من طريق محمد بن فضيل، عن أبي سنان ضرار بن مرة، به. وقال الترمذي: حسنٌ، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (١٦٢٧) من طريق أبي سعد البقال، عن ابن بريدة - هكذا لم يسمه-، عن أبيه. وأبو سعد البقال -وهو سعيد بن المَرْزُبان- ضعيف. وأخرجه الدارمي (٢٨٣٥) من طريق معاوية بن هشام، وابن ماجه (٤٢٨٩) ، والحاكم ١/ ٨٢، وأبو نعيم في "تاريخ أصبهان" ١/ ٢٧٥ من طريق الحسين بن حفص الأصبهاني، وابن حبان (٧٤٦٠) ، والحاكم ١/ ٨٢ من طريق مؤمل بن إسماعيل، والحاكم ١/ ٨٢ من طريق عمرو بن محمد العَنقزي، وأبو سعيد ابن السبط في "فوائده" كما في "المداوي لعلل الجامع الصغير" ٣/ ٩٨-٩٩ من طريق عمار بن محمد، خمستهم، عن سفيان الثوري، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه بريدة. وقال معاوية بن هشام في روايته: "عن سليمان بن بريدة، أراه عن أبيه" هكذا علىٰ الشك في وصله. وأخرجه مرسلاً حسين المروزي في زياداته علىٰ "الزهد" لابن المبارك (١٥٧٢) من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن سفيان الثوري، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأرسله أيضاً يحيىٰ بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي، عن الثوري فيما قاله الحاكم في "مستدركه" ١/ ٨٢. قلنا: لم تقع لنا روايتهما في شيء من المصادر التي بين أيدينا، فإن كان محفوظاً، فالشك في وصله وإرساله من الثوري، ويؤيد ذلك رواية معاوية بن هشام عنه المذكورة آنفاً، فإنه قال فيها: "عن سليمان بن بريدة، أراه عن أبيه" والله أعلم. وفي الباب عن ابن مسعود، سلف برقم (٤٣٢٨) ، وإسناده ضعيف، وانظر تتمة شواهده هناك. ونزيد في شواهده هنا: عن معاوية بن حَيْدَة عند الطبراني في "الكبير" ١٩/ (١٠١٢) وفي إسناده حماد بن عيسىٰ الجُهَني، وهو ضعيف " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا السَّبِيْلُ إِلَىٰ تَعْمِيْرِ بُيُوْتِ الجَنَّة بَعْدَ الإِيْمَانِ بِالله ؟

الجواب : لا سبيل لها إلَّا بالإيمان والعمل الصَّالح ، فمن عمل مؤمناً مخلصاً ... نال منها ما قدَّره الله تعالىٰ له وبقدر ما عمل ، لأنَّ الله تعالىٰ لا يُضيع أجر العامل ، قال تعالىٰ : **﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾** [الكهف: ٣٠] .

ومن أهمِّ السُّبل لتشييد بيوت الآخرة:

أَوَّلاً : بِنَاءُ المَسَاجِدِ : روىٰ البخاري (١/ ٩٧ برقم ٤٥٠) ، مسلم (١/ ٣٧٨ برقم ٥٣٣، واللفظ له) بسنده عَنْ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا للهَّ تَعَالَىٰ - قَالَ بُكَيْرٌ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله - بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّة «وَقَالَ ابْنُ عِيسَىٰ فِي رِوَايَتِهِ» مِثْلَهُ فِي الجَنَّة " .

وروىٰ أحمد في " المسند" (٤/ ٥٤ برقم ٢١٥٧) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ بَنَىٰ للهِّ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ لِبَيْضِهَا، بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّة " . قال الأرنؤوط : "صحيح لغيره،

وهذا إسناد ضعيف لضعف جابر الجعفي. عمار: هو ابن معاوية الدهني. وأخرجه البزار (٤٠٢ - كشف الأستار) من طريق محمد بن جعفر، بهذا الإسناد. وأخرجه الطيالسي (٢٦١٧) ، وابن أبي شيبة ١/ ٣١٠، وابن عدي ٢/ ٥٤٢ من طرق عن شعبة، به. وأخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" ١/ ٤٨٦ من طريق مسلم بن إبراهيم، عن شعبة، عن جابر الجعفي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قوله. وفي الباب عن أبي ذر عند الطيالسي (٤٦١) ، وابن أبي شيبة ١/ ٣٠٩ و٣١٠، والبزار (٤٠١ - كشف الأستار) والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" ١/ ٤٨٥، والطبراني في "الصغير" (١١٠٥) و (١١٥٩) ، والبيهقي ٢/ ٤٣٧، والقضاعي في "مسند الشهاب" (٤٧٩) ، وصححه ابن حبان (١٦١٠) و (١٦١١) ، وعن جابر بن عبد الله عند ابن ماجه (٧٣٨) ، وصححه ابن خزيمة (١٢٩٢) .

قال الإمام السُّيوطي في " شرح سنن ابن ماجه "(١/ ٥٤) : " كمفحص قطاة المفحص بِفَتْح الْمِيم والحاء الْمُهملَة مَوضِع تجثم هِيَ عَلَيْهِ وتبيض فِيهِ ، مأخوذ من الفحص وَهُوَ الْبَحْث والكشف ، كَأَنَّهَا تفحص عِنْد التُّرَاب ، أَي : تكشفه كَذَلِك الا فحوص والقطاة ضرب من الْحمام ذَوَات اطواق يشبه الفاختة والقماري ، وَهَذَا الْموضع لَا يَكْفِي للصَّلَاة فَيحمل على الْمُبَالغَة أَو على أن يشْتَرك جمَاعَة فِي بِنَاء أَو يزِيد فِيهِ قدر مُحْتَاجا إليه ، كَذَا فِي الْمجمع أَو هَذَا بطرِيق ضرب الْمِثَال ، وَالْمرَاد مِنْهُ الْمَسْجِد الصَّغِير " .

ثَانِياً : الصَّلَاةُ فِيْ كُلِّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ : روى مسلم (١/ ٥٠٣ برقم ٧٢٨) بسنده عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي للهَّ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، أَوْ إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ» قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: «فَمَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ» وقَالَ عَمْرٌو: «مَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ»، وقَالَ النُّعْمَانُ مِثْلَ ذَلِكَ.

ثَالِثَاً : تَرْكُ المِرَاءِ وَلَوْ كَانَ الإِنْسَانِ مُحِقَّاً : فقد روى أبو داود (٤/ ٢٥٣ برقم ٤٨٠٠) ، الدُّولابي في " الكنى والأسماء " (٣/ ٩٣٩ برقم ١٦٤٣) ، الطَّبراني في " المعجم الأوسط " (٥/ ٦٨ برقم ٤٦٩٣) ، الكبير (٨/ ٩٨ برقم ٧٤٨٨) ، مسند الشَّاميين (٢/ ٤٠٧ برقم ١٥٩٤) ، البيهقي في " الآداب " (ص١٣٣ برقم ٣٢٢) ، السُّنن الكبرى (١٠/ ٤٢٠ برقم ٢١١٧٦) بسندهم عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّة لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّة لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّة لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَا هِيَ أَسْبَابُ النَّجَاةِ مِنَ النَّار وَدُخُوْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : جعل الله تعالى للنَّجاة من النَّار ودخول الجَنَّة أسباباً كثيرة ، منها:

۞ أَوَّلاً ۞ : الإِيْمَانُ وَالتَّقْوَى :

قال تعالى : ﴿وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦] .

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْناهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [المائدة:٦٥] .

وروى البخاري (٢/ ٧١ برقم ١٢٣٧) بسنده عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي - أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي - أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ " قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ " .

وروى البخاري (٤/ ١٦٥ برقم ٣٤٣٥) ، مسلم (١/ ٥٧ برقم ٢٨) بسندهما عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ " .

۞ ثَانِياً ۞ : الإِخْلَاصُ للهِ تَعَالَى :

روى البخاري (٩/ ١٨ برقم ٦٩٣٨) بسنده عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ، قَالَ: سَمِعْتُ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: غَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُنِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَّا: ذَلِكَ مُنَافِقٌ، لاَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَلاَ تَقُولُوهُ: يَقُولُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ " قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّهُ لاَ يُوَافَى عَبْدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ " .

۞ ثَالِثاً ۞ : طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً﴾ [النساء:٦٩] .

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ * وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا وَما كُنَّا

لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدانَا اللهُ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[الأعراف:٤٢-٤٣] .

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذاباً أَلِيماً﴾

[الفتح:١٧] .

وروى البخاري (٩/ ٩٢ برقم ٧٢٨٠) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّة إِلَّا مَنْ أَبَى» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى " .

۞ رَابِعَاً ۞ : السَّمَاحَةُ فِي البَيْعِ وَالشِّرَاء:

روى أحمد في " المسند" (١/ ٤٦٩ برقم ٤١٠) بسنده عَنْ عَطَاءُ بْنُ فَرُّوخَ مَوْلَى الْقُرَشِيِّينَ أَنَّ عُثْمَانَ اشْتَرَى مِنْ رَجُلٍ أَرْضًا، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَقِيَهُ فَقَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ مِنْ قَبْضِ مَالِكَ؟ قَالَ: إِنَّكَ غَبَنْتَنِي، فَمَا أَلْقَى مِنَ النَّاسِ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ يَلُومُنِي. قَالَ: أَوَ ذَلِكَ يَمْنَعُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَاخْتَرْ بَيْنَ أَرْضِكَ وَمَالِكَ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَدْخَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الجَنَّة رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًا، وَبَائِعًا وَقَاضِيًا، وَمُقْتَضِيًا " .

۞ خَامِسَاً ۞ : التَّرديد خَلْفَ المُؤَذِّنِ أَثْنَاءَ الأَذَان:

روى مسلم (١/ ٢٨٩ برقم ٣٨٥) بسنده عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا قَالَ المُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الجَنَّة " .

۞ سَادِسَاً ۞ : التِزَامُ جَمَاعَةِ المُؤمِنِيْن :

روى ابن حبَّان في الصَّحيح (١٥/ ١٢٢ برقم ٦٧٢٨) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِالْجَابِيَةِ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامِي فِيكُمُ الْيَوْمَ، فَقَالَ: "أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ عَلَى الْيَمِينِ لَا يُسْأَلُهَا، فَمَنْ أَرَادَ

بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَلَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِالْمَرْأَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا، وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سيئته فهو مؤمن" . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، عبد الله بن محمد بن يزيد الغنوي، ذكره المؤلف في الثقات ٨/ ٣٦٨وقال: من أهل البصرة، يروي عن عبد الأعلى والبصريين، حدثنا عنه أحمد بن يحيى بن زهير وغيره، قلت: وقد توبع، ومن فوقه ثقات من رجال الشيخين. عبد الأعلى: هو ابن عبد الأعلى. وقد تقدم الحديث عند المؤلف برقم "٤٥٧٦"و"٥٥٨٦ " .

۞ سَابِعَاً ۞ : الصَّبْرُ عَلَى البَلَاءِ:

روى البخاري (٧/ ١١٦ برقم ٥٦٥٣) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ " يُرِيدُ: عَيْنَيْهِ، تَابَعَهُ أَشْعَثُ بْنُ جَابِرٍ، وَأَبُو ظِلاَلٍ هِلاَلٌ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

۞ ثَامِنَاً ۞ : تَحْقِيْقُ الوَلَاءِ وَالبَرَاء:

قال الله تعالى : **﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [المجادلة:٢٢] .

۞ تَاسِعَاً ۞ : التَّوكُّل عَلَى الله تَعَالَى:

قال تعالى : **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الجَنَّة غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** [العنكبوت:٥٨-٥٩] .

وروى البخاري (٧/ ١٢٦ برقم ٥٧٠٥) بسنده عَن بْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ " ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ القَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَالَ

عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ" .

✿ عَاشِرَاً ✿ : مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ:

روى البخاري (٢/ ١٠٠ برقم ١٣٨١) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٌ، يَمُوتُ لَهُ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ " .

✿ حَادِيْ عَشَر ✿ : مَنْ شَهِدَ لَهُ النَّاسُ بِالخَيْرِ:

روى البخاري (٣/ ١٦٩ برقم ٢٦٤٣) بسنده عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ، قَالَ: أَتَيْتُ المَدِينَةَ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ وَهُمْ يَمُوتُونَ مَوْتًا ذَرِيعًا، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَمَرَّتْ جَنَازَةٌ، فَأُثْنِيَ خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى، فَأُثْنِيَ خَيْرًا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأُثْنِيَ شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قُلْتُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ» ، قُلْنَا: وَثَلاَثَةٌ، قَالَ: «وَثَلاَثَةٌ» ، قُلْتُ: وَاثْنَانِ، قَالَ: «وَاثْنَانِ» ، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الوَاحِدِ.

✿ ثَانِيْ عَشَر ✿ : التَّوْبَةُ النَّصُوحُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ:

قال تعالى : **﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلاَّ مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً * جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمنُ عِبادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا * لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلاَّ سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا * تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا﴾** [مريم:٥٩-٦٣] .

وقال تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَاغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [التحريم:٨] .

وروى الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (٨/ ٩٢ برقم ٨٠٦٨) ، "الكبير" (٨/ ١١٤ برقم ٧٥٣٢) بسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ» . قال الهيثمي في " " (١٠/ ١٠٢ برقم ١٦٩٢٣) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ بِأَسَانِيدَ، وَأَحَدُهَا جَيِّدٌ " .

✿ ثَالِثُ عَشَر ✿ : مَنْ فَعَلَ صُنُوْفَاً مِنَ الخَيْر :

روى أحمد في " المسند" (٣٦/ ٤١٢ برقم ٢٢٠٩٣) بسنده عَنْ مُعَاذٍ قَالَ: عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَمْسٍ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللهِ: " مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ، أَوْ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ دَخَلَ عَلَى إِمَامٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ، أَوْ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَيَسْلَمُ النَّاسُ مِنْهُ وَيَسْلَمُ " . قال الأرنؤوط : " حديث حسن، ابن لهيعة سيئ الحفظ، لكن قد احتمل بعض أهل العلم رواية قتيبة عنه، ثم هو لم ينفرد بروايته لهذا الحديث، فقد روي بنحوه من وجه آخر عن معاذ كما سيأتي في التخريج. وأخرجه البزار (١٦٤٩ - كشف الأستار) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠/ (٥٥) من طرق عن عبد الله بن لهيعة، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن خزيمة (١٤٩٥) ، وابن حبان (٣٧٢) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠/ (٥٤) ، وفي "الأوسط" (٨٦٥٤) ، والحاكم ١/ ٢١٢ و٢/ ٩٠، والبيهقي في "السنن" ٩/ ١٦٦-١٦٧ من طريق الحارث بن يعقوب، عن قيس بن رافع القيسي، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عبد الله بن عمرو، عن معاذ. وفيه مكان الجنازة الذهاب إلى المسجد. وجعلوا بدل قوله: "أو قعد في بيته فيسلم الناس منه ويسلم". قوله: "ومن جلس في بيته لم يغتب إنساناً". وإسناده حسن من أجل قيس بن رافع، فقد روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات " .

✿ رَابِعُ عَشَر ✿ : طَاعَةُ المَرْأَةِ لِرَبِّهَا وَزَوْجِهَا:

روى أحمد في " المسند" (٣/ ١٩٩ برقم ١٦٦١) بسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ " . قال الأرنؤوط : " حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح. ابن قارظ: هو إبراهيم بن عبد الله بن قارظ. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٤/ ٣٠٦ وزاد نسبته إلى الطبراني في "الأوسط". وله شاهد من حديث أبي هريرة عندَ ابن حبان (٤١٦٣) ، وآخر من حديث أنس بن مالك عند البزار (١٤٦٣) و (١٤٧٣) ، وأبي نعيم في "الحلية" ٦/ ٣٠٨ وسنده ضعيف، وثالث عن عبد الرحمن بن حَسَنة نسبه الهيثمي في "المجمع" ٤/ ٣٠٦ إلى الطبراني، وسنده ضعيف أيضاً، فالحديث يتقوى بهذه الشواه " .

✿ خَامِسُ عَشَر ✿ : الحُبُّ فِي الله:

روى البخاري (١/ ١٣٣ برقم ٦٦٠) ، مسلم (٢/ ٧١٥ برقم ١٠٣١) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " .

وروىٰ مسلم (٤/ ١٩٨٨ برقم ٢٥٦٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي" .

وروىٰ مسلم (٤/ ١٩٨٨ برقم ٢٥٦٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ " .

۞ سَادِسُ عَشَر ۞ : التَّصَدُّقُ عَنِ المَفَاصِلِ التِي خَلَقَهَا اللهُ فِي الإِنْسَان:

روىٰ مسلم (٢/ ٦٩٨ برقم ١٠٠٧) بسنده عَبْدُ اللهِ بْنُ فَرُّوخَ، أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ، تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَىٰ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ، وَحَمِدَ اللهَ، وَهَلَّلَ اللهَ، وَسَبَّحَ اللهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَىٰ عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ السُّلَامَىٰ، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ» قَالَ أَبُو تَوْبَةَ: وَرُبَّمَا قَالَ: «يُمْسِي " .

۞ سَابِعُ عَشَر ۞ : كَثْرَةُ النَّوَافِلِ:

روىٰ البخاري (٨/ ١٠٥ برقم ٦٥٠٢) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " .

۞ ثَامِنُ عَشَر ۞ : عَدَمُ الغَضَب:

روىٰ الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (٣/ ٢٥ برقم ٢٣٥٣) بسنده عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّة قَالَ: «لَا تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةُ» . قال الهيثمي في " مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد " (٨/ ٧٠ برقم ١٢٩٩٠) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَأَحَدُ إِسْنَادَيِ الْكَبِيرِ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ " .

۞ تَاسِعُ عَشَر ۞ : المُحَافَظَةُ عَلَى صَلَاتَي الفَجْرِ وَالعَصْر:

روىٰ مسلم (١/ ٤٤٠ برقم ٦٣٤) بسنده أَبِي بَكْرِ بْنِ عُمَارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّىٰ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» - يَعْنِي الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ -، " فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ: آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ الرَّجُلُ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي " .

۞ عِشْرُوْن ۞ : الذَّبُّ عَنْ عِرْضِ الْمُسْلِمِ:

روىٰ أحمد في " المسند" (٤٥/ ٥٢٤ برقم ٢٧٥٣٦) بسنده عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

۞ حَادِيْ وَعِشْرُوْن ۞ : الاسْتِقَامَةُ عَلَى الطَّاعَةِ:

قال تعالىٰ : **﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولئِكَ أَصْحابُ الجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأحقاف:١٣-١٤] .

وقال تعالىٰ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾** [فصلت:٣٠-٣١] .

۞ ثَانِيْ وَعِشْرُوْن ۞ : التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ:

قال تعالىٰ : **﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَسَلاماً * خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً﴾** [الفرقان:٧٥-٧٦] .

۞ ثَالِثُ وَعِشْرُوْن ۞ : الجِهَادُ فِي سَبِيْلِ اللهِ تَعَالَىٰ:

قال تعالىٰ : **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾** [آل عمران:١٤٢]

وقال تعالىٰ : **﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [التوبة:١١١-١١٢] .

وقال تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف:١٠-١٢] .

وروى البخاري (١٦/٤ برقم ٢٧٩٠) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا» ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ " .

۞ رَابِعُ وَعِشْرُوْن ۞ : صِيَامُ وَقِيَامُ شَهْر رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا:

روى البخاري (١٦/١ برقم ٣٨) ، مسلم (٥٢٣/١ برقم ٧٦٠) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " .

روى البخاري (١٦/١ برقم ٣٧) ، مسلم (٥٢٣/١ برقم ٧٥٩) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " .

وروى البخاري (٢٦/٤ برقم ٢٨٤٠) ، مسلم (٨٠٨/٢ برقم ١١٥٣) بسندهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا " .

۞ خَامِسُ وَعِشْرُوْن ۞ : إِنْظَارُ المُعْسِر:

روى مسلم (١١٩٥/٣ برقم ١٥٦٠) بسنده عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، " أَنَّ رَجُلًا مَاتَ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْمَلُ؟ - قَالَ: فَإِمَّا ذَكَرَ وَإِمَّا ذُكِّرَ - فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، فَكُنْتُ أُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، وَأَتَجَوَّزُ فِي السِّكَّةِ - أَوْ فِي النَّقْدِ - فَغُفِرَ لَهُ "، فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: وَأَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

۞ سَادِسُ وَعِشْرُوْن ۞ : إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيْق:

روى مسلم (٢٠٢١/٤ برقم ١٩١٤) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ بشَّرَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّيِّدَةَ خَدِيْجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّة ؟

الجواب : روى الطَّبراني في " المعجم الأوسط" (٢/ ٣٥٧ برقم ٢٢٢١) بسنده عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَشِّرْ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ» . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٩/ ٢٢٤ برقم ١٥٢٧٨) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَمِينَةَ، وَقَدْ وَثَّقَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ" .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ بشَّرَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّيِّدَةَ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِالْجَنَّةِ ؟

الجواب : روى الطَّبراني في " المعجم الأوسط " (٤/ ١٤٢ برقم ٣٨٢١) بسنده عَنْ أَنَسٍ قَالَ: طَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَفْصَةَ، فاغْتَمَّ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ، وَدَخَلَ عَلَيْهَا خَالُهَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَأَخُوهُ قُدَامَةُ، فَبَيْنَمَا هُمَا عِنْدَهَا، وَهُمْ مُغْتَمِّينَ، إِذْ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَفْصَةَ، فَقَالَ: «يَا حَفْصَةُ، أَتَانِي جِبْرِيلُ آنِفًا، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: رَاجِعْ حَفْصَةَ، فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَهِيَ زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ» .
قال الهيثمي في " مجمع الزوائد"(٩/ ٢٤٥ برقم ١٥٣٣٤) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ وَالِدَيْ الرَّسُوْل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب :

أنَّ الوهَّابيَّة ما زالوا يحكمون بكفر والدي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويستدلُّون بخطأ النَّاسخ لـ " الفقه الأكبر " لأبي حنيفة ، فإنَّه لَمَّا رأى تكرُّر (ما) في (ما ماتا) ظنَّ أنَّ إحداهما زائدة فحذفها ... مع أنَّ الأدلَّة من القرآن والسنَّة على نجاتهما متوافرة ...

والأدلة التي استدل بها الجمهور على نجاة والديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة ، منها:

قوله تعالى: **﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥] .

ووجه الدّلالة من الآية : أنَّ الله تعالى نفى حصول العذاب إلَّا بعد إرسال الرُّسل الذين هم حجَّة الله على عباده. ومن المعلوم يقيناً أن والديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرسل الله تعالى إليهما رسولاً يدعوهم إلى الله تعالى ويطالبهم بتكليف منه سبحـــانه ، قال تعالى: **﴿وَما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾** [سبأ: ٤٤] ، وقال سبحانه: **﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾** [السجدة: ٣] ، وهذه الآية خصَّصت ما جاء من عموم في قوله تعالى : **﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾** [فاطر: ٤٤] .

ومن المعلوم يقيناً – كذلك- أنَّ والديه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاشوا في فترة انقطاع الرُّسل ، قال تعالىٰ : **﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [المائدة: ١٩] ، والفترة ، مصدر للدّلالة علىٰ المرَّة من " فتر يفتر فتوراً "، "والفتور هو سكونٌ بعد حدَّة ، ولين بعد شدَّة ، وضعف بعد قوَّة ، أي سكون حال عن مجيء رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : المفردات في غريب القرآن (ص٦٢٢) .

وروىٰ البخاري بسنده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال :"فَتْرَةٌ بَيْنَ عِيسَىٰ، وَمُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ، سِتُّ مِائَةِ سَنَةٍ". أخرجه البخاري (٥/ ٧١ برقم ٣٩٤٨) .

وعليه ، فقوله تعالىٰ: **﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥] ، دليلٌ صريحٌ واضحٌ علىٰ نجاة والديه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذلك أنَّ الزَّمان الذي عاش فيه والده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان خالياً من الرُّسل الذين فترَ إرسالهم في ذلك الزَّمان ، كما نصَّت علىٰ ذلك آيات الكتاب العزيز ، وبما أنَّ الأمر كذلك فإنَّ تعذيب من عاش في ذلك الزَّمان منفيٌّ بقوله تعالىٰ: **﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾** [الإسراء: ١٥]

.

وقد أطبق العلماء علىٰ الاستدلال بهذه الآية علىٰ نجاة والديه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال الإمام السُّيوطي : " وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الَّتِي أَطْبَقَتْ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ عَلَى الِاسْتِدْلَالِ بِهَا فِي أَنَّهُ لَا تَعْذِيبَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ ، وَرَدُّوا بِهَا عَلَىٰ الْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ فِي تَحَكُّمِ الْعَقْلِ ، أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرَيْهِمَا ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : **﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥] ، قَالَ: إِنَّ اللهَّ لَيْسَ بِمُعَذِّبٍ أَحَداً حَتَّىٰ يَسْبِقَ إِلَيْهِ مِنَ اللهَّ خَبَرٌ، أَوْ تَأْتِيهِ مِنَ اللهَّ بَيِّنَةٌ " . انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٤٥) .

وإلىٰ ما ذهب إليه الإمام السُّيوطي في تفسير الآية ذهب أهل العلم بالتَّفسير.

قال الإمام الطَّبري: " يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ : وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي قَوْمٍ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ بِالرُّسُلِ ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِالْآيَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ عُذْرَهُمْ.

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : **﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾** [الإسراء: ١٥] إِنَّ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَيْسَ يُعَذِّبُ أَحَداً حَتَّىٰ يَسْبِقَ إِلَيْهِ مِنَ اللهَّ خَبَراً، أَوْ يَأْتِيَهُ مِنَ اللهَّ بَيِّنَةٌ، وَلَيْسَ مُعَذِّباً أَحَداً إِلَّا بِذَنْبِهِ " . انظر : تفسير الطَّبري (١٤/ ٥٢٦) .

وذكر الإمام ابن كثير أنَّ الآية " إِخْبَارٌ عَنْ عَدْلِهِ تَعَالَى ، وَأَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحداً إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ بِإِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿**كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نزلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ**﴾ [الْمُلْكِ: ٨- ٩] ، وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [الزُّمَرِ: ٧١] ، وقَالَ تَعَالَى : ﴿**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾ [فاطر: ٣٧] ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُدْخِلُ أَحداً النَّارَ إِلَّا بَعْدَ إِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ " . انظر : تفسير ابن كثير(٥/ ٥٢-٥٣) .

وقال الإمام الصَّاوي في حاشيته على تفسير الجلالين : " وعموم هذه الآية ، يدلُّ على أنَّ أهل الفترة جميعاً ناجون بفضل الله ، ولو غيّروا وبدّلوا ، وما ورد من تخصيص بعض أفراد ، كحاتم الطَّائي وامرئ القيس بدخولهم النار ، فهي أحاديث أحاد لا تعارض القطعي " . انظر : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (٣/ ٣١٣) .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور: " دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ اللهَ لَا يُؤَاخِذُ النَّاس إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُرْشِدَهُمْ رَحْمَةً مِنْهُ لَهُمْ . وَهِيَ دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى انْتِفَاءِ مُؤَاخَذَةِ أَحَدٍ مَا لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةُ رَسُولٍ مِنَ الله إِلَى قوم ، فَهِيَ حُجَّةٌ لِلْأَشْعَرِيِّ نَاهِضَةٌ عَلَى الْمَاتُرِيدِيِّ وَالْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ اتَّفَقُوا عَلَى إِيصَالِ الْعَقْلِ إِلَى مَعْرِفَةِ وُجُودِ اللهَّ ، وَهُوَ مَا صَرَّحَ بِهِ صَدْرُ الشَّرِيعَةِ فِي التَّوْضِيحِ فِي الْمُقَدِّمَاتِ الْأَرْبَعِ . فَوُجُودُ اللهَّ وَتَوْحِيدُهُ عِنْدَهُمْ وَاجِبَانِ بِالْعَقْلِ فَلَا عُذْرَ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهَّ وَعَطَّلَ وَلَا عُذْرَ لَهُ بَعْدَ بَعْثَةِ رَسُولٍ " . انظر : التحرير والتنوير (١٥/ ٥٢) .

وعليه ، فالعذاب لا يكون إلَّا بعد الإعذار والإنذار من خلال بعثة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد سبق وأوضحنا أنَّ الزَّمن الذي عاش فيه والده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلا من إرسال الرُّسل ، وذلك بنصِّ القرآن الكريم ، وهذا القول هو ما ذهب إليه جمهور المفسِّرين عند تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿**وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء: ١٥] .

والعذاب الذي نصَّت الآية على نفيه عام في الدُّنيا والآخرة ، قال الإمام الشَّوكاني: " وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُهُمْ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ ، وَبِهِ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ " . انظر : فتح القدير (٣/ ٢٥٤) .

قلت : ومن العلماء الذين أشاروا إلى أنَّ التَّعذيب المنفي بالآية يشمل الدُّنيا والآخرة : الإمام ابن عطيَّة ، الإمام القرطبي ، الإمام أبو حيَّان ، الإمام الكلبي ، وغيرهم .انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٤٤) ، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٣١) ، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٤٣) ، البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢٣) .

وفي تفسير قول الله تعالى : ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٩] ، قال الإمام الألوسي : " واستدلَّ بالآية على إيمان أبويه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما ذهب إليه كثير من أجلَّة أهل السنَّة ، وأنا أخشى الكفر على من يقول فيهما رضي الله تعالى عنهما على رغم أنف على القارئ وأضرابه بضدّ ذلك" . انظر : روح المعاني (١٠/ ١٣٥)

قلت : وخصَّ الألوسي (علي القاري) بالذِّكر هنا ، لأنَّه اعتمد في شرح الفقه الأكبر على النُّسخة المحرَّفة ، التي فيها أنَّ والديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماتا على الكفر . وقد تكفَّل الإمام الكوثري بردِّ ذلك ، فقال : " وفي بعض النُّسخ : وأبوا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماتا على الفطرة ، والفطرة سهلة التَّحريف إلى الكفر في الخط الكوفي ، وفي أكثرها : (ما ماتا على الكفر) . كأنَّ الإمام الأعظم يريد به الردَّ على من يروي حديث : " أبي وأبوك في النَّار " ، ويرى كونهما من أهل النَّار ، لأنَّ إنزال المرء في النَّار لا يكون إلَّا بدليل يقيني ، وهذا الموضوع ليس بموضوع عملي حتى يكتفي فيه بالدَّليل الظنِّي.

ويقول الحافظ محمَّد مرتضى الزَّبيدي شارح " الإحياء " و " القاموس " في رسالته : " الانتصار لوالدي النَّبيِّ المختار " : " وكنت رأيتها بخطِّه عند شيخنا أحمد مصطفى العمري الحلبي ، مفتي العسكر ، العالم المعتمر ، ما معناه : إنَّ النَّاسخ لَّما رأى تكرُّر (ما) في (ما ماتا) ظنَّ أنَّ إحداهما زائدة فحذفها ، فذاعت نسخته الخاطئة ، ومن الدَّليل على ذلك سياق الخبر ، لأنَّ أبا طالب والأبوين لو كانوا على حالة واحدة لجمع الثلاثة في الحكم بجملة واحدة لا بجملتين مع عدم التَّخالف بينهم في الحكم.

وهذا رأيٌ وجيهٌ من الحافظ الزَّبيدي ، إلا أنَّه لم يكن رأى النُّسخة التي فيها (ما ماتا) ، وإنَّما حكى ذلك من رآها . وإنِّي بحمد الله رأيت لفظ (ما ماتا) في نسختين بدار الكتب المصريَّة قديمتين ، كما رأى بعض أصدقائي لفظي (ما ماتا) و(على الفطرة) في نسختين بمكتبة شيخ الإسلام المذكورة ، وعلي القاري بنى شرحه على النُّسخة الخاطئة ، وأساء الأدب ، سامحه الله " . انظر : مقدمات الإمام الكوثري (ص١٦٩-١٧٠) .

قال الإمام السُّيوطي : " ... ثمَّ رَأَيْتُ الْإِمَامَ أَبَا الْحَسَنِ الْمَاوَرْدِيَّ أَشَارَ إِلَى نَحْوِ مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ فخر الدِّين إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُصَرِّحْ كَتَصْرِيحِهِ ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ " أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ " : لَمَّا كَانَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ صَفْوَةَ عِبَادِهِ وَخِيرَةَ خَلْقِهِ لِمَا

كَلَّفَهُمْ مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّهِ وَالْإِرْشَادِ لِخَلْقِهِ اسْتَخْلَصَهُمْ مِنْ أَكْرَمِ الْعَنَاصِرِ ، وَاجْتَبَاهُمْ بِمُحْكَمِ الْأَوَاصِرِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِنَسَبِهِمْ مِنْ قَدْحٍ وَلِمَنْصِبِهِمْ مَنْ جَرْحٍ ؛ لِتَكُونَ الْقُلُوبُ لَهُمْ أَصْفَى ، وَالنُّفُوسُ لَهُمْ أَوْطَا ، فَيَكُونُ النَّاس إِلَى إِجَابَتِهِمْ أَسْرَعَ وَلِأَوَامِرِهِمْ أَطْوَعَ ، وَأَنَّ اللهَّ اسْتَخْلَصَ رَسُولَهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ أَطْيَبِ الْمَنَاكِحِ ، وَحَمَاهُ مِنْ دَنَسِ الْفَوَاحِشِ ، وَنَقَلَهُ مِنْ أَصْلَابٍ طَاهِرَةٍ إِلَى أَرْحَامٍ مُنَزَّهَةٍ ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللهَّ **﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٩] ، أَيْ : تَقَلُّبُكَ مِنْ أَصْلَابٍ طَاهِرَةٍ مِنْ أَبٍ بَعْدَ أَبٍ إِلَى أَنْ جَعَلَكَ نَبِيّاً ، فَكَانَ نُورُ النُّبُوَّةِ ظَاهِراً فِي آبَائِهِ ، ثُمَّ لَمْ يُشْرِكْهُ فِي وِلَادَتِهِ مِنْ أَبَوَيْهِ أَخٌ وَلَا أُخْتٌ لِانْتِهَاءِ صَفْوَتِهِمَا إِلَيْهِ ، وَقُصُورِ نَسَبِهِمَا عَلَيْهِ ، لِيَكُونَ مُخْتَصّاً بِنَسَبٍ جَعَلَهُ اللهُّ لِلنُّبُوَّةِ غَايَةً وَلِتَفَرُّدِهِ نِهَايَةً ، فَيَزُولُ عَنْهُ أَنْ يُشَارَكَ فِيهِ وَيُمَاثَلَ فِيهِ ، فَلِذَلِكَ مَاتَ عَنْهُ أَبَوَاهُ فِي صِغَرِهِ ، فأَمَّا أَبُوهُ فَمَاتَ وَهُوَ حَمْلٌ ، وأَمَّا أُمُّهُ فَمَاتَتْ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ ، وَإِذَا خَبَرْتَ حَالَ نَسَبِهِ وَعَرَفْتَ طَهَارَةَ مَوْلِدِهِ عَلِمْتَ أَنَّهُ سُلَالَةُ آبَاءٍ كِرَامٍ ، لَيْسَ فِي آبَائِهِ مُسْتَرْذَلٌ وَلَا مَغْمُوزٌ مُسْتَبْذَلٌ ، بَلْ كُلُّهُمْ سَادَةٌ قَادَةٌ ، وَشَرَفُ النَّسَبِ وَطَهَارَةُ الْمَوْلِدِ مِنْ شُرُوطِ النُّبُوَّةِ " .

انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٦٧) .

وقال تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزى﴾** [طه: ١٣٤] .

قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (١٦/ ٣٤٦) : " وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ بِوَحْدَانِيَّةِخَالِقِ الْخَلْقِ يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ لَوْلَا حَجْبُ الضَّلَالَاتِ وَالْهَوَى ، وَأَنَّ مَجِيءَ الرُّسُلِ لِإِيقَاظِ الْعُقُولِ وَالْفِطَرِ ، وَأَنَّ اللهَّ لَا يُؤَاخِذُ أَهْلَ الْفَتْرَةِ عَلَى الْإِشْرَاكِ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً ، وَأَنَّ قُرَيْشاً كَانُوا أَهْلَ فَتْرَةٍ قَبْلَ بَعْثَةِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : التحرير والتنوير (١٦/ ٣٤٦-٣٤٧) .

ووالداه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قريش ، وهما من أهل الفترة ، وقد ماتا قبل بعثته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

ثمَّ إنَّ والديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ماتا قبل البعثة ، فقد مات والده وأمُّه حامل به لشهرين ، وماتت أمُّه وهو ابن ستِّ سنوات ، والله تعالى يقول : **﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥] . وقد أفضنا في الدَّليل الأوَّل على نجاتهما بما قاله أساطين العلم في تفسيرهم لهذه الآية ، ونقلنا إجماعهم على أنَّه لا عذاب إلَّا بعد الإعذار بإرسال الرُّسل.

كما أنَّ والديه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا علىٰ الحنيفيَّة ، ولم يثبت عنهما شرك ، وعلىٰ هذا كان طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، وغيرهما ، وهذا المسلك ذهبت إليه طائفة من العلماء ، منهم : الإمام الفخر الرَّازي ، حيث قال في كتابه : " أسرار التَّنزيل " (ص٢٧٠-٢٧١) ما نصّه : " قيل إنَّ آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمُّه ، واحتجُّوا عليه بوجوه ، منها:

أنَّ آباء الأنبياء ما كانوا كفَّاراً ، ويدلُّ عليه وجوه ، منها قوله تعالىٰ : **﴿الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٨ – ٢١٩] ، قيل معناه : أنَّه كان ينقل نوره من ساجد إلىٰ ساجد ، وبهذا التَّقدير ، فالآية دالَّة علىٰ أنَّ جميع آباء محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا مسلمين ، وحينئذ يجب القطع بأنَّ والد إبراهيم ما كان من الكافرين ، إنَّما ذاك عمُّه ، أقصىٰ ما في الباب أن يحمل قوله تعالىٰ : **﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٩] ، علىٰ وجوه أخرىٰ . وإذا وردت الرِّوايات بالكلِّ ولا منافاة بينهما ، وجب حمل الآية علىٰ الكلِّ ، ومتىٰ صحَّ ذلك ثبت أنَّ والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان ، ثمَّ قال : وممَّا يدلُّ علىٰ أنَّ أباء محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ما كانوا مشركين قوله عليه السَّلام : " لم أزل أُنقل من أَصْلاب الطَّاهرين إلىٰ أرحَام الطَّاهرات " . أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (١/ ٥٧ برقم ١٥) .

وقال الإمام الزّرقاني المالكي: " ... وقد بينَّا لك أيُّها المالكي حكم الأبوين ، فإذا سئلت عنهما ، فقل : هما ناجيان في الجَنَّة ، أمَّا لأنَّهما أحييا حتىٰ آمنا ؛ كما جزم به الحافظ السُّهيلي ، والقرطبي ، وناصر الدِّين بن المنير ، وإن كان الحديث ضعيفاً ؛ كما جزم به أوَّلهم ووافقه جماعة من الحفَّاظ ؛ لأنَّه في منقبة وهي يعمل فيها بالحديث الضَّعيف . وأمَّا لأنهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها ؛ كما جزم به الأبِّي . وأمَّا لأنهما كانا علىٰ الحنيفيَّة والتَّوحيد لم يتقدَّم لهما شرك ؛ كما قطع به الإمام السَّنوسي ، والتِّلمساني المتأخِّر محشي الشِّفاء ، فهذا ما وقفنا عليه من نصوص علمائنا ولم نرَ لغيرهم ما يخالفه إلَّا ما يشم من نفس ابن دحية ، وقد تكفَّل بردِّه القرطبي " . انظر : شرح الزرقاني علىٰ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١/ ٣٤٩) .

وقال الإمام إبراهيم بن محمَّد الباجوري : " إذا علمت أنَّ أهل الفترة ناجون علىٰ الرَّاجح ، علمت أنَّ أبويه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناجيان لكونهما من أهل الفترة ، بل جميع آبائه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمَّهاته ناجون ومحكوم بإيمانهم ، لم يدخلهم كفر ، ولا رجس ، ولا عيب ، ولا شيء ممَّا كان عليه الجاهليَّة بأدلَّة نقليَّة ، كقوله تعالىٰ : : **﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٩] ، وقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لم أزل أنتقل

من الأصلاب الطَّـــاهرات إلى الأرحام الزَّاكيــات " ، وغير ذلك من الأحاديث البالغة مبلغ التَّواتر " . انظر : تحفة المريد على جوهرة التوحيد (ص٢٠) .

وقد دلّلت آيات عديدة على أنَّ آباءه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا على الحنيفيَّة ، من ذلك . انظر الحاوي للفتاوى (٢/ ٢١٦ فما بعدها) .

قوله تعالى : **﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** [الزخرف: ٢٨] .

أخرج عبد بن حميد ، عن ابن عبَّاس في قوله : **﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** ، قال : لا إله إلَّا الله في عقبة ، قال : عقب إبراهيم ولده " . انظر : الدر المنثور (٧/ ٣٧٣) .

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر ، عن مجاهد في قوله : **﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** ، قال : الإخلاص والتَّوحيد لا يزال في عقبة من يقولها من بعده . انظر : الدر المنثور (٧/ ٣٧٣) .

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة في قوله تعالى : **﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** ، قال : في الإسلام أوصى بها ولده . انظر : تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٢) .

وأخرج عبد بن حميد ، عن الزُّهري ، قال : عقب الرَّجل ولده الذُّكور والإناث وأولاد الذُّكور . انظر : الدر المنثور (٧/ ٣٧٣) .

وقوله تعالى : **﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ﴾** [إبراهيم: ٣٥] .

أخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية ، قال : فَاسْتَجَابَ اللهُ لِإِبْرَاهِيمَ دَعْوَتَهُ فِي وَلَدِهِ، قَالَ: فَلَمْ يَعْبُدْ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ صَنَمًا بَعْدَ دَعْوَتِهِ، وَالصَّنَمُ: التِّمْثَالُ الْمُصَوَّرُ، مَا لَمْ يَكُنْ صَنَمًا فَهُوَ وَثَنٌ قَالَ: وَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ، وَجَعَلَ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا، وَرَزَقَ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَجَعَلَهُ إِمَامًا، وَجَعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتَقَبَّلَ دُعَاءَهُ، فَأَرَاهُ مَنَاسِكَهُ، وَتَابَ عَلَيْهِ . انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٣/ ٦٧) .

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان " (٥/ ٤٤٧ برقم ٣٦٩٩) بسنده عَنْ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: " أَنَّ آدَمَ لَمَّا أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ اسْتَوْحَشَ فِيهَا لَمَّا رَأَى مِنْ سَعَتِهَا، وَلَمْ يَرَ فِيهَا أَحَدًا غَيْرُهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أَمَا لِأَرْضِكَ هَذِهِ عَامِرٌ يُسَبِّحُكَ فِيهَا، وَيُقَدِّسُ لَكَ غَيْرِي؟، قَالَ اللهُ: إِنِّي سَأَجْعَلُ فِيهَا مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مَنْ يُسَبِّحُ بِحَمْدِي وَيُقَدِّسُ لِي، وَسَأَجْعَلُ فِيهَا بُيُوتًا تَرْفَعُ لِذِكْرِي، فَيُسَبِّحُنِي فِيهَا خَلْقِي، وَسَأُبَوِّئُكَ فِيهَا بَيْتًا أَخْتَارُهُ لِنَفْسِي، وَأَخُصُّهُ بِكَرَامَتِي، وَأُوثِرُهُ عَلَى بُيُوتِ الْأَرْضِ كُلِّهَا بِاسْمِي، وَأُسَمِّيهِ بَيْتِي، أُنْظِقُهُ بِعَظَمَتِي، وَأَحُوزُهُ بِحُرْمَتِي، وَأَجْعَلُهُ أَحَقُّ الْبُيُوتِ كُلِّهَا وَأَوْلَاها بِذِكْرِي، وَأَضَعُهُ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي اخْتَرْتُ لِنَفْسِي، فَإِنِّي اخْتَرْتُ

مَكَانَهُ يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَقَبْلَ ذَلِكَ قَدْ كَانَ بُغْيَتِي فَهُوَ صَفْوَتِي مِنَ الْبُيُوتِ، وَلَسْتُ أَسْكُنُهُ وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ أَسْكُنَ الْبُيُوتَ، وَلَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَحْمِلَنِي، أَجْعَلُ ذَلِكَ الْبَيْتَ لَكَ وَلِمَنْ بَعْدَكَ حَرَمًا وَأَمْنًا، أُحَرِّمُ بِحُرْمَتِهِ مَا فَوْقَهُ وَمَا تَحْتَهُ وَمَا حَوْلَهُ، فَمَنْ حَرَّمَهُ بِحُرْمَتِي فَقَدْ عَظَّمَ حُرْمَتِي، وَمَنْ أَحَلَّهُ فَقَدْ أَبَاحَ حُرْمَتِي، مَنْ آمَنَ أَهْلَهُ اسْتَوْجَبَ بِذَلِكَ أَمَانِيَّ وَمَنْ أَخَلفَهُمْ فَقَدْ أَخْفَرَنِي فِي ذِمَّتِي، وَمَنْ عَظَّمَ شَأْنَهُ فَقَدْ عَظُمَ فِي عَيْنِي، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِهِ صَغُرَ عِنْدِي، وَلِكُلِّ مَلِكٍ حِيَازَةٌ وَبَطْنُ مَكة حَوْزَتِي الَّتِي حِزْتُ لِنَفْسِي دُونَ خَلْقِي فَأَنَا اللهُ ذُو بَكَّةَ، أَهْلُهَا خفرَتِي وَجِيرانُ بَيْتِي، وَعُمَّارُها وَزُوَّارُها وَفْدِي وَأَضْيَافِي فِي كَنَفِي، وَضَمَانِي وَذِمَّتِي وَجِوَارِي أَجْعَلُهُ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ، وَأَعْمُرُهُ بِأَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ يَأْتُونَهُ أَفْوَاجًا شُعْثًا غُبْرًا عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، يَعِجُّونَ بِالتَّكْبِيرِ عَجِيجًا، وَيَرُجُّونَ بِالتَّلْبِيَةِ رَجِيجًا فَمَنِ اعْتَمَرَهُ لَا يُرِيدُ غَيْرِي فَقَدْ زَارَنِي وَضَافَنِي وَوَفَدَ إِلَيَّ وَنَزَلَ بِي فَحُقَّ لِي أَنْ أُتْحِفَهُ لكَرَامَتِي وَحَقُّ الْكَرِيمِ أَنْ يُكْرِمَ وَفْدَهُ، وَأَضْيَافَهُ وَزُوَّارَهُ، وَأَنْ يُسْعِفَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِحَاجَتِه تَعْمُرُهُ يَا آدَمُ مَا كُنْتُ حَيًّا، ثُمَّ يَعْمُرُهُ مِنْ بَعْدِكَ الْأُمَمُ وَالْقُرُونُ وَالْأَنْبِيَاءُ مِنْ وَلَدِكَ أُمَّةً بَعْدَ أُمَّةٍ وَقَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَنَبِيًّا بَعْدَ نَبِيٍّ حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ ذَلِكَ إِلَىٰ نَبِيٍّ مِنْ وَلَدِكَ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ فَأَجْعَلُهُ مِنْ عُمَّارِهِ، وَسُكَّانِهِ، وَحُمَاتِهِ، وَوُلَاتِهِ، وَحُجَّابِهِ، وَسُقَاتِهِ ... " .

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٤٥٢ برقم ٣٩٨٥) .

قال الإمام السُّيوطي : " هَذَا الْأَثَرُ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ مُجَاهِدٍ الْمَذْكُورِ آنِفاً ، وَلَا شَكَّ أَنَّ وِلَايَةَ الْبَيْتِ كَانَتْ مَعْرُوفَةً بِأَجْدَادِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَىٰ أَنِ انْتَزَعَهَا مِنْهُمْ عمرو الخزاعي ، ثمَّ عَادَتْ إِلَيْهِمْ، فَعُرِفَ أَنَّ كُلَّ مَا ذُكِرَ عَنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنَّ أَوْلَىٰ النَّاس بِهِ سِلْسِلَةُ الْأَجْدَادِ الشَّرِيفَةِ الَّذِينَ خُصُّوا بِالِاصْطِفَاءِ ، وَانْتَقَلَ إِلَيْهِمْ نُورُ النُّبُوَّةِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، فَهُمْ أَوْلَىٰ بِأَنْ يَكُونُوا هُمُ الْبَعْضُ الْمُشَارُ إِلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ : ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠] . انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٦٢) .

وعن سفيان بن عيينة قال : لم يعبد أحدٌ من ولد إسماعيل الأصنام لقوله : **﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾** [إبراهيم: ٣٥] ، قيل : فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم قال : لأنَّه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوا الأصنام ودعا لهم بالأمن ، فقال : **﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾** [إبراهيم: ٣٥] ، ولم يدع لجميع البلدان بذلك ، وقال : **﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾** [إبراهيم: ٣٥] فيه وقد خصَّ أهله وقال : **﴿رَبَّنا إِنِّي**

أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] . انظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٥٥٧) .

وقد ساق السُّيوطي آثاراً عديدة يعلم من مجموعها أنَّ أجداد الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا علىٰ دين إبراهيم الخليل عليه الصَّلاة والسَّلام ، فإذا أضفنا إليها دعوات إبراهيم عليه السَّلام لذرِّيته من إسماعيل عليه السَّلام : **﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ﴾** [إبراهيم: ٣٥] ، **﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنا وَتَقَبَّلْ دُعاءِ﴾** [إبراهيم: ٤٠] ، **﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** [الزخرف: ٢٨] ، علمنا أنَّ من ذرِّيته من بقي علىٰ الإيمان إلىٰ أن وصل الأمر إلىٰ جدِّه عبد المطَّلب وأبيه عبد الله ، تلك السِّلسلة الطَّيِّبة التي خصّت بالاصطفاء وانتقل إليهم نور النُّبوة واحداً بعد واحد ، فهم أولىٰ بأن يكونوا هم البعض المُشار إليهم في دعاء إبراهيم عليه السَّلام في الآيات السَّابقة . وكان عمرو بن لحي أوَّل من أدخل عبادة الأصنام إلىٰ جزيرة العرب ، وهو أوَّل من زاد في التَّلبية : لبَّيك لا شريك لك ، إلَّا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك " . انظر : البداية والنهاية (٢/ ١٨٨) .

وذكر المسعودي أنَّ العرب كانت في جاهليتها فِرقاً : منهم الموحَّد المقرّ بخالقه ، المصدِّق بالبعث والنُّشور ، الموقن بأنَّ الله يثيب المطيع ، ويعاقب العاصي ... انظر : مروج الذهب (١/ ٢١٩) .

ومن هؤلاء الموحِّدين : جدُّه عبد المطَّلب ، يقول الإمام الشَّهرستاني : " ظهر بعض الظُّهور في أسارير عبد المطلب : سيِّد الوادي ، شيبة الحمد ، وسجد له الفيل الأعظم ، وعليه قصة أصحاب الفيل.

وببركة ذلك النُّور دفع الله تعالىٰ شرَّ أبرهة وأرسل عليهم طيراً أبابيل.

وببركة ذلك النُّور رأىٰ تلك الرُّؤيا في تعريف موضع زمزم ووجدان الغزالة والسُّيوف التي دفنتها جرهم.

وببركة ذلك النُور ألهم عبد المطَّلب النَّذر الذي نذر في ذبح العاشر من أولاده ، وبه افتخر النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام حين قال : " أنا ابن الذَّبيحين " . أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٩ برقم ٤٠٤٨) .

وببركة ذلك النُّور كان عبد المطَّلب يأمر أولاده بترك الظُّلم والبغي ، ويحثُّهم علىٰ مكارم الأخلاق ، وينهاهم عن دنيَّات الأمور.

وببركة ذلك النُّور قال لأبرهة : إنَّ لهذا البيت ربَّاً يحفظه ويذبُّ عنه ، وفيه قال وقد صعد إلىٰ جبل أبي قبيس:

لا هُمَّ إنَّ المرء يمــنع رحله فامنع رحــــالك

لا يغلبنَّ صليبُهم ومحالهم عذراً محــــــــالك

إن كنت تاركهـــم وكعــبتنا فأمر ما بدا لك

وببركة ذلك النُّور كان يقول في وصاياته : إنَّه لن يخرج من الدُّنيا ظلوم حتىٰ ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة ، إلىٰ أن هلك رجل ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة ، فقيل لعبد المطَّلب في ذلك ، ففكَّر ، وقال : والله إنَّ وراء هذه الدَّار داراً يجزىٰ فيها المحسن بإحسانه ، ويعاقب فيها المسيء بإساءته ... انظر : الملل والنحل (٣/ ٨٤) .

وممَّا يدعم القول بإيمان عبد المطَّلب ، انتساب وافتخار الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به يوم حنين بقوله : "... أنا النَّبيُّ لا كذب ، أنا ابن عبد المطَّلب " . أخرجه البخاري (٤/ ٣٠ برقم ٢٨٦٤) ، مسلم (٣/ ١٤٠٠ برقم ١٧٧٦) .

ومن المعلوم أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ عن الانتساب للمشركين ، وذلك فيما رواه البيهقي بسنده عن أبي هريرة مرفوعاً : " إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عَيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ ، النَّاس بَنُو آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْخَرُونَ بِرِجَالٍ ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تُدْفَعُ " . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٢٥ برقم ٤٧٦٤) .

والأدلَّة علىٰ نجاتهما رضي الله عنهما كثيرة ، وقد ضمَّنتها كتاباً بعنوان : " كشف الخفا في مصير والدي المصطفىٰ " .

ومع ما قدَّمناه وغيره الكثير في نجاتهما رأينا البعض يحكم بكفرهما وبالتالي هلاكهما...

وذهب إلىٰ القول بكفرهما الإمام ابن تيمية ، اعتماداً منه علىٰ الأحاديث الدالَّة علىٰ هلاكهم ... والأدلَّة التي استدلُّوا بها علىٰ هلاك والديه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هي:

الحَدِيْثُ الأوَّل : روىٰ مسلم بسنده عَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيْنَ أَبِي ؟ قَالَ : " فِي النَّارِ " ، فَلَمَّا قَفَّىٰ دَعَاهُ ، فَقَالَ : " إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ " . أخرجه مسلم (١/ ١٩١ برقم ٣٤٧) .

والجواب عن الحديث بالآتي:

۞ **أَوَّلاً** ۞ : أنَ الحديث معارض لمنطوق قول الله تعالىٰ : ﴿**وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء: ١٥] .

۞ **ثَانِيَاً** ۞ : أنَّ الحديث معارض لقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصَّحيح الذي رواه الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبِي كَانَ يَصِلُ

الرَّحِمَ، وَكَانَ وَكَانَ، فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ «فِي النَّارِ» قَالَ: فَكَأَنَّهُ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ فَأَيْنَ أَبُوكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ» قَالَ: فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدُ، وَقَالَ: لَقَدْ كَلَّفَنِي رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَبًا، مَا مَرَرْتُ بِقَبْرِ كَافِرٍ إِلَّا بَشَّرْتُهُ بِالنَّارِ " . أخرجه ابن ماجة ، (١/ ٥٠١ برقم ١٥٧٣) ، (١/ ١٤٥ برقم ٣٢٦) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد (ص٥٤٦ برقم ٥٩٥) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (٣/ ٢٠٤ برقم ١٠٠٥) . وذكر الأستاذ العلَّامة حسَّان عبد المنان في تعليقه على سنن ابن ماجة (ص١٧٢) أن البوصيري قال : هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات ، محمد بن إسماعيل : وثَّقه ابن حبَّان والدارقطني والذهبي ، وباقي رجال السند على شرط الشيخين.

أمَّا ما ذكره السيوطي في الحاوي (٢/ ٢٢٦) عند روايته لهذا الحديث من طريق معمر عن ثابت وقوله بأنَّ معمراً أثبت من حمَّاد وأنَّ حمَّاداً تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا أن ربيبه (ابن أبي العوجاء) دسَّها في كتبه ... فالحقُّ أنَّ حمَّاد بن سلمة أوثق أصحاب ثابت على الإطلاق بإجماع أهل الجرح والتَّعديل ، قال ابن رجب الحنبلي في شرح علل التِّرمذي (٢/ ٦٩٠-٦٩١) : حكى مسلم في كتاب " التَّمييز " إجماع أهل المعرفة على أنَّ حمَّاد بن سلمة أثبت النَّاس في ثابت ، وأمَّا معمر فهو على إمامته إلَّا أنَّ له عن ثابت غرائب ومناكير ، قال علي بن المديني : وفي أحاديث معمر عن ثابت أحاديث غرائب ومنكرة ، وقال العقيلي : أنكرهم رواية عن ثابت عن معمر ، وقال ابن معين : حديث معمر عن ثابت مضطرب كثير الأوهام.

وأمَّا دعوى أنَّ حمَّاداً كان له ربيب يدسُّ في كتبه فهي دعوى لا تصحّ ، انفرد بروايتها أبو عبد الله بن الثَّلجي الكذاب ، كما قال ابن عدي في الكامل (٢/ ٦٧٦) .

۞ **ثَالِثَاً** ۞ : ومن الأجوبة على هذا الحديث ما ذكره الإمام الشَّعراوي ، قال : " إذا صحَّ هذا الحديث فهو ممَّا قبل أن ينزل قوله تعالى : ﴿**وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء: ١٥] ، لأنَّه لا عقوبة إلَّا بتحريم ، ولا تحريم إلَّا بنصّ ، ولهذا كان العفو عمَّن لم تبلغه الدَّعوة ، فيكون الحديث إن صحَّ علميَّاً منسوخاً بالآية فضلاً وعدلاً من الله تعالى.

وقد نقل الثِّقات مؤرِّخو السِّيرة الشَّريفة كلّهم تقريباً بإسنادهم عن عبد الله والد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصَّة المرأة التي دعته إلى نفسها فاستعصم ، وقال شعراً يؤكِّد إيمانه بالله واستمساكه بالشَّرائع السَّماوية السَّابقة ، ولم يثبت أنَّه مات كافراً أو أنَّه عبد وثناً.

وقد يكون قوله : " إنَّ أبي في النَّار " لما قاله الله تعالى : ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا**﴾ [مريم: ٧١] ، أي : إنَّ أبي وأباك سَيَرِدان النَّار في طريقهما إلى الجنَّة ، وورود إشراف كبقيَّة المؤمنين ،

وهذا الرَّأي عند بعض العلماء أوسط وأرجح وأرضى ..." . انظر : عصمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، محمَّد زكي إبراهيم (ص٩٩-١٠٠)

فبهذين الجوابين أجاب الإمام الشَّعراوي عن الحديث ، وهما بلا شكّ محتملان ، والله أعلم.

۞ رَابِعَاً ۞ : أنَّ الحديث من أخبار الآحاد ، وأخبار الآحاد ليست حجَّة في العقيدة ، على ما ذهب إليه جمهور الأصوليين ، منهم: الباقلَّاني ، الخطيب البغدادي ، ابن فورك ، الغزالي ، القاضي عبد الجبَّار ، الرَّازي ، البيهقي ، الكرماني ، القاسمي ، النووي ، الكاساني ، ابن عبد البر ، عبد القاهر البغدادي ، وغيرهم كثير ... انظر : الفرق بين الفرق (ص٣٢٥) ، المستصفى (١/ ١٤٢) ، شرح الكوكب المنير (٢/ ٣٥١) ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢/ ١٢٣) ، مطبوع بهامش المستصفى ، الإحكام ، الآمدي (٢/ ٣٢ فما بعدها) ، شرح العضد على ابن الحاجب ، الإيجي (٢/ ٥٦) ، نهاية السول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول (١/ ٢٣) ، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي (٢/ ٣٧٥) ، أساس التقديس (ص١٩٢) ، الأسماء والصفات ، البيهقي (ص٤٥٠) .

ونسبهُ جماعة إلى الأكثر من أهل الأصول . انظر : المعتمد في أصول الفقه (٢/ ٥٥٦) ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢/ ١٢٣) ، مطبوع بهامش المستصفى ، أصول السرخسي (١/ ٢٩٢) .

كما نسبه ابن حزم إلى الحنفيَّة والشَّافعيَّة وجمهور المالكيَّة، وإلى جميع المعتزلة . انظر : الإحكام في أصول الأحكام ، (١/ ١٠٧) ، ، إرشاد الفحول (ص٤٨) ، المسودة في أصول الفقه (ص٢٤٧-٢٤٨) .

۞ خَامِسَاً ۞ : أنَّ المقصود بالأب هنا العمّ ، وقد ورد تسمية العمّ أباً في كتاب الله ، قال تعالى في قصَّة يعقوب : ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] ، وإسماعيل لم يكن من آبائهم ، وإنَّما كان عمّهم ، كما هو معلوم...

قال الألوسي: " وقدَّم إِسْماعِيلَ في الذكر على إِسْحاقَ لكونه أسنّ منه وعدّه من آباء يعقوب مع أنَّه عمّه تغليباً للأكثر على الأقل أو لأنَّه شبَّه العم بالأب لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوَّة ، فأطلق عليه لفظه ، ويؤيِّده ما أخرجه الشَّيخان " عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ" . أخرجه مسلم (٢/ ٦٧٦ برقم ٩٨٣) .

وحينئذ يكون المراد- بآبائك- ما يطلق عليه اللفظ كيلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز ، والآية على حدِّ ما أخرجه ابن أبي شيبة وغيره من قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : "احفظوني في العبَّاس فإنه بقيَّة آبائي " . انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٣٨٨) ، والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ، (٤/ ٢٨٢ برقم ٤٢٠٩) ، الروض الداني (المعجم الصغير) (١/ ٣٤٤ برقم ٥٧٢) ، ابن أبي شيبة في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (٦/ ٣٨٢ برقم ٣٢٢١٢) .

وعليه ، فالمقصود بالأب الوارد في الحديث إنّما هو عمّه...

الحَدِيثُ الثَّانِي : روىٰ مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ ، فَبَكَىٰ وَأَبْكَىٰ مَنْ حَوْلَهُ ، فَقَالَ: " اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي ، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ " . أخرجه مسلم (٢/ ٦٧١ برقم ٩٧٦) .

قالوا: ومنعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الاستغفار لأمّه دليل على أنها ماتت كافرة...

والجواب عن هذا الحديث بالآتي:

أ–في سند الحديث : يزيد بن كيسان اليشكري ، أبو إسماعيل ، ويقال : أبو منين الكوفي . ويزيد هذا ثقة ، وثّقه ابن معين ، والنّسائي ، وأحمد ، والدّارقطني ، لكن تكلَم فيه غير واحد.

قال علي بن المديني عن القطّان عن صالح : وسط ليس هو ممَن يعتمد عليه.

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : يُكتب حديثه ، محلّه الصِّدق ، صالح الحديث . قلت : يحتج بحديثه ؟ قال : بعض ما يأتي به صحيح وبعض لا . وقال ابن حبّان في الثِّقات : كان يخطئ ويخالف لم يفحش خطؤه حتىٰ يعدل به عن سبيل العدول ولا أتىٰ بمناكير فهو مقبول إلّا ما يعلم أنّه أخطأ فيه فيترك خطؤه كغيره من الثِّقات ، وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالحافظ عندهم . انظر : تهذيب التهذيب (١١/ ٣٥٦) ، التاريخ الكبير (٨/ ٣٥٤) .

وقال أبو حاتم : لا يحتج به . انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٤/ ٤٣٩) .

وعليه، فيزيد بن كيسان مع كونه ثقة إلّا أنّه يخطئ من غير تعمّد ، وفي حالة خطئه لا بدَّ أن يترك حديثه ، حاله في هذا كحال بقية الثِقات الذين تُطرح روايتهم في حال الخطأ ، تماماً كما في هذه الرِّواية ، خاصَة وأنّها تعارض منطوق قول الله تعالىٰ : **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥] .

وللحديث طريق ثانية من رواية عبد الله بن مسعود . أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (١/ ١٩٠)، ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٣٤١) .

وفيها : أيُّوب بن هانئ : قال ابن معين : ضعيف ، وقال ابن عدي : لا أعرفه ، وقال أبو حاتم ، شيخ صالح ، وقال ابن حجر : صدوق فيه لين . انظر : تهذيب التهذيب (١/ ٤١٤) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣/ ٥٠١) .

وللحديث ، طريق ثالثة من رواية سليمان بن بريدة عن أبيه ، فذكره . أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (١/ ١٨٩) ، ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٣٤١) .

وفي سنده محمَّد بن الحسين القطان : قال الإسماعيلي: سمعت عبد الله بن ناجية يكذبه يقول : روىٰ عن سلمان بن توبة ، وقد مات قبل أن يسمع منه .

وروىٰ عنه ابن عَدِي عدة أحاديث يخالف في أسانيدها.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَاكِمُ : أَحضَرُونِي مَجْلِسَه غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَلَمْ يَصِحَّ لِي عَنْهُ شَيْء . انظر : لسان الميزان (٧/ ٨٧) ، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣١٩) .

ب- " أنَّ الاستغفار فرع علىٰ المؤاخذة علىٰ الذَنب ، ومن لم تبلغه الدَّعوة لم يذنب حتىٰ يؤاخذ علىٰ ذنبه ، فلا حاجة إلىٰ الاستغفار له من ذنب لم يفعله ولن يؤاخذه الله عليه ، فيقع الاستغفار آنئذ لغواً ، وليس من شأن الأنبياء اللغو.

ج- أنَّ أهل بيته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنهم أمُّه لا يدخلون النَّار ، لما أخرجه ابن جرير عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في آية: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى﴾ [الضحىٰ: ٥] ، قال : من رِضا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألَّا يدخل أحد من أهل بيته النَّار " . انظر : عصمة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، محمَّد زكي إبراهيم (ص٩٧-٩٨) ، والأثر أخرجه الطَّبري في التفسير (٢٤/ ٤٨٧) ، ابن كثير في التفسير (٨٨/ ٤٢٦) .

وممَّا يؤكد نجاة أمِّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رواه أبو نعيم الأصبهاني في كتاب " دلائل النُّبوَّة " عن أمّ سماعة بنت أبي رُهْم ، عن أُمها قالت : شهدت آمنة بنت وهب في علَّتها التي ماتت فيها ومحمَّد غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلىٰ وجهه ثمَّ قالت:

بـــــــارك الله فيك من غلام

نجا بعــــــــون الملك المِنعام

بمــــــــائة من إبل سوام

فأنت مبعـــــــوث إلىٰ الأنام

تُبعث في الحلِّ وفي الحــــــرام

دين أبيك البَرِّ إبراهـــــــام

أن لا تواليهـــــا مع الأقوام يا ابن الذي من حومـــة الحِمام

فُودِي غداة الضرب بالسهام

إن صحَّ ما أبصرتُ في منامي

من عند ذي الجلال والإكرام

تبعث بالتحقيــــــق والإسلام

تبعثُ بالتخفيــــف والإسلام

فاللهُ أنهاك عن الأصنـــــــام

ثمَّ قالت : كلّ حيّ ميِّت ، وكلّ جديد بال ، وكلّ كبير يفنى ، وأنا ميِّتة وذكري باقي ، وقد تركت خيراً ، وولدت طهراً ، ثمَّ ماتت ... انظر : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ١٦٤-١٦٥) .

فهذا الكلام من أُمِّه رضي الله عنها يدلُ على إيمانها وتوحيدها ، وقد نقل هذا الكلام أغلب أصحاب السِّيرة النَّبويَّة.

قال الإمام السُّيوطي بعد نقله الأبيات السَّابقة : " فَأَنْتَ تَرَىٰ هَذَا الْكَلَامَ مِنْهَا صَرِيحاً فِي النَّهْيِ عَنْ مُوَالَاةِ الْأَصْنَامِ مَعَ الْأَقْوَامِ ، وَالِاعْتِرَافِ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ ، وَيُبْعَثُ وَلَدُهَا إِلَى الْأَنَامِ مِنْ عِنْدِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِالْإِسْلَامِ.

وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ مُنَافِيَةٌ لِلشِّرْكِ ، وَقَوْلُهَا : تُبْعَثُ بِالتَّحْقِيقِ ، كَذَا هُوَ فِي النُّسْخَةِ ، وَعِنْدِي أَنَّهُ تَصْحِيفٌ وَإِنَّمَا هُوَ بِالتَّخْفِيفِ ، ثمَّ إِنِّي اسْتَقْرَأْتُ أُمَّهَاتِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فَوَجَدْتُهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ؛ فأم إسحاق ، وَمُوسَىٰ ، وَهَرُونَ ، وَعِيسَىٰ ، وحواء أم شيث مَذْكُورَاتٌ فِي الْقُرْآنِ ، بَلْ قِيلَ بِنُبُوَّتِهِنَّ ، وَوَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ بِإِيمَانِ هاجر أم إسماعيل ، وأم يعقوب ، وَأُمَّهَاتِ أَوْلَادِهِ ، وأم داود ، وَسُلَيْمَانَ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَىٰ ، وَشَمْوِيلَ ، وَشَمْعُونَ ، وَذِي الْكِفْلِ ، وَنَصَّ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَىٰ إِيمَانِ أم نوح ، وأم إبراهيم ، وَرَجَّحَهُ أبو حيان فِي تَفْسِيرِهِ...

فَأُمَّهَاتُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلُّهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ ... فَكَذَلِكَ أُمُّ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٦٩-٢٧٠) .

أمَّا ما ورد في بعض الرِّوايات من أنَّ السَّبب في نزول قوله تعالى: **﴿مَا كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾** [التوبة: ١١٣] حتى ختم الآية : **﴿وَما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾** [التوبة: ١١٤] ، أنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يستغفر لأمِّه فمُنع من ذلك...

فإضافة إلى كون الحديث ضعيف ، فقد تباينت أقوال العلماء في سبب نزول الآية وتأويلها ، على أقوال:

القول الأوَّل : أنَّها نزلت في شأن أبي طالب عمّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يستغفر له بعد موته ، فنهاه الله عن ذلك.

القول الثَّاني : أنَّها نزلت في أم الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذلك أنَّه أراد أن يستغفر لها فمنع من ذلك

.

القول الثَّالث : أنَّها نزلت من أجل أَّن قوماً من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين ، فنهوا عن ذلك.

القول الرَّابع : أنَّ الاستغفار في هذا الموضع بمعنىٰ الصَّلاة...

القول الخامس : أنَّ الاستغفار في هذا الموضع بمعنىٰ الدُّعاء ... انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٤/ ٥٠٩ فما بعدها) ، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٢١ فما بعدها) ، الدر المنثور (٤/ ٣٠٠ فما بعدها) ، أسباب النزول (ص١٧٧-١٧٨) .

فأقوال العلماء في سبب الآية متضاربة ، وكل ما تطرَّق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال ، هذا علاوة علىٰ أنَّ الحديث المرفوع الوارد في ذلك فيه مقال.

يُضاف لما سبق أنَّ الحديث من أخبار الآحاد التي لا يحتجُّ بها في العقائد ، كما تقدَّم عن جمهور الأصوليين...

الحَدِيْثُ الثَّالِثُ : روىٰ البزَّار بسنده عَن ابْنِ بُرَيدة ، عَن أَبيهِ ، رَضِي اللهُ عَنْهُ ، قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّىٰ إِذَا كُنَّا بِوَدَّانَ ، أَوْ بِالْقُبُورِ ، سَأَلَ الشَّفَاعَةَ لأُمِّه ، أَحْسَبُهُ قَالَ : فَضَرَبَ جبريلُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ ، وَقال : لا تَسْتَغْفِرْ لِمَنْ مَاتَ مُشْرِكاً ، فَرَجَعَ ، وهُو حزينٌ . أخرجه البزار في المسند (١٠/ ٣٢٦ برقم ٤٤٥٣ ، وقال : وَلا نَعْلَمُ رَوَىٰ هَذَا الْحَدِيثَ بِهَذَا الإِسْنَادِ إلاَّ محمَّد بْنُ جَابِرٍ) .

والحديث ضعيف ، في سنده محمَّد بن جابر اليمامي السحمي : ضعَّفه ابن معين ، والنَّسائي. وقال البخاري : ليس بالقوي. وقال أبو حاتم : ساء حفظه في الآخر ، وذهبت كتبه. قلت : وأضرّ. وقال أحمد : لا يحدِّث عنه إلَّا شرٌّ منه. وقال ابن حبَّان : كان أعمىٰ يلحق في كتبه ما ليس من حديثه ويسرق ، وما ذكر به فيحدِّث به. انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣/ ٤٩٦) .

ذكر ابن جرير في سبب نزول قوله تعالىٰ : ﴿**وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾ [البقرة: ١١٩] ، قَالَ : قَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ : (وَلَا تَسْأَلْ) جَزْماً بِمَعْنَىٰ النَّهْيِ مَفْتُوحَ التَّاءِ مِنْ تَسْأَلْ ، وَجَزْمِ اللَّامِ مِنْهَا . وَمَعْنَىٰ

ذَلِكَ عَلَىٰ قِرَاءَةِ هَؤُلَاءِ : إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً لَتُبَلِّغَ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ ، لَا لِتَسْأَلَ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حَالِهِمْ.

وَتَأَوَّلَ الَّذِينَ قَرَءُوا هَذِهِ الْقِرَاءَةَ مَا حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ مُوسَىٰ بْنِ عُبَيْدَةَ ، عَنْ محمَّد بْنِ كَعْب ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ أَبَوَايَ " . «فَنَزَلَتْ **﴿وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾** " . انظر : تفسير الطَّبري (٢/ ٤٨٠-٤٨١) ، الدر المنثور (١/ ٢٧١) .

والأثر كما قال السُّيوطي مرسل ضعيف الإسناد ، في سنده : الحسن بن يحيىٰ ، قال النَّسائي : لا شيء خفيف الدماغ . انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (١/ ٥٢٥) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٦/ ٣٣٧) ، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٢٥) .

وفي السَّند أيضاً : موسىٰ بن عبيدة الربذي : قال أحمد : لا يكتب حديثه ، وقال النَّسائي وغيره : ضعيف ، وقال ابن عدي : الضَّعف علىٰ رواياته بيِّن ، وقال ابن معين : ليس شيء ، وقال مرَّة : لا يحتجُّ بحديثه ، وقال يحيىٰ بن سعيد : كنا نتَّقي حديثه ، وقال ابن سعد : ثقة ، وليس بحجَّة ، وقال : يعقوب بن شيبة : صدوق ضعيف الحديث جداً . انظر : تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٥٧-٣٥٨) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٤/ ٢١٣) .

الحديث الرَّابع : روىٰ أحمد وغيره بسندهم عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : جَاءَ ابْنَا مُلَيْكَةَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَا : إِنَّ أُمَّنَا كَانَتْ تُكْرِمُ الزَّوْجَ، وَتَعْطِفُ عَلَىٰ الْوَلَدِ ، - قَالَ : وَذَكَرَ الضَّيْفَ - غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ وَأَدَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ : " أُمُّكُمَا فِي النَّارِ " ، فَأَدْبَرَا ، وَالشَّرُّ يُرَىٰ فِي وُجُوهِهِمَا ، فَأَمَرَ بِهِمَا ، فَرُدَّا ، فَرَجَعَا وَالسُّرُورُ يُرَىٰ فِي وُجُوهِهِمَا ، رَجِيَا أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ شَيْءٌ ، فَقَالَ : " أُمِّي مَعَ أُمِّكُمَا " . أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٣٢٨ برقم ٣٧٨٧) . قال الأرنؤوط في تخريجه للمسند : " إسناده ضعيف لضعف عثمان - وهو ابن عمير البجلي أبو اليقظان - ، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح غير سعيد بن زيد - وهو ابن درهم الأزدي أخو حماد بن زيد - فمختلف فيه . عارِم بن الفضل : هو محمَّد بن الفضل السدوسي ، وعارم لقبه ، وإبراهيم : هو ابن يزيد النخعي ، وعلقمة : هو ابن قيس النخعي ، والأسود : هو ابن يزيد النخعي . وأخرجه البزار (٣٤٧٨) " زوائد "، والطبراني في " الكبير " (١٠٠١٧) من طريق عارم - شيخ أحمد - ، بهذا الإسناد . قال البزار : لا نعلمه يروىٰ بهذا اللفظ من حديث علقمة عن عبد الله إلَّا من هذا الوجه . وقد روىٰ الصعْق بن حزْن عن علي بن الحكم ، عن عثمان بن عمير ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، وأحسب أن الصعق غلط في هذا الإسناد. قلنا: من طريق الصعْق بالإسناد المذكور أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٠٠١٨) ، والحاكم ٢/ ٣٦٤-٣٦٥، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وعثمان بن عمير هو أبو اليقظان ، فتعقبه الذهبي بقوله : لا والله ، فعثمان ضعفه الدارقطني ، والباقون ثقات. وأورده الهيثمي في "المجمع" ١٠/ ٣٦١-٣٦٢ ، وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني ، وفي أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير، وهو ضعيف . قال السندي : وأدت، بهمزة ، والوأد : دفن البنات حية ، ومنه قوله تعالىٰ : (وإذا الموؤودة سئِلت) [التكوير: ٨]. والشر : أي : الحزن والغم. أمي مع أمكما : أجاب عنه السيوطي بأنه حديث ضعيف ، أي لأن عثمان بن عمر ضعفه الدارقطني. وبأنه ليس فيه أن أمه في النار ، فيحتمل المعية في البرزخ ، معناه : أن أمي في القبر كأمكما ،

والحامل على التعبير به والتورية دفع الفتنة عن السائل. وبأنه قاله قبل أن يخبر فيها أنها في الجَنَّة ، وذلك لما في آخر الحديث أنه : ما سألتهما ربي ، فهذا يدل على أنه لم يكن وقعت بعد بينه وبين ربه مراجعة في أمرها ، ثمَّ وقعت بعد ذلك. انتهى. ونحن نطأ عقبيه: أي : نتبعه في الدِّين ، أو في المشي خلفه ، والثاني خلاف ا المعلوم في عاداته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

والحديث ضعيف ، في سنده : عثمان بن عمير ، قال الذَّهبي: ضعَّفوه ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقال النَّسائي: ليس بالقوي ، وقال الدَّارقطني وغيره : ضعيف . وقال أحمد بن حنبل : ضعيف الحديث ، وقال ابن عدي : رديئ المذهب ، وقال ابن أبي حاتم : ضعيف ، سألت أبي عنه ، فقال : ضعيف الحديث منكر الحديث ، كان شعبة لا يرضاه . انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣/ ٥٠) .

قلت : ونظراً لجلاء المسألة ووضوحها وإطباق المنصفين المُخبتين على التَّصريح بنجاة أبوي النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد أُلِفت في نجاتهما العديد من المؤلَّفات ، منها على سبيل المثال لا الحصر:

(١) آباء النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، محمَّد بن عبد الدَّائم البرماوي.

(٢) آباء النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، ابن عمَّار.

(٣) إتحاف الماجدين في سير السَّاجدين ، عبد الله محمَّد العكور.

(٤) أخبار آباء النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، الكوفي.

(٥) إرشاد الغبي في إسلام آباء النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، تأليف أحد علماء الهند ، كما في كشف الظُّنون.

(٦) إسلام أبوي النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، شمس الدِّين محمَّد بن شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن علي الحصكفي المعروف بابن الملا.

(٧) أسماء أجداد النبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، البرماوي.

(٨) الاصطفا في إيمان أبوي سيِّدنا المصطفى ، البوطي.

(٩) إعلام الجهول بنجاة والدي الرسول ، الأستاذ الدكتور علي مقدادي الحاتمي الأشعري.

(١٠) أُمُّ النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، الدكتورة عائشة عبد الرَّحمن.

(١١) أمَّهات النبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، ابن المديني

(١٢) أنباء الأصفيا في حقِّ آباء المصطفى صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، الرُّومي الأماسي.

(١٣) الانتصار لوالدي النَّبي المختار صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، السيِّد مرتضى الزَّبيدي.

(١٤) الأنوار النَّبويَّة في آباء خير البريَّة صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، الرفيعي الأندلسي.

(١٥) أهل الفترة ومن في حكمهم ، الدكتور نبيل أحمد حسين جداية.

(١٦) إيجاز الكلام في والدي النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، محمد بن محمَّد التَّبريزي.

(١٧) بسط اليدين لإكرام الأبوين ، محمَّد غوث بن ناصر الدِّين المدارسي.

(١٨) بلوغ المآرب في نجاة أبوي المصطفىٰ وعمّه أبي طالب ، الأزهري اللاذقي .

(١٩) بلوغ المرام في آباء النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ، إدريس بن محفوظ.

(٢٠) تأديب المتمرِّدين في حقِّ الأبوين ، عبد الأحد بن مصطفىٰ الكتاهي السيواسي.

(٢١) تأكيد الأدلَّة علىٰ نجاة والدي النَّبي من النَّار ، محمَّد نور سويد الحلبي.

(٢٢) تحفة الصَّفا فيما يتعلَّق بأبوي المصطفىٰ صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، الغنيمي.

(٢٣) تحقيق النُّصرة بإيمان أهل الفترة ، حسن بن علي بن يحيىٰ العجيمي المكِّي.

(٢٤) تحقيق آمال الرَّاجين في أنَّ والدي المصطفىٰ من النَّاجين ، اابن الجزاز.

(٢٥) التَّعظيم والمنَّة في أن أبوي المصطفىٰ في الجَنَّة ، الإمام السُّيوطي.

(٢٦) تكحيل العين بأدلَّة نجاة الأبوين ، عبد الله محمَّد العكور.

(٢٧) تنبيه العقول في نجاة آباء سيِّدنا الرَّسول صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، الصَّفوي.

(٢٨) تنبيه الغفول في إثبات إيمان آبا الرَّسول صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، علي الكوباموي.

(٢٩) جزء في إسلام الوالدين ، السَّخاوي.

(٣٠) الجواهر المضيّة في حقِّ أبوي خير البريَّة صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، التّمرتاشي.

(٣١) حديقة الصَّفا في والدي المصطفىٰ ، الإمام السيِّد مرتضىٰ الزَّبيدي.

(٣٢) خلاصة الوفا في طهارة أصول المصطفىٰ صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم من الشِّرك والجفا ، محمَّد بن يحي الطالب .

(٣٣) الدُّر اليتيم في إيمان آباء النَّبي الكريم ، علي أنور الكاكوروي.

(٣٤) الدَّرجة المنيفة في الآباء الشَّريفة للإمام السُّيوطي.

(٣٥) ذخائر العابدين في نجاة والد المكرَّم سيِّد المرسلين صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، الأسبيري.

(٣٦) الرَّد علىٰ من اقتحم القدح في الأبوين الكريمين ، البخشي.

(٣٧) الرِّسالة البيانيَّة في حقِّ أبوي النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، محمَّد بن محمَّد بن الجزري.

(٣٨) رسالة في أبوي النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، أحمد بن سليمان بن كمال باشا.

(٣٩) رسالة في أبوي النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، الفناري.

(٤٠) رسالة في إسلام أبوي النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، ابن الملا شمس الدِّين الحصكفي الحلبي الشَّافعي.

(٤١) رسالة في الرَّدِّ علىٰ ملا علي القاري ، محيي الدِّين عبد القادر بن محمَّد بن يحيىٰ بن مكرم بن محب الدِّين الطَّبري.

(٤٢) رسالة في إيمان أبوي النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي.

(٤٣) رسالة في فضل أبويه صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، علي الدَّاغستاني.

(٤٤) رسالة في نجاة الوالدين المكرمين ، محمَّد بن يوسف بن يعقوب الإسبري الحلبي.

(٤٥) رسالة موجزة في حقِّ أبوي النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، سليمان بن عبد الرَّحمن مستقيم زاده الحنفي.

(٤٦) رفع المين عن حديث إحياء الوالدين الكريمين ، عبد الله محمَّد العكور.

(٤٧) الرِّياض النَّديَّة في الآباء العليَّة ، عبد الله محمَّد العكور.

(٤٨) السُّبل الجليلة في الآباء العلية ، الإمام السُّيوطي.

(٤٩) سبل السَّلام في حكم آباء سيِّد الأنام صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، عز الدِّين يوسف.

(٥٠) سبل السَّلام في حكم آباء سيِّد الأنام صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، محمَّد بن عمر بالي المدني.

(٥١) سبيل النَّجاة ، الإمام السُّيوطي.

(٥٢) سداد الدّين في إثبات النَّجاة للوالدين ، محمَّد بن عبد الرَّسول البرزنجي الكردي.

(٥٣) سعادة الدَّارين بنجاة الأبوين ، محمَّد علي بن حسين المالكي المكِّي.

(٥٤) السَّيف المسلول في القطع بنجاة أبوي الرَّسول صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، أحمد الشهرزوري.

(٥٥) السَّيف المسلول في القطع بنجاة أُصول الرَّسول ، أحمد فايز بن محمود البرزنجي.

(٥٦) صفع القفىٰ لمن كفَّر والدي المصطفىٰ وافترىٰ علىٰ الصُّوفيَّة أرباب الصَّفا ، أحمد شهاب الدِّين الزوي الطَّرابلسي القادري الحسني.

(٥٧) العقد المنظَّم في أمَّهات النبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، السيِّد مرتضىٰ الزَّبيدي

(٥٨) فتح العليم في نجاة أبوي سيِّدنا النَّبي الكريم صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، عبد العزيز بن عرفة.

(٥٩) الفرح والسُّرور في إيمان والدي الرَّسول صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، محمَّد بن أبي بكر المرعشي المعروف بسجاقلي زاده الحنفي.

(٦٠) قرَّة العين في إيمان الوالدين ، الدويخي

(٦١) القول المختار فيما يتعلق بأبوي النَّبي المختار صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، الديربي.

(٦٢) القول المسدَّد في نجاة والدي سيّدنا محمَّد صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، محمَّد بن عبد الرَّحمن الأهدل

.

(٦٣) كشف الخفا عن مصير والدي المصطفىٰ ، الأستاذ الدكتور علي مقدادي الحاتمي الأشعري.

(٦٤) الكلام المقبول في إسلام آباء الرَّسول ، وكيل السكندربوري.

(٦٥) كنىٰ آباء النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، ابن الكلبي.

(٦٦) مباهج السنة في كون أبوي النبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم في الجَنَّة ، ابن طولون.

(٦٧) مرشد الهدىٰ في نجاة أبوي المصطفىٰ صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، الرُّومي.

(٦٨) مسالك الحنفا في والدي المصطفىٰ صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، الإمام السُّيوطي.

(٦٩) مطلع النيرين في إثبات نجاة أبوي سيِّد الكونين صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، المنيني.

(٧٠) المقامة السندسيَّة في الآباء الشَّريفة المصطفويَّة ، الإمام السيُّوطي.

(٧١) مناقب السَّيِّدة آمنة ، يحيىٰ بن محمَّد مؤذن المكِّي ، إمام الحرم المكِّي الشَّريف.

(٧٢) مناقب سيِّدنا عبد الله والد سيِّدنا رسول الله ، داود الموسوي الشَّافعي.

(٧٣) منحة البارئ في إصلاح زلَّة القارئ ، حسن بن علي بن يحيىٰ العجيمي المكِّي.

(٧٤) منهاج الوفا في نجاة والدي المصطفىٰ ، الدكتور محمود الزِّين.

(٧٥) النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم ووالداه الكريمان ، الدكتور محمَّد عبده يماني.

(٧٦) نخبة الأفكار في تنجية والدي المختار صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، محمَّد بن السيِّد إسماعيل الحسني.

(٧٧) نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشَّريفين ، الإمام السُّيوطي.

(٧٨) هدايا الكرام في تنزيه آباء النَّبي صَلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم ، البديعي . انظر : موقع أحباب الكلتاويَّة ، مقال بعنوان : كُتُب أُلِّفت في نجاة والدي المصطفىٰ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وانظر : الرِّياضُ النَّديَّة في الآباء العَليَّة ، عبد الله الحسيني .

﴿سُؤالُ﴾ : هَلْ أَطْفَالُ الْمُشْرِكِيْنَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة ؟

الجواب : ذهب إلىٰ هذا المذهب جمعٌ غفيرٌ من العلماء، منهم:

أَوَّلاً : الإِمَامُ البُخَارِيُّ: فقد عقد باباً في صحيحه (٢/ ١٠٠) سمَّاه بـ "بَابُ مَا قِيلَ فِي أَوْلاَدِ الْمُشْرِكِينَ " ضِمْنَ كِتَاب الجَنَائز. قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٣/ ٢٤٦) : " هَذِهِ التَّرْجَمَةُ تُشْعِرُ أَيْضًا بِأَنَّهُ كَانَ مُتَوَقِّفًا فِي ذَلِكَ ، وَقَدْ جَزَمَ بَعْدَ هَذَا فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الرُّومِ بِمَا يَدُلُّ عَلَىٰ اخْتِيَارِ الْقَوْلِ الصَّائِرِ إِلَىٰ أَنَّهُمْ فِي الجَنَّة كَمَا سَيَأْتِي تَحْرِيرُهُ ، وَقَدْ رَتَّبَ أَيْضًا أَحَادِيثَ هَذَا الْبَابِ تَرْتِيبًا يُشِيرُ إِلَىٰ الْمَذْهَبِ الْمُخْتَارِ ، فَإِنَّهُ صَدَّرَهُ بِالْحَدِيثِ الدَّالِّ عَلَىٰ التَّوَقُّفِ ثُمَّ ثَنَّىٰ بِالْحَدِيثِ الْمُرَجِّحِ لِكَوْنِهِمْ فِي الجَنَّة ثُمَّ ثَلَّثَ بِالْحَدِيثِ الْمُصَرِّحِ بِذَلِكَ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ فِي سِيَاقِهِ : وَأَمَّا الصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ قَدْ أَخْرَجَهُ فِي التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ : وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ : وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ " .

ثَانِيَاً : الإِمَامُ النَّوَوِيُّ: حيث قال في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج " (١٦/ ٢٠٧-٢٠٨) : " وَأَمَّا أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ فَفِيهِمْ ثَلَاثَةُ مَذَاهِب ، قال الْأَكْثَرُونَ هُمْ فِي النَّارِ تَبَعًا لِآبَائِهِمْ ، وَتَوَقَّفَتْ طَائِفَةٌ فِيهِمْ ، وَالثَّالِثُ وَهُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة " .

ثَالِثَاً : الإِمَامُ ابْنُ حَزْمٍ: حيث فتح عنواناً في كتابه " الفصل في الملل والأهواء والنِّحل " (٤/ ٦٠) بعنوان : " الْكَلَام علىٰ من مَاتَ من أَطْفَال الْمُسلمين وَالْمُشْرِكين قبل الْبلُوغ " ، قال فيه : " اخْتلف النَّاس فِي حكم من مَاتَ من أَطْفَال الْمُسلمين وَالْمُشْرِكين ذكورهم وإناثهم ، فَقَالَت الْأزَارِقَة من الخوارج : أَمَّا أَطْفَال الْمُشْركين فَفِي النَّار ، وَذَهَبت طَائِفَة إِلَىٰ أَنَّه يُوقد لَهُم يَوْم الْقِيَامَة نَار ويؤمرون باقتحامها ، فَمن دَخلهَا مِنْهُم دخل الجَنَّة وَمن لم يدخلهَا مِنْهُم أَدخل النَّار ، وَذهب آخَرُونَ إِلَىٰ الْوُقُوف فيهم ، وَذهب النَّاس إِلَىٰ أَنهم فِي الجَنَّة وَبِه نقُول " .

رَابِعَاً : الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ: فقد قال في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة " (ص١٠٤٢) بعد أن ذكر قول من قال بأنهم في الجنّة: " قلت: ذهب إلىٰ هذا جماعة من العلماء ، وهو أصحُّ شيء في الباب قالوا أولاد المشركين إذا ماتوا صغاراً في الجَنَّة " .

ﷺ **خَامِساً** ﷺ : الإِمَامُ تَقِي الدِّينِ السُّبْكِيُّ: ففي رسالته "كلُّ مولود يولد على الفِطْرة" (ص٢٢)، قال: "وأمَّا المختار في أطفال المشركين ... فاعلم أنَّ للعلماء في أطفال المشركين أربعة أقوال: أحدهما –وهو الذي يُرجى من فضل الله– أنَّهم في الجَنَّة " ...

ﷺ **سَادِسَاً** ﷺ : الإِمَامُ ابْن حَجَر العَسْقَلَانِي: فبعد أن ذكر أقوال العلماء في المسألة في " فتح الباري" (٣/ ٢٤٧) عقَّب على قول الإمام النَّووي بأنَّهم في الجَنَّة، وأنَّ هذا القول هو المذهب الصَّحيح المختار الذي صار إليه المحقِّقـــون، قال: " وَإِذَا كَانَ لَا يُعَذَّبُ الْعَاقِلُ لِكَوْنِهِ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ فَلَأَنْ لَا يُعَذَّبُ غَيْرُ الْعَاقِلِ مِنْ بَابِ الْأَوْلَى " .

ﷺ **سَابِعَاً** ﷺ : الإِمَامُ الأَلُوسِيُّ: فقد ذكر في " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني " (٨/ ٣٥) أنَّه : " ذهب المحقِّقون إلى أنَّهم من أهل الجَنَّة، وهو الصَّحيح " .

وقد استدلَّ القائلون بأنَّ أطفال المشركين في الجَنَّة بالأدلَّة التَّالية:

*****قوله تعالى : **﴿وما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء:١٥] .

ووجه الدّلالة من الآية: أنَّ الله تعالى نفى حصول العذاب إلَّا بعد إرسال الُّرسل الذين هم حجَّة الله على خلقه، ومن المعلوم أنَّ الأطفال الذين ماتوا دون البلوغ ليسوا بمكلَّفين، وأنَّ تكليفهم مع عدم القدرة على القيام بواجبات التَّكليف يعتبر تكليفاً بما لا يطاق، قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٦/ ٢٠٨) بعد أن استدلَّ بالآية على نجاة أطفال المشركين: " وَلَا يَتَوَجَّهُ عَلَى الْمَوْلُودِ التَّكْلِيفِ وَيَلْزَمُهُ قَوْلُ الرَّسُولِ حَتَّى يَبْلُغَ وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ " ، والله تعالى يقول : **﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾** [البقرة:٢٨٦] .

وقد أوضح الإمام الألوسي في " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني " (٨/ ٣٥) أنَّ الآية: " أفادت أن لا تعذيب قبل التَّكليف ، ولا يتوجَّه على المولود التَّكليف ، ويلزمه قول الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام حتى يبلغ، ولم يخالف أحد في أنَّ أولاد المسلمين في الجَنَّة إلَّا بعض من لا يعتدّ به " .

والعذاب الذي أشارت إليه الآية، عامّ في الدُّنيا والآخرة ... قال الإمام الشَّوكاني في " فتح القدير " (٣/ ٢٥٤) : " وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُهُمْ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَبِهِ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ " .

قلت: ومن العلماء الذين أشاروا إلى أنَّ نفي التَّعذيب الوارد في الآية يشمل الدُّنيا والآخرة: الإمام ابن عطيّة في المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٣/ ٤٤٤) ، الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٣١) ، الإمام أبو حيَّان في البحر المحيط (٦/ ١٥) ، الإمام الكلبي في التَّسهيل لعلوم التَّنزيل(١/ ٤٨٤) ، وغيرهم...

(٢) قوله تعالى: **﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [النمل:٩] ، وقوله : **﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾** [الكهف:٤٩] ، وقوله: **﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾** [البقرة:٢٨١] .

والآيات الكريمة تشير إلى أنَّ الإنسان سيُحاسب بناء على عمله إن خيراً فخير وإن شرَّاً فشر، وغير البالغ لا عمل يُحاسب عليه ، لأنَّ قلم المؤاخذة مرفوع عنه، حتى يبلغ ، فقد روى أحمد في " المسند" (٤١/ ٢٢٤ برقم ٢٤٦٩٤) بسنده عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ "، وَقَدْ قَالَ حَمَّادٌ: " وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ "

. قال الأرنؤوط : " إسناده جيد، حماد الراوي عن إبراهيم النخعي: هو ابن أبي سليمان، ثقة إمام مجتهد كما قال الذهبي في "الكاشف": وكلام بعضهم فيه إنما هو لكونه من أهل الرأي. وقد روى له مسلم مقروناً، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح. عفان: هو ابن مسلم الصَّفَّار، وشيخه حماد: هو ابن سلمة، وإبراهيم: هو ابن يزيد النخعي، والأسود: هو ابن يزيد النخعي. وأخرجه الدارمي (٢٢٩٦) ، وابن الجارود (١٤٨) ، وابن المنذر في "الأوسط" (٢٣٢٧) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢ / ٧٤، وفي "شرح معاني الآثار" ٢ / ٧٤، وفي "شرح مشكل الآثار" (٣٩٨٧) من طريق عفان، بهذا الإسناد. وسقط من مطبوع "الأوسط" و"شرح المعاني" اسم أحد الحمادين وأخرجه النسائي في "المجتبى" ٦ / ١٥٦، وفي "الكبرى" (٥٦٢٥) ، وابن ماجه (٢٠٤١) ، وابن الجارود (١٤٨) ، وأبو يعلى (٤٤٠٠) ، وابن حبان (١٤٢) ، وأبو الشيخ في "طبقات المحدثين" (١٠٠٠) ، والحاكم ٢ / ٥٩، والبيهقي في "السنن" ٦ / ٨٤ و٢٠٦ و٨ / ٤١ و١٠ / ٤١٧، وفي "الشعب" (٨٧) ، وابن عبد البر في "الاستذكار" ٢٥ / ٣١ من طرق عن حماد بن سلمة، به. إلا أنه سقط من إسناد "الاستذكار": اسم إبراهيم النخعي. وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي " .

وهذا بعكس قلم الثَّواب، فإنَّه يجري للثَّلاثة الذين ذكرهم الحديث السَّابق، ومن الأدلّة على ذلك ما رواه الإمام مسلم (٢/ ٩٧٤ برقم ١٣٣٦) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: رَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ " .

وأمَّا عن جريان الأجر للنَّائم، فلما رواه النَّسائي في " السُّنن الكبرى" (٢/ ١٧٧ برقم ١٤٦١) بسنده عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ رَجُلٍ، عِنْدَهُ رِضًى أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنَ امْرِئٍ تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِلَيْلٍ، فَغَلَبَهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ أَجْرُ صَلَاتِهِ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ " .

وأمَّا عن جريان الأجر للمجنون، فلما رواه البخاري (٧/ ١١٦ برقم ٥٦٥٢) ، مسلم (٤/ ١٩٩٤ برقم ٢٥٧٦) بسندهما عَنْ عِمْرَانَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ: «أَنَّهُ رَأَى أُمَّ زُفَرَ تِلْكَ امْرَأَةً طَوِيلَةً سَوْدَاءَ، عَلَى سِتْرِ الكَعْبَةِ " .

(٣) روى البخاري (٩/ ٤٤ برقم ٧٠٤٧) بسنده سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا» قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى ... وفيه : " وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ " قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلاَدُ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَوْلاَدُ المُشْرِكِينَ " ...

والحديث ينصُّ بصراحة على أنَّ أطفال المشركين في الجنَّة ...

قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (١٢/ ٤٤٥) : " قَوْلُهُ : وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ " تَقَدَّمَ الْبَحْثُ فِيهِ مُسْتَوْفًى فِي أَوَاخِرِ الْجَنَائِزِ ، وَظَاهِرُهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْحَقَهُمْ بِأَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ فِي حُكْمِ الْآخِرَةِ."

قلت: وقد اتَّفق الجمهور على نجاة أطفال المسلمين، من غير نكير...

وقال الإمام السُّبكي في رسالة " كلُّ مولود يولد على الفطرة" (ص٢٣) بعد أن رجَّح هذا المذهب: "ووردت أحاديث أخرى مصرِّحة بأنَّهم في الجنَّة، لكن في أسانيدها ضعف، وفي حديث البخاري كفاية مع ظاهر القرآن " ...

(٤) روى البخاري (٢/ ١٠٠ برقم ١٣٨٣) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوْلاَدِ المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللَّهُ إِذْ خَلَقَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ " .

والمفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم: " اللهُ إِذْ خَلَقَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ " ، أي: إذا بلغوا سنَّ التَّكليف وأصبحوا مكلَّفين، أمَّا إذا لم يبلغوا سنَّ التَّكليف فليسوا بمكلَّفين، وبالتَّالي فهم في الجنَّة، وهذا الفهم هو ما قال به العلماء أصحاب الشَّأن...

قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (٣/ ٢٤٧) : "قوله: " قَوْله الله أعلم " ، قَالَ بن قُتَيْبَةَ : مَعْنَى قَوْلِهِ : بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ ، أَيْ : لَوْ أَبْقَاهُمْ ، فَلَا تَحْكُمُوا عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : أَيْ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَا يَعْمَلُونَ شَيْئًا وَلَا يَرْجِعُونَ فَيَعْمَلُونَ أَوْ أَخْبَرَ بِعِلْمِ شَيْءٍ لَوْ وُجِدَ كَيْفَ يَكُونُ ، مِثْلَ قَوْلِهِ : ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا**﴾ [الأنعام:٢٨] ، وَلَكِنْ لَمْ يَرِدْ أَنَّهُمْ يُجَازَوْنَ بِذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ ، لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يُجَازَى بِمَا لَمْ يَعْمل " .

وقال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (١٦/ ٢١١) : " وَفِي قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ بَيَانٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ اللهَ عَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يكون ما لَا يَكُونُ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ " .

وقال الإمام الألوسي في " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني " (٨/ ٣٥) : " وحقيقة لفظه : " الله تعالى أعلم بما كانوا عاملين " لو بلغوا ولم يبلغوا ، والتَّكليف لا يكون إلَّا بالبلوغ " .

(٥) ذكر الهيثمي في " مجمع الزَّوائد" (٧/ ٢١٨ برقم ١١٩٤٥ ، وقال : رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَفِيهِ هِلَالُ بْنُ خَبَّابٍ وَهُوَ ثِقَةٌ وَفِيهِ خِلَافٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تَقُولُ فِي اللَّاهِينَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ كَلِمَةً، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ غَزْوِهِ وَطَافَ فَإِذَا هُوَ بِغُلَامٍ قَدْ وَقَعَ وَهُوَ يَعْبَثُ بِالْأَرْضِ، فَنَادَى مُنَادِيهِ: " أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ اللَّاهِينَ؟ "، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَنَهَى رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنْ قَتْلِ الْأَطْفَالِ، ثُمَّ قَالَ: " اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ هَذَا مِنَ اللَّاهِينَ " .

قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (٣/ ٢٤٦) : " وَوَرَدَ تَفْسِير اللاهين بِأَنَّهُم الْأَطْفَال من حَدِيث بن عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا أَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ " .

وقال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة " (ص١٠٤٣) : " قال أبو عمر: إنَّما قيل للأطفال اللاهين لأنَّ أعمالهم كاللهو واللعب من غير عقد ولا عزم ، من قولهم : لهيت في الشَّيء ، أي : لم أعتقده كقوله : ﴿**لاهِيَةً قُلُوبُهُم**﴾ [الأنبياء:٣] " .

(٦) روى أحمد في " المسند" (٣٤/ ١٩٢ برقم ٢٠٥٨٥) بسنده عَنْ حَسْنَاءُ ابْنَةُ مُعَاوِيَةَ الصُّرَيْمِيَّةُ، عَنْ عَمِّهَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَوْءُودَةُ فِي الْجَنَّةِ " . قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٣/ ٢٤٦) : " إِسْنَادُهُ حَسَنٌ " . والحديث ينصُّ بصراحة على أنَّ المولود في الجنَّة، بغضِّ النَّظر عن والديه مسلمين أو مشركين ...

(٧) روى البخاري (٦/ ١١٤ برقم ٤٧٧٥) بسنده هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠] .

ووجه الدّلالة من هذا الحديث: أنَّ الله تبارك وتعالى خلق الإنسان على فطرة سويَّة، وإذا مات الإنسان قبل أن يهوِّده أبواه أو ينصِّراه أو يمجِّساه، كان ناجياً ودخل الجنَّة.

وقد اختلف العلماء في معنى الفطرة التي خلق الله الإنسان عليها، على عدَّة أقوال، أشهرها:

(أ) قال الإمام السُّبكي في رسالة " كل مولود يولد على الفطرة" (ص١٦-١٧) : " أنَّ المراد بالفطرة: الطَّبع السَّليم المتهيِّئ لقبول الدِّين، وذلك من إطلاق القابل على المقبول - القابل هو الطَّبع السَّليم، والمقبول هو دين الله تعالى. -

فالفطرة هي الخلقة، يقال: فَطَرَهُ، أي : خلقه. وخلقة الآدمي فرع من ذلك، وتهيؤها لقبول الدِّين وصف لها. فهذه ثلاث مراتب وذلك المقبول -وهو الدِّين- أمر رابع، فاسم الفطرة أُطلق غلبة، وكأنَّه قال: مولود يولد مسلماً بالقوَّة - أي : مهيّأ لقبول الإسلام - ، لأنَّ الدِّين وهو الإسلام حقٌّ مقارب للعقل غير ناء عنه، وكلُّ مولود خلق على قبول ذلك ، وما ركَّزه الله فيه من العقل لو ترك لاستمرَّ على لزوم ذلك ولم يفارقه" ...

وقال الحافظ أبو حيّان في " البحر المحيط" (٨/ ٣٨٩) : " وَرَجَّحَ الْحُذَّاقُ. أَنَّهَا الْقَابِلِيَّةُ الَّتِي فِي الطِّفْلِ لِلنَّظَرِ فِي مَصْنُوعَاتِ اللهَّ، وَالِاسْتِدْلَالِ بِهَا عَلَى مُوجِدِهِ، فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيَتَّبِعُ شَرَائِعَهُ، لَكِنْ قَدْ تَعْرِضُ لَهُ عَوَارِضُ تَصْرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ، كَتَهْوِيدِ أَبَوَيْهِ لَهُ، وَتَنْصِيرِهِمَا، وَإِغْوَاءِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ " .

قال الإمام السُّبكي في رسالة " كلُّ مولود يولد على الفطرة" (ص١٦) : " عن هذا القول: "وهذا القول الذي نختاره، وعليه أكثر العلماء " .

ونقل الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن " (٢٨/١٤) عن الحافظ ابن عبد البر أنّه قال عن هذا القول: "هذا أصحُّ ما قيل في معنى الفطرة التي يولد النَّاس عليها " .

قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٢٩/١٤) : " قُلْتُ: وَإِلَى مَا اخْتَارَهُ أَبُو عُمَرَ وَاحْتَجَّ لَهُ، ذَهَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْهُمُ ابْنُ عَطِيَّةَ فِي تَفْسِيرِهِ فِي مَعْنَى الْفِطْرَةِ، وَشَيْخُنَا أَبُو الْعَبَّاسِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَالَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ أَنَّهَا الْخِلْقَةُ وَالْهَيْئَةُ الَّتِي فِي نَفْسِ الطِّفْلِ الَّتِي هِيَ مُعَدَّةٌ وَمُهَيَّأَةٌ لِأَنْ يُمَيِّزَ بِهَا مَصْنُوعَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى رَبِّهِ وَيَعْرِفُ شَرَائِعَهُ وَيُؤْمِنُ بِهِ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الَّذِي هُوَ الْحَنِيفُ، وَهُوَ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّذِي عَلَى الْإِعْدَادِ لَهُ فَطَرَ الْبَشَرَ، لَكِنْ تَعْرِضُهُمُ الْعَوَارِضُ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ) فَذِكْرُ الْأَبَوَيْنِ إِنَّمَا هُوَ مِثَالٌ لِلْعَوَارِضِ الَّتِي هِيَ كَثِيرَةٌ. وَقَالَ شَيْخُنَا فِي عِبَارَتِهِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ مُؤَهَّلَةً لِقَبُولِ الْحَقِّ، كَمَا خَلَقَ أَعْيُنَهُمْ وَأَسْمَاعَهُمْ قَابِلَةً لِلْمَرْئِيَّاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ، فَمَا دَامَتْ بَاقِيَةً عَلَى ذَلِكَ الْقَبُولِ وَعَلَى تِلْكَ الْأَهْلِيَّةِ أَدْرَكَتِ الْحَقَّ وَدِينَ الْإِسْلَامِ وَهُوَ الدِّينُ الْحَقُّ " .

ونقل الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٢٤٩/٣) عن الطِّيبي في معنى الفطرة أنّه قال: " وَالْمُرَادُ تَمَكُّنُ النَّاسِ مِنَ الْهُدَى فِي أَصْلِ الْجِبِلَّةِ وَالتَّهَيُّؤِ لِقَبُولِ الدِّينِ فَلَوْ تُرِكَ الْمَرْءُ عَلَيْهَا لَاسْتَمَرَّ عَلَى لُزُومِهَا وَلَمْ يُفَارِقْهَا إِلَى غَيْرِهَا لِأَنَّ حُسْنَ هَذَا الدِّينِ ثَابِتٌ فِي النُّفُوسِ وَإِنَّمَا يُعْدَلُ عَنْهُ لِآفَةٍ مِنَ الْآفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ كَالتَّقْلِيدِ انْتَهَى .

وَإِلَى هَذَا مَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ فَقَالَ الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ مُؤَهَّلَةً لِقَبُولِ الْحَقِّ كَمَا خَلَقَ أَعْيُنَهُمْ وَأَسْمَاعَهُمْ قَابِلَةً لِلْمَرْئِيَّاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ فَمَا دَامَتْ بَاقِيَةً عَلَى ذَلِكَ الْقَبُولِ وَعَلَى تِلْكَ الْأَهْلِيَّةِ أَدْرَكَتِ الْحَقَّ وَدِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بَقِيَّةُ الْحَدِيثِ حَيْثُ قَالَ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ يَعْنِي أَنَّ الْبَهِيمَةَ تَلِدُ الْوَلَدَ كَامِلَ الْخِلْقَةِ فَلَوْ تُرِكَ كَذَلِكَ كَانَ بَرِيئًا مِنَ الْعَيْبِ لَكِنَّهُمْ تَصَرَّفُوا فِيهِ بِقَطْعِ أُذُنِهِ مَثَلًا فَخَرَجَ عَنِ الْأَصْلِ وَهُوَ تَشْبِيهٌ وَاقع ووجهه واضح والله أعلم " .

قلت: ومن العلماء الذين اختاروا هذا القول: الزَّمخشري في " الكشَّاف " (٢٢٢/٣) ، القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" (٢٩/١٤) ، البيضاوي في "تفسير البيضاوي" (٢٠٦/٤) ، أبو حيَّان في "البحر المحيط" (١٦٧/٧) ، الثَّعالبي في "تفسير الثَّعالبي" (٣١٣/٤) ، البقاعي في "نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور" (٦٢٢/٥) ، أبو السُّعود في "تفسير أبي السُّعود" (٦٠/٧) ، وغيرهم كثير...

وقد استدلّ أصحاب هذا القول بالأدلّة التّالية:

(١) قوله تعالىٰ: **﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [التحريم: ٧] ، وقوله تعالىٰ: **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾** [المدثر: ٣٨] ، ومن لم يبلغ وقت العمل لم يرتهن بشيء . انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٨) ، وانظر الجامع (١٧/ ٦٢) ، (١٩/ ٢٨) .

(٢) وقوله تعالىٰ: **﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾** [الإسراء: ١٥] . وقد سبق بيان وجه الدّلالة من هذه الآية ...

(٣) قوله تعالىٰ: **﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [النحل: ٧٨] . والآية نصٌّ صريح في أنَّ الإنسان حين يولد لا يفقه شيئاً، لا كفر ولا إيمان، إنَّما يولد مجهَّزاً بالوسائل التي من خلالها يكتسب المعلومات التي تكتسب بالسَّمع والبصر والعقل ...

(٤) لو كان الأطفال قد فطروا علىٰ شيء من الكفر أو الإيمان في أوَّليَّة أمورهم ما انتقلوا عنه أبداً، وقد نجدهم يؤمنون ثمَّ يكفرون" . انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٧) .

ولو فطروا علىٰ الإيمان لما استطاعوا تغيير ما فطرهم الله عليه لقوله تعالىٰ في آية الفطرة **﴿لا تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾** [الروم: ٣٠] .

(ب) " الْفِطْرَةُ هِيَ الْبَدَاءَةُ الَّتِي ابْتَدَأَهُمُ اللهُ عَلَيْهَا، أَيْ عَلَىٰ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ خَلْقَهُ مِنْ أَنَّهُ ابْتَدَأَهُمْ لِلْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ، وَإِلَىٰ مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ عِنْدَ الْبُلُوغِ. قَالُوا: وَالْفِطْرَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْبَدَاءَةُ. وَالْفَاطِرُ: الْمُبْتَدِئُ، وَاحْتَجُّوا بِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: لَمْ أَكُنْ أَدْرِي مَا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّىٰ أَتَىٰ أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، أَيِ ابْتَدَأْتُهَا. قَالَ الْمَرْوَزِيُّ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَذْهَبُ إِلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ ثُمَّ تَرَكَهُ. قَالَ أَبُو عُمَرَ فِي كِتَابِ التَّمْهِيدِ لَهُ: مَا رَسَمَهُ مَالِكٌ فِي مُوَطَّئِهِ وَذَكَرَ فِي بَابِ الْقَدَرِ فِيهِ مِنَ الْآثَارِ- يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَذْهَبَهُ فِي ذَلِكَ نَحْوُ هَذَا، وَاللهُ أَعْلَمُ " . انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٥) .

ومن أهم الأدلَّة التي استدلَّ بها أصحاب هذا القول:

قوله تعالىٰ: **﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقاً هَدى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾** [الأعراف: ٢٩-٣٠] .

قالوا: " مَنِ ابْتَدَأَ اللهُ خَلْقَهُ لِلضَّلَالَةِ صَيَّرَهُ إِلَىٰ الضَّلَالَةِ، وَإِنْ عَمِلَ بِأَعْمَالِ الْهُدَىٰ. وَمَنِ ابْتَدَأَ اللهُ خَلْقَهُ عَلَىٰ الْهُدَىٰ صَيَّرَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ، وَإِنْ عَمِلَ بِأَعْمَالِ الضَّلَالَةِ. ابْتَدَأَ اللهُ خَلْقَ إِبْلِيسَ عَلَىٰ الضَّلَالَةِ، وَعَمِلَ بِأَعْمَالِ

السَّعَادَةِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ رَدَّهُ اللهُ إِلَى مَا ابْتَدَأَ عَلَيْهِ خَلْقَهُ. قَالَ:" وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ" . انظر : الجامع لأحكام القرآن(٧/ ١٨٨) .

والحقّ أنَّ تفسير الآية بالمعنى الذي ذهب إليه أصحاب هذا القول تفسير غريب مجانب للصَّواب ، ومجانب أيضاً ولما عليه جمهور المفسِّرين الذين ذهبوا إلى أنَّ المراد بالبدء إنَّما هو بدء الخلق، وبالإعادة إعادة الخلق يوم القيامة..." . انظر: تفسير الطبري (/ ٢٠٧-٢٠٨) ، تفسير الرازي (١٤/ ٤٩) ، تفسير القرطبي (٧/ ١٨٨)، تفسير ابن عطيّة (٢/ ٣٩٢) ، تفسير الثعالبي (٣/ ٢٢) ، تفسير الطبراني (٣/ ١٣٢-١٣٣) ، تفسير البيضاوي (٣/ ١٠) ، تفسير الجلالين (ص١٥٣) ، فتح القدير (ص٥٨٢، تفسير الكلبي (١/ ٢٩٩) ، الفتوحات الإلهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة (٣/ ٢٧) ، تفسير القاسمي (٥/ ١٧٧٠) ، روح البيان (٣/ ١٩٧) ...

قال الإمام الطَّبري في " التَّفسير" (١٠/١٤٦-١٤٧) بعد أن ذكر أقوال العلماء في الآية: " وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ مَنْ قَالَ مَعْنَاهُ: كَمَا بَدَأَكُمُ اللهُ خَلْقًا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا تَعُودُونَ بَعْدَ فَنَائِكُمْ خَلْقًا مِثْلَهُ، يَحْشُرُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْلِمَ بِمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْمًا مُشْرِكِينَ أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْمَعَادِ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِالْقِيَامَةِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِأَنَّ اللهَ بَاعِثُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمُثِيبٌ مَنْ أَطَاعَهُ وَمُعَاقِبٌ مَنْ عَصَاهُ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ لَهُمْ: أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ، وَأَنْ أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، وَأَنِ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَأَنْ أَقِرُّوا بِأَنْ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ، فَتَرَكَ ذِكْرَ (وَأَنْ أَقِرُّوا بِأَنْ) كَمَا تَرَكَ ذِكْرَ (أَنْ) مَعَ (أَقِيمُوا) ، إِذْ كَانَ فِيمَا ذُكِرَ دَلَالَةٌ عَلَى مَا حُذِفَ مِنْهُ.

وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَا وَجْهَ لِأَنْ يُؤْمَرَ بِدُعَاءِ مَنْ كَانَ جَاحِدًا النُّشُورَ بَعْدَ الْمَمَاتِ إِلَى الْإِقْرَارِ بِالصِّفَةِ الَّتِي عَلَيْهَا يُنْشَرُ مَنْ نُشِرَ، وَإِنَّمَا يُؤْمَرُ بِالدُّعَاءِ إِلَى ذَلِكَ مَنْ كَانَ بِالْبَعْثِ مُصَدِّقًا، فَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ جَاحِدًا فَإِنَّمَا يُدْعَى إِلَى الْإِقْرَارِ بِهِ ثُمَّ يُعَرَّفُ كَيْفَ شَرَائِطُ الْبَعْثِ. عَلَى أَنَّ فِي الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي حَدَّثَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: ثنا سُفْيَانُ، قَالَ: ثني الْمُغِيرَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عُرَاةً غُرْلًا، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ، ثُمَّ قَرَأَ: **﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٤] ... يُبَيِّنُ صِحَّةَ الْقَوْلِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ، مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ: أَنَّ الْخَلْقَ يَعُودُونَ إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَلْقًا أَحْيَاءً كَمَا بَدَأَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَلْقًا أَحْيَاءً " .

وهذا التَّفسير هو المروي عن طائفة من السَّلف، منهم: ابن عبَّاس، الحسن، مجاهد، قتادة، ابن زيد، الرَّبيع بن أنس . انظر تفسير الطَّبري (٨/ ٢٠٧) ، تفسير الرازي (١٤/ ٤٩) ، البحر المحيط (٤/ ٢٩٠) ، تفسير ابن عطيّة (٢/ ٣٩٢) ، الدرّ المنثور (٣/ ٣٩٥-٣٩٦) .

وممَّا يعضد تفسير الآية ببدء الخلق وإعادته يوم القيامة: أنَّ لهذه الآية نظائر عديدة في كتاب الله تعالى، من ذلك قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾** [الروم: ٢٧] ، وقوله: **﴿اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾** [الروم: ١١] ، وقوله: **﴿هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾** [يونس: ٣٤] ، وقوله: **﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾** [يونس: ٤] ، وقوله : **﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾** [البروج: ١٣] ، وقوله: **﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٤] .

وعليه، فالاحتجاج بالآية على ما أرادوه ضعيف، وأنَّ المراد بالآية : التَّدليل على صحَّة البعث بعد الموت، ذلك أنَّ القادر على البدء قادر على الإعادة...

وأمَّا احتجاجهم بقول ابن عبَّاس رضي الله عنه : لم أدر ما فاطر السَّموات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها ...

فالحق أنَّ الأثر ضعيف عن ابن عبَّاس، ففي سنده إليه:

إبراهيم بن مهاجر بن جابر البجلي، أبو اسحق الكوفي: قال يحيى بن القطان: لم يكن بقوي. وقال عبّاس عن يحيى: ضعيف. وقال العجلي: جائز الحديث، وقال النسائي في الكنى: ليس بقوي في الحديث، وقال ابن عدي: يكتب حديثه في الضعفاء. وقال النسائي في التمييز: ليس بالقوي، وقال ابن حبّان في الضعفاء: هو كثير الخطأ. وقال الحاكم: قلت للدارقطني: فإبراهيم بن مهاجر؟ قال: ضعّفوه، تكلم فيه يحيى بن سعيد وغيره. قلت: بحجة ؟ قال: بلى ، حدَّث بأحاديث لا يُتابع عليها، وقد غمزه شعبة أيضاً، وقال يعقوب بن سفيان: له شرف، وفي حديثه لين. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي ... يكتب حديثه ولا يحتجّ به. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: قلت لأبي: ما معنى لا يحتجّ بحديثهم؟ قال: كانوا قوماً لا يحفظون فيحدثون بما لا يحفظون فيغلطون، ترى في أحاديثهم اضطراباً ما شئت. انظر: تهذيب التهذيب (١/ ١٥١) ، ميزان الاعتدال (١/ ١٩٤-١٩٥ برقم ٢٢٤) ، تهذيب الكمال (٢/ ٢١١-٢١٤ برقم ٢٥٠) ، تاريخ البخاري الكبير (١/ ٣٢٨ برقم ١٠٣٢) .

وعليه فالأثر ضعيف، ولو صحَّ لم يكن فيه حجَّة ، لأنَّه اقتصر على بيان معنى الفَطْر لغة، من غير أن يتعرَّض لمعناه الشَّرعي المراد بقوله تعالى: **﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾** [الروم: ٣٠] فبطل الاحتجاج به .

ولذلك تعقّب الحافظ ابن حجر هذا القول بأنَّه لو كان معنى الفطرة ما ذهبوا إليه لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم: "فأبواه يهوّدانه ... الخ" معنى، لأنَّهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها، فينافي التَّمثيل بحال البهيمة... انظر: فتح الباري (٣/ ٢٤٩) ، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٨٧) .

(ج) أنَّ الفطرة هي الإسلام، قال الحافظ ابن حجر: "وأشهر الأقوال أنَّ المراد بالفطرة: الإسلام، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السَّلف، وأجمع أهل العلم بالتَّأويل على أنَّ المراد بقوله تعالى ﴿: فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[الروم: ٣٠] : الإسلام . انظر : فتح الباري (٣/ ٢٤٨) ، وانظر: كل مولود يولد على الفطرة (ص١٩-٢١) ، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٥) .

وقال القرطبي: "قاله – أي أنّ الفطرة هي الإسلام- أبو هريرة ، وابن شهاب ، وغيرهما، قالوا: وهو المعروف عند عامّة السَّلف من أهل التَّأويل" . انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٥) .

والأدلَّة التي استدلَّ بها أصحاب هذا القول، هي:

(١) قوله تعالى: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾** [الروم: ٣٠]

ووجه الاستدلال بهذه الآية على أنَّ المراد بالفطرة دين الإسلام هو أنَّ المولى سبحانه وتعالى طلب أن تسدّد الوجوه لطاعته، وعبادته وأن يتبع الإسلام الذي هو فطرة الله تعالى.

قالوا: ومما يعضد هذا الاستدلال أنَّ أبا هريرة أدرج الآية السَّابقة بعد روايته لحديث: "كل مولود يولد على الفطرة ... الحديث، وأيضاً روي هذا الفهم عن ابن زيد، ومجاهد، وابن شهاب، وغيرهم. انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٨) ، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٥) .

قالوا: وما يعضد هذا الفهم أيضاً ما ورد في تفسير قوله تعالى في آخر الآية: **﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾** [الروم: ٣٠] ، فقد ذهب مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضَّحَّاك ، وإبراهيم النَّخعي ، وعكرمة ، وابن زيد، وغيرهم ، إلى القول بأنَّ المقصود هو دين الله. انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥٠-٥١) .

(٢) وقوله صلىٰ الله عليه وسلم: " هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» ، ثُمَّ يَقُولُ: **﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾** [الروم: ٣٠] " . أخرجه البخاري (٦/ ١١٤ برقم ٤٧٧٥) .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث علىٰ أنَّ الفطرة هي الإسلام هو أنَّ الحديث روي بألفاظ يفسِّر بعضها بعضاً، ففي صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٨ برقم ٢٦٥٨) من رواية الأعمش: " مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَهُوَ عَلَى الْمِلَّةِ "، وفي صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٨ برقم ٢٦٥٨) من رواية ابن معاوية: " إِلَّا عَلَىٰ هَذِهِ الْمِلَّةِ، حَتَّىٰ يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ " .

قالوا: فهذا صريح بأنـّه يولد علىٰ ملّة الإسلام ، كما فسّره ابن شهاب راوي الحديث. واستشهاد أبي هريرة بالآية يدلُّ علىٰ ذلك. قال ابن عبد البر: وقد سئل ابن شهاب عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجزئ أن يعتقه وهو رضيع؟ قال: نعم لأنـّه وُلد علىٰ الفطرة. انظر شفاء العليل (ص٦١١-٣١٢).

قلت: ليس بالضَّرورة أن يكون المراد بالملَّة دين الإسلام، إذ تطلق الملَّة علىٰ مُعظم الدِّين، وجملة ما يجيء به الرُّسل، كما ذكر ابن الأثير ... انظر النِّهاية في غريب الحديث والأثر(٢/ ٦٨٠) .

(٣) وقوله صلىٰ الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربـّه تبارك وتعالىٰ أنـّه قال: " خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا ... الحديث" . أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٧ برقم ٢٨٦٥) .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث : هو أنَّ الله تعالىٰ خلق العباد علىٰ الحنيفيَّة السَّمحاء، وأنَّ الشَّياطين استخفُّوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عمَّا كانوا عليه ، وجالوا معهم في الباطل والبهتان فحرفوهم عمَّا خُلقوا عليه من الحنيفيَّة، والحنيف في كلام العرب هو المستقيم: ولا استقامة أكثر وأفضل من الإسلام.

(٤) وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الْإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ " قَالَ زَكَرِيَّا: قَالَ مُصْعَبٌ: وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ زَادَ قُتَيْبَةُ، قَالَ وَكِيعٌ: " انْتِقَاصُ الْمَاءِ: يَعْنِي الِاسْتِنْجَاءَ " . أخرجه مسلم (١/ ٢٢٣ برقم ٢٦١) .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث هو أنَّ الأمور السَّابقة المذكورة فيه هي ممَّا جاء به الإسلام. قالوا: فكأنَّ الحديث يقول: عشر من الإسلام....

هذه هي أشهر الأدلَّة التي استدلَّ بها من ذهب إلىٰ أنَّ المقصود بالفطرة إنَّما هو دين الإسلام...

والحقّ أنَّ القولين الأخيرين لا يتنافيا مع القول الأوَّل، وهو تفسير الفطرة بالطَّبع السَّليم المتهيِّئ لقبول الدِّين الحقّ، وذلك أنَّ الذين فسَّروا الفطرة بالإسلام، لم يقصدوا أنَّ الولد يولد عالماً بالدِّين وأحكامه، وإنَّما قصدوا أنَّ الفطرة تستلزم المعرفة بالله تعالىٰ، وتوصل إليها، فالتَّهيئة لقبول الدِّين الحقّ موجودة عند النَّاس وهم مفطورون إليها، وهذا هو نفس المعنىٰ الذي أشار إليه أصحاب القول الأوَّل...

وقد نقل الحافظ ابن حجر عقب كلام الإمام أحمد بن عمر القرطبي السابق، كلام الإمام ابن القيّم الذي يشير إلىٰ فحوىٰ كلامه، فقال: "وقال ابن القيّم في " شفاء العليل " (ص٦١٨) : ليس المراد بقوله: "يولد علىٰ الفطرة" أنـّه خرج من بطن أمّه يعلم هذا الدّين، لأنَّ الله يقول: وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً [النحل: ٧٨] ، ولكن المراد أنَّ الفطرة مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبَّته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار والمحبَّة. وليس المراد مجرَّد قبول الفطرة لذلك، لأنَّه لا يتغيَّر بتهويد الأبوين مثلاً بحيث يخرجان الفطرة عن القبول، وإنَّما المراد أنَّ كلَّ مولود يولد علىٰ إقرار بالرُّبوبيَّة، فلو خلّىٰ وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلىٰ غيره، كما أنَّه يولد علىٰ محبَّة ما يلائم بدنه من ارتضاع اللبن حتىٰ يصرفه الصَّارف، ومن ثمَّ شبِّهت الفطرة باللبن بل كانت إيَّاه في تأويل الرُّؤيا، والله أعلم " .

قلت : تأويل اللبن في الرُّؤيا بالفطرة جاء في حديث أبي بكره مرفوعاً: "من رأىٰ أنَّه شرب لبناً فهو الفطرة" ذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٧١ برقم ١١٧٧١، وقال: رواه البزّار، وفيه من لم أعرفه. وعزاه الحافظ في الفتح (١٢/ ٣٩٣) للطبراني .

وجاء في حديث أبي هريرة، رفعه: اللبن في المنام فطرة" ذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٧١ برقم ١١٧٦٩، وقال: رواه البزّار، وفيه محمّد بن مروان وهو ثقة، وفيه لين، وبقيـّة رجاله ثقات) ، وعزاه الحافظ في الفتح (٢/ ٣٩٣) ، للبزّار، وانظر كشف الأستار برقم (٢١١٧) .

وعلىٰ كلِّ حال فإنّ الطفل أيّاً كان والده إذا مات قبل أن يهوِّده أبواه أو ينصِّراه أو يمجِّساه كان ناجياً، مع التَّأكيد علىٰ أنّ قلم التَّكليف لا يجري عليه إلَّا بعد البلوغ...

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُمُ الذِيْنَ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ أَطْفَالَ الْمُشْرِكِيْنَ يُمْتَحَنُوْنَ فِي الآخِرَة ؟

الجواب : ذهب إلى هذا القول الإمام ابن تيميّة وتلميذه الإمام ابن القيّم . انظر: طريق الهجرتين (ص٥٨٧) ، مختصر الفتاوي المصريّة لابن تيميّة (ص٦٢٦٦) ، التذكرة (ص١٠٤٠) ، فتح الباري (٣/ ٢٤٦) .

وحاصله أنّه تؤجّج لهم نار يوم القيامة ثمّ يقال : رِدُوها وادخلوها ، فيردها أو يدخلها من كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقيّاً لو أدرك العمل، فيقول الله عزّ وجلّ: "إيّاي عصيتم، فكيف برسلي لو أتتكم" رواه أبو سعيد الخدري عن النّبي صلى الله عليه وسلم.

والحديث رُوي الحديث من ثلاثة طرق كلُّها ضعيفة، وبيان ذلك بالآتي:

(أ) رواه من طريق أبي سعيد صلى الله عليه وسلم : البزّار برقم (٢١٧٦) زوائد، فقال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هَيَّاجٍ الْكُوفِيُّ، ثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى، ثنا فُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسِبُهُ قَالَ: " «يُؤْتَى بِالْهَالِكِ فِي الْفَتْرَةِ، وَالْمَعْتُوهِ، وَالْمَوْلُودِ، فَيَقُولُ الْهَالِكُ فِي الْفَتْرَةِ: لَمْ يَأْتِنِي كِتَابٌ وَلَا رَسُولٌ، وَيَقُولُ الْمَعْتُوهُ: أَيْ رَبِّ لَمْ تَجْعَلْ لِي عَقْلًا أَعْقِلُ بِهِ خَيْرًا وَلَا شَرًّا، وَيَقُولُ الْمَوْلُودُ: لَمْ أُدْرِكِ الْعَمَلَ "، قَالَ: " فَيُرْفَعُ لَهُمْ نَارٌ، فَيُقَالُ لَهُمْ: رُدُّوهَا – أَوْ قَالَ: ادْخُلُوهَا – فَيَدْخُلُهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللهِ سَعِيدًا أَنْ لَوْ أَدْرَكَ الْعَمَلَ "، قَالَ: " وَيُمْسِكُ عَنْهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللهِ شَقِيًّا أَنْ لَوْ أَدْرَكَ الْعَمَلَ، فَيَقُولُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِيَّايَ عَصَيْتُمْ، فَكَيْفَ بِرُسُلِي بِالْغَيْبِ» . قال البزّار: لا نعلمه يروى عن أبي سعيد إلا من حديث فضيل، قلت: وفضيل يخطئ كما ذكر الحافظ وغيره، وأضعف منه عطيّة وهو العوفي، وبالإضافة إلى ضعفه فهو مدلّس وقد عنعن. قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣١٤ برقم ١١٩٣٨) رواه البزّار، وفيه عطيّة، وهو ضعيف.

(ب) ورواه من طريق أنس بن مالك صلى الله عليه وسلم: البزّار برقم (٢١٧٧) زوائد قال: حَدَّثَنَا يُوسُف بن مُوسَى، ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُؤْتَى بِأَرْبَعَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: بِالْمَوْلُودِ، وَبِالْمَعْتُوهِ، وَبِمَنْ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ، وَالشَّيْخِ الْفَانِي، كُلُّهُمْ يَتَكَلَّمُ بِحُجَّتِهِ، فَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِعُنُقٍ مِنَ النَّارِ: ابْرُزْ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنِّي كُنْتُ أَبْعَثُ إِلَى عِبَادِي رُسُلًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَإِنِّي رَسُولُ نَفْسِي إِلَيْكُمْ، ادْخُلُوا هَذِهِ، فَيَقُولُ مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الشَّقَاءُ: يَا رَبِّ، أَيْنَ نَدْخُلُهَا، وَمِنْهَا كُنَّا نَفِرُّ؟ قَالَ: وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ السَّعَادَةُ يَمْضِي، فَيَتَقَحَّمُ فِيهَا مُسْرِعًا، قَالَ: فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنْتُمْ لِرُسُلِي أَشَدُّ تَكْذِيبًا وَمَعْصِيَةً، فَيُدْخِلُ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ، وَهَؤُلَاءِ النَّارَ " . وفي الإسناد ليث بن أبي سليم وهو إلى الضعف أقرب، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٣٣ برقم ١١٩٦٣) : رواه أو يعلي والبزار وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس ،وبقية رجال أبي يعلى رجال الصّحيح .

(ج) ورواه من طريق معاذ بن جبل صلى الله عليه وسلم الطبراني في الكبير (٢٠/٨٣ رقم (١٥٨) فقال: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو الدِّمَشْقِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُبَارَكِ الصُّورِيُّ، ح وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُعَلَّى الدِّمَشْقِيُّ، ثنا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَا: ثنا عَمْرُو بْنُ وَاقِدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ بْنِ حَلْبَسٍ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْمَمْسُوحِ عَقْلًا وَبِالْهَالِكِ فِي الْفَتْرَةِ، وَبِالْهَالِكِ صَغِيرًا، فَيَقُولُ الْمَمْسُوحُ عَقْلًا: يَا رَبِّ، لَوْ آتَيْتَنِي عَقْلًا مَا كَانَ مَنْ آتَيْتَهُ عَقْلًا بِأَسْعَدَ بِعَقْلِهِ مِنِّي، وَيَقُولُ الْهَالِكُ صَغِيرًا: يَا رَبِّ لَوْ آتَيْتَنِي عَمْرًا مَا كَانَ مَنْ آتَيْتَهُ عُمْرًا بِأَسْعَدَ مِنْ عُمْرِهِ مِنِّي، وَيَقُولُ الْهَالِكُ فِي الْفَتْرَةِ: يَا رَبِّ لَوْ جَاءَنِي مِنْكَ رَسُولٌ مَا كَانَ بَشَرٌ أَتَاهُ مِنْكَ عَهْدٌ بِأَسْعَدَ بِعَهْدِكَ مِنِّي، فَيَقُولُ الرَّبُّ تَعَالَى: فَإِنِّي آمُرُكُمْ بِأَمْرٍ أَفَتُطِيعُونِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ وَعِزَّتِكَ يَا رَبُّ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَادْخُلُوا جَهَنَّمَ - وَلَوْ دَخَلُوهَا لَمَا تَضُرُّهُمْ شَيْئًا - فَيَخْرُجُ عَلَيْهِمْ فَرَائِصُ مِنَ النَّارِ يَظُنُّونَ أَنَّهَا قَدْ أَهْلَكَتْ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ، ثُمَّ يَأْمُرُهُمُ الثَّانِيَةَ فَيَرْجِعُونَ كَذَلِكَ، فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: خَلَقْتُكُمْ بِعِلْمِي، وَإِلَى عِلْمِي تَصِيرُونَ، فَتَأْخُذُهُمُ النَّارُ " .

قال الهيثمي في مجمع الزَّوائد (٧/ ٣١٤ برقم ١١٩٣٩) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عمرو بن واقد وهو متروك عند البخاري وغيره ورمي بالكذب، وقال محمّد بن المبارك الصوري كان يتبع السلطان وكان صدوقاً. وبقيّة رجال الكبير رجال الصَّحيح.

فعمرو بن واقد متروك وتوثيق الصوري له إلى من جرحوه ليس بشيء فالحديث ضعيف جداً. انظر هامش كل مولود يولد على الفطرة، ص٢٧-٢٩ بتصرف.

ومن النّاس من يوقفه على أبي سعيد، وروي معناه أيضاً من حديث أنس ومن حديث معاذ بن جبل، ومن حديث الأسود بن سريع، ومن حديث أبي هريرة ، ومن حديث ثوبان كلهم عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وذكر عبد الحق- أظنّه عبد الحق الإشبيلي - في الكافية حديث الأسود بن سريع، ومن حديث أبي هريرة عن النَّبي صلى الله عليه وسلم وأسانيدها صالحة، لكن قال ابن عبد البر: ليس من أحاديث الأئمَّة الفقهاء ، وهو أصل عظيم ، والقطع فيه بمثل هذه الأحاديث ضعيف في العلم والنَّظر ، مع أنـَّه قد عارضها ما هو أقوى محيًّا منها. وقال الحليمي: ليس هذا الحديث بثابت وهو مخالف لأصول المسلمين لأنَّ الآخرة ليست بدار امتحان، فإنَّ المعرفة بالله فيها تكون ضروريَّة ولا محنة مع الضَّرورة، وسائر الطَّاعات تبعاً للمعرفة، فإن وقع الامتحان بالمعرفة وقع فيما وراءها ، وإذا سقط الامتحان فيها لم يثبت فيما وراءها، ولأنَّ دلائل الشَّرع استقرَّت على أنَّ التَّخليد في النَّار لا يكون إلَّا على الشِّرك، وامتناع الّصغار في الآخرة من دخول

النَّار المؤجَّجة ليس بشرك، وهو الذي قاله الحليمي" . انظر: كل مولود يولد على الفطرة (ص٢٦-٣٢) ، وانظر: فتح الباري (٣/ ٢٤٦) ، التذكرة (ص١٠٤٢-١٠٤٣) ، التمهيد (١٨/ ١٣٥) ، المنهاج للحليمي (١/ ١٥٩) .

وقال الإمام ابن عطيّة في تعليقه على الحديث السَّابق: "حديث لم يصح ، ولا يقتضيه ما تعطيه الشَّريعة من أنَّ الآخرة ليست دار تكليف" . انظر تفسير ابن عطيّة (٣/ ٤٤٤) ، وبنحوه قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٣٢) .

قلت : ما قاله ابن عبد البر والحليمي حقّ، -فدار الآخرة ليست بدار تكليف، إنَّما هي دار جزاء لا تكليف فيها، وقد قال الله تعالى: **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً﴾** [الأنعام: ١٥٨] ، فأخبر الله تعالى أنَّه بعد ظهور الآيات يبطل الاختبار والأعمال، والحديث الذي استشهد به من قال بهذا القول روي من عدَّة طرق كلُّها ضعيفة، ولهذا لا يصلح للاستشهاد، مع أنَّه مخالف للأدلَّة الصَّحيحة الصَّريحة بنجاتهم، على ما تقدَّم.

أمَّا من استدلَّ على التَّكليف في عرصات القيامة بقوله تعالى: **﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾** [القلم: ٤٢] ، فجوابه : أنَّ ذلك لا يكون على سبيل التَّكليف، بل على سبيل التَّقريع والتَّخجيل والتَّعنيف على تركهم السُّجود في الدُّنيا – على ما تقدَّم – ثمَّ إنَّه حال ما يدعوهم إلى السُّجود يسلب عنهم القدرة على السُّجود، ويحول بينهم وبين الاستطاعة حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا حين دعوا إلى السُّجود وهم سالموا الأطراف والمفاصل . انظر: تفسير الرازي (٣٠/ ٨٤-٨٥ بتصرف) .

وبهذا يتميَّز المؤمن عن غيره تميُّز تشريف، ويفتضح الكافر ويبين، وقد جاء في صحيح مسلم (١/ ١٦٧ برقم ١٨٣) قوله صلى الله عليه وسلم: " فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ " .

قال الإمام النَّووي في " " (٣/ ٢٨) : " هَذَا السُّجُودُ امْتِحَانٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ وَقَدِ اسْتَدَلَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فلا يستطيعون عَلَى جَوَازِ تَكْلِيفِ مَا لَا يُطَاقُ وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ بَاطِلٌ فَإِنَّ الْآخِرَةَ لَيْسَتْ دَارَ تَكْلِيفٍ بِالسُّجُودِ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ امْتِحَانُهُمْ " .

﴿سُؤالٌ﴾ : مَنْ هُمُ الذِيْنَ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ أَطْفَالَ الْمُشْرِكِيْنَ فِي النَّارِ تَبَعاً لِآبَائِهِم ؟

الجواب : ذهب إلىٰ هذا المذهب القاضي أبو يعلىٰ، وغيره، وذكر أنَّه منصوص عن أحمد، وهو غلط علىٰ أحمد . انظر: فتاوىٰ ابن تيميّة (٢٤/ ٣٧٢) ، فتح الباري(٣/ ٢٤٦) .

ونسب النَّووي هذا القول إلىٰ الأكثرين ، وفي هذه النِّسبة نظر . انظر : كلُّ مولود يولد علىٰ الفطرة، (ص٢٤).

وحكاه ابن حزم عن الأزارقة من الخوارج . انظر: فتح الباري (٣/ ٢٤٦) ، التذكرة (٣/ ١٠٣٨) .

واختار ذلك أبو الفرج بن الجوزي، وغيره . انظر : فتاوىٰ ابن تيمية (٢٤/ ٣٧٢) .

واستدلَّ أصحابُ هذا القول بالآتي:

(١) قوله تعالىٰ: ﴿**رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً**﴾ [نوح: ٢٦] ، ووجه الدّلالة من الآية أنَّ الآية لم تستثن الأطفال بل حكمت بكفرهم. وقد ذكر الحافظ ابن حجر أنَّ الإمام ابن حزم تعقَّب هذا القول بأنَّ المراد قوم نوح خاصَّة، وإنَّما دعا بذلك لما أوحىٰ الله إليه: ﴿**أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ**﴾ [هود: ٣٦] . انظر : فتح الباري (٣/ ٢٤٦) .

(٢) وروىٰ البخاري (٤/ ٦١ برقم ٣٠١٢) بسنده عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، قَالَ: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالأَبْوَاءِ، أَوْ بِوَدَّانَ، وَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ يُبَيَّتُونَ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَيُصَابُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ قَالَ: «هُمْ مِنْهُمْ " .

ووجه الدّلالة أنَّ الحديث جعل الأبناء في حكم الآباء....

وردّ هذا الكلام الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٣/ ٢٤٦) ، فقال: " وَأَمَّا حَدِيثُ هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ أَوْ مِنْهُمْ فَذَاكَ وَرَدَ فِي حُكْمِ الْحَرْبِيِّ " .

وقال في موضع آخر (٦/ ١٤٧-١٤٨) : " وَلَيْسَ الْمُرَادُ إِبَاحَةَ قَتْلِهِمْ بِطَرِيقِ الْقَصْدِ إِلَيْهِمْ بَلِ الْمُرَادُ إِذَا لَمْ يُمْكِنِ الْوُصُولُ إِلَى الْآبَاءِ إِلَّا بِوَطْءِ الذُّرِّيَّةِ فَإِذَا أُصِيبُوا لِاخْتِلَاطِهِمْ بِهِمْ جَازَ قَتْلُهُمْ ... وَاتَّفَقَ الْجَمِيعُ كَمَا نقل بن بَطَّالٍ وَغَيْرُهُ عَلَىٰ مَنْعِ الْقَصْدِ إِلَى قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ أَمَّا النِّسَاءُ فَلِضَعْفِهِنَّ وَأَمَّا الْوِلْدَانُ فَلِقُصُورِهِمْ عَنْ فِعْلِ الْكُفْرِ " .

وفي تعليقه علىٰ الحديث قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج " (١٢/ ٥٠) : " وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ لِجَوَازِ الْبَيَاتِ - أي يُغار عليهم بالليل - ، وَجَوَازِ الْإِغَارَةِ عَلَىٰ مَنْ بَلَغَتْهُمُ الدَّعْوَةُ مِنْ غَيْرِ إِعْلَامِهِمْ بِذَلِكَ ، وَفِيهِ أَنَّ أَوْلَادَ الْكُفَّارِ حُكْمُهُمْ فِي الدُّنْيَا حُكْمُ آبَائِهِمْ ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَفِيهِمْ إِذَا مَاتُوا قَبْلَ الْبُلُوغِ ثلاثة مذاهب ، الصَّحيح : أنَّهم في الجنَّة " .

(٣) وروىٰ أحمد في " المسند" (٢٥/ ٢٦٨ برقم ١٥٩٢٣) بسنده عَنْ سَلَمَةَ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَأَخِي إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمَّنَا مُلَيْكَةَ كَانَتْ تَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَفْعَلُ، وَتَفْعَلُ هَلَكَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهَا شَيْئًا؟ قَالَ: " لَا " قَالَ: قُلْنَا: فَإِنَّهَا كَانَتْ وَأَدَتْ أُخْتًا لَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهَا شَيْئًا؟ قَالَ: " الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ، إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ الْوَائِدَةُ الْإِسْلَامَ ، فَيَعْفُوَ اللهُ عَنْهَا " . قال الأرنؤوط : " رجاله ثقات رجال الشيخين، غير داود بن أبي هند، فمن رجال مسلم، وصحابيه روىٰ له النسائي، وله ذكر في "صحيح مسلم " لكن في متنه نكارة. ابن أبي عدي: هو محمد بن إبراهيم بن أبي عدي، والشعبي: هو عامر بن شَراحيل، وعلقمة: هو ابن قيس بن عبد الله النخعي. وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ٤/ ٧٢، والنسائي في "الكبرىٰ" (١١٦٤٩) – وهو عنده في "التفسير" (٦٦٩) –، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٢٤٧٤) ، والطبراني في "الكبير" (٦٣١٩) من طرق عن داود بن أبي هند، بهذا الإسناد. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١/ ١١٩، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، والطبراني في "الكبير" بنحوه. وأخرجه الطبراني أيضاً (٦٣٢٠) من طريق جابر- وهو الجعفي- عن الشعبي، به. بلفظ: "الوائدة والموؤودة في النار". وأخرجه بنحوه الطيالسي (١٣٠٦) ، ومن طريقه ابن أبي عاصم (٢٤٧٥) عن سليمان بن معاذ، عن عمران بن مسلم، عن يزيد بن مرة، عن سلمة بن يزيد، به. وقوله: "الوائدة والموؤودة في النار" جاء من حديث ابن مسعود مرفوعاً، عند البخاري في "التاريخ الكبير" ٤/ ٧٣، وأبي داود (٤٧١٧) ، وابن حبان (٧٤٨٠) ، والطبراني (١٠٠٥٩) و (١٠٢٣٦) . قلنا: فيه أن الموؤودة- وهي البنت التي تدفن حية- تكون غير بالغة، ونصوص الشريعة متضافرة علىٰ أنه لا تكليف قبل البلوغ. والمذهب الصحيح المختار عند المحققين من أهل العلم أن أطفال المشركين الذين يموتون قبل الحِنث هم من أهل الجنة، وقد استدلوا بما أخرجه ابن أبي حاتم فيما نقله عنه الحافظ ابن كثير في "تفسيره" ٨/ ٣٥٧ عن أبي عبد الله الطهراني- وهو محمد بن حماد-، حدثنا حفص بن عمر العدني، حدثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: أطفال المشركين في الجنة، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب، يقول الله عز وجل: (وإذا الموؤودة سُئِلَت، بأيِّ ذنبٍ قُتِلَتْ) [التكوير: ٨، ٩] ، قال: هي المدفونة. وبقوله تعالىٰ: **﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥] ، فإذا كان لا يُعَذَّب العاقلُ بكونه لم تبلغه الدعوة، فلأن لا يُعَذَّبُ غيرُ العاقل من باب الأَوْلىٰ. وبما أخرج أحمد ٥/ ٥٨ من طريق حسناء بنت معاوية بن صريم عن عمها، قال: قلت: يا رسول الله، من في الجنة؟ قال: "النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والموؤودة في الجنة"، وحسّن الحافظ إسناده في "الفتح" ٣/ ٢٤٦. وبما أخرج ابن أبي حاتم فيما ذكر ابن كثير في "تفسيره"- عن أبيه، عن مسلم بن إبراهيم، عن قرة قال: سمعت الحسن يقول: قيل: يا رسول الله: من في الجنة؟ قال: "الموؤودة في الجنة"، قال ابن كثير: هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن، ومنهم من قبله. وبما أخرج البخاري في "صحيحه" (٧٠٤٧) من حديث سمرة، وفيه: "وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم، وأما الولدان الذين حوله، فكل مولودٍ مات علىٰ الفطرة"، قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله: وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"وأولاد المشركين". وبما أخرجه البخاري (١٣٨٥) ، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رفعه: "كل مولودٍ يولد علىٰ الفطرة (والفطرة هنا الإسلام) ، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه". وفي مستخرج البرقاني علىٰ البخاري من حديث عوف الأعرابي، عن أبي رجاء العطاردي، عن سمرة، عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "كل مولودٍ يولد علىٰ الفطرة"، فقال الناس: يا رسول الله: وأولاد المشركين؟ قال: "وأولاد المشركين". وانظر: "طريق الهجرتين وباب السعادتين" ص ٥١٢- ٥١٦ " .

ووجه الدّلالة من الحديث: أنَّ الموؤدة لم تبلغ الحنث ، ومع ذلك حكم النَّبي صلى الله عليه وسلم بأنَّها في النَّار...

قال الإمام السُّبكي في رسالة "كلُّ مولود يولد على الفطرة " (ص٢٥) في الرَّدّ على الاستشهاد بهذا الحديث: "إن لم يكن لهذا الحديث علَّة يحتاج إلى جواب آخر، وقد قيل: لعلَّه صلى الله عليه وسلم اطَّلع على أنَّ تلك الموؤدة بلغت سنَّ التَّكليف وكفرت ولم يلتفت إلى قول السَّائل (لم تبلغ الحنث) لجهله، ويكون التَّكليف فيه منوطاً بالتَّمييز، والسَّائل بجهله، وليس ذلك من الأمور المحتاج إليها حتى يبيّنها له " .

)٤ (وروى أحمد في " المسند" (٤٢/ ٤٨٤ برقم ٢٥٧٤٣) بسنده عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْفَالَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: " إِنْ شِئْتِ أَسْمَعْتُكِ تَضَاغِيَهُمْ فِي النَّارِ " . قال الأرنؤوط : " إسناده ضعيف لضعف أبي عقيل يحيى بن المتوكل، ولجهالة بُهَيَّة، وهي مولاة عائشة، فقد انفرد بالرواية عنها أبو عقيل. وكيع: هو ابن الجراح الرؤاسي. وأخرجه مطولاً الطيالسي (١٥٧٦) ، وابن عدي في "الكامل" ٧/ ٢٦٦٤، وابن الجوزي في "العلل المتناهية" (١٥٤١) من طرق عن أبي عقيل، بهذا الإسناد. وقال ابن عدي: وهذه الأحاديث لأبي عقيل عن بهية، عن عائشة غير محفوظة ولا يروي عن بهية غير أبي عقيل هذا. وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، قال أحمد بن حنبل: يحيى بن المتوكل يروي عن بهية أحاديث منكرة، وهو واهي الحديث. وأورده الهيثمي في "المجمع" ٧/ ٢١٧، وقال: رواه أحمد، وفيه أبو عقيل يحيى بن المتوكل، ضعفه جمهور الأئمة أحمد وغيره، ويحيى بن معين، ونقل عنه توثيقه في رواية من ثلاثة. قلنا: ومما يدل على نكارة هذا الحديث وبطلانه حديث سمرة بنت جندب الطويل في صحيح البخاري (٧٠٤٧) وفيه: وأما الرجل الطويل الذي في الروضة، فإنه إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما الولدان الذين حوله، فكل مولود مات على الفطرة، قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وأولاد المشركين". فظاهره أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألحق أولاد المشركين بأولاد المسلمين في حكم الآخرة. وقال الإمام النووي: المذهب الصحيح الذي صار إليه المحققون أنهم في الجَنَّة " .

والحديث لا يصحُّ، ففي سنده أبو عقيل يحيى بن المتوكِّل...

قال أحمد بن أبي يحيى عن أحمد بن حنبل: أحاديثه عن بُهيّة عن عائشة منكرة وما روى عنها إلا هو، وهو واهي الحديث، وعن يحيى بن معين قال: أبو عقيل الذي روى عن بُهيّة ضعيف، وقال عباس الدوري، عن يحيى بن معين: ليس حديثه شيء. وعن الغلاّبي عن يحيى بن معين: منكر الحديث. وقال إبراهيم الجوزجاني: أحاديثه منكرة، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث ما يكتب حديثه، وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن حبّان: ينفرد بأشياء ليس لها أصول من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يرتاب الممعن في الصناعة أنها معمولة... انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ٥١٣-٥١٥) ، وانظر تعليق الألوسي على الحديث في روح المعاني (٨/ ٣٤)
.

ولذلك حكم الإمام ابن تيميّة ببطلان الحديث على ما نقله عنه تلميذه الإمام ابن القيّم. انظر طريق الهجرتين (ص٥٧٤) .

وعليه فالحديث ضعيف جدّاً، لا يصلح للاحتجاج في هذا الأمر الخطير...

(٥) ذكر الهيثمي في " مجمع الزّوائد" (٧/ ٢١٧ برقم ١١٩٤٠ ، وقال : رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، وَفِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ، وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ) عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: «سَأَلَتْ خَدِيجَةُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنْ وَلَدَيْنِ مَاتَا لَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هُمَا فِي النَّارِ "، قَالَ: فَلَمَّا رَأَى الْكَرَاهَةَ فِي وَجْهِهَا، قَالَ: " لَوْ رَأَيْتِ مَكَانَهُمَا أَبْغَضْتِهِمَا "، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَوَلَدِي مِنْكَ؟ قَالَ: " فِي الجنَّة "، قَالَ: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَأَوْلَادَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَوْلَادَهُمْ فِي النَّارِ "، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾** [الطور: ٢١] .

والحديث ضعيف لا يصلح للاحتجاج لجهالة محمّد بن عثمان كما قال الهيثمي وغيره. ولم أجد فيما بين يدي من المراجع ممَّن روى عن زاذان من اسمه محمَّد بن عثمان، ولا من ذكر أنَّ ممَّن روى عن محمَّد بن فضيل من اسمه محمَّد بن عثمان. ولذلك حكم بجهالته الإمام ابن القيِّم . انظر : طريق الهجرتين (ص٥٧٥).

(٦) روى البخاري (٩/ ١٣٤ برقم ٧٤٤٩) بسنده عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " اخْتَصَمَتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا، فَقَالَتِ الجَنَّةُ: يَا رَبِّ، مَا لَهَا لاَ يَدْخُلُهَا إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ النَّارُ: – يَعْنِي – أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، قَالَ: فَأَمَّا الجَنَّةُ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا، فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، ثَلاَثًا، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئُ، وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ " .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث على أنَّ أطفال المشركين في النَّار: أنَّ قوله صلى الله عليه وسلم: "نَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا " قال فيه من ذهب هذا المذهب: لأن يدخل النَّار من ولد في الدُّنيا من أبوين كافرين أولى " ...

والحقّ أنَّ الحديث انقلب لفظة على بعض الرُّواة، قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (١٣/ ٤٣٦) : " قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ الْمَعْرُوفُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّ اللهَّ يُنْشِئُ لِلْجَنَّةِ خَلْقًا وَأَمَّا النَّارُ فَيَضَعُ فِيهَا قَدَمَهُ قَالَ وَلَا أَعْلَمُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ خَلْقًا إِلَّا هَذَا " .

وقال في موضع آخر (١٣/ ٤٣٧) : " وَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ إِنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ مقلوب وَجزم بن الْقَيِّمِ بِأَنَّهُ غَلَطٌ وَاحْتَجَّ بِأَنَّ اللهَّ تَعَالَى أَخْبَرَ بِأَنَّ جَهَنَّمَ تَمْتَلِئُ مِنْ إِبْلِيسَ وَأَتْبَاعِهِ وَكَذَا أَنْكَرَ الرِّوَايَةَ شَيْخُنَا الْبُلْقِينِيُّ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ وَلَا يظلم رَبك أحدا ثُمَّ قَالَ وَحَمْلُهُ عَلَى أَحْجَارٍ تُلْقَى فِي النَّارِ أَقْرَبُ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى ذِي رُوحٍ يُعَذَّبُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ" .

وقد جاء الحديث عند البخاري (٦/ ١٣٨ برقم ٤٨٥٠) في كتاب التفسير بلفظ : " تَحَاجَّتِ الجَنَّة وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللهَُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللهَُّ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللهََّ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا " .

فهذه هي الرِّواية الصَّحيحة التي لا قلب فيها، أمّا الرِّواية الأولى فهي مقلوبة كما صرَّح العلماء أولي الشَّأن، ولذا فلا تصلح للاحتجاج...

وممَّا يُبطل كونهم في النَّار قوله تعالى: ﴿**جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [التوبة: ٨٢] ، والأطفال ما كسبوا شيئاً، وكذا قوله تعالى: ﴿**لا يَصْلاها إِلاَّ الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾ [الليل: ١٥-١٦] ، والطِّفل لم يكذب ولم يتول...

وأيضاً قوله تعالى: ﴿**وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى**﴾ [الأنعام: ١٦٤] دليل على نجاتهم وأنّهم لا يؤاخذون بذنوب آبائهم، ومعنى الآية: "أي : لا تحمل نفس مذنبة، بل ولا غير مذنبة، ذنوب نفس أخرى" . انظر: الصاوي على الجلالين (٣/ ٣١٢) .

وبمعنى آخر: لا تأثم نفس آثمة إثم نفس أخرى، بل على كلّ نفس إثمها، دون إثم غيرها من الأنفس. وفي هذا قطع لأطماعهم الفارغة، إذ كانوا يزعمون أنهم إن لم يكونوا على الحقّ فالتَّبعة على أسلافهم الذين

قلدوهم . انظر: تفسير المراغي (١٥/ ٢٤) ، وانظر الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٥٧، ١٠/ ٢٣٠) ، تفسير ابن كثير (ص١٠٠٥) ، تفسير الطبراني (٤/ ١٠٢) ، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٨٤) ، تفسير الشربيني، (٢/ ٣٢٢) .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير " (٢٠/ ٣١٢) : " قَالَ الْجُبَّائِيُّ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا يُعَذِّبُ الْأَطْفَالَ بِكُفْرِ آبَائِهِمْ، وَإِلَّا لَكَانَ الطِّفْلُ مُؤَاخَذًا بِذَنْبِ أَبِيهِ، وَذَلِكَ عَلَىٰ خِلَافِ ظَاهِرِ هَذِهِ الْآيَةِ " .

فإذا انضم ما قدَّمناه هنا إلى ما ذكرناه من أدلَّة أصحاب القول الأوَّل علمنا بطلان كونهم من أصحاب النَّار.

﴿سُؤالٌ﴾ : هَلْ هُنَاك مَذَاهِب أُخْرَى فِيْ مَصِيْرِ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِيْن ؟

الجواب : ذكر العلماء أقوالاً أخرىٰ في مصير أطفال المشركين غير التي ذكرنا سابقاً، وتفصيل ذلك بالآتي:

أَوَّلَاً: أَنَّهُم يَصِيْرُوْنَ تُرَاباً: ونسب هذا القول الحافظ ابن حجر لثمامة بن أشرس. انظر فتح الباري (٣/ ٢٤٦) .

وهذا ممَّا لا حجَّة له، إنّما هو نوع ظنّ وتخرُّص، ذلك أنّ الذي يصير للتُّراب إنّما هي البهائم، وذلك بعد أن يُقاد للشَّاة الجلحاء من القرناء، ثمَّ يقال لها: كُوني تراباً فتصير تراباً. وعندها يتمنَّى الكافر أن لو كان حيواناً في الدُّنيا ليصير تراباً في الآخرة، وقد جاءت الإشارة في القرآن صريحة لهذا المصير، قال تعالى: **﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَداهُ وَيَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾** [النبأ:٤٠] .

روى مسلم (٤/ ١٩٩٧ برقم ٢٥٨٢) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ " .

ثَانِيَاً: أَنَّهُمْ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّة: ذكر هذا القول الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٢٤٦) ، والبيهقي في الاعتقاد (ص١٠٨-١٠٩) ، والقرطبي في التَّذكرة (ص١٠٤٣) ، ولم ينسبوه لأحد...

وحجَّة من قال بهذا القول، ما رواه الطَّبراني، والبزَّار، والطَّيالسي، وأبو يعلى، وابن عبد البر وغيرهم عن سمرة مرفوعاً: "أولاد المشركين خدم أهل الجنّة" . أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٥٥٥ برقم ٢٠٤٥) ، الكبير (٧/ ٢٤٤ برقم ٦٩٣٣) ، أبو داود الطيالسي برقم (٢١١١)، أبو يعلي في مسنده (٧/ ١٣٠-١٣١ برقم ٤٠٩٠) ، ابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ١١٨) ، والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٣١٨ برقم ١١٩٥٥) ، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزّار، وفيه عباد بن منصور، وثقة يحيى القطان، وفيه ضعف، وبقيّة رجاله ثقات، فالحديث -كما رأيت- إسناده ضعيف بسبب عباد بن منصور، مدلس وقد عنعن، وقال القرطبي في التذكرة (٣/ ١٠٤٤) : وإسناد هذا الحديث ليس بالقوي، وكذا ضعف إسناده الحافظ في الفتح (٣/ ٢٤٦) .

والحديث ضعيف لا يصلح للاحتجاج، إذ السَّند فيه: عبَّاد بن منصور: ضعيف، ضعَّفه غير واحد من العلماء. قال أبو حاتم: ضعيف يُكتب حديثه، وقال ابن معين: ليس حديثه بالقوي. وقال عبَّاس الدُّوري، وأبو بكر بن أبي خيثمة، عن يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال أبو زرعة: ليِّن، وقال أبو داود، عنده أحاديث فيها نكارة، وقال النَّسائي: ضعيف ليس بحجَّة، وقال في موضع آخر: ليس بالقويِّ، وقال ابن حبَّان: كان مدلِّساً..." . انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ١٥٨-١٦٠) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٥-١٠٦) .

وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الأطفال خدم أهل الجنّة". ذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٣١٨ برقم ١١٩٥٦، وقال: رواه أبو يعلى، والبزّار، والطبراني في الأوسط، إلا أنهما قالا: "أطفال المشركين" وفي إسناد أبي يعلى: يزيد الرقاشي، وهو ضعيف، وقال فيه ابن معين: رجل صدق، ووثقه ابن عدي، وبقيّة رجالهما رجال الصّحيح.والحديث كسابقه ضعيف، علّته: يزيد الرقاشي : ضعّفه غير واحد من العلماء، قال أبو طالب: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كان -أي يزيد- منكر الحديث، وقال معاوية بن صالح: عن يحيى بن معين: ضعيف، وقال أبو بكر بن أبي خيثمة، عن يحيى بن معين: رجل صالح وليس حديثه بشيء. وقال يعقوب بن سفيان: فيه ضعف. وقال أبو حاتم: كثير الرواية عن أنس بما فيه نظر ، وفي حديثه ضعف، وقال النّسائي والحاكم أبو أحمد: متروك الحديث. انظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ٦٦-٦٩)، ميزان الاعتدال (٧/ ٢٣٢-٢٣٣) ، تهذيب التهذيب (١١/ ٢٦٨-٢٦٩) .

ثَالِثَاً: أَنَّهُمْ فِي مَشِيْئَةِ اللهِ تَعَالَى : وهو منقول عن حمّاد بن زيد، وحمّاد بن سلمة، وعبد الله بن المبارك، وإسحق بن راهويه، ونقله البيهقي في الاعتقاد عن الشَّافعي. قال ابن عبد البر: وهو مقتضى صنيع مالك، وليس عنده في هذه المسألة شيء منصوص عليه إلَّا أنَّ أصحابه صرَّحوا بأنَّ أطفال المسلمين في الجَنَّة وأطفال الكفار خاصَّة في المشيئة، والحجَّة فيه حديث: "الله أعلم بما كانوا عاملين". انظر: فتح الباري (٣/ ٢٤٦) ، كل مولود يولد على الفطرة (ص٢٥-٢٦) ، الاعتقاد للبيهقي (ص١١٠) ، التذكرة للقرطبي (ص١٠٣٦) ، المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٦٠) .

والحديث المذكور تقدم تخريجه. قال الإمام السُّبكي: "وهو دليل قويّ للتَّوقّف" . انظر : يولد الإنسان على الفطرة (ص٢٦) ، الاعتقاد للبيهقي (ص١١٠).

قلت: وقد سبق القول بأنَّ معنى قوله صلى الله عليه وسلم : "الله أعلم بما كانوا عاملين"، أي: لو أبقاهم، فلا تحكموا عليهم بشيء، أو معناه: أنَّه تعالى علم أنَّهم لا يعملون شيئاً ولا يرجعون فيعملون، أو أخبر بعلم شيء لو وجد كيف يكون، تماماً كقوله تعالى: **﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْه﴾** [الأنعام: ٢٨] . ولكن لم يرد أنَّهم يجازون بذلك في الآخرة، لأنَّ الحقّ سبحانه لا يجازي العبد بما لم يعمل، قال سبحانه وتعالى: **﴿لَهَا مَا كَسَبَتَ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَت﴾** [البقرة: ٢٨٦] ، والطِّفل لم يكتسب شيئاً يؤاخذ عليه، وبالتَّالي فحجَّة أصحاب

هذا القول داحضة، خاصَّة إذا ما قيست بأدلَّة أصحاب القول الأوَّل في مصير أبناء المشركين الذين ماتوا قبل البلوغ...

رَابِعَاً: أَنَّهُمْ يَكُوْنُوْنَ فِي بَرْزَخ بَيْنَ الجَنَّة وَالنَّار : لأنَّهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنَّة، ولا سيِّئات يدخلون بها النَّار، ذكر هذا القول الحافظ ابن حجر، ولم ينسبه لأحد . انظر : فتح الباري (٣/ ٢٤٦) .

ولم أجد دليلاً يعضد هذا القول أو يحاجج عنه، بل هو نوع ظنّ ، والظَّنّ لا يغني عن الحقّ شيئاً.

خَامِسَاً: الوَقْفُ : حكاه الحافظ ابن حجر ولم ينسبه لأحد . انظر : فتح الباري (٣/ ٢٤٧) .

سَادِسَاً: الإِمْسَاكُ عَنِ الخَوْضِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَة : نقل هذا القول الحافظ ابن حجر، فقال : "وفي الفرق بين الوقف والإمساك دقَّة " . انظر فتح الباري (٣/ ٢٤٧) ، ولم ينسبه لأحد.

وقد ذهب الإمام تقيّ الدِّين السُّبكي إلى كراهة الخوض في هذه المسألة، فقال في نهاية رسالته (كلّ مولود يولد على الفطرة" : "إنَّما تكلَّمت في هذه المسألة جواباً، وهي ممَّا لا أحبُّ الكلام فيه، لأنَّه روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لَا يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُوَائِمًا – أَوْ مُقَارِبًا – مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا فِي الْوِلْدَانِ وَالْقَدَرِ" . رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٨٨ برقم ٩٣، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا نعلم له علّة، ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي) ، الطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٥ برقم ١٢٧٦٤) ، البزّار (٢/ ٢٠٠)(زوائد)، اللالكائي في الاعتقاد (٤/ ٣٥٩ برقم ١١٢٧موقوفاً) ، ابن حبّان في صحيحه (١٥/ ١١٩ برقم ٦٧٢٤) ، ابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ١٣١ موقوفاً) ، وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٩٥ برقم ١١٨٥٤، وقال: رواه البزّار والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال البزّار رجال الصحيح " .

قال يحيى بن آدم: فذكروه لابن المبارك فقال: فليسكت الإنسان على الجهل..." . انظر : كل مولود يولد على الفطرة، (ص٣٧-٣٨).

قلنا: المنهي عنه في هذه المسألة هو التعمّق في الأمور التي لا سبيل إلى إدراكها، ذلك أنَّ القدر سرّ عظيم من أسرار الله تعالى، لم يُطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، قال الإمام الطّحاوي في عقيدته: " (وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهَّ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللهَّ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: **﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾** [الأنبياء: ٢٣] . فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ " .

والولدان ومصيرهم مسألة لها ارتباط وثيق بالقدر، لذلك يجب الإمساك والتّوقّف علىٰ من لا علم له بالمسألة. أمَّا من لديه علم ببعض فروعها المتفرِّعة عنها فلا ضير عليه في الكلام فيها، خاصَّة بعد أن رأينا فحول العلماء وأساطينهم يتكلَّمون فيها. قال الإمام ابن حجر في " فتح الباري " (٣/ ٢٤٦) وهو يشرح باب ما قيل في أولاد المشركين من كتاب الجنائز: " قَوْلُهُ بَابُ مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ" : هَذِهِ التَّرْجَمَةُ تُشْعِرُ أَيْضًا بِأَنَّهُ كَانَ مُتَوَقِّفًا فِي ذَلِكَ وَقَدْ جَزَمَ بَعْدَ هَذَا فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الرُّومِ بِمَا يَدُلُّ عَلَىٰ اخْتِيَارِ الْقَوْلِ الصَّائِرِ إِلَىٰ أَنَّهُمْ فِي الجَنَّة كَمَا سَيَأْتِي تَحْرِيرُهُ وَقَدْ رَتَّبَ أَيْضًا أَحَادِيثَ هَذَا الْبَابِ تَرْتِيبًا يُشِيرُ إِلَىٰ الْمَذْهَبِ الْمُخْتَارِ فَإِنَّهُ صَدَّرَهُ بِالْحَدِيثِ الدَّالِّ عَلَىٰ التَّوَقُّفِ ثُمَّ ثَنَّىٰ بِالْحَدِيثِ الْمُرَجِّحِ لِكَوْنِهِمْ فِي الجَنَّة ثُمَّ ثَلَّثَ بِالْحَدِيثِ الْمُصَرِّحِ بِذَلِكَ فَإِنَّ قَوْلَهُ فِي سِيَاقِهِ وَأَمَّا الصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ قَدْ أَخْرَجَهُ فِي التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ " .

ونقل الإمام ابن عابدين في حاشيته (١/ ٣٧٤) عن ابن الهمام قوله: " وَقَدْ اُخْتُلِفَ فِي سُؤَالِ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ وَفِي دُخُولِهِمْ الجَنَّة أَوْ النَّارَ، فَتَرَدَّدَ فِيهِمْ أَبُو حَنِيفَةَ وَغَيْرُهُ وَقَدْ وَرَدَتْ فِيهِمْ أَخْبَارٌ مُتَعَارِضَةٌ فَالسَّبِيلُ تَفْوِيضُ أَمْرِهِمْ إلَىٰ اللهَّ – تَعَالَىٰ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ: اعْلَمْ أَنَّ اللهَّ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا بِلَا ذَنْبٍ " .

﴿سُؤَالٌ﴾ : مَا هِيَ أَسْبَابُ البُعْدِ عَنِ الجَنَّة ؟

الجواب : للحرمان من الجَنَّة علىٰ التَّأبيد لأقوام ، وإلىٰ أمد لا يعلمه إلَّا الله تعالىٰ لأقوام أخرىٰ أسباب كثيرة ، منها :

❁ أَوَّلاً ❁ : الشِّرْكُ بِالله تَعَالَى :

قال الله تعالىٰ : **﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾** [النساء:٤٨] .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٢/ ٣٢٥) : " ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ: أَنَّهُ **﴿لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾** ، أَيْ: لَا يَغْفِرُ لِعَبْدٍ لَقِيَهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ بِهِ {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ} أَيْ: مِنَ الذُّنُوبِ **﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾** ، أَيْ: مِنْ عِبَادِهِ " .

وقال تعالىٰ : **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَّ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللهَّ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدْ حَرَّمَ اللهَّ عَلَيْهِ الجَنَّة وَمَأْواهُ النَّارُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾** [المائدة:٧٢] . " يعني: ويموت علىٰ شركه، فَقَدْ حَرَّمَ اللهَّ عَلَيْهِ الجَنَّة أن يدخلها، وَمَأْواهُ النَّارُ يعني: مصيره إلىٰ النَّار، وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ يعني: ليس للمشركين من مانع يمنعهم من العذاب " . انظر : بحر العلوم (١/ ٤٠٨) .

وروى البخاري (٧/ ١٤٩ برقم ٥٨٢٧) ، مسلم (١/ ٩٥ برقم ٩٤) بسندهما عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ حَدَّثَهُ: أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: " مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ " قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ» وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: هَذَا عِنْدَ المَوْتِ، أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، غُفِرَ لَهُ " .

وروى مسلم (١/ ٩٤ برقم ٩٣) بسنده عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: " مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ " .

وروى أحمد في " المسند" (٢٨/ ١١٢ برقم ١٦٩٠٧) بسنده عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ - وَكَانَ قَلِيلَ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: " كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا، أَوِ الرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، أبو عون- وهو الأنصاري الشامي- روى عنه جمع، وذكره ابنُ حبان في "الثقات"، ووثقه العجلي، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح. صفوان بن عيسى: هو القرشي الزهري، وثور بن يزيد: هو الرحبي، وأبو إدريس: هو عائذ الله بن عبد الله الخولاني. وأخرجه المزي في ترجمة أبي عون من "تهذيب الكمال" ٣٤/ ١٥٥، من طريق الإمام أحمد، بهذا الإسناد. وأخرجه النسائي في "المجتبى" ٧/ ٨١، والحاكم ٤/ ٣٥١، من طريق صفوان بن عيسى، به، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وأخرجه الطبراني في "الكبير" ١٩/ (٨٥٨) من طريقين عن ثور. بن يزيد، به. وأخرجه الطبراني في "الكبير" ١٩/ (٨٥٦) و (٨٥٧) ، وفي "مسند الشاميين" (١٨٩٢) من طريقين عن أبي عون، به. وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند أبي داود (٤٢٧٠) ، وصححه ابن حبان (٥٩٨٠) ، والحاكم ٤/ ٣٥١، ووافقه الذهبي. وآخر من حديث عبادة بن الصامت عند البزار (٣٣٢٥) . قال السندي: قوله: "إلا الرجل"، أي: إلا ذنب الرجل. "أو الرجل يقتل" ظاهر الحديث موافق لظاهر القرآن، وكان ابن عباس يقول بما يوافقه، والجمهور يقول: إنه محمول على التغليظ، وإلا فقد قال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [النساء: ٤٨] " .

وروى أحمد في " المسند " (٣٥/ ٢٤٠ برقم ٢١٣١١) بسنده عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَقُولُ اللهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ عَمِلْتَ قِرَابَ الْأَرْضِ خَطَايَا وَلَمْ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا، جَعَلْتُ لَكَ قُرَابَ الْأَرْضِ مَغْفِرَةً " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. منصور: هو ابن المعتمر. وأخرجه البزار في "مسنده" (٣٩٩٠) ، والحاكم ٤/ ٢٤٦ من طريق محمد ابن مُحَبَّب، عن إبراهيم بن طهمان، بهذا الإسناد، مطولاً بنحو الرواية الآتية برقم (٢١٣٦٠)

. وأخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" (٤٣٣) و (٤٣٤) من طريق سالم ابن أبي الجعد، وابن حبان (٢٢٦) من طريق عبد العزيز بن رفيع، كلاهما عن المعرور بن سويد، به. وأخرجه البزار (٣٩٨٩) من طريق محمد بن محبب، عن إبراهيم بن طهمان، عن منصور، عن لاحق بن حميد، عن المعرور، به ".

وروىٰ أحمد في " المسند" (٣٢/ ١٧١ برقم ١٩٤٣٢) بسنده عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْخٌ كَبِيرٌ يَدَّعِمُ عَلَىٰ عَصًا لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي غَدَرَاتٍ وَفَجَرَاتٍ، فَهَلْ يُغْفَرُ لِي؟ قَالَ: " أَلَسْتَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ " قَالَ: بَلَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: " قَدْ غُفِرَ لَكَ غَدَرَاتُكَ وَفَجَرَاتُكَ " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح بشواهده، وهذا الإسناد فيه مكحول- وهو الشامي- كثيرُ الإرسال، ولا يُعرف له سماعٌ من عمرو بن عَبَسة، وقد عنعن. وبقية رجاله ثقات غير نوح بن قيس- وهو ابن رباح الأزدي- فصدوق. أشعث بن جابر: هو أشعث بن عبد الله بن جابر، نُسب إلىٰ جده. وأخرجه ابنُ أبي الدنيا في "حسن الظن بالله" (١٤٥) من طريق مسلم بن إبراهيم الأزدي، عن نوح بن قيس، بهذا الإسناد. وأورده الهيثمي في "المجمع" ١/ ٣٢، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجاله موثقون، إلا أنه من رواية مكحول عن عمرو بن عبسة، فلا أدري أسمع منه أم لا. قلنا: لم نجده في مطبوع "معجم" الطبراني الكبير، فالظاهر أنه في القسم المفقود منه. وأورده ابن حجر في "المطالب العالية" (٢٨٤٧) ، ونسبه لأبي يعلىٰ، ولعله في "مسنده الكبير". وله شاهد من حديث أنس عند أبي يعلىٰ (٣٤٣٣) - ومن طريقه ابنُ حجر في "الأمالي المطلقة" ص١١٤- وابن خزيمة في "التوحيد" (٣٤٢) ، والطبراني في "الصغير" (١٠٢٥) ؛ أخرجوه من طرق عن أبي عاصم النبيل الضَّحَّاك بن مَخْلد، عن أبي همام مستور بن عبَّاد (وتحرف اسمه في المصادر سوىٰ "الأمالي" إلىٰ مستورد) ، عن ثابت البُناني، عنه، قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ما تركتُ من حاجة ولا داجَّة إلا أتيتُ، قال: "أليس تشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسول الله؟ " قالها ثلاث مرات. قال: نعم. قال: "فإن ذلك يأتي علىٰ ذلك". قال الطبراني: لم يروه عن ثابت إلا مستور، تفرَّد به أبو عاصم. وقال الحافظ: ورجاله رجال الصحيح سوىٰ مستور، وقد وثقه ابنُ معين. ثم قال الحافظ: وله شاهد من حديث الرجل صاحب القصة، وسياقه أتمُّ. قلنا: أخرجه من حديثه ابنُ أبي عاصم في لا الآحاد والمثاني" (٢٧١٨) ، والبزار (٣٢٤٤) (زوائد) ، والطبراني في "الكبير" (٧٢٣٥) - ومن طريقه الحافظ ابن حجر في "الأمالي المطلقة" ص ١٤٤- وابن الأثير في "أسد الغابة" ٢/ ٥٢٤، والبغوي في "معجم الصحابة"، وعلي بن سعيد العسكري، فيما ذكر الحافظ في "الأمالي المطلقة" من طرق عن أبي المغيرة -وهو عبد القدوس بن الحجاج الحمصي- عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبي طويل شطب الممدود رضي الله تعالىٰ عنه، أنه أتىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: أرأيتَ رجلاً عمل الذنوبَ كلَّها، فلم يترك منها شيئاً، وهو مع ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ قال: "أليس قد أسلمت؟ " قال: أما أنا فأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريك له، وأن محمداً رسول الله. قال: "نعم، تفعل الخيرات، وتترك السيئات، فيجعلُهُن اللهُ لك حسناتٍ كلهنَّ". قال: وغَدَراتي وفَجَراتي؟! قال: "نعم". قال الحافظ: هذا حديث حسن صحيح غريب. وقال الحافظ: قوله: من حاجة ولا داجة، حكىٰ فيها الخطابي وجهين، فأما التخفيف. فالحاجة ظاهرة، والداجة إتْباع فيها يظهر، وأما التشديد، فروىٰ البغويُّ من طريق مبشّر بن عبيد قال: الحاجّة: الذي يقطع الطريق علىٰ الحاج إذا ذهبوا، والداجّة: الذي يقطع عليهم الطريق إذا رجعوا. قال الحافظ: ورواية التشديد لائقة بالحديث الثاني دون الأول، والله أعلم. انتهىٰ. وفي الباب عن ابن عباس، سلف برقم (٢٢٨٠) . وعن عبد الله بن عمرو، سلف برقم (٦٥٦٨) بلفظ: "من لقي اللهَ لا يُشرك به شيئاً، لم تضرَّه معه خطيئة". وإسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين. وانظر توجيهه هناك. وعن معاذ بن جبل، سيرد ٥/ ٢٢٩ بلفظ: "ما من نفس تموتُ وهي تشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأني رسولُ الله يرجع ذلك إلىٰ قلب مؤمن إلا غَفَرَ اللهُ لها". وفي إسناده هِصَان بن الكاهل، لم يرو عنه إلا

اثنان، وذكره ابن حبان في "الثقات"، ووثقه الذهبي في "الكاشف". قال السندي: قوله: يَدَّعِم، أي: يتكىء. ألستَ تشهد، أي: أما أسلمتَ بعد ذلك. قد غفر لك: لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله. والله تعالىٰ أعلم " .

وروىٰ الطَّبراني في " المعجم الكبير" (٧/ ٣١٤ برقم ٧٢٣٥) بسنده عَنْ أَبِي طَوِيلٍ شَطَبِ الْمَمْدُودِ أَنَّهُ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟» قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «نَعَمْ ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ» ، قَالَ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّىٰ تَوَارَىٰ " .

قال الحافظ ابن حجر في " الأمالي المطلقة " (ص١٤٥) : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ

أَخْرَجَهُ الْبَغَوِيُّ فِي مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ وَالْبَزَّارُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي الْوِحْدَانِ وَعَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِي فِي الصَّحَابَةِ كُلُّهُمْ عَنْ أَبِي نَشِيطٍ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ عَنْ أَبِي الْمُغِيرَةِ ، فَوَقَعَ لَنَا بَدَلًا عَالِيًا.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ السَّكَنِ وَابْنُ زبر وَابْنُ مَنْدَهْ كُلُّهُمْ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي نَشِيطٍ ، قَالَ ابْنُ السَّكَنِ تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو نَشِيطٍ.

قُلْتُ : وَرِوَايَتُنَا تَرُدُّ عَلَيْهِ ، وَقَالَ ابْنُ مَنْدَهْ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو الْمُغِيرَةِ.

قُلْتُ : هُوَ عَبْدُ الْقُدُّوسِ بْنُ الْحَجَّاجِ الْحِمْصِيُّ مِنْ شُيُوخِ الْبُخَارِيِّ وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٍ وَغَالِبُ مَنْ ذَكَرَ هَذَا الصَّحَابِيَّ أَوْرَدَهُ فِي حَرْفِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ عَلَىٰ ظَاهِرِ السِّيَاقِ وَأَنَّ اسْمَهُ شَطْبٌ لَكِنْ تَوَقَّفَ الْبَغَوِيُّ فَقَالَ الشَّطْبُ هُوَ الْمَمْدُودُ فِي اللُّغَةِ فَهِيَ صِفَتُهُ لَا اسْمُهُ وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي أَنَّ كُنْيَتَهُ أَبُو طَوِيلٍ فَلَا مَانِعَ أَنْ يُنَاسِبَ اسْمُهُ وَكُنْيَتُهُ صِفَتَهُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ : مِنْ حَاجَةٍ وَلَا دَاجَةٍ فَحَكَىٰ فِيهِمَا الْخَطَّابِيُّ وَجْهَيْنِ التَّخْفِيفَ وَالتَّشْدِيدَ ، فَأَمَّا التَّخْفِيفُ فَالْحَاجَةُ ظَاهِرَةٌ وَالدَّاجَةُ إِتْبَاعٌ فِيمَا يَظْهَرُ " .

۞ ثانِياً ۞ : الكُفْرُ بِاللهِ تَعَالَى :

قال سبحانه : **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ﴾** [البقرة:٢٣-٢٤] .

۞ ثالِثاً ۞ : النِّفَاقُ :

قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَما يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَما يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:٨-١٠] ، وقال سبحانه : ﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء:١٤٥] .

رَابِعَاً : شِرَاءُ لَهْوِ الحَدِيْثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى :

قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَها هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ * وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان:٦-٧] .

خَامِسَاً : تَقْلِيْدُ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ فِيْمَا هُمْ عَلَيْهِ عَلَى الدِّيْن :

قال تعالى : ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠] .

سَادِسَاً : الافْتِرَاءُ عَلَى دِيْنِ الله تَعَالَى :

قال تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ * وَقالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ * بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [البقرة:٧٩-٨١] .

سَابِعَاً : الارْتِدَادُ عَنْ دِيْنِ الله تَعَالَى :

قال تعالى : ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَإِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧] .

ثَامِنَاً : مُحَارَبَةُ الله وَرَسُوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالسَّعْي بِالفَسَادِ فِي الأَرْض :

قال تعالى : ﴿إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣] .

◉ تَاسِعَاً ◉ : مُحَادَدَةُ اللهِ وَرَسُوْلِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قال تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِيها ذلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٦٣] .

◉ عَاشِرَاً ◉ : إِيْذَاءُ اللهِ وَرَسُوْلِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمُؤْمِنِيْن وَالمُؤْمِنَاتِ :

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧-٥٨] .

◉ حَادِيْ عَشَر ◉ : عِصْيَانُ اللهِ وَرَسُوْلِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعَدِّي حُدُوْدِه :

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خالِداً فِيها وَلَهُ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء:١٤] .

◉ ثَانِيْ عَشَر ◉ : مُشَاقَقَةُ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء:١١٥] .

◉ ثَالِثُ عَشَر ◉ : اسْتِحْبَابُ الحَيَاةِ الدُّنيَا عَلَى الآخِرَة :

قال تعالى : ﴿فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ * أُولئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾ [البقرة:٢٠٠-٢٠٢] .

◉ رَابِعُ عَشَر ◉ : الاسْتِكْبَارُ فِي الأَرْض :

قال تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِيماً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً﴾ [النساء:١٧٣] .

◉ خَامِسُ عَشَر ◉ : الفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ :

قال تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال:١٥-١٦] .

◉ سَادِسُ عَشَر ◉ : إِحَاطَةُ الخَطِيْئَةِ بِصَاحِبِهَا فَانْعَدَتِ الحَسَنَات :

قال تعالى : ﴿وَقالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهَّ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُّ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهَّ مَا لا تَعْلَمُونَ * بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [البقرة:٨٠-٨١

◉ سَابِعُ عَشَر ◉ : الظُّلْمُ بِأَنْوَاعِه :

قال تعالى : ﴿رَبَّنا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾ [آل عمران:١٩٢] .

◉ ثَامِنُ عَشَر ◉ : أَخَذَةُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ :

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللهَّ عَلى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ * وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُّ لا يُحِبُّ الْفَسادَ * وَإِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَّ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهادُ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦] .

◉ تِاسِعُ عَشَر ◉ : قَسْوَةُ القَلْبِ :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا وَلكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للهَِّ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٥] .

◉ عِشْرُوْن ◉ : تَوَلِّي الكُفَّارِ وَالفُجَّارِ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْن :

قال تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَّ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:٥١] .

◉ وَاحِدٌ وَعِشْرُوْن ◉ : مَّنَعُ ذِكْرِ اسْمِ اللهِ تَعَالَى فِي المَسَاجِدِ والسَّعْيُ فِيْ خَرَابِهَا :

قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللهَّ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعى فِي خَرابِها أُولئِكَ مَا كانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوها إِلاَّ خائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤] .

◉ ثَانِيْ وَعِشْرُوْن ◉ : التَّفَرُّقُ وَالاخْتِلَافُ فِي الدِّيْن :

قال تعالى : ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥] .

❁ ثَالِثُ وَعِشْرُوْن ❁ : عَدَمُ الانْكِفَافِ وَالتَّنَاهِي عَنْ فِعْلِ الْمُنْكَر :

قال تعالى : **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدُونَ * كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كانُوا يَفْعَلُونَ * تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ﴾** [المائدة:٧٨-٨٠] .

❁ رَابِعُ وَعِشْرُوْن ❁ : أَكْلُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْماً :

قال تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾** [النساء:١٠] .

❁ خَامِسُ وَعِشْرُوْن ❁ : قَتْلُ النَّفْسِ عُدْوَانَاً :

قال تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ عُدْواناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾** [النساء:٢٩-٣٠] ، وقال تعالى : **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً﴾** [النساء:٩٣] .

وروى البخاري (٤/ ٣٧ برقم ٢٨٩٨) بسنده عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهَّ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ" .

۞سَادِسُ وَعِشْرُوْن ۞ : الاعْتِدَاءُ فِي القِصَاصِ :

قال تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثى بِالْأُنْثى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّباعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَداءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسانٍ ذلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلِكَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٨] .

۞ سَابِعُ وَعِشْرُوْن ۞ :كَنْزُ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَعَدَمُ إِنْفَاقِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ :

قال تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبارِ وَالرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٤-٣٥] .

۞ ثَامِنُ وَعِشْرُوْن ۞ : أَكْلُ الرِّبَا :

قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهى فَلَهُ ما سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عادَ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ * يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٥-٢٧٦] .

۞تَاسِعُ وَعِشْرُوْن ۞ : البُخْلُ وَأَمْرُ النَّاسِ بِه :

قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً﴾ [النساء:٣٧] .

۞ ثَلَاثُوْن ۞ : فَرَحُ الانِسَانِ بِمَا لَم يُؤت :

قال تعالى : ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[آل عمران:١٨٣] .

۞ وَاحِد وَثَلَاثُوْن ۞ : قَذْفُ المُؤمِنَاتِ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَات :

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ * لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقالُوا هَذا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلا جاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولئِكَ عِنْدَ اللهِ

هُمُ الْكاذِبُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللهِّ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيما أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِّ عَظِيمٌ * وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَكَ هَذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللهُّ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللهُّ لَكُمُ الْآياتِ وَاللهُّ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَاللهُّ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١١-١٩] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ الْغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٣-٢٤] .

۞ ثانِيْ وَثَلاثُوْن ۞ : مُلاعَنَةُ الزَّوْجَةِ كَذِباً :

قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهاداتٍ بِاللهِّ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللهِّ عَلَيْهِ إِنْ كانَ مِنَ الْكاذِبِينَ * وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهاداتٍ بِاللهِّ إِنَّهُ لَمِنَ الْكاذِبِينَ * وَالْخامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِّ عَلَيْها إِنْ كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور:٦-٩] .

۞ ثالِثُ وَثَلاثُوْن ۞ : أَكْلُ أَمْوَال النَّاسِ بِغَيْرِ وَجْهِ حَق :

روى مسلم (١/ ١٢٤ برقم ١٤٠) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيت إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ» قَالَ: أَرَأَيت إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ» قَالَ: أَرَأَيت إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ»، قَالَ: أَرَأَيت إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ" .

وروى الطَّبراني في " المعجم الكبير" (٧/ ٣١٠ برقم ٧٢٢٦) بسنده عَنْ شُفَيِّ بْنِ مَاتِعٍ الْأَصْبَحِيِّ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " أَرْبَعَةٌ يُؤْذُونَ أَهْلَ النَّارِ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْأَذَى، يَسْعَوْنَ بَيْنَ الْحَمِيمِ وَالْجَحِيمِ ، يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، يَقُولُ أَهْلُ النَّارِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ قَدْ آذَوْنَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ قَالَ: فَرَجُلٌ مُغْلَقٌ عَلَيْهِ تَابُوتٌ مِنْ جَمْرٍ، وَرَجُلٌ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ، وَرَجُلٌ يَسِيلُ فُوهُ قَيْحًا وَدَمًا، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ لَحْمَهُ، قَالَ: فَيُقَالُ لِصَاحِبِ التَّابُوتِ: مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ قَالَ: فَيَقُولُ: إِنَّ الْأَبْعَدَ مَاتَ وَفِي عُنُقِهِ أَمْوَالٌ إِلَى النَّاسِ مَا نَجِدُ لَهَا قَضَاءً أَوْ وَفَاءً، ثُمَّ يُقَالُ لِلَّذِي يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ: مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ فَيُقَالُ: إِنَّ الْأَبْعَدَ كَانَ لَا يُبَالِي إِنْ أَصَابَ الْبَوْلُ مِنْهُ لَا يَغْسِلُهُ، ثُمَّ يُقَالُ لِلَّذِي يَسِيلُ فُوهُ قَيْحًا وَدَمًا: مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ فَيَقُولُ: إِنَّ الْأَبْعَدَ كَانَ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ " . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" (١/ ٢٠٩ برقم ١٠٣٢) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ،وَرِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ" .

رَابِعُ وَثَلَاثُوْن : اقْتِرَافُ الكَبَائِرِ وَالْمُوْبِقَات :

روى البخاري (٣/ ١٧١ برقم ٢٦٥٣) بسنده عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الكَبَائِرِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ " .

وروى البخاري (٤/ ١٠ برقم ٢٧٦٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ " .

وروى البخاري (٨/ ٣ برقم ٥٩٧٣) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ " .

وروى البخاري (٨/ ١٣٧ برقم ٦٦٧٥) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ."

وروى البخاري (٩/ ١٤ برقم ٦٩٢٠) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الكَبَائِرُ؟ قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ» قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «اليَمِينُ الغَمُوسُ» قُلْتُ: وَمَا اليَمِينُ الغَمُوسُ؟ قَالَ: «الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ " .

خَامِسُ وَثَلَاثُوْن : غشُّ الرَّاعِيْ لِرَعِيَّتِه :

روى البخاري (٩/ ٦٤ برقم ٧١٥١) بسنده عَنِ الحَسَنِ، قَالَ: أَتَيْنَا مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ نَعُودُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ المُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ" .

قال الإمام ابن بطَّال في " شرح صحيح البخاري" (٨/ ٢١٩) : " النَّصيحة فرض على الوالي لرعيَّته ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " الأمير الذى على النَّاس راع ومسئول عن رعيته" ، فمن ضيَّع من استرعاه الله أمرهم أو خانهم أو ظلمهم؛ فقد توجَّه إليه الطَّلب بمظالم العباد يوم القيامة ، فكيف يقدر على التَّحلُّل من ظلم أمَّة عظيمة؟ وهذا الحديث بيان وعيد شديد على أئمَّة الجور. وقوله صلى الله عليه وسلم : لم يجد

رائحة الجَنَّة و " حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّة " ، فمعناه عند أهل السُّنَّة : إن لم يرض الله الطَّالبين عنه ، فأراد تعالى أن ينفذ عليه الوعيد؛ لأنَّ المذنبين من المؤمنين في مشيئة الله تعالى. ويجب على الوالي أن لا يحتجب عن المظلومين" .

وقال الإمام علي بن سلطان القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (٦/ ٢٤٠٣) : " قَالَ الطِّيبِيُّ: قَوْلُهُ: وَهُوَ غَاشٌّ حَالٌ قُيِّدَ لِلْفِعْلِ، وَمَقْصُودٌ لِلذِّكْرِ ؛ لِأَنَّ الْمُعْتَبَرَ مِنَ الْفِعْلِ الْحَالُ ؛ هُوَ الْحَالُ يَعْنِي ؛ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا وَلَّاهُ وَاسْتَرْعَاهُ عَلَى عِبَادِهِ لِيُدِيمَ النَّصِيحَةَ لَهُمْ، لَا لِيَغُشَّهُمْ فَيَمُوتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَلَبَ الْقَضِيَّةَ اسْتَحَقَّ أَنْ يُحْرَمَ الْجَنَّةَ، وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ: الْمَعْنَى مَنْ قَلَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ وَاسْتَرْعَاهُ عَلَيْهِمْ، وَنَصَبَهُ لِمَصْلَحَتِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَإِذَا خَانَ فِيمَا اؤْتُمِنَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْصَحْ فِيمَا قُلِّدَهُ ؛ إِمَّا بِتَضْيِيعِ حَقِّهِمْ وَمَا يَلْزَمُهُ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ غَشَّهُمْ " .

وقال الإمام ابن الملقِّن في " التَّوضيح لشرح الجامع الصَّحيح " (٣٢/ ٤٤٩) : " قال الدَّاودي: يحتمل أن يريد إلَّا أن يغفر الله، وهذا مذهب أهل السُّنَّة، ويحتمل أن يريد الكافر؛ لأنَّ المؤمن لا بدَّ له من نصيحة، ولقوله عليه السَّلام: "يخرج من النَّار من في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان " .

روى مسلم (١/ ١٢٦ برقم ١٤٢) بسنده عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ لَوْلَا أَنِّي فِي الْمَوْتِ لَمْ أُحَدِّثْكَ بِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ، وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ " .

وروى أحمد في " المسند" (٣٣/ ٤٢٧ برقم ٢٠٣١٥) بسنده عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: مَرِضَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ مَرَضًا ثَقُلَ فِيهِ، فَأَتَاهُ ابْنُ زِيَادٍ يَعُودُهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنِ اسْتُرْعِيَ رَعِيَّةً، فَلَمْ يُحِطْهُمْ بِنَصِيحَةٍ، لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَرِيحُهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ "، قَالَ ابْنُ زِيَادٍ: أَلَا كُنْتَ حَدَّثْتَنِي بِهَذَا قَبْلَ الْآنَ؟ قَالَ: " وَالْآنَ لَوْلَا الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ لَمْ أُحَدِّثْكَ بِهِ " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد قوي، هوذة بن خليفة صدوق لا بأس به، وهو من رجال ابن ماجه، ومن فوقه ثقات من رجال الشيخين. عوف: هو ابن أبي جميلة، والحسن: هو البصري. وأخرجه أبو عوانة ٤/ ٤٢٣، وابن قانع في "معجم الصحابة" ٣/ ٧٩ من طريق هوذة بن خليفة، بهذا الإسناد " .

۞ سَادِسٌ وَثَلَاثُوْن ۞ : تَعَمُّدُ الكَذِبِ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

رویٰ البخاري (١/ ٣٣ برقم ١٠٨) ، مسلم (١/ ١٠ برقم ٢) بسندهما عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ، قَالَ أَنَسٌ: إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " .

❁ سَابِعُ وَثَلَاثُوْن ❁ : أَمْرُ النَّاس بِالْبِرِّ وَالمَعْرُوْف مَعَ نِسْيَانِ النَّفْس الذِيْ يَصْنَعهُ خُطَبَاءُ السُّوْء :

قال تعالىٰ : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة:٤٤] .

ورویٰ البخاري (٤/ ١٢١ برقم ٣٢٦٧) بسنده عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ قِيلَ لِأُسَامَةَ لَوْ أَتَيْتَ فُلاَنًا فَكَلَّمْتَهُ، قَالَ: إِنَّكُمْ لَتُرَوْنَ أَنِّي لاَ أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ، إِنِّي أُكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا لاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلاَ أَقُولُ لِرَجُلٍ أَنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ، بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالُوا: وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: " يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ " .

ورویٰ البخاري (٩/ ٥٥ برقم ٧٠٩٨) بسنده عَنْ سُلَيْمَانَ، سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، قَالَ: قِيلَ لِأُسَامَةَ: أَلاَ تُكَلِّمُ هَذَا؟ قَالَ: قَدْ كَلَّمْتُهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفْتَحُهُ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي أَقُولُ لِرَجُلٍ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَىٰ رَجُلَيْنِ: أَنْتَ خَيْرٌ، بَعْدَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الحِمَارِ بِرَحَاهُ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَىٰ عَنِ المُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَىٰ عَنِ المُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ " .

ورویٰ أحمد في " المسند" (١٩/ ٢٤٤ برقم ١٢٢١١) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ. قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان، لكن قد توبع كما سيأتي، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح. وسيتكرر من هذا الطريق برقم (١٢٨٥٦) ، وهو في "الزهد" لوكيع (٢٩٧) ، ومن طريقه أخرجه أيضاً ابن أبي شيبة ١٤/ ٣٠٨، وأبو يعلىٰ (٣٩٩٦) ، وأخرجه ابن المبارك في "الزهد" (٨١٩) ، وعبد بن حميد (١٢٢٢) ، وابن أبي الدنيا في "الصمت" (٥١٣) ، والخطيب في "تاريخ بغداد" ٦/ ١٩٩-٢٠٠ و١٢/ ٤٧، وفي "موضح أوهام الجمع والتفريق" ٢/ ١٧٠، والبغوي في "شرح السنة" (٤١٥٩) ، وفي "تفسيره" ١/ ٦٨ من طرق عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد. وأخرجه أبو يعلىٰ (٤٠٦٩) ، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٤٩٦٥) من طريق معتمر بن سليمان، وأبو نعيم في "الحلية" ٨/ ١٧٢ من طريق ابن المبارك، كلاهما عن سليمان التيمي، عن أنس. والإسنادان صحيحان. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة البقرة (٤٧٦) ، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٤٩٦٦) من طريق

هشام الدستوائي، عن المغيرة بن حبيب ختن مالك ابن دينار، عن ثمامة، عن أنس. وإسناده محتمل للتحسين. وأخرجه البيهقي (٤٩٦٦) من طريق صدقة بن موسي، عن مالك بن دينار، عن ثمامة، عن أنس. وصدقة ضعيف. وأخرجه أبو يعلى (٤١٦٠) ، وابن حبان (٥٣) ، وأبو نعيم في "الحلية" ٢/ ٣٨٦-٣٨٧ من طريق المغيرة بن حبيب، وأبو نعيم ٨/ ٤٣-٤٤ من طريق إبراهيم بن أدهم، كلاهما عن مالك بن دينار، عن أنس -بإسقاط ثمامة. وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٤٩٦٧) من طريق سفيان، عن خالد بن سلمة المخزومي، عن أنس. وإسناده منقطع، خالد لم يسمع من أنس " .

قال الإمام القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة " (ص٨٩٣) : " قال إبراهيم النَّخعي رضي الله عنه: إنِّي لأكره القصص لثلاث آيات: قوله تعالى: **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾** [البقرة:٤٤] ، وقوله تعالى : **﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾** [الصف:٢-٣] ، وقوله تعالى: **﴿وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى مَا أَنْهاكُمْ عَنْهُ﴾** [هود:٨٨] .

قلت: وألفاظ هذه الأبيات تدلُّ على ما ذكرناه من الأحاديث على أنَّ عقوبة من كان عالماً بالمعروف وبالمنكر، وبوجوب القيام بوظيفة كلّ واحد منهما أشدّ ممَّن لم يعلمه، وإنَّما كان كذلك لأنَّه كالمستهين بحرمات الله، ويستحقّ لأحكامه، وهو كمن لم ينتفع بعمله" .

۞ ثَامِنُ وَثَلَاثُوْن ۞ : كُفْرَانُ العَشِيْرِ مِنْ قِبلِ النِّسَاء :

روى البخاري (١/ ٦٨ برقم ٣٠٤) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ» ، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا " .

وروى البخاري (١/ ١٥ برقم ٢٩) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: " يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ" .

۞ تَاسِعُ وَثَلَاثُوْن ۞ : إِيْذَاءُ الجَار :

روى مسلم (١/ ٦٨ برقم ٤٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ" .

وروى أحمد في " المسند" (١٥/ ٤٢١ برقم ٩٦٧٥) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: " هِيَ فِي النَّارِ "، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: " هِيَ فِي الْجَنَّةِ " . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن، أبو يحيى مولى جعدة لم يرو عنه غير سليمان الأعمش، وروى له مسلم متابعة، والبخاري في "الأدب المفرد"، وابن ماجه، ووثقه ابن معين وابن حبان والذهبي في "الميزان"، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين. وأخرجه ابن حبان (٥٧٦٤) من طريق أبي أسامة، بهذا الإسناد. وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (١١٩) ، والبزار (١٩٠٢ - كشف الأستار) ، والخرائطي في "مساوئ الأخلاق" (٣٨٥) و (٦١٦) ، والحاكم ٤/ ١٦٦، والبيهقي في "الشعب" (٩٥٤٥) و (٩٥٤٦) من طرق عن الأعمش، به. قوله: "أثوار أقِط"، الأثوار: جمع ثَوْرٍ: وهي القطعة من الأقِط، والأقِط -بفتح الهمزة وكسر القاف، وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة وكسرها-: لَبَن جامد مستَحجِر " .

وروى أحمد في " المسند" (٢٠/ ٢٩ برقم ١٢٥٦١) بسنده عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَبْدٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم من جهة يونس بن عبيد وحميد، وأما علي بن زيد -وهو ابن جُدعان- فضعيف. وأخرجه الحاكم ١/ ١١ من طريق الحسن بن موسى، بهذا الإسناد -ولم يذكر علي بن زيد. وأخرجه البزار (٢١- كشف الأستار) عن إبراهيم بن محمد، وأبو يعلى (٤١٨٧) ، وابن حبان (٥١٠) ، وابن أبي الدنيا في "الصمت" (٢٨) ، والقضاعي في "مسند الشهاب" (٨٧٤) من طريق أبي نصر التمار، كلاهما عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد. وأخرجه دون طوله: "والمهاجر ... الخ" أبو يعلي (٣٩٠٩) من طريق المبارك بن سحيم، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس.وأخرج القطعة الأخيرة منه في الجار: ابنُ أبي الدنيا في "مكارم الأخلاق" (٣٤١) عن أبي نصر التمار، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد وحميد، به. وأخرجها ابن أبي شيبة ٨/ ٥٤٧، والحاكم ٤/ ١٦٥ من طريقين عن يزيد ابن حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس، بلفظ: "ما هو بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه " .

۞ أَرْبَعُوْن ۞ : التَّجَبُّرُ وَالتَّكَبُّرُ :

روى مسلم (٤/ ٢١٨٦ برقم ٢٨٤٦) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " احْتَجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ، وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا" .

وروى مسلم (١/ ٩٣ برقم ٩١) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ " .

۞ وَاحِدُ وَأَرْبَعُوْن ۞ : إِعَانَةُ الظَّلَمَةِ عَلَى ظُلْمِهِم :

روىٰ مسلم (٣/ ١٦٨٠ برقم ٢١٢٨) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا" .

۞ثَانِيْ وَأَرْبَعُوْن ۞ : اقْتِرَافُ جَرِيْمَةِ الزِّنَا :

روىٰ البخاري (٢/ ١٠٠ برقم ١٣٨٦) بسنده عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّىٰ صَلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَىٰ أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: «مَا شَاءَ اللَّهُ» فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ رَأَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَىٰ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ» قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَىٰ: " إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَىٰ قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِهِ بِفِهْرٍ - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَىٰ هَذَا حَتَّىٰ يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا إِلَىٰ ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّىٰ كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَىٰ وَسَطِ النَّهَرِ - قَالَ يَزِيدُ، وَوَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ: عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ - وَعَلَىٰ شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَىٰ الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَىٰ فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا إِلَىٰ رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلاَنِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ، وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ، وَشَبَابٌ، قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ، قَالاَ: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ،

وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا" ...

ثَالِثٌ وَأَرْبَعُوْن : ادِّعَاءُ المَرْءِ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ:

روى البخاري (٥/ ١٥٦ برقم ٤٣٢٦) بسنده عَنْ عَاصِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُثْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدًا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَبَا بَكْرَةَ، وَكَانَ تَسَوَّرَ حِصْنَ الطَّائِفِ فِي أُنَاسٍ فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالاَ: سَمِعْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ" .

قال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " (٢/ ٥٢) : " وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ فَفِيهِ التَّأْوِيلَانِ اللَّذَانِ قَدَّمْنَاهُمَا فِي نَظَائِرِهِ ، أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ فَعَلَهُ مُسْتَحِلًّا لَهُ ، وَالثَّانِي : أَنَّ جَزَاءَهُ أَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِ أَوَّلًا عِنْدَ دُخُولِ الْفَائِزِينَ وَأَهْلِ السَّلَامَةِ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ يُجَازَى فَيُمْنَعُهَا عِنْدَ دُخُولِهِمْ ثُمَّ يَدْخُلَهَا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَقَدْ لَا يُجَازَى بَلْ يَعْفُو اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ ، و مَعْنَى حَرَامٌ : مَمْنُوعَةٌ " .

قال الإمام العيني في " عمدة القاري شرح صحيح البخاري " (١٧/ ٣٠٥) : " فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ" إِمَّا على سَبِيل التَّغْلِيظ، وَإِمَّا أَنه إِذا اسْتحلَّ ذَلِك " .

وروى أحمد في " المسند" (١١/ ١٦٢ برقم ٦٥٩٢) بسنده عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: أَرَادَ فُلَانٌ أَنْ يُدْعَى جُنَادَةَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ قَدْرِ سَبْعِينَ عَامًا أَوْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا ". قَالَ: " وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. وهب بن جرير: هو ابن حازم، الحكم: هو ابن عُتيبة، أبو محمد الكندي الكوفي. وأخرجه الخطيب في "تاريخه" ٢/ ٣٤٧ من طريق وهب بن جرير، بهذا الإسناد. وأخرجه الطيالسي (٢٢٧٤) عن شعبة، به. وأخرجه ابن ماجه (٢٦١١) عن محمد بن الصباح، عن سفيان، عن عبد الكريم، عن مجاهد، به. وأورده الهيثمي في "المجمع" ١/ ٩٨، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. وقال المنذري في "الترغيب والترهيب" ٣/ ٧٤: رواه أحمد وابن ماجه، ورجالُهما رجالُ الصحيح، وعبد الكريم: هو الجزري، ثقة، احتج به الشيخان وغيرهما، ولا يُلْتفت إلى ما قيل فيه. وفي الباب عن علي عند البخاري (٦٧٥٥) ، ومسلم (١٣٧٠) ، وسلف برقم (٦١٥) وعن سعد بن أبي وقاص عند البخاري (٤٣٢٦) ، ومسلم (٦٣) (١١٤) و (١١٥) وسلف (١٤٥٤) و (١٤٩٧) . وعن أبي ذر عند البخاري. (٣٥٠٨) . ومسلم (٦١) ، وسيرد ٥/ ١٦٦ . وعن أبي أمامة الباهلي، سيرد ٥/ ٢٦٧ . وعن أنس عند أبي داود (٥١١٥) ، وإسناده صحيح " .

رَابِعُ وَأَرْبَعُوْن : الفِطْرُ قَبْلَ دُخُوْلِ وَقْتِ الإفطَار :

روى ابن حبَّان في " الصَّحيح" (١٦/ ٥٣٦ برقم ٧٤٩١) بسنده أَبِيْ أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَعْرًا فَقَالَا لِي: اصْعَدْ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ فَإِذَا أَنَا بِصَوْتٍ شَدِيدٍ فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟ قَالَ: هَذَا عُوَاءُ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيبِهِمْ مُشَقَّقَةٍ أَشْدَاقُهُمْ تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا بِقَوْمٍ أَشَدِّ شَيْءٍ انْتِفَاخًا وَأَنْتَنِهِ رِيحًا وَأَسْوَئِهِ مَنْظَرًا ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: الزَّانُونَ وَالزَّوَانِي ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا بِنِسَاءٍ تَنْهَشُ ثَدْيَهُنَّ الْحَيَّاتُ ، قُلْتُ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: هَؤُلَاءِ اللَّاتِي يَمْنَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ أَلْبَانَهُنَّ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي ، فَإِذَا أَنَا بِغِلْمَانٍ يَلْعَبُونَ بَيْنَ نَهْرَيْنِ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ ذَرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ شَرَفَ بِي شَرَفًا فَإِذَا أَنَا بِثَلَاثَةٍ يَشْرَبُونَ مِنْ خَمْرٍ لَهُمْ ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: هَذَا إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ" . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح. رجاله ثقات رجال الشيخين غير بشر بن أبي بكر، فمن رجال البخاري، وسليم بن عامر- وهو أبو يحيى الكلاعي- فمن رجال مسلم. ابن جابر: هو عبد الرحن بن يزيد بن جابر. وهو في "صحيح ابن خزيمة" "١٩٨٦" بأطول منه. وأخرجه ابن خزيمة "١٩٨٦"، والحاكم مختصراً ١/ ٤٣٠ ومن طريقه البيهقي ٤/ ٢١٦ من طريق بحر بن نصر بن سابق الخولاني، عن بشر بن بكر، به، وصححه الحاكم على مسلم، ووافقه الذهبي. وأخرجه الطبراني "٧٦٦٧" من طريق عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، والنسائي في "الكبرى" كما في "التحفة" ٤/ ١٦٦ من طريق الوليد بن مسلم، كلاهما عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، به. واخرجه الطبراني "٧٦٦٦" من طريق معاوية بن صالح عن سليم، به. وذكره الهيثمي في "المجمع" ١/ ٧٦-٧٧ وقال: رواه الطبراني في "الكبير" ورجاله رجال الصحيح " .

خَامِسُ وَأَرْبَعُوْن : الخِصَامُ فِيْ البَاطِلِ :

روى أحمد في " المسند" (٩/ ٢٨٣ برقم ٥٣٨٥) بسنده عَنْ يَحْيَى بْنِ رَاشِدٍ قَالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجًا عَشَرَةً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى أَتَيْنَا مَكَّةَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ: فَأَتَيْنَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْنَا يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَدْ ضَادَّ اللهَ أَمْرَهُ،وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَلَيْسَ بِالدِّينَارِ وَلَا بِالدِّرْهَمِ، وَلَكِنَّهَا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ، وَمَنْ قَالَ: فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ " .

قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير يحيى بن راشد، فقد روى له أبو داود، ووثقه أبو زرعة، وذكره ابن حبان في "الثقات". زهير: هو ابن معاوية. وأخرجه بتمامه الحاكم ٢/ ٢٧، والبيهقي في "السنن " ٦/ ٨٢ من طريق أحمد بن يونس، وفي ٨/ ٣٣٢، وفي "الشعب" (٧٦٧٣) من طريق يحيى بن أبي بكير، كلاهما عن زهير بن معاوية، بهذا الإسناد. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي . وأخرجه أبو داود (٣٥٩٧) دون قوله: "ومن مات وعليه دين ... " عن أحمد بن يونس، عن زهير بن معاوية، به. وجود

إسناده المنذري في "الترغيب والترهيب". وأخرج القسم الأول منه – وهو قوله: "من حالتْ شفاعته دون حدٍّ. .." الحاكم ٤/ ٣٨٣، والطبراني في "الكبير" (١٣٠٨٤) من طريق عبد اللهُ بن عامر بن ربيعة، عن ابن عمر، به. وله طريق آخر فيه ضعف سيأتي برقم (٥٥٤٤). قوله: "أسكنه الله في ردغة الخبال"، قال السندي: بسكون دال وفتحها، وإعجام غينٍ: الطين. والخبال، بفتح خاءٍ معجمة: الفساد. وقد جاء تفسير ردغة الخبال بعصارة أهل النار، وهذا يقتضي أن هذا عقابه في الآخرة. وقوله: "حتىٰ يخرج مما قال" معناه يتطهر باستيفاء موجب إثمه في النار، وقيل: أي يتوب منه، ولا يخفىٰ ما فيه ".

۞ سَادِسُ وَأَرْبَعُوْن وَسَادِسُ وَأَرْبَعُوْن ۞ : الدَّياثَّةُ وَعَدَمُ الغَيْرَةِ عَلَى الأَعْرَاض وَالمَرْأَةُ الرَّجلَة :

روىٰ أحمد في " المسند" (٩/ ٢٧٢ برقم ٥٣٧٢) بسنده عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ "، الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ" .

الدَّيُّوث: ذكر الإمام الهيثمي في " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " (٤/ ٣٢٧ برقم ٧٧٢٢) عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ أَبَدًا: الدَّيُّوثُ وَالرَّجُلَةُ مِنَ النِّسَاءِ وَالْمُدْمِنُ الْخَمْرَ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا الْمُدْمِنُ الْخَمْرَ، فَقَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الدَّيُّوثُ؟ قَالَ: " الَّذِي لَا يُبَالِي مَنْ دَخَلَ عَلَىٰ أَهْلِهِ " قُلْنَا: فَمَا الرَّجُلَةُ مِنَ النِّسَاءِ؟ قَالَ: " الَّتِي تَشَبَّهُ بِالرِّجَالِ» . قال الهيثمي : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ مَسَاتِيرُ وَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ قِيلَ إِنَّهُ ضَعِيفٌ " . قال الإمام المنذري في " الترغيب والترهيب من الحديث الشريف " (٣/ ٧٧ برقم ٣١٤٦) : " رواه الطبراني ورواته ليس فيهم مجروح " .

۞ سَابِعُ وَأَرْبَعُوْن ۞ : لِبْسُ الحَرِيْرِ فِيْ الدُّنْيَا :

روىٰ البخاري (٧/ ١٥٠ برقم ٥٨٣٢) ، مسلم (٣/ ١٦٤٥ برقم ٢٠٧٣) بسندهما عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ شُعْبَةُ: فَقُلْتُ: أَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ شَدِيدًا: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الآخِرَةِ " .

۞ ثَامِنُ وَأَرْبَعُوْن ۞ : إِرَادَةُ أَهْلِ المَدِيْنَةِ بِسُوْءٍ :

روىٰ مسلم (٢/ ٩٩٢ برقم ١٣٦٣) بسنده عَنْ عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ نُمَيْرٍ، وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ: «وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ" .

۞ تَاسِعُ وَأَرْبَعُوْن ۞ : الأَخْذُ مِنَ الغَنِيْمَةِ سِرّاً قَبْلَ قِسْمَتِهَا :

روى البخاري (٤/ ٧٤ برقم ٣٠٧٤) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ، فَمَاتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُوَ فِي النَّارِ» ، فَذَهَبُوا [ص:٧٥] يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: " قَالَ ابْنُ سَلاَمٍ: كَرْكَرَةُ يَعْنِي بِفَتْحِ الكَافِ: وَهُوَ مَضْبُوطٌ كَذَا" .

۞ خَمْسُوْن ۞ : اقْتَطَاعُ حَقِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِاليَمِيْنِ الكَاذِبَة :

روى مسلم (١/ ١٢٢ برقم ١٣٧) بسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ" .

قال القاضي عياض في " إكمال المعلم شرح صحيح مسلم " (١/ ٢٨٧) : " إنَّما كبُرت هذه المعصية بحسب اليمين الَغموس التي هي من الكبائر الموبقات ، وتغييرها في الظَّاهر حكم الشَّرع واستحلاله بها الحرام ، وتصييرها المحق في صورة المُبطل ، والمُبطل في صورة المحق ؛ ولهذا عظم أمرها وأمر شهادة الزور ، وإيجاب النَّار فيها على حكم الكبائر ، إلَّا أن يشاء الله أن يعفو عن ذلك لمن يشاء ، وتحريم الجَنَّة عند دخول السَّابقين لها والمتَّقين ، أاصحاب اليمين ، ثمَّ لابدَّ لكلِّ مُوَحِّدٍ من دخوله ، إمَّا بعد وقوف وحسابٍ ، أو بعد نكال وعذاب . وتخصيصه هنا المسلم ، إذ هم المخاطبون ، وعامَّة المتعاملين في الشَّريعة لا أنَّ غير المسلم بخلافه ، بل حكمه حكمهُ في ذلك " .

وقال الإمام أحمد بن عمر القرطبي في " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (١٢/ ١١٢-١١٣) : " اقْتَطَعَ : افتعَل من القطع ، وهو الأَخْذُ هنا ؛ لأنَّ مَنْ أخذَ شيئًا لنفسه ، فقد قطَعَهُ عن مالكه.

وقوله : " فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ " ، أي : إنْ كان مستَحِلاًّ لذلك ، فإنْ كان غيرَ مستحلٍّ ، وكان ممَّن لم يغفرِ اللهُ له ، فيعذِّبُهُ اللهُ في النار ما شاء من الآماد ، وفيها يحرِّمُ عليه الجَنَّة ، ثمَّ يكونُ حاله كحالِ أهلِ الكبائر من الموحِّدين" .

وقال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج " (٢/ ١٦٢-١٦٣) : " فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ " إِلَى آخِرِهِ فِيهِ لَطِيفَةٌ ، وَهِيَ : أَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "حَقُّ امْرِئٍ " يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ حَلَفَ على غير مال ، كجلد الْمَيْتَةِ ، وَالسِّرْجِينِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ

النَّجَاسَاتِ الَّتِي يُنْتَفَعُ بِهَا ، وَكَذَا سَائِرُ الْحُقُوقِ الَّتِي لَيْسَتْ بِمَالٍ ، كَحَدِّ الْقَذْفِ ، وَنَصِيبِ الزَّوْجَةِ فِي الْقَسْمِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ تَعَالَى لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ" ، فَفِيهِ الْجَوَابَانِ الْمُتَقَدِّمَانِ الْمُتَكَرِّرَانِ فِي نَظَائِرِهِ:

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْمُسْتَحِلِّ لِذَلِكَ إِذَا مَاتَ عَلَى ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ يَكْفُرُ وَيُخَلَّدُ فِي النَّارِ.

وَالثَّانِي : مَعْنَاهُ فَقَدِ اسْتَحَقَّ النَّارَ ، وَيَجُوزُ الْعَفْوُ عَنْهُ ، وَقَدْ حَرُمَ عَلَيْهِ دُخُولُ الْجَنَّة أَوَّلَ وَهْلَةٍ مَعَ الْفَائِزِينَ . وَأَمَّا تَقْيِيدُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُسْلِمِ فَلَيْسَ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ تَحْرِيمِ حَقِّ الذِّمِّيِّ بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا الْوَعِيدَ الشَّدِيدَ ، وَهُوَ أَنَّهُ يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ لِمَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ الْمُسْلِمِ ، وَأَمَّا الذِّمِّيُّ فَاقْتِطَاعُ حَقِّهِ حَرَامٌ ، لَكِنْ لَيْسَ يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ فِيهِ هَذِهِ الْعُقُوبَةُ الْعَظِيمَةُ ، هَذَا كُلُّهُ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَقُولُ بِالْمَفْهُومِ ، وَأَمَّا مَنْ لَا يَقُولُ بِهِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ.

وَقَالَ القاضي عياض رحمه الله : تخصيص المسلم لِكَوْنِهِمُ الْمُخَاطَبِينَ وَعَامَّةَ الْمُتَعَامِلِينَ فِي الشَّرِيعَةِ لَا أَنَّ غَيْرَ الْمُسْلِمِ بِخِلَافِهِ بَلْ حُكْمُهُ حُكْمُهُ فِي ذَلِكَ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْعُقُوبَةَ لِمَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ الْمُسْلِمِ وَمَاتَ قَبْلَ التَّوْبَةِ ، أَمَّا مَنْ تَابَ فَنَدِمَ عَلَى فِعْلِهِ وَرَدَّ الْحَقَّ إِلَى صَاحِبِهِ وَتَحَلَّلَ مِنْهُ وَعَزَمَ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ فَقَدْ سَقَطَ عَنْهُ الْإِثْمُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " .

۞ وَاحِدُ وَخَمْسُوْن ۞ : قَتْلُ الْمُعَاهِدِ بِغَيْرِ حَقٍّ :

روى البخاري (٤/ ٩٩ برقم ٣١٦٦) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا" .

روى أحمد في " المسند" (٣٤/ ١٢ برقم ٢٠٣٧٧) بسنده عَنْ أَبِي بَكَرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا فِي غَيْرِ كُنْهِهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ "، قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: " كُنْهُهُ: حَقُّهُ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح. أبو عبد الرحمن: هو عبد الله بن يزيد المقرئ. وأخرجه ابن أبي شيبة ٩/ ٤٢٥-٤٢٦، وأبو داود (٢٧٦٠) ، وابن أبي عاصم في "الديات" ص ٨٧، والحاكم ٢/ ١٤٢، من طريق وكيع وحده، بهذا الإسناد. وسقط قوله: عن أبيه من مطبوع ابن أبي شيبة. والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي. وأخرجه الدارمي (٢٥٠٤) عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ. وأخرجه الطيالسي (٨٧٩) ، والبزار في "مسنده" (٣٦٧٩) ، والنسائي في "المجتبى" ٨/ ٢٤-٢٥، و"الكبرى" (٦٩٤٩) ، وابن الجارود في "المنتقى" (٨٣٥) و (١٠٧٠) ، والبيهقي ٩/ ٢٣١ من طرق عن عيينة بن عبد الرحمن، به. وسيأتي من طريق عبد الرحمن بن جوشن برقم (٢٠٤٠٣) ، ومن طريق الأشعث بن ثُرمُلة بالأرقام (٢٠٣٨٣) و (٢٠٣٩٧) و (٢٠٥٢٣) ، ومن طريق الحسن البصري برقم (٢٠٤٦٩)

، ومن طريق عبد الرحمن بن أبي بكرة برقم (٢٠٥٠٦) و (٢٠٥١٥) . وفي الباب عن عبد الله بن عمرو، سلف برقم (٦٧٤٥) ، وسلفت عنده أحاديث الباب، ونزيد عليها هنا حديث رجل، عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي سلف برقم (١٦٥٩٠) . قوله: "معاهَداً" المراد به من له عهد مع المسلمين، سواء كان بعقد جزية، أو هدنة من سلطان، أو أمان من إسلام. وقوله: "من غير كنهه" كنه الأمر: حقيقته، وقيل: وقته وقدره، وقيل: غايته، يعني من قتله في غير وقته أو غاية أمره الذي يجوز فيه قتله. وقوله: "حرم الله عليه الجنة" قال ابن خزيمة: معنىٰ هذه الأخبار إنما هو علىٰ أحد معنيين: أحدهما: لا يدخل الجَنَّة أي: بعض الجنان، إذ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أعلم أنها جنان في جنة ... والمعنىٰ الثاني: أن كل وعيد في الكتاب والسنة لأهل التوحيد، فإنما هو علىٰ شريطة، أي: إلا أن يشاء الله أن يغفر ويصفح ويتكرم ويتفضل. وقال الحافظ ابن حجر: المراد بهذا النفي- وإن كان عاماً- التخصيص بزمان ما، لما تعاضدت الأدلة العقلية والنقلية أن من مات مسلماً ولو كان من أهل الكبائر، فهو محكوم بإسلامه غير مخلد في النار، ومآله إلىٰ الجنة، ولو عُذب قبل ذلك. وقال السندي: حاصل هذا أن قتل الذمي في حكم الآخرة كقتل المسلم، وقد قال تعالىٰ في الثاني: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً ...) الآية [النساء: ٩٣] ، فكذلك قتل الذمي، وليس كفره يبيح قتله أو تخفيف وزره بعد أن دخل في العهد، والله تعالىٰ أعلم. انظر "التوحيد" لابن خزيمة ٢/ ٨٦٨- ٨٧٠، و"النهاية" ٤/ ٢٠٦، و"فتح الباري" ٢/ ٢٥٩، والمغني ١١/ ٤٦٦ " .

قال الإمام الصَّنعاني في " التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ " (١٠/ ٣٤١) : " مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا فِي غَيْرِ كُنْهِهِ " بضم الكاف مع سكون النُّون ، أي : حقيقته التي يحلّ معها قتله ..."حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّة" لأنَّه بالعهد صار محرَّم الدَّم ، فلمَّا هتك حرمته المحرَّمة حرَّم الله عليه جنَّته، قال القاضي: ليس في قوله: " حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّة " ما يدلُّ علىٰ الدَّوام والإقناط الكلِّي فضلًا عن القطع، وقال غيره: هذا التَّحريم للجنَّة مخصوص بزمان ما ، لقيام الأدلَّة علىٰ أنَّ من مات مسلمًا لا يخلَّد في النَّار" .

وقال الإمام السَّهارنفوري في " بذل المجهود في حل سنن أبي داود " (٩/ ٤٨٣) : " فِي غَيْرِ كُنْهِهِ " ، قال في "المجمع" في شرح هذا اللفظ: كُنْهُ الأمر: حقيقته، وقيل: وقته وقدره، وقيل: غايته، أي: من قتله في غير وقته، أو غاية أمره الذي يجوز فيه قتله.

"حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّة " ، أي: دخولها مع السَّابقين الأوَّلين، أو محمول علىٰ التَّهديد والتَّغليظ " .

◉ ثَانِيْ وَخَمْسُوْن ◉ : تَوَلِّي قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِ المَوَالِي :

روىٰ البخاري (٣/ ٢٠ برقم ١٨٧٠) بسنده عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا كِتَابُ اللهِ، وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " المَدِينَةُ حَرَمٌ، مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَىٰ كَذَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَىٰ مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ، وَقَالَ: ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلاَ عَدْلٌ، وَمَنْ تَوَلَّىٰ قَوْمًا

بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلاَ عَدْلٌ " قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: " عَدْلٌ: فِدَاءٌ " .

❁ ثَالِثُ وَخَمْسُوْن ❁ : اغْتِيَابُ النَّاسِ وَالوَقِيْعَةُ بِأَعْرَاضِهِم :

روىٰ أحمد في " المسند" (٢١/ ٥٣ برقم ١٣٣٤٠) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ. فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم من جهة عبد الرحمن بن جبير، وأما متابعه راشد بن سعد، فمن رجال أصحاب السنن، وهو ثقة. أبو المغيرة: هو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني، وصفوان: هو ابن عمرو السَّكسكي. وأخرجه الضياء في "المختارة" (٢٢٨٥) من طريق عبد الله بن أحمد، عن أبيه، بهذا الإسناد. وأخرجه أبو داود (٤٨٧٨) و (٤٨٧٩) ، وابن أبي الدنيا في "الصمت " (٥٧٧) ، والطبراني في "الأوسط " (٨) ، وفي "الشاميين " (٩٣٢) ، والبيهقي في "الشعب " (٦٧١٦) ، وفي "الآداب " (١٣٨) ، والبغوي في "التفسير " ٤/ ٢١٦، والضياء (٢٢٨٦) من طريق أبي المغيرة عبد القدوس الخولاني، به. وأخرجه أبو داود (٤٨٧٨) ، والبيهقي في "الشعب " (٦٧١٦) ، وفي "الآداب " (١٣٨) من طريق بقية، عن صفوان، به. وأشار أبو داود بإثر الحديث (٤٨٧٨) إلى أن يحيى بن عثمان حدثه بهذا الحديث عن بقية مرسلاً ليس فيه أنس " .

❁ رَابِعُ وَخَمْسُوْن ❁ : إِحْدَاثُ الحَدَثِ أَوْ إِيْوَاءِ الْمُحْدِث :

روىٰ أحمد في " المسند" (٢/ ٢٨٦ برقم ٩٩٣) بسنده عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَالْأَشْتَرُ، إِلَى عَلِيٍّ، فَقُلْنَا: هَلْ عَهِدَ إِلَيْكَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً؟ قَالَ: لَا، إِلَّا مَا فِي كِتَابِي هَذَا، قَالَ: وَكِتَابٌ فِي قِرَابِ سَيْفِهِ، فَإِذَا فِيهِ " الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، أَلا لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ، مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ، وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. يحيى: هو ابن سعيد القطان، وسماعه من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط. وأخرجه أبو داود (٤٥٣٠) ، والبيهقي ٧/ ١٣٣-١٣٤ من طريق أحمد بن حنبل، بهذا الإسناد. وقرن أبو داود في سننه بأحمد بن حنبل مسددَ بنَ مسرهد. وأخرجه البزار (٧١٤) ، والنسائي ٨/ ١٩، وأبو يعلى (٦٢٨) ، والطحاوي ٣/ ١٩٢، والبغوي (٢٥٣١) من طريق يحيى بن سعيد، به. وأخرجه البزار (١٣٧) ، وأبو يعلى (٨٣٣) ، والبيهقي ٨/ ٢٩ من طريقين عن سعيد بن أبي عروبة، به" .

❁ خَامِسُ وَخَمْسُوْن ❁ : قَطْعُ الأَرْحَامِ :

رویٰ البخاري (٨/ ٥ برقم ٥٩٨٤) ، مسلم (٤/ ١٩٨١ برقم ٢٥٥٦) بسندهما عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: إِنَّ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ" .

وروىٰ مسلم (٤/ ١٩٨١ برقم ٢٥٥٦) بسنده عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ: قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ.

قال الإمام ابن بطَّال في " شرح صحيح البخاري" (٩/ ٢٠٣) : " ومعناه عند أهل السُّنَّة: لا يدخل الجَنَّة إن أنفذ الله عليه الوعيد، لإجماعهم أنَّ الله تعالىٰ في وعيده لعصاة المسلمين بالخيار إن شاء عذَّبهم وإن شاء عفا عنهم. قال الطَّبري : فإن قال قائل: قد تقدَّم من قولك أنَّ المتعاهد رِحمه بأدنىٰ البر كالسَّلام ونحوه غير مستحقّ اسم قاطع، فمن القاطع الذي جاء فيه الوعيد في هذا الحديث؟ قال: هو الذي يقطعهم بالهجرة لهم والمعاداة، مع منعه إيَّاهم معروفه ومعونته. وروىٰ ابن وهب، عن سعيد بن أبي أيُّوب، عن عبد الله بن الوليد، عن أبىٰ حجيرة الأكبر أنَّ رجلاً أتاه، فقال: إنِّي نذرت ألَّا أكلِّم أخي، قال: إنَّ الشَّيطان ولد له ولد فسمَّاه نذرًا، وإنَّه من قطع ما أمر الله به أن يُوصل حلَّت عليه اللعنة، وهذا في كتاب الله في قوله: **﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾** [الرعد:٢٥] " .

وقال الإمام المظهري في " المفاتيح في شرح المصابيح " (٥/ ٢٠٧) : " قوله: "لا يدخلُ الجَنَّة قاطعُ الرحم"، إنْ قَطَعَ الرَّحِمَ عن اعتقادِ جَوَازِ قَطْعِها؛ لأنَّه كافرٌ باستحلاله الحرامَ، وإن لم يستحِلَّ قَطْعَ الرَّحِم، فمعنىٰ هذا الحديث: أنَّه لا يدخلُ الجَنَّة حتىٰ يَطْهُرَ من ذنبِ قَطْعِ الرَّحِمِ، إمَّا بأن يعفوَ الله عنه، أو يعذِّبه بقَدْر ذنبه " .

◉ سَادِسُ وَخَمْسُوْن ◉ : بَذَاءَةُ اللِسَان :

روىٰ مسلم (٤/ ٢٢٩٠ برقم ٢٩٨٨) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ" .

◉ سَابِعُ وَخَمْسُوْن ◉ : التِقَاءُ الْمُسْلِمَيْنِ بِسَيْفَيْهِمَا :

روىٰ البخاري (١/ ١٥ برقم ٣١) بسنده عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَقُولُ: «إِذَا التَقَىٰ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَىٰ قَتْلِ صَاحِبِهِ" .

ثَامِنُ وَخَمْسُوْن : التَّخْلِيْطُ فِي الْمَالِ وَتَحْصِيْلُهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِه :

روىٰ البخاري (٤/ ٨٥ برقم٣١١٨) بسنده عَنْ خَوْلَةَ الأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ" ...

تَاسِع وَخَمْسُوْن : أَصْنَافٌ أُخْرَى مِنَ النَّاس :

روىٰ أحمد في " المسند" (١٤/ ٢٩ برقم ٨٢٧٧) بسنده عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّجَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ الشَّامِيُّ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ قُتِلْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. فَقَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: هُوَ عَالِمٌ، فَقَدْ قِيلَ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَّادٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير يونس بن يوسف، فمن رجال مسلم. وأخرجه مسلم (١٩٠٥) من طريق الحجاج بن محمد، بهذا الإسناد. وأخرجه مسلم (١٩٠٥) ، والنسائي في "المجتبىٰ" ٦/ ٢٣-٢٤، وفي "الكبرىٰ" (٨٠٨٣) ، والبيهقي ٩/ ١٦٨ من طرق، عن ابن جريج، به. وأخرجه بأطول مما هنا عبد الله بن المبارك في "الزهد" (٤٦٩) ، ومن طريقه البخاري في "خلق أفعال العباد" (٣٣٥) ، والترمذي (٢٣٨٢) ، والنسائي في الرقاق من "الكبرىٰ" كما في "التحفة" ١٠/ ١١١، والطبري في "تفسيره" ١٢/ ١٣، وابن خزيمة (٢٤٨٢) ، وابن حبان (٤٠٨) ، والحاكم ١/ ٤١٨-٤١٩، وأبو نعيم في "الحلية" ٥/ ١٦٩، والبغوي (٤١٤٣) عن حيوة بن شريح، وأبو نعيم في "الحلية" من طريق الليث بن سعد، كلاهما عن الوليد بن أبي الوليد، عن عقبة بن مسلم، عن شفي، عن أبي هريرة. قال الترمذي: حسن غريب، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. ورواية البخاري مختصرة. ناتل الشامي الذي سأل أبا هريرة: هو ناتل بن قيس بن زيد الجذامي الشامي الفلسطيني، سيد جذام بالشام، كان أبوه قيس بن زيد ممن وفد علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهد ناتل صفين مع معاوية بن أبي سفيان، وكان يومئذٍ علىٰ لخم وجذام، خرج علىٰ عبد الملك بن مروان فبعث إليه عبدُ الملك عمرو بن سعيد الأشدق فقتله في سنة ست وستين. انظر ترجمته في "تهذيب الكمال" ٢٩/ ٢٥٠" .

وروىٰ مسلم (٤/ ١٩٩٧ برقم ٢٥٨١) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ " .

وروىٰ مسلم (٢/ ٦٢٢ برقم ٩٠٤) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ، فَصَلَّىٰ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، حَتَّىٰ جَعَلُوا يَخِرُّونَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ قَامَ فَصَنَعَ نَحْوًا مِنْ ذَاكَ، فَكَانَتْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُولَجُونَهُ، فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ، حَتَّىٰ لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ - أَوْ قَالَ: تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا - فَقَصُرَتْ يَدِي عَنْهُ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا، رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ إِلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله يُرِيكُمُوهُمَا، فَإِذَا خَسَفَا فَصَلُّوا حَتَّىٰ تَنْجَلِيَ " .

۞سِتُّوْن ۞ : الْمَنُّ بِالشَّيء :

روىٰ أحمد في " المسند" (١١/ ٤٧٣ برقم ٦٨٨٢) بسنده عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنَّانٌ، وَلَا عَاقٌّ وَالِدَيْهِ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ " . قال الأرنؤوط : " صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف، علتُه جابان، وقد سلف الكلامُ فيه في الرواية السالفة برقم (٦٥٣٧) . وأما نُبيط بن شريط، فزاده شعبةُ في هذا الإسناد بين سالم وجابان، ونقل المزي في "تحفة الأشراف" ٦/ ٢٨٣ عن النسائي قوله: لا نعلم أحداً تابع شعبة علىٰ نُبيط بن شريط. وسلف في تخريج هذا الحديث برقم (٦٥٣٧) أنه رواه خمسة من الحُفاظ الثقات، هم: همّامُ بن يحيىٰ، وسفيانُ الثوري، ويحيىٰ القطّان، وجريرُ بن عبد الحميد، وشيبانُ النحوي، كلهم عن منصور، دون هذه الزيادة. وقال ابن حبان -بعد أن أخرج الحديث في "صحيحه" (٣٣٨٣) بإسناد سفيان الثوري، و (٣٣٨٤) بإسناد شعبة-: اختلف شعبةُ والثوري في إسناد هذا الخبر ... ، وهما ثقتان حافظان، إلا أن الثوري كان أعلم بحديث أهل بلده من شعبة، وأحفظ لها منه، ولا سيما حديث الأعمش، وأبي إسحاق ومنصور، فالخبر متصل عن سالم، عن جابان، فمرة روي كما قال شعبة، وأخرىٰ كما قال سفيان. وقد قال البخاري في "التاريخ الكبير" ٢/ ٢٥٧: "ولا يُعرف لجابان سماع من عبد الله بن عمرو، ولا لسالم من جابان، ولا من نُبيط. وقد رُوي. الحديثُ من طريق شعبة دون زيادة نبيط ولا جابان، كما سيأتي في التخريج، وسالمُ بن أبي الجعد قد سمع من عبد الله بن عمرو، ومرت روايته عنه برقم (٦٤٩٣) . واختلف الرواةُ عن شعبة -وكلهم ثقات- في تعيين اسم والد نبيط علىٰ

نحو ما ذكر أحمد، وما سيرد في التخريج، مما يُشير إلى أن شعبة لم يتقن حفظه. وبقية رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين، حجاج: هو ابن محمد المصيصي الأعور، ومنصور: هو ابن المعتمر، وغندر: هو لقب محمد بن جعفر. ونُبيط بن شريط قال ابن حجر في "الإصابة": بالتصغير فيهما، لكن في "جامع الأصول": نُبيط بالتصغير، وشريط بالتكبير. وهو من صغار الصحابة، قال المزي في "التهذيب": رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمع خطبته في حجة الوداع، وكان ردْف أبيه يومئذ، معدود في أهل الكوفة. قلنا: سيرد حديثه في "المسند" ٤/ ٣٠٥، ٣٠٦. وأخرجه الطيالسي (٢٢٩٥) ، ومن طريقه النسائي في "الكبرى" (٤٩١٤) ، عن شعبة، بهذا الإسناد، لكن وقع في مطبوع الطيالسي مقلوباً: شريط (وتحرف فيه إلى: شميط) بن نبيط، ووقع عند النسائي: نبيط بن شريط، وفيهما زيادة: ولا ولد زنية وأخرجه ابنُ أبي شيبة ٨/ ٥٤٤، والنسائي في "المجتبى" ٨/ ٣١٨، و"الكبرى" (٥١٨٢) ، وابنُ خزيمة في "التوحيد" ص ٣٦٣ و٣٦٦ من طريق محمد بن جعفر، والدارمي ٢/ ١١٢، وابن حبان (٣٣٨٤) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، ثلاثتهم عن شعبة، بهذا الإسناد. ووقع عند النسائي وابن خزيمة اسم نبيط وحده دون اسم أبيه. وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٤٩١٨) من طريق بقية، قال: حدثني شعبة، قال: حدثني يزيد بن أبي زياد، عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عمرو مرفوعاً. بإسقاط نبيط وجابان من الإسناد. ولفظه: لا يدخل الجَنَّة منان ولا عاق ولا ولد زنا. ويزيد بن أبي زياد: ضعيف. وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٤٩١٧) أيضاً من طريق غندر، عن شعبة، عن الحكم -وهو ابن عتيبة-، عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عمرو موقوفاً. ولفظه: لا يدخل الجَنَّة منان ولا عاق والديه ولا ولد زنا " .

◉ وَاحِدُ وَسِتُّوْن ◉ : عُقُوْقُ الوَالِدَيْن :

روى أحمد في المسند (١١/ ٤٩٣ برقم ٦٨٩٢) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَاقٌّ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلَا مَنَّانٌ، وَلَا وَلَدُ زِنْيَةٍ " . قال الأرنؤوط : " صحيح لغيره دون قوله: "ولا ولد زنية"، وهذا إسناد ضعيف علته جابان، وقد سلف الكلام فيه في الحديث (٦٥٣٧) ، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. سفيان: هو الثوري، ومنصور: هو ابن المعتمر. وسلف برقم (٦٥٣٧) من طريق همام بن يحيى، عن منصور، بهذا الإسناد، وبرقم (٦٨٨٢) من طريق شعبة، عن منصور، به، بزيادة نبيط بن شريط بين سالم وجابان، ولم يذكر فيهما قوله: "ولا ولد زنية". وأخرجه بطوله مع هذه الزيادة عبدُ بنُ حميد في "المنتخب" (٣٢٤) ، والنسائي في "الكبرى" (٤٩١٥) ، والدارمي ٢/ ١١٢، وابنُ خزيمة في "التوحيد" ص ٣٦٦، وابن حبان (٣٣٨٣) من طرق، عن سفيان، بهذا الإسناد. وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٤٩١٦) من طريق جرير، عن منصور، به. وأخرجه الطيالسي (٢٢٩٥) ، ومن طريقه النسائي في "الكبرى" (٤٩١٤) عن شعبة، عن منصور، به، بزيادة نبيط بن شريط بين سالم وجابان. وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٤٩١٨) من طريق بقية، عن شعبة، عن يزيد بن أبي زياد، عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عمرو، به. وبقية مدلس، ويزيد بن أبي زياد ضعيف، وذكر البخاري -كما سيرد- أنه رواه عبدان، عن أبيه، عن شعبة، به، موقوفاً على ابن عمرو. وأخرجه النسائي (٤٩١٧) أيضا من طريق شعبة، عن الحكم بن عتيبة، عن سالم، عن ابن عمرو موقوفاً. وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" ٣/ ٣٠٩، والخطيب في "تاريخه" ١٢/ ٢٣٩ من طريق مُؤمل بن إسماعيل، عن سفيان، عن عبد الكريم الجزري، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، به، مرفوعاً. وقد اختُلف فيه على مجاهد على أقاويل عشرة ذكرها أبو نعيم في "الحلية" ٣/ ٣٠٧-٣٠٩. قال أبو نعيم: ورواه إسرائيل عن عبد الكريم، عن مجاهد، عن ابن عمرو، موقوفا. قلنا: هذه الرواية هي عند النسائي في "الكبرى" (٤٩٢٣) لكن من قول مجاهد. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٦/ ٢٥٧، وقال: -رواه النسائي غير قوله: "ولا ولد زنية"-، رواه أحمد والطبراني، وفيه جابان، وثقه ابنُ حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح. قلنا: يقصد الهيثمي برواية النسائي التي في "المجتبى" ٨/ ٣١٨. وأخرجه مختصراً بلفظ الزيادة فقط، وهو: "لا يدخل الجَنَّة ولد زنى" ابنُ خزيمة في "التوحيد" ص ٣٦٥ من طريق عبد الرزاق، شيخ أحمد، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٩١٤) من طريق شيبان النحوي، عن منصور، به. وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ٢/ ٢٥٧، و"الصغير" ١/ ٢٦٢، ٢٦٣ من طريق وهب بن جرير، عن شعبة، عن منصور، عن سالم، عن نبيط، عن جابان، عن ابن عمرو، مرفوعاً. قال البخاري: وتابعه غندر، عن شعبة، ولم يقل جرير والثوري فيه نبيطاً، وقال عبدان، عن أبيه، عن شعبة، عن يزيد، عن سالم، عن عبد الله بن عمرو، قوله، ولم يصح، ولا يعرف لجابان سماع من عبد الله بن عمرو، ولا لسالم من جابان، ولا من نبيط. وله شاهد من حديث أبي هريرة، أخرجه النسائي في "الكبرى" (٤٩٢٤) ، وأبو نعيم في "الحلية" ٣/ ٣٠٧ من طريقين عن محمد بن فضيل، عن الحسن بن عمرو الفقيمي، عن مجاهد، عن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "لا يدخل الجَنَّة ولد زنية". وقد ذكره السخاوي في "المقاصد الحسنة" برقم (١٣٢٢) ، وقال: وأعله الدارقطني بأن مجاهداً لم يسمعه من أبي هريرة، وكذا رويناه من حديثه بإثبات واسطة بينه وبينه، أخرجه الطبراني وأبو نعيم أيضاً، وكذا النسائي، ولكنه مضطرب في تعيينها، بل يروىٰ عن مجاهد، عن أبي سعيد الخدري، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، كما بينتُ ذلك في جزء مفرد، وزعم ابن طاهر وابن الجوزي أن هذا الحديث موضوع، وليس بجيد. قلنا: وقد ذكره في الموضوعات نقلاً عن ابن الجوزي: الشوكاني في "الفوائد المجموعة" ص ٢٠٤، وابن القيم في "المنار المنيف" برقم (٢٩٩) ، وملأ علي القاري في "المصنوع في معرفة الحديث الموضوع" برقم (٣٩١) . ثم قال السخاوي في "المقاصد": قال شيخنا: وقد فسره العلماء -علىٰ تقدير صحته- بأن معناه: إذا عمل بمثل عمل أبويه، وزيفه الطالقاني بأنه لا يختص بولد الزنىٰ، فولد الرشدة كذلك، واتفقوا علىٰ أنه لا يحمل علىٰ ظاهره، لقوله تعالىٰ: (ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ) . وقيل في تأويله أيضاً: إن المراد به من يواظب الزنىٰ، كما يقال للشجعان: بنو الحرب، ولأولاد المسلمين: بنو الإسلام. ووجهه الطالقاني بأنه لا يدخل الجَنَّة بعمل أبويه، بخلاف ولد الرشدة، فإنه إذا مات طفلاً وأبواه مؤمنان ألحق بهما، وبلغ درجتهما بصلاحهما، كما جاء النص به -يريد قوله تعالىٰ: (ألحقنا بهم ذريتهم) -، وذلك لأن الزاني نسبه منقطع به، والزانية -وإن صلحت- فشؤم زناها يمنع وصول بركة صلاحها إليه، والله الموفق انتهىٰ.

وقد توسع الطحاوي في التأويل الثاني المذكور آنفاً، فقال: فكان ما في هذا الحديث عندنا -والله أعلم- أريد به من تحقّق بالزنىٰ حتىٰ صار غالباً عليه، فاستحق بذلك أن يكون منسوبا إليه، فيقال: هو ابن له، كما ينسب المتحققون بالدنيا إليها، فيقال لهم: بنو الدنيا، لعملهم لها، وتحققهم بها، وتركهم ما سواها، وكما قيل للمتحقق بالحذر: ابن أحذار، وللمتحقق بالكلام: ابن أقوال، وكما قيل للمسافر: ابن سبيل، وكما قيل للمقطوعين عن أموالهم لبعد المسافة بينهم وبينها: أبناء السبيل، كما قال تعالىٰ في أصناف أهل الزكاة: (إنما الصدقات للفقراء ...) حتىٰ ذكر فيهم ابن السبيل، وكما قال بدر بن حزاز للنابغة: أبلغ زياداً وخيرُ القول أصدقُه فلو تكيس أو كان ابن أحذار أي: لو كان حذراً وهذا كيس، وكما يقال: فلان ابن مدينة للمدينة التي هو متحقق بها، ومنه قول الأخطل: ربتٌ وربا في حجرها ابنُ مدينة يظلُّ علىٰ مسحاته يتركلُ فمثل ذلك: ابنُ زنية، قيل لمن تحقق بالزنىٰ، حتىٰ صار بتحققه به منسوبا إليه، وصار الزنىٰ غالباً عليه: إنه لا يدخل الجنة، فهذه لمكان التي فيه، ولم يُرد به من كان ليس من ذوي الزنىٰ الذي هو مولود من الزنىٰ. وقال ابن حبان كما في "الإحسان" ٨/ ١٧٧: معنىٰ نفي المصطفىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ولد الزنية دخول الجَنَّة -وولد الزنية ليس عليهم من أوزار آبائهم وأمهاتهم شيء- أن ولد الزنية علىٰ الأغلب يكون أجسر علىٰ ارتكاب المزجورات، أو أراد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ولد الزنية لا يدخل الجنة: جنة يدخلها غير ذي الزنية ممن لم تكثر جسارته علىٰ ارتكاب المزجورات" .

◉ ثَانِيْ وَسِتُّوْن ◉ : مُدْمِنُ الخَمْر:

روىٰ أحمد في " المسند" (١٧/ ١٧٨ برقم ١١١٠٧) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَدْخُلُ الجَنَّة صَاحِبُ خَمْسٍ: مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلَا مُؤْمِنٌ بِسِحْرٍ، وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ ، وَلَا

كَاهِنٌ، وَلَا مَنَّانٌ " . قال الأرنؤوط : " حديث حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف عطية بن سعد: وهو العوْفي، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير سعد الطائي، فقد روىٰ له البخاري، وأصحاب السنن عدا النسائي، وهو ثقة. معاوية بن عمرو: هو المهلبي، وأبو إسحاق: هو إبراهيم بن محمد الفزاري. وأخرجه البزار (٢٩٣٢) (زوائد) من طريق عمار بن زريق، عن الأعمش، به. وأخرجه أيضاً (٢٩٣٣) من طريق جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن عطية، به. أسقط من الإسناد سعداً الطائي، فوهم. قال الدارقطْني في "العلل" ٣/ الورقة ٢٣٨ في هذا الحديث: يرويه الأعمش، واختلف عنه، فرواه جرير بن عبد الحميد وعبد الله بن بشر، وقيل: عن حمزة الزيات، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد. وخالفهم أبو إسحاق الفزاري ومندل بن علي، وعمار بن زريق، فرووه عن الأعمش، عن سعد الطائي، عن عطية، عن أبي سعيد، وهو الصواب. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٥/ ٧٤، وقال: رواه أحمد والبزار، وفيه عطيه بن سعد وهو ضعيف، وقد وثق. وسيأتي برقم (١١٧٨١) ، ومختصراً برقم (١١٢٢٢) و (١١٣٩٨) . وقد سلفت شواهده في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب في الرواية رقم (٦١٨٠) . قال السندي: قوله: "صاحب خمس"، أي: صاحب خمس خصال. قوله: "ولا مؤمن بسحر"، أي: مصدق به، أو من ملتبس بعمل السحر. قوله: "ولا منان": لا يعطي شيئاً إلا منَّ " .

● ثَالِثُ وَسِتُّوْن ● : مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ :

روىٰ أحمد في " المسند (٢٢/ ٣٣٢ برقم ١٤٤٤١) بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: " أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ "، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: " أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي. يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ - يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ، أَوْلَىٰ بِهِ. يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا " . قال الأرنؤوط : " إسناده قوي علىٰ شرط مسلم، رجاله ثقات غير ابن خثيم- وهو عبد الله بن عثمان- فصدوق لا بأس به. والحديث في "مصنف" عبد الرزاق (٢٠٧١٩) ، ومن طريقه أخرجه عبد بن حميد (١١٣٨) ، وابن حبان (٤٥١٤) ، والحاكم ٤/ ٤٢٢. وأخرجه مطولاً ومختصراً الدارمي (٢٧٧٦) ، والبزار (١٦٠٩- كشف الأستار) ، وأبو يعلىٰ (١٩٩٩) ، والطحاوي في "شرح المشكل" (١٣٤٥) ، وابن حبان (١٧٢٣) ، والحاكم ٣/ ٤٧٩-٤٨٠، والبيهقي في "الشعب" (٥٧٦١) من طرق عن ابن خثيم، بهذا الإسناد. وسيأتي برقم (١٥٢٨٤) من طريق وهيب بن خالد، عن ابن خثيم. وروىٰ الحديث من مسند كعب بن عجرة الترمذيُّ (٦١٤) ، والطبراني في "الكبير" ١٩/ (٢١٢) و (٢٩٨) و (٣٠٩) ، وفي "الأوسط" (٢٧٥١) ، والبيهقي في "الشعب" (٥٧٦٢) . وسيأتي في "مسند أحمد" مختصراً بقصة الأمراء ٤/ ٢٤٣، ويأتي تخريجه هناك، ويشهد لها حديث ابن عمر، سلف برقم (٥٧٠٢) ، وانظر تتمة أحاديث الباب هناك. وفي الباب دون قصة الأمراء عن أبي مالك الأشعري، سيأتي ٥/ ٣٤٢. ويشهد لقوله: "الصيام جُنة" حديث أبي هريرة السالف في "المسند" برقم (٧٤٩٢) ، وانظر تتمة شواهده هناك. وانظر أيضاً الحديث الآتي برقم (١٥٢٦٤) . ولقوله: "الصدقة تطفئ الخطيئة" حديث معاذ بن جبل، سيأتي ٥/ ٢٣١. ولقوله: "لا يدخل الجَنَّة لحم نبت من سحت" حديث عقبة بن عامر عند البيهقي في "الشعب" (٥٧٥٧) ، وعن أبي بكر (٥٧٥٩) و (٥٧٦٠) . قوله:

"ليسوا مِني" قال السندي: أي: من أهل طريقتي، بيان لمباينة الطريقين، ويحتمل أن المراد بهذا الكلام بيان الانقطاع والتبري. "ولا يَرِدُوا". حذف النون للتخفيف، أو لكونه عطفاً على محل جملة "فأولئك ليسوا مني" بناء على أنه مجزوم لكونه جوابا لَمنْ في قوله: "فمَن صدقهم". قلنا: وفي "المصنف" وعبد بن حميد و"المستدرك ": "ولا يردون" بإثبات النون وهو الجادة. وكذلك قوله: "وسيردوا" والوجه إثباتها، كما في المصنف وعبد بن حميد وابن حبان والحاكم. "جُنة"، أي: وقاية من النار، أو من الشهوات المؤدية إليها. "تطفئ الخطيئة"، أي: تكفرها، لدعاء الفقير للمصدق بالمغفرة أو بالتوبة " .

◉ رَابِعُ وَسِتُّوْن ◉ : صَاحِبُ مَكْسٍ:

روى أحمد في " المسند" (٢٨/ ٥٢٦ برقم ١٧٢٩٤) بسنده عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَا يَدْخُلُ الجَنَّة صَاحِبُ مَكْسٍ " يَعْنِي الْعَشَّارَ . قال الأرنؤوط : " حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف، محمد بن إسحاق مدلس، وقد رواه بالعنعنة، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح. وأخرجه أبو داود (٢٩٣٧) من طريق محمد بن سَلَمة، بهذا الإسناد. وأخرجه الدارمي (١٦٦٦) ، وابن عبد الحكم في "فتوح مصر" ص٢٩٣، وابن خزيمة (٢٣٣٣) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢/ ٣١، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (٨٧٩) و (٨٨٠) من طرق عن محمد بن إسحاق، به. وفي الباب عن رويفع بن ثابت، بلفظ: "صاحب المكس في النار"، وقد سلف برقم (١٧٠٠١) ، وفي إسناده ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ، لكن رواه عنه هناك قتيبة بن سعيد، وقد مشَّى روايته عنه بعض أهل العلم ورآها صالحة. قال السندي: قوله: "يعني: العشَّار"، أي: الذي يأخذ من المسلمين عشر أموالهم في الزكاة، ولعل المعنى لا يستحق الدخول ابتداءً. اهـ. وقال البيهقي في "السنن" ٧/ ١٦: المكس: هو النقصان، فإذا كان العامل في الصدقات ينتقص من حقوق المساكين ولا يعطيهم إياها بالتمام، فهو حينئذٍ صاحب مكس يُخاف عليه الإثم والعقوبة، والله أعلم " .

◉ خَامِسُ وَسِتُّوْن ◉ : الجَوَّاظُ وَالجَعْظَرِيُّ وَالْعُتُلُّ الزَّنِيمُ:

روى أحمد في " المسند" (٢٩/ ٥١٧ برقم ١٧٩٩٣) بسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَدْخُلُ الجَنَّة الْجَوَّاظُ وَالْجَعْظَرِيُّ وَالْعُتُلُّ الزَّنِيمُ " . قال الأرنؤوط : "صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف شهر بن حوشب. ورواية عبد الرحمن بن غنم عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلة. وأورده السيوطي في "الدر المنثور" ٨/ ٢٤٧-٢٤٨، وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه. وقد روي نحوه عن شهر بن حوشب عن ابن عباس موقوفاً عليه. أورده السيوطي في "الدر المنثور" ٨/ ٢٤٧، وعزاه لعبد بن حميد. ويشهد له حديث عبد الله بن عمرو بن العاص السالف برقم (٦٥٨٠) ، وانظر تتمة شواهده هناك. وقوله: "الجواظ والجعظري" سلف معناهما عند حديث عبد الله بن عمرو. وأما "العتل": فهو الغليظ الفاجر اللئيم، وأما "الزنيم" فقيل: هو ابن الزنى، وقيل: هو المعروف بالشر والأذى، والمقصود هنا الغلظة والشدة واللؤم " .

◉ سَادِسُ وَسِتُّوْن ◉ : مَا تَصْنَعُه النِّسَاءُ الكَاسِيَاتِ العَارِيَات المَائِلاتِ المُمِيْلَات :

روى مسلم (٣/ ١٦٨٠ برقم ٢١٢٨) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ

مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا " .

۞سَابِعُ وَسِتُّوْن ۞ : سُؤَالُ الْمَرْأَة زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ :

روى أحمد في " المسند" (٣٧/ ٦٢ برقم ٢٢٣٧٩) بسنده عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الجَنَّة " . قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح، والرجل: المبهم: هو أبو أسماء الرحبي، فقد جاء مُسمّى في الرواية الآتية برقم (٢٢٤٤٠) ، وإسماعيل: هو ابن علية، وأيوب: هو السختياني، وأبو قلابة: هو عبد الله بن زيد الجرمي. وأخرجه الطبري في "التفسير" ٢/ ٤٦٨ من طريق إسماعيل ابن علية، بهذا الإسناد. وأخرجه الترمذي (١١٨٧) ، والطبري ٢/ ٤٦٨ من طريق عبد الوهّاب الثقفي، عن أيوب، به. وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (٥٤٦٥) من طريق منصور بن زاذان، عن أبي قلابة، عن ثوبان، به. وأخرجه ابن أبي شيبة ٥/ ٢٧١ عن وكيع، عن سفيان الثوري، عن خالد الحذاء وأيوب، عن أبي قلابة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلاً.وسيأتي موصولاً برقم (٢٢٤٤٠) من طريق أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان. وأخرجه الطبري ٢/ ٤٦٧ من طريق ليث بن أبي سليم، عن أبي إدريس، عن ثوبان، به. وليث ضعيف. وفي الباب عن ابن عباس عند ابن ماجه (٢٠٥٤) ، وإسناده ضعيف. قوله: "من غير بأس" قال المناوي في فيض القدير: البأس: الشدة، أي: في غير حالةِ شِدَّة تدعوها وتُلجئها إلى المفارقة، كأن تخاف أن لا تقيم حدود الله فيما يجب عليها من حسن الصحبة وجميل العشرة لكراهتها له، أو بأن يضارها لتختلع منه. "فحرام عليها" أي: ممنوع عنها "رائحة الجنة"، وأول ما يجد ريحها المحسنون المتقون، لا أنها لا تجد ريحها البتة، فهو لمزيد المبالغة في التهديد " .

۞ ثَامِنُ وَسِتُّوْن ۞ : النَّمِيْمَة :

روى البخاري (٨/ ١٧ رقم ٦٠٥٦) ، مسلم (١/ ١٠١ برقم ١٠٥) بسندهما عَنْ هَمَّامٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ حُذَيْفَةَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ رَجُلًا يَرْفَعُ الحَدِيثَ إِلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" لَا يَدْخُلُ الجَنَّة قَتَّاتٌ " .

۞تَاسِعُ وَسِتُّوْن ۞ : الانْتِحَار :

روى البخاري (٤/ ١٧٠ برقم ٣٤٦٣) بسنده عَنِ الحَسَنِ، حَدَّثَنَا جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللهِّ، فِي هَذَا المَسْجِدِ، وَمَا نَسِينَا مُنْذُ حَدَّثَنَا، وَمَا نَخْشَى أَنْ يَكُونَ جُنْدُبٌ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صلى الله عليه وسلم: " كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللهُّ تَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّة " .

قال الإمام ابن دقيق العيد في " إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام " (٢/ ٢٣٤) : " قَوْلُهُ " حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّة " فَيَتَعَلَّقُ بِهِ مَنْ يَرَى بِوَعِيدِ الْأَبَدِ وَهُوَ مُؤَوَّلٌ عِنْدَ غَيْرِهِمْ عَلَى تَحْرِيمِ الجَنَّة بِحَالَةٍ مَخْصُوصَةٍ،

كَالتَّخْصِيصِ بِزَمَنٍ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا مَعَ السَّابِقِينَ، أَوْ يَحْمِلُونَهُ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ مُسْتَحِلًّا فَيَكْفُرُ بِهِ، وَيَكُونُ مُخَلَّدًا بِكُفْرِهِ، لَا بِقَتْلِهِ نَفْسَهُ. وَالْحَدِيثُ: أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي تَعْظِيمِ قَتْلِ النَّفْسِ، سَوَاءً كَانَتْ نَفْسُ الْإِنْسَانِ أَوْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ نَفْسَهُ لَيْسَتْ مِلْكَهُ أَيْضًا، فَيَتَصَرَّفُ فِيهَا عَلَى حَسَبِ مَا يَرَاهُ " .

وقال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٦/ ٥٠٠) : " وَقَدِ اسْتُشْكِلَ ... قَوْلُهُ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ... وَالْجَوَابُ ... مِنْ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا أَنَّهُ كَانَ اسْتَحَلَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ فَصَارَ كَافِرًا ثَانِيهَا كَانَ كَافِرًا فِي الْأَصْلِ وَعُوقِبَ بِهَذِهِ الْمَعْصِيَةِ زِيَادَةً عَلَى كُفْرِهِ ثَالِثُهَا أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الْجَنَّةَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ فِي وَقْتٍ مَا كَالْوَقْتِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ السَّابِقُونَ أَوِ الْوَقْتِ الَّذِي يُعَذَّبُ فِيهِ الْمُوَحِّدُونَ فِي النَّارِ ثُمَّ يَخْرُجُونَ رَابِعُهَا أَنَّ الْمُرَادَ جَنَّةٌ مُعَيَّنَةٌ كَالْفِرْدَوْسِ مَثَلًا خَامِسُهَا أَنَّ ذَلِكَ وَرَدَ عَلَى سَبِيلِ التَّغْلِيظِ وَالتَّخْوِيفِ وَظَاهِرُهُ غَيْرُ مُرَادٍ سَادِسُهَا أَنَّ التَّقْدِيرَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ إِنْ شِئْتَ اسْتِمْرَارَ ذَلِكَ سَابِعُهَا قَالَ النَّوَوِيُّ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ شَرْعُ مَنْ مَضَى أَنَّ أَصْحَابَ الْكَبَائِرِ يَكْفُرُونَ بِفِعْلِهَا وَفِي الْحَدِيثِ تَحْرِيمُ قَتْلِ النَّفْسِ سَوَاءٌ كَانَتْ نَفْسَ الْقَاتِلِ أَمْ غَيْرِهِ وَقَتْلُ الْغَيْرِ يُؤْخَذُ تَحْرِيمُهُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَفِيهِ الْوُقُوفُ عِنْدَ حُقُوقِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِخَلْقِهِ حَيْثُ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ قَتْلَ نُفُوسِهِمْ وَأَنَّ الْأَنْفُسَ مِلْكُ اللَّهِ " .

وقال الإمام العيني في " عمدة القاري شرح صحيح البخاري " (٨/ ١٩٢) : " قَوْله: (حرمت عَلَيْهِ الْجنَّة) مَعْنَاهُ: إِن كَانَ مستحلاً فعقوبته مُؤَبّدَة، أَو مَعْنَاهُ: حرمت قبل دُخُول النَّار، أَو المُرَاد من الْجنَّة: جنَّة خَاصَّة لِأَن الْجنان كَثِيرَة، أَو هُوَ من بَاب التغيظ، أَو هُوَ مُقَدّر بمَشِيئَة الله تَعَالَى، وَقيل: يحْتَمل أَن يكون هَذَا الْوَعيد لهَذَا الرجل الْمَذْكُور فِي الحَدِيث، وانضم إِلَى هَذَا الرجل مشركه، وَقَالَ ابْن التِّين: يحْتَمل أَن يكون كَافِرًا، لقَوْله: (فَحرمت عَلَيْهِ الْجنَّة) ، وَفِيه نظر من حَيْثُ إِن الجَنَّة مُحرمَة على الْكَافِر سَوَاء قتل نَفسه أَو استبقاها، وعَلى تَقْدِير أَن يكون كَافِرًا، إِنَّمَا يَتَأَتَّى على قَول من يَقُول: إِن الْكفَّار مطالبون بالفروع الشَّرْعِيَّة، وعَلى القَوْل الآخر: لَا يحسن ذَلِك، ثمَّ إِن الحَدِيث لَا دلَالَة فِيهِ على كفر وَلَا إِيمَان، بل هُوَ على الْإِيمَان أدل من غَيره، وَالله أعلم " .

سَبْعُوْن : تَعَلَّمَ العِلْم مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الله، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا :

روى أحمد في " المسند" (١٤/ ١٦٩ برقم ٨٤٥٧) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " قَالَ سُرَيْجٌ فِي حَدِيثِهِ: يَعْنِي رِيحَهَا . قال الأرنؤوط : " إسناده حسن. وأخرجه ابن ماجه (٢٥٢) من طريق

يونس وسريج، بهذا الإِسناد. وأخرجه ابن أبي شيبة ٨/ ٧٣١، ومن طريقه أخرجه أبو داود (٣٦٦٤) ، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" ١/ ١٩٠، وأخرجه السهمي في "تاريخ جرجان" ص ١٦٥، والخطيب في "اقتضاء العلم العمل" (١٠٢) من طريق سريج بن النعمان وحده، به. وأخرجه أبو الحسن القطان في "زياداته على سنن ابن ماجه" بإثر الحديث (٢٥٢) ، وأبو يعلى (٦٣٧٣) ، والعقيلي ٣/ ٤٦٧، وابن حبان (٧٨) ، والحاكم ١/ ٨٥، والبيهقي في "الشعب" (١٧٧٠) ، والخطيب في "تاريخه" ٥/ ٣٤٧ و٨/ ٧٨، وفي "الفقيه والمتفقه" ٢/ ٨٩، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٨٠-١٩٠ و١٩٠ من طرق عن فليح بن سليمان، به. وأخرج ابن ماجه (٢٦٠) من طريق عبد الله بن سعيد المقبري، عن جده أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، رفعه: "من تعلم العلم ليباهي به العلماء، ويجاري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم". وهذا إسناد ضعيف جداً، عبد الله بن سعيد متروك ويشهد لهذا اللفظ الأخير غير ما حديث، لكن بأسانيد ضعيفة، انظر "صحيح ابن حبان" (٧٧)".

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن